المجلد الاول من الروضتين
عـ ٢٣

روضتين

الأول من الروضتين في أخبار الدولتين

تأليف
الشيخ الإمام العلامة الحافظ
الحجة المؤرخ الناقد المحقق الضابط
شهاب الدين عبد الرحمن بن إسمعيل
بن إبرهيم المقدسي الشافعي
رحمه الله

[illegible]

مولف الكتاب ابو شامه صاحب التاليف الحسنه الكثيره الفوائد والنفع
تغمده الله برحمته

الحمد لله الجليل
برسم الخزانة العالية المولوية السيدية المالكية المخدومية
الحاجبية النورية عمرها الله بقاء مالكها المنيه وكرمه
٨٥٣

لكتبه
انتقل الطريق السرعي الحاكر
فقير عفو الله
المتوكل على الله سليطهم [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله ۞

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الاعمال وبكرمه وجوده تدرك الامال وعلى وفق مشيئته تتصرف الافعال وبارادته تتغير الاحوال واليه المصير والمرجع والمال سبحانه هو الباقي بلا زوال والمنزه عن الحلول والانتقال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ذو العرش والمعارج والطول والاكرام والجلال نحمده على ما اسبغ من الانعام والافضال ومن به من الاحسان والنوال حمدا لا توازنه الجبال مل السموات والارض وعلى كل حال ونصلي على رسوله ونبيه وخيرته من خلقه وصفيه وخليله ووليه وحبيبه المفضال سيدنا ابي القسم محمد بن عبد الله ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال صلى الله عليه وعلى الملايكة المقربين والانبيا والمرسلين وعترتهم الطيبين ما افل كوكب وطلع هلال وعلى ال محمد وصحبه خير صحب واكرم ال وعلى تابعيهم باحسان وجميع الاوليا والابدال وعفا عن المقصرين من امته اولي الكسل والملال وحشرنا في زمرته متمسكين بشرعته مقتدين بسنته متعظين بما ضرب من الامثال مزدحمين تحت لوايه في جمله اولبابه يوم لا بيع فيه ولا خلال ۞ اما بعد فانه بعد ان صرفت جل عمري ومعظم فكري في اقتباس الفوايد الشرعيه واقتناص الفرايد الادبيه عن لي ان اصرف الى علم التاريخ بعضه فاحوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتدا بشيوخ من مضى من كل عالم مرتضى فقل امام من الايمه الا ويحكي عنه اخبار من سلف فوايد جمه منهم امامنا ابو عبد الله الشافعي رضي الله عنه قال مصعب الزبيري ما رايت احدا اعلم بايام الناس من الشافعي ويروى عنه انه اقام على تعلم ايام الناس والادب عشرين سنه وقال ما اردت بذلك الا الاستعانه على الفقه قلت وذلك عظيم الفايده جليل العايده وفي كتاب الله تعالى وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم من اخبار الامم السالفه وانبا القرون الخالفه ما فيه عبر لذوي البصاير واستعداد ليوم تبلى السراير قال الله عز وجل وهو اصدق القايلين وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك وجاك في هذه الحق وموعظه وذكرى للمومنين وقال سبحانه ولقد جاهم من الانبا ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر ۞ وحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث ام زرع وغيره مما

جري

جرى في الجاهليه والايام الاسرائيليه وحكى عجايب ما راه ليله اسري به وعرج وقال حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج وفي صحيح مسلم عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمره اكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي صلى فيه الصبح او الغداه حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فياخذون في امر الجاهليه فيضحكون ويتبسم ۞ وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني اسرايل حتى نصبح ما يقوم الا الى عظم صلاه ۞ قلت ولم تزل الصحابه والتابعون فمن بعدهم يتفاوضون في حديث من مضى ويتذاكرون ما سبقهم من الاخبار والقصص ويستنشدون الاشعار ويتطلبون الاثار والاخبار وذلك بين من افعالهم لمن اطلع على احوالهم وهم الساده القدوه فلنا بهم اسوه فاعتنيت بذلك وتصفحته وبحثت عنه مده وتطلبته فوقفت والحمد لله على جمله كبيره من احوال المتقدمين والمتاخرين من الانبيا والمرسلين والصحابه والتابعين والخلفا والسلاطين والفقها والمحدثين والاوليا والصالحين والشعرا والنحويين واصناف الخلق الباقين ورايت ان المطلع على اخبار الباقين كانه قد عاصرهم اجمعين وانه عند ما تفكر في احوالهم وتذكرهم كانه مشاهدهم ومحاضرهم فهو قايم له مقام طول العمر وان كان متعجل الوفاه قال نعيم بن حماد كان عبد الله بن المبارك يكثر الجلوس في بيته فقيل له الا تستوحش فقال كيف استوحش وانا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي روايه قال قيل لابن المبارك يا ابا عبد الرحمن تكثر القعود في البيت وحدك فقال انا وحدي انا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني النظر في الحديث وفي روايه اخرى وانا مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين لهم باحسان قلت وقد انشدت لبعض الفضلا ۞

كتاب الطالعه مونس احب الي من الانسه
وادرسه فيريني القرون حضورا واعظمهم دارسه

وقد اختار الله سبحانه لنا ان نكون اخر الامم واطلعنا على انبا من تقدم لنتعظ بما جرى على القرون الخاليه ونعيها اذن واعيه فهل ترى لهم من باقيه ولنقتدي بمن تقدمنا من الانبيا والايمه

الصلحا ونرجوا بتوفيق الله عز وجل ان نجتمع بمن يدخل الجنه منهم ونذاكرهم بما نقل الينا عنهم
وذلك على رغم انف من عدم الادب ولم يكن له في هذا العلم ارب بل اقام على غيه واكب
والمرء مع من احب هذا وان الجاهل بعلم التاريخ راكب عميا خابط خبط عشوا ينسب الى
من تقدم اخبار من تاخر ويعكس ذلك ولا يتدبر وان رد عليه وهمه لا يتاثر وان ذكر لجهله
لا يتذكر لا يفرق بين صحابي وتابعي وحنفي ومالكي وشافعي ولا بين خليفه وامير وسلطان
ووزير ولا يعرف من سيره نبيه صلى الله عليه وسلم انه من نبي مرسل فكيف له بمعرفه
اصحابه وذلك الصدر الاول الذين بذكرهم ترتاح النفوس ويذهب البوس ولقد رايت
مجلسا جمع فيه ثلث عشر مدرسا وفيهم قاضي قضاة ذلك الزمان وغيره من الاعيان وانا اسمع صح
فجرى بينهم ذكر من تحرم عليه الصدقه وهم ذووا القربى المذكورون في القران فقال جميعهم
بنوا هاشم وبنوا عبد المطلب وعدلوا باجمعهم في ذلك عما يجب فتعجبت من جهلهم
حيث لم يفرقوا بين عبد المطلب والمطلب ولم يهتدوا الى ان المطلب هو عم عبد المطلب
وان عبد المطلب هو ابن هاشم فما احقهم بلوم كل لايم ان هذا اصل من اصول الشريعه قد
اهملوه وباب من ابواب العلم جهلوه ولزم من قولهم اخراج بني عبد المطلب من هذه الفضيله
فابتغيت الى الله تعالى الوسيله وانفت لنفسي من ذلك المقام فاخذتها بعلم اخبار الانام
وتصحيح نسبتها وايضاح محجتها فان كثيرا ممن يحفظ شيا من الوقايع يفوته معرفه نسبتها
الى اربابها وان نسبها خلط فيها وصرفها عن اصحابها وهو باب واسع غزير الفوايد صعب
المصادر والموارد زلت فيه قدم كثير من نقله الاخبار ورواه الاثار ثم اردت ان اجمع من هذا
العلم كتابا يكون حاويا لما حصلته واتقن فيه ما خبرته فعمدت الى اكبر كتاب وضع في هذا
الفن على طريقه المحدثين وهو تاريخ مدينه دمشق حماها الله عز وجل الذي صنفه الحافظ
الثقه ابو القسم علي بن الحسن العساكري رحمه الله وهو ثماني مايه جزو في ثمانين مجلدا
فاختصرته وهذبته وزدته فوايد من كتب اخر جليله واتقنته ووقف عليه العلما وسمعه
الشيوخ والفضلا ومر لي فيه من الملوك المتاخرين ترجمه الملك العادل نور الدين
فاطربني ما رايت من اثاره وسمعت من اخباره مع تاخر زمانه وتغير خلانه ثم وقفت بعد

ذلك

ذلك في غير هذا الكتاب على سيره سيد الملوك بعدهم الملك الناصر صلاح الدين فوجدتهما في المتاخرين
كالعمرين رضي الله عنهما في المتقدمين فان كل ثان من الفريقين حذا حذو من تقدمه في العدل
والجهاد واجتهد في اعزاز دين الله اي اجتهاد وهما ملكا بلادنا وسلطانا خطتنا خصنا
الله تعالى بهما فوجب علينا القيام بذكر فضلهما فعزمت على افراد ذكر دولتيهما بتصنيف
يتضمن التقريظ لهما والتعريف فلعله يقف عليه من الملوك من يسلك في ولايته ذلك
السلوك فلا اقل انهما حجه من الله على الملوك المتاخرين وذكرى منه سبحانه فان الذكرى
تنفع المومنين فانهم قد يستبعدون من انفسهم طريقه الخلفا الراشدين ومن حذا حذوهم
من الايمه السابقين ويقولون نحن في الزمن الاخير وما لاوليك من نظير فكان فيما قدر الله
سبحانه من سيره هذين الملكين الزام الحجه عليهم بمن هو في عصرهم من بعض ملوك دهرهم
فلن يعجز عن التشبه بهما احد ان وفق الله الكريم وسدد واخذت ذلك من قول ابي صالح
شعيب ابن حرب المدايني رحمه الله وكان احد السادة الاكابر في الحفظ والدين قال اني
لاحسب يجا بسفين الثوري يوم القيمه حجه من الله على هذا الخلق يقال لهم لم تدركوا نبيكم
فقد رايتم سفيان الا اقتديتم به وهكذا اقول هذان حجه على المتاخرين من الملوك والسلاطين
فلله درهما من ملكين تعاقبا على حسن السيره وجميل السريره وهما حنفي وشافعي شفى الله
بهما كل عي وظهرت بهما من خالقهما العنايه فتقاربا حتى في العمر ومده الولايه وهذه
نكته قل من فطن لها ونبه عليها ولطيفه هداني الله بتوفيقه اليها وذلك ان نور الدين
رحمه الله ولد سنه احدى عشره وخمس ميه وتوفي سنه تسع وستين وولد صلاح الدين
رحمه الله سنه اثنتين وثلثين وخمس مايه وتوفي سنه تسع وثمانين فكان نور الدين اسن من
صلاح الدين بسنه واحده وبعض اخرى وكلاهما لم يستكمل ستين سنه فانظر كيف اتفق
ان بين وفاتيهما عشرين سنه وبين مولديهما احدى وعشرين سنه وملك نور الدين دمشق سنه
تسع واربعين وملكها صلاح الدين سنه سبعين فبقيت دمشق في المملكه النوريه عشرين
سنه وفي المملكه الصلاحيه تسعه عشر سنه تمحى فيها السييه وتكتب الحسنه وهذا من عجيب
ما اتفق في العمر ومده الولايه ببلد معينه لملكين متعاقبين مع قرب الشبه بينهما في سيرتيهما

والفضل للمتقدم فكان زياده مدح نور الدين للتنبيه على زياده فضله والارشاد الى عظم
محله فانه اصل ذلك الخير لانه مهد الامور بعدله وجهاده وهيبته في جميع بلاده مع شده
الفتوق واشاع الحق وفتح من البلاد ما استعين به على مداومة الجهاد فهان على من بعده
على الحقيقه سلوك تلك الطريقه لكن صلاح الدين اكثر جهادا واعم بلادا صبر وصابر
ورابط وثابر وذخر له من الفتوح انفسه وهو فتح الارض المقدسه فرضي الله عنهما فما
احقهما بقول الشاعر   كم ترك الاول للاخر ○

والبس الله هاتيك العظام وان بلين تحت الثرى عفوا وغفرانا
سقى ثرى اودعوه رحمة ملات مثوى قبورهم روحا وريحانا

وقد سبقني الى تدوين ماثرهما جماعه من العلماء والاكابر الفضلاء فذكر الحافظ الثقه ابو القسم
علي بن الحسن الدمشقي في تاريخه ترجمه حسنة لنور الدين محمود بن زنكي رحمه الله ولاجله
تمم ذلك الكتاب وذكر اسمه في خطبته ○ وذكر الرئيس ابو يعلى حمزه ابن اسد التميمي في مذيل
التاريخ الدمشقي قطعه صالحه من اوايل الدوله النوريه الى سنه خمس وخمسين وخمس ميه
وصنف الشيخ الفاضل عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري عرف بابن الاثير
مجلدا في الايام الاتابكيه كلها وما جرى فيها وفيه شي من اخبار الدوله الصلاحيه لتعلق احدى
الدولتين بالاخرى لكونها متفرعة عنها ○ وصنف القاضي بها الدين ابو المحاسن يوسف ابن
رافع بن تميم الموصلي عرف بابن شداد قاضي حلب مجلدا في الايام الصلاحيه وسياق ما تيسر فيها
من الفتوح واستفتح كتابه بشرح مناقب صلاح الدين رحمه الله تعالى وصنف الامام العالم
عماد الدين الكاتب ابو حامد محمد بن حامد الاصفهاني كتابين كلاهما مسجوع منقح بالالفاظ الفصيحه
والمعاني الصحيحه احدهما الفتح القدسي اقتصر فيه على فتوح صلاح الدين وسيرته فاستفتحه
بسنه ثلث وثمانين وخمس ميه والثاني البرق الشامي ذكر فيه الوقايع والحوادث من الغزوات
والفتوحات وغيرهما مما وقع من سنه وروده دمشق وهي سنه اثنتين وخمسين وخمس ميه الى
سنه وفاه صلاح الدين وهي سنه تسع وثمانين فاشتمل على قطعه كبيره من اخبار اواخر الدوله
النوريه الا ان العماد في كتابيه طويل النفس في السجع والوصف يمل الناظر فيه ويذهل طالب

معرفه الوقايع عما سبق من القول وينسيه فحذفت تلك الاسجاع الا قليلا منها استحسنتها
في مواضعها ولم تك خارجه عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والوقايع نحو ما ستراه
في فتح البيت المقدس شرفه الله تعالى وانتزعت المقصود من الاخبار من بين تلك الرسايل الطوال
والاسجاع المفضيه الى الملال واردت ان يفهم الكلام الخاص والعام واخترت من تلك الاشعار
الكثيره قليلا مما يتعلق بالقصص ويشرح الحال وما فيه نكته غريبه وفايده لطيفه ووقفت
على مجلدات من الرسايل الفاضليه وعلى جمله من الاشعار العماديه مما ذكر في ديوانه دون برقه
وعلى كتب اخر من دواوين وغيرها فالتقطت منها اشيا مما يتعلق بالدولتين او باحديهما او بعضه
سمعته من افواه الرجال الثقات ومن المدركين لتلك الاوقات فاختصرت جميع ما في ذلك
من اخبار الدولتين وما حدث في مدتهما من وفاه خليفه او وزير او امير كبير او ذي قدر
خطير وغير ذلك فجا مجموعا لطيفا وكتابا ظريفا يصلح لمطالعة الملوك والاكابر
من ذوي الماثر والمفاخر وسميته كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ولله
در حبيب ابن اوس حيث يقول ○

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكانها وكانهم احلام

اما الدوله النوريه فسلطانها الملك العادل نور الدين محمود   ابو القسم صح
ابن عماد الدين اتابك وهو ابو سعيد زنكي ابن قسيم الدوله اق سنقر التركي ويلقب زنكي ايضا
بلقب والده قسيم الدوله ويقال لنور الدين ابن القسيم وسنتكلم على اخبار اسلافه عند
بسط اوصافه وقدمت من اجمال احواله ما يستدل به على افعاله ذكر الحافظ ابو القسم في
تاريخه انه ولد سنه احدى عشره وخمس ميه وان جده اق سنقر ولي حلب وغيرها من بلاد
الشام ونشا ابوه زنكي بالعراق ثم ولي ديار الموصل والبلاد الشاميه وظهرت شهامته في مقابله
العدو عند نزوله الى شيزر حتى رجع خايبا وفتح الرها والمعره وكفرطاب وغيرها من الحصون
الشاميه واستنقذها من ايدي الكفار فلما انقضى اجله قام ابنه نور الدين مقامه وذلك
سنه احدى واربعين وخمس ميه ثم قصد نور الدين حلب فملكها وخرج غازيا في اعمال تل باشر
فافتتح حصونا كثيره من جملتها قلعة عزاز ومرعش وتل خالد وكسر ابرنس انطاكيه وقتله وثلثه

الف فرنجي معه واظهر بحلب السنه وغير البدعه التي كانت لهم في التاذين وقمع الرافضه وقمعها
وبنى بها المدارس ووقف الاوقاف واظهر العدل وحاصر دمشق مرتين وفتحها في الثالثه
فضبط امورها وحصن سورها وبنى بها المدارس والمساجد واصلح طرقها ووسع اسواقها
ومنع من اخذ ما كان يوخذ منهم من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكياله وغيرها
وعاقب على شرب الخمر واستنقذ من العدو ثغر بانياس والمنيطره وغيرهما وكان في
الحروب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يقدم اصحابه ويتعرض للشهادة وكان
يسال الله تعالى ان يحشره من بطون السباع وحواصل الطير ووقف رحمه الله وقوفا
على المرضى ومعلمي الخط والقران وساكني الحرمين واقطع امرا العرب لئلا يتعرضوا للحجاج
وامر باكمال سور المدينه واستخراج العين التي باحد وبنى الربط والجسور والخانات
وجدد كثيرا من قنى السبيل وكذا صنع في غير دمشق من البلاد التي ملكها ووقف كتبا
كثيره وحصل في اسره جماعة من امرا الفرنج وكسر الروم والارمن والفرنج على حارم وكان
ثم فتح حارم واخذ اكثر قرى انطاكيه ثم فتح الديار المصريه وكان العدو قد اشرف على
اخذها ثم اظهر بها السنه وانقمعت البدعه وكان حسن الخط كثير المطالعه للكتب
الدينيه متبعا للاثار النبويه مواظبا على الصلوات في الجماعات عاكفا على تلاوة القران
حريصا على فعل الخير عفيف البطن والفرج مقتصدا في الانفاق متحريا في المطاعم والملابس
لم تسمع منه كلمه فحش في رضاه ولا في ضجره واشهى ما اليه كلمه حق يسمعها او ارشاد
الى سنه يتبعها وقال ابو الحسن ابن الاثير قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين
قبل الاسلام وفيه الى يومنا هذا فلم ار بعد الخلفا الراشدين وعمر بن عبد العزيز احسن سيره
من الملك العادل نور الدين ولا اكثر تحريا للعدل والانصاف منه قد قصر ليله ونهاره على
عدل ينشره وجهاد يتجهز له ومظلمه يزيلها وعباده يقوم بها واحسان يوليه وانعام
يسديه ونحن نذكر ما نعلم به محله في امر دنياه واخراه فلو في كان في امه لافتخرت فكيف بيت
واحد اما زهده وعبادته وعلمه فانه كان مع سعة ملكه وكثره ذخاير بلاده واموالها
لا ياكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه الا من ملك كان له قد اشتراه من سهمه من

الغنيمه ومن الاموال المرصده لمصالح المسلمين احضر الفقها واستفتاهم في اخذ ما يحل له
من ذلك فاخذ ما افتوه بحله ولم يتعده الى غيره البته ولم يلبس قط ما حرمه الشرع من حرير
او ذهب او فضه ومنع من شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن ادخالها الى بلد ما
وكان يحد شاربها الحد الشرعي كل الناس عنده فيه سوا ان حدثني صديق لنا
بدمشق كان رضيع الخاتون ابنة معين الدين زوجه نور الدين ووزيرها قال كان نور الدين
اذا جا اليها يجلس في المكان المختص به وتقوم في خدمته لا تتقدم اليه الا باذن في اخذ
ثيابه عنه ثم يعتزل عنه الى المكان الذي يختص بها وينفرد هو تاره يطالع رقاع اصحاب
الاشغال او في مطالعه كتاب اتاه ويجيب عنهما وكان يصلي فيطيل الصلاة وله اوراد
في النهار فاذا جا الليل وصلى العشا ونام يستيقظ نصف الليل ويقوم الى الوضوء والصلاة
الى بكره فيظهر للركوب ويشتغل بمهام الدوله قال وانها قلت عليها النفقه ولم
يكفها ما كان قرره لها فارسلتني اليه اطلب منه زياده في وظيفتها فلما قلت له ذلك تنكر
واحمر وجهه ثم قال من اين اعطيها اما يكفيها ما لها والله لا اخوض في نار جهنم في هواها ان
كانت تظن ان الذي بيدي من الاموال هي لي فبيس الظن انما هي اموال المسلمين مرصده لمصالحهم
ومعده لفتق ان كان من عدو الاسلام وانا خازنهم عليها فلا اخونهم فيها ثم قال لي بمدينه حمص
ثلثه دكاكين ملكا وقد وهبتها اياها فلتاخذها قال وكان يحصل منها قدر قليل قال
ابن الاثير وكان رحمه الله لا يفعل فعلا الا بنيه صالحه كان بالجزيره رجل من الصالحين كثير
العباده والورع شديد الانقطاع عن الناس وكان نور الدين يكاتبه ويراسله ويرجع الى
قوله ويعتقد فيه اعتقادا حسنا فبلغه ان نور الدين يدمن اللعب بالكره فكتب اليه يقول
ما كنت اظنك تلهو وتلعب وتعذب الخيل لغير فايده دينيه فكتب اليه نور الدين بخط يده
يقول والله ما يحملني على اللعب بالكره اللهو والبطر انما نحن في ثغر العدو وقريب منا بينما
نحن جلوس اذ يقع صوت فنركب في الطلب ولا يمكننا ايضا ملازمه الجهاد ليلا ونهارا
شتاء وصيفا اذ لا بد الراحه من الجند ومتى تركنا الخيل على مرابطها صارت جماما لا
قدره لها على ادمان السير في الطلب ولا معرفه لها ايضا بسرعه الانعطاف والطاعه لراكبها

في الحرب فهذا والله الذي يعثي على لعب بالكرة قال ابن الاثير فانظر الى هذا الملك المعدوم النظير الذي يقل في اصحاب الزوايا المنقطعين مثله فان من يجي الى اللعب بفعله بنيه صالحة حتى يصير من العبادات واكبر القربات يقل في العالم مثله وفيه دليل على اعظم انه كان لا يفعل شيا الا بنيه صالحة وهذه افعال العلما الصالحين العاملين ۝ وحكى عنه انه حمل اليه من مصر عمامه من القصب الرفيع مذهبه فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت اليها وبينما هم معه في حديثها واذ قد جاء رجل صوفي فامر بها له فقيل له انها لا تصلح لهذا الرجل ولو اعطى غيرها كان انفع له فقال اعطوها له فاني ارجوا ان اعوض عنها في الاخره فسلمت اليه فسار بها الى بغداد فباعها بستمايه دينار اميري او سبعمايه دينار قلت قرات في حاشيه هذا المكان من كتاب ابن الاثير بخط ابن المعطي اياها قال اعطاها لشيخ الصوفيه عماد الدين ابي الفتح بن حمويه بغير طلب ولا رغبه فبعثها الى همدان فبيعت بالف دينار ۝ قال ابن الاثير وحكى لنا الامير بها الدين علي ابن الشكري وكان خصيصا بخدمه نور الدين قد صحبه من الصبى وانس به وله معه انبساط قال كنت معه يوما في الميدان بالرها والشمس في ظهورنا فكلما سرنا تقدمنا الظل فلما عدنا صار ظلنا ورا ظهورنا فاجرى فرسه وهو يلتفت وراه وقال لي اتدري لاي شي اجري فرسي والتفت ورايي قلت لا قال قد شبهت ما نحن فيه بالدنيا تهرب ممن يطلبها وتطلب من يهرب منها قلت رضي الله عن ملك يفكر في مثل هذا وقد انشدت بيتين في هذا المعنى ۝

مثل الرزق الذي تطلبه مثل الظل الذي يمشي معك

انت لا تدركه متبعا فاذا وليت عنه تبعك

قال ابن الاثير وكان يعني نور الدين رحمه الله يصلي كثيرا من الليل ويدعوا ويستغفر ويقرا ولا يزال كذلك الى ان يركب ۝

جمع الشجاعه والخشوع لربه ما احسن المحراب في المحراب

قال وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام ابي حنيفه رضي الله عنه ليس عنده تعصب بل الانصاف سجيته في كل شي وسمع الحديث واسمعه طلبا للاجر وعلى الحقيقه فهو الذي جدد

للملوك اتباع سنة العدل والانصاف وترك المحرمات من الماكل والمشرب والملبس وغير ذلك فانهم كانوا قبله كالجاهلية همة احدهم بطنه وفرجه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا حتى جا الله بدولته فوقف مع اوامر الشرع ونواهيه والزم بذلك اتباعه وذويه فاقتدى به غيره منهم واستحيوا ان يظهر عنهم ما كانوا يفعلونه ومن سن سنه حسنه كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمه قال فان قال قايل كيف يوصف بالزهد من له الممالك الفسيحه وتجبى اليه الاموال الكثيره فليذكر نبي الله سليمن بن داود عليهما السلام مع ملكه وهو سيد الزاهدين في زمانه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد حكم على حضرموت واليمن والحجاز وجميع جزيرة العرب من حدود الشام الى العراق وهو على الحقيقه سيد الزاهدين قال وانما الزهد خلو القلب من محبه الدنيا لا خلو اليد عنها ۝ قال واما عدله فانه كان احسن الملوك سيره واعدلهم حكما فمن عدله انه لم يترك في بلد من بلاده ضريبه ولا مكسا ولا عشرا بل اطلقها رحمه الله جميعها في بلاد الشام والجزيره جميعها والموصل واعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس في مصر يوخذ من كل مايه دينار خمسه واربعون دينارا وهذا لم يتسع له نفس غيره وكان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كاينا من كان القوي والضعيف عنده في الحق سوا وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك الى حاجب ولا امير فلا جرم سار ذكره في شرق الارض وغربها ۝ قال ومن عدله انه كان يعظم الشريعه المطهره ويقف عند احكامها ويقول نحن شحن لها نمضي اوامرها فمن اتباعه احكامها انه كان يلعب بدمشق بالكرة فراى انسانا يحدث اخر ويومي بيده اليه فارسل اليه يساله عن حاله فقال لي مع الملك العادل حكومه وهذا غلام القاضي ليحضره الى مجلس الحكم يحاكمني على الملك الفلاني فعاد اليه ولم يتجاسر يعرفه ما قال ذلك الرجل وعاد يكتمه فلم يقبل منه غير الحق فذكر قوله فالقى الجوكان من يده وخرج من الميدان وسار الى القاضي وهو حينيذ كمال الدين بن الشهرزوري وارسل الى القاضي يقول له انني قد جيت محاكما فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري فلما حضر ساوى خصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال نور الدين حينيذ للقاضي ولمن حضر هل ثبت له عندي حق قالوا لا فقال اشهدوا انني قد وهبت له هذا الملك الذي قد

حاكمني عليه وهو له دوني وقد كنت اعلم لا حق له عندي وانما حضرت معه لئلا يظن
اني ظلمته فحيث ظهر ان الحق لي وهبته له ○ قال ابن الاثير وهذا غاية
العدل والانصاف بل غاية الاحسان وهي درجة وراء العدل فرحم الله هذه النفس الزكية
الطاهرة المنقادة الى الحق الموافقة معه ○ قلت وهذا مستكثر من ملك
متاخر بعد فساد الازمنة وتفرق الكلمة والا فقد انقاد الى المضي الى مجلس الحكم جماعة من
المتقدمين مثل عمر وعلي رضي الله عنهم ثم حكي نحو ذلك عن ابي جعفر المنصور وقد نقلنا
ذلك كله في التاريخ الكبير وفيه عن عبد الله بن طاهر قريب من هذا لكنه احضر الحاكم عنده
ولم يمض اليه وقد بلغني ان نور الدين رحمه الله تعالى استدعي مرة اخرى بحلب الى مجلس
الحكم بنفسه او نايبه فدخل حاجبه عليه متعجبا واعلمه ان رسول الحاكم بالباب فانكر
عليه تعجبه وقام رحمه الله مسرعا ووجد في اثنا طريقه ما منعه من العبور من حفر
جب بعض الحشوش واستخراج ما فيه فوكل من ثم وكيلا واشهد عليه شاهدين بالتوكيل
ورجع ○ قال ابن الاثير ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها
الملوك في هذه الاعصار على الظنة والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فان قامت البينة
الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر
ما يوجد في غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة في العقوبة والاخذ بالظنة وامنت
بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر ○ قال
وحكي لي من اثق به انه دخل يوما الى خزانة المال فراى فيها مالا انكره فسال عنه فقيل
ان القاضي كمال الدين ارسله وهو من جهة كذا فقال ان هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في
هذه الجهة شي وامر برده واعادته الى كمال الدين ليرده على صاحبه فارسله متولي الخزانة
الى كمال الدين فرده الى الخزانة وقال اذا سال الملك العادل عنه فقولوا له عني انه له فدخل
نور الدين الخزانة مرة اخرى فراه فانكر على النواب وقال الم اقل لكم يعاد هذا المال على
اصحابه فذكروا له قول كمال الدين فرده اليه وقال للرسول قل لكمال الدين انت تقدر على حمل
هذا المال واما انا فرقبتي دقيقة لا اطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى يعاد

قولا واحدا ○ قال ومن عدله ايضا بعد موته وهو من اعجب ما يحكى ان انسانا كان
بدمشق غريبا استوطنها واقام بها لما راى من عدل نور الدين رحمه الله فلما توفي تعدى بعض
الاجناد على هذا الرجل فشكاه فلم ينصفه فنزل من القلعة وهو يستغيث ويبكي وقد
شق ثوبه وهو يقول يا نور الدين لو رايتنا وما نحن فيه من الظلم لرحمتنا اين عدلك وقصد
تربة نور الدين ومعه من الخلق ما لا يحصى وكلهم يبكي ويصيح فوصل الخبر الى صلاح الدين وقيل
له احفظ البلد والرعية والا خرج عن يدك فارسل الى ذلك الرجل وهو عند تربة نور الدين
يبكي والناس معه فطيب قلبه ووهبه شيا وانصفه فبكى اشد من الاول فقال له صلاح
الدين لم تبكي قال ابكي على سلطان عدل فينا بعد موته فقال صلاح الدين هذا هو الحق وكلما
ترى فينا من عدل فمنه تعلمناه ○ قلت ومن عدله انه بنى دار العدل قال ابن الاثير كان
نور الدين رحمه الله اول من بنى دارا للكشف وسماها دار العدل وكان سبب بنائها انه
لما طال مقامه بدمشق واقام بها امراوه وفيهم اسد الدين شيركوه وهو اكبر امير معه وقد
عظم شانه وعلا مكانه حتى صار كانه شريك في الملك واقتنوا الاملاك واكثروا وتعدى
كل واحد منهم على من يجاوره في قرية او غيرها فكثرت الشكاوى الى كمال الدين فانصف
بعضهم من بعض ولم يقدم على الانصاف من اسد الدين شيركوه فانهى الحال الى نور الدين
فامر حينيذ ببناء دار العدل فلما سمع اسد الدين بذلك احضر نوابه جميعهم وقال لهم
اعلموا ان نور الدين ما امر ببناء هذه الدار الا بسببي وحدي والا فمن هو الذي يمتنع على كمال
الدين والله لين احضرت الى دار العدل بسبب احدكم لاصلبنه فامضوا الى كل من بينكم
وبينه منازعة في ملك فافصلوا الحال معه وارضوه باي شي امكن ولو اتى ذلك على جميع
ما بيدي فقالوا له ان الناس اذا علموا هذا اشتطوا في الطلب فقال خروج املاكي عن
يدي اسهل علي من ان يراني نور الدين بعين اني ظالم او يساوي بيني وبين احاد العامة في
الحكومة فخرج اصحابه من عنده وفعلوا ما امرهم وارضوا خصماءهم واشهدوا عليهم فلما
فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الحكومات وكان يجلس في الاسبوع يومين
وعنده القاضي والفقها وبقي كذلك مدة فلم يحضر عنده احد يشكو من اسد الدين فقال نور

الدين لكان الدين ما ارى احدًا يشكوا من شيركوه فعرفه الحال فسجد شكر الله تعالى وقال
الحمد لله الذي اصحابنا ينصفون من انفسهم قبل حضورهم عندنا ○ قال ابن الاثير
فانظر الى هذه المعدلة ما احسنها والى هذه الهيبه ما اعظمها والى هذه السياسه ما
اسدها هذا مع انه كان لا يريق دمًا ولا يبالغ في عقوبه وانما كان يفعل هذا لصدقه في عدله
وحسن نيته ○ قال واما شجاعته وحسن رايه فقد كانت النهايه اليه فيهما
فانه اصبر الناس في الحرب واحسنهم مكيدةً ورايًا واجودهم معرفه بامور الاجناد
واحوالهم وبه كان يضرب المثل في ذلك سمعت جمعًا كبيرًا من الناس لا احصيهم انهم لم يروا
على ظهر الفرس احسن منه كانما خلق عليه لا يتحرك ولا يتزلزل وكان من احسن الناس
لعبًا بالكره واقدرهم عليها لم ير جوكانه يعلوا على راسه وكان ربما ضرب الكره ويجري الفرس
ويتناولها بيده من الهوى ويرميها الى اخر الميدان وكانت يده لا ترى والجوكان فيها بل
تكون في كم قبائه واستهانة باللعب وكان اذا حضر الحرب اخذ قوسين وتركشين
وباشر القتال بنفسه وكان يقول طالما تعرضت للشهاده فلم ادركها سمعه يومًا الامام
قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي وهو يقول ذلك فقال له بالله لا تخاطر بنفسك
وبالاسلام والمسلمين فانك عمادهم ولئن اصبت والعياذ بالله في معركه لا يبقى من المسلمين
احد الا اخذه السيف واخذت البلاد فقال يا قطب الدين ومن محمود حتى يقال له هذا قبلي
من حفظ البلاد والاسلام ذلك الله الذي لا اله الا هو قال وكان رحمه الله يكثر
اعمال الحيل والمكر والخداع مع الفرنج خذلهم الله تعالى واكثر ما ملكه من بلادهم به ومن
جيد الراي ما سلكه مع مليح بن ليون ملك الارمن صاحب الدروب فانه ما زال يخدعه
ويستميله حتى جعله في خدمته سفرًا وحضرًا وكان يقاتل به الافرنج وكان يقول انما حملني
على استمالته ان بلاده حصينه وعره المسلك وقلاعه منيعه وليس لنا اليها طريق وهو يخرج
منها اذا اراد فينال من بلاد الاسلام فاذا طلب انحجز فيها فلا يقدر عليه فلما رايت الحال
هكذا بذلت له شيا من الاقطاع على سبيل التالف حتى اجاب الى طاعتنا وخدمتنا وساعدنا
على الفرنج قال وحيث توفي نور الدين رحمه الله وسلك غيره غير هذا الطريق ملك المتولي

الارمن بعد مليح كثيرًا من بلاد الاسلام وحصونهم وصار منه ضرر عظيم وخرق واسع لا
يمكن رقعه قال ومن احسن الاراء ما كان يفعله مع اجناده فانه كان اذا توفي احدهم
وخلف ولدًا اقر الاقطاع عليه فان كان الولد كبيرًا استبد بنفسه وان كان صغيرًا رتب معه
رجلًا عاقلًا يثق اليه فيتولى امره الى ان يكبر فكان الاجناد يقولون هذه املاكنا يرثها
الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وكان ذلك سببًا عظيمًا من الاسباب الموجبه للصبر في
المشاهد والحروب وكان ايضا يثبت اسما اجناد كل امير في ديوانه وسلاحهم خوفًا من حرص
بعض الامرا وشحه ان يحمله على ان يقتصر على بعض ما هو مقرر عليه من العدد ويقول نحن كل
وقت في النفير فاذا لم يكن اجناد كافه الامراء كاملي العدد والعُدد دخل الوهن على الاسلام
قال ولقد صدق رضي الله عنه فيما قال واصاب فيما فعل فلقد راينا ما خافه عيانًا قال
واما فعله في بلاد الاسلام من المصالح مما يعود الى حفظها وحفظ المسلمين فكثير عظيم من ذلك
انه بنى اسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فمنها حلب وحماه وحمص ودمشق وبارين وشيزر ومنبج
وغيرها من القلاع والحصون وحصنها واحكم بناها واخرج عليها من الاموال ما لا تسمح به النفوس
وبنى ايضا المدارس بحلب وحماه ودمشق وغيرها للشافعيه والحنفيه وبنى الجوامع في جميع
البلاد فجامعه في الموصل اليه النهايه في الحسن والاتقان ومن احسن ما عمل فيه انه فوض امر عمارته
والخروج عليه الى الشيخ عمر الملا رحمه الله وهو رجل من الصالحين فقيل له ان هذا لا يصلح لمثل
هذا العمل فقال اذا وليت العمل بعض اصحابي من الاجناد والكتاب اعلم انه يظلم في بعض الاوقات
ولا يفي الجامع بظلم رجل مسلم واذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني انه لا يظلم فاذا ظلم كان الاثم
عليه لا علي قال وهذا هو الفقه في الخلاص من الظلم وبنى ايضا بمدينه حماه جامعًا على نهر العاصي
من احسن الجوامع وانزهها وجدد في غيرها من عماره الجوامع ما كان قد تهدم اما بزلزله او غيرها
وبنى البيمارستان في البلاد ومن اعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق فانه عظيم كثير
الخرج جدا بلغني انه لم يجعله وقفًا على الفقرا حسب بل على كافه المسلمين من غني وفقير قلت
وقد وقفت على كتاب وقفه فلم ار مشعرًا بذلك وانما هذا كلام شاع على السنه العامه ليقع ما
قدره الله تعالى من مزاحمه الاغنيا للفقرا فيه والله المستعان وانما صرح بان ما يعز وجوده من الادويه

الكبار وغيرها لا يمنع منه من احتاج اليه من الاغنيا والفقرا فخص ذلك بذلك فلا ينبغي
ان يتعدى الى غيره لا سيما وقد صرح قبل ذلك بانه وقف على الفقرا والمنقطعين وقال بعد
ذلك من جا اليه مستوصفا لمرضه اعطي وروي ان نور الدين رحمه الله شرب من شراب
البيمارستان فيه وذلك موافق لقوله في كتاب الوقف من جا اليه مستوصفا لمرضه اعطي
والله اعلم وبلغني في اصل بنايته نادره وهي ان نور الدين رحمه الله وقع في اسره بعض اكابر
ملوك الفرنج خذلهم الله تعالى فقطع على نفسه في فدايه مالا عظيما فشاور نور الدين امراوه
فكل اشار بعدم المطلقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ومال نور الدين الى الفدى بعد ما
استخار الله تعالى فاطلقه ليلا لئلا يعلم اصحابه وتسلم المال فلما بلغ الفرنجي مامنه مات وبلغ
نور الدين خبره فاعلم اصحابه فتعجبوا من لطف الله تعالى بالمسلمين حيث جمع لهم الحسنتين
وهما الفدا وموت ذلك اللعين فبنى نور الدين رحمه الله بذلك المال هذا البيمارستان ومنع
المال الامرا لانه لم يكن عن ارادتهم كان ⊙ قال ابن الاثير وبنى ايضا الخانات في الطرق
فامن الناس وحفظت اموالهم وباتوا في الشتا في كن من البرد والمطر وبنى ايضا الابراج على الطرق
بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور الهوادي فاذا راوا من العدو احدا
ارسلوا الطيور فاخذ الناس حذرهم واحتاطوا لانفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا من
الطف الفكر واكثرها نفعا ⊙ قال وبنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد
للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وادر عليهم الادرارات الصالحه وكان يحضر مشايخهم
عنده ويقربهم ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم فاذا اقبل احدهم اليه يقوم له من يقع عينه عليه
ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته ويقبل عليه بحديثه وكذلك كان ايضا يفعل بالعلما من التعظيم
والتوقير والاحترام ويجمعهم عنده للبحث والنظر فقصدوه من البلاد الشاسعه من خراسان وغيرها
وبالجمله كان اهل الدين عنده في اعلا المحل واعظمه وكان امراوه يحسدونهم على ذلك وكان يقعون
عنده فيهم فينهاهم واذا نقلوا عن انسان عيبا يقول ومن المعصوم وانما الكامل من تعد ذنوبه
قال وبلغني ان بعض اكابر الامرا حسد قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي وكان قد استقدمه
من خراسان وبالغ في اكرامه والاحسان اليه فحسده ذلك الامير فنال منه يوما عند نور الدين

فقال

فقال له يا هذا ان صح ما تقول فله حسنة تغفر كل زلة تذكرها وهي العلم والدين واما انت
واصحابك ففيكم اضعاف ما ذكرت وليست لكم حسنة تغفرها ولو عقلت لشغلك
عيبك عن غيرك وانا احتمل سيئاتكم مع عدم حسناتكم افلا احتمل سيئة هذا ان
صحت مع وجود حسنته على انني والله لا اصدقك فيما تقول وان عدت ذكرته او غيره
بسوء لاديبنك فكف عنه قال ابن الاثير هذا والله هو الاحسان والفعل الذي
ينبغي ان يكتب على العيون بما الذهب وبنى بدمشق ايضا دار الحديث ووقف عليها
وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث وقوفا كثيرة وهو اول من بنى دارا للحديث فيما
علمناه وبنى ايضا في كثير من بلاده مكاتب للايتام واجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات
الوافرة وبنى ايضا مساجد كثيرة ووقف عليها وعلى من يقرا بها القران قال وهذا فعل
لم يسبق اليه بلغني من عارف باعمال الشام ان وقوف نور الدين في وقتنا هذا وهو سنة
ثمان وستمايه كل شهر تسعة الاف دينار صوريه ليس فيها غير ملك صحيح شرعي ظاهرا
وباطنا فانه وقف ما انتقل اليه ووزن ثمنه او ما غلب عليه من بلاد الفرنج وصار
سهمه قال واما هيبته ووقاره فاليه النهاية فيهما ولقد كان كما قيل شديد في
غير عنف رقيق في ضعف واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فانه ضبط ناموس الملك مع
اجناده واصحابه الى غاية لا مزيد عليها وكان يلزمهم بوظايف الخدمه الصغير منهم
والكبير ولم يجلس عنده امير من غير ان يامره بالجلوس الا نجم الدين ايوب والد صلاح الدين
يوسف واما من عداه كاسد الدين شيركوه ومجد الدين ابن الدايه وغيرهما فانهم كانوا اذا
حضروا عنده يقفون قياما الى ان يامرهم بالقعود وكان مع هذه العظمه وهذا الناموس
القايم اذا دخل عليه الفقيه او الصوفي او الفقير يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه
كانه اقرب الناس اليه وكان اذا اعطى احدهم شيا يقول ان هولا لهم في بيت المال حق فاذا
قنعوا منا ببعضه فلهم المنه علينا وكان مجلسه كما روي في صفة مجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم مجلس حلم وحيا لا تؤبن فيه الحرم وهكذا كان مجلسه لا يذكر فيه الا العلم والدين
واحوال الصالحين والمشاوره في امر الجهاد وقصد بلاد العدو ولا يتعدى هذا بلغني ان الحافظ

ابن عساكر الدمشقي رضي الله عنه حضر مجلس صلاح الدين يوسف لما ملك دمشق فراى
فيه من اللغط وسوء الادب من الجلوس فيه ما لا صبر عليه فشرع يحدث صلاح الدين كما
كان يحدث نور الدين فلم يتمكن من القول لكثرة الاختلاف من المتحدثين وقلة استماعهم
فقام وبقي مدة لا يحضر المجلس الصلاحي وتكرر من صلاح الدين الطلب له فحضر فعاتبه صلاح
الدين يوسف على انقطاعه فقال تنزهت نفسي عن مجلسك فانني رايته كبعض مجالس
السوقة لا يستمع الى قايل ولا يرد جواب متكلم وقد كنا بالامس نحضر مجلس نور الدين
فكنا كانما على رؤوسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فاذا تكلم انصتنا واذا تكلمنا
استمع لنا فتقدم صلاح الدين الى اصحابه انه لا يكون منهم ما جرت به عادتهم اذا حضر
الحافظ قال ابن الاثير فهكذا كانت احواله جميعها رحمه الله مضبوطة محفوظة
واما حفظ اصول الديانات فانه كان مراعيا لها لا يهملها ولا يمكن احدا من الناس من
اظهار ما يخالف الحق ومتى اقدم مقدم على ذلك ادبه بما يناسب بدعته وكان يبالغ في
ذلك ويقول نحن نحفظ الطرق من لص وقاطع طريق والاذى الحاصل منهما قريب افلا
نحفظ الدين ونمنع عنه ما يناقضه وهو الاصل قال وحكي ان انسانا بدمشق
يعرف بيوسف ابن ادم كان يظهر الزهد والنسك وقد كثر اتباعه اظهر شيا من التشبيه
فبلغ خبره نور الدين فاحضره واركبه حمارا وامر بصفعه فطيف به في البلد جميعه
ونودي عليه هذا جزا من اظهر في الدين البدع ثم نفاه من دمشق فقصد حران واقام
بها الى ان مات قال ويسوق الله القضا والاعمار الى البلاد الوخمة قلت وذكر العماد
الكاتب في اول كتابه البرق الشامي انه قدم دمشق في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمية في دولة
الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي واخذ في وصفه بكلامه المسجوع فقال كان ملك بلاد
الشام ومالكها والذي بيده ممالكها الملك العادل نور الدين اعف الملوك وانقاهم واثقبهم
رايا وانقاهم واعلمهم واعبدهم وازهدهم واجهدهم واظهرهم واطهرهم واقواهم واقدرهم
واصلحهم عملا وانجحهم املا وارجحهم رايا واوضحهم ايا واصدقهم قولا واقصدهم طولا وكان
عصره فاضلا ونصره واصلا وحكمه عادلا وفضله شاملا وزمانه طيبا واحسانه صيبا

والقلوب

والقلوب بمهابته ومحبته ممتليه والنفوس بعواطفه وعوارفه وامونه مقبلة واوامره
ممتثله وجده منزه عن الهزل ونوابه في امن من العزل ودولته مامولة مامونه ودوحته
مخصوبة مصونه والرياسة كاملة والسياسة شاملة والزيادة زايدة والسعادة مساعدة
والعيشة ناضرة والشيعة ناصرة والانصاف صاف والاسعاف عاف وازر الدين قوي
وظما الاسلام روي وزند النجح وري والشرع مشروع والحكم مسموع والعدل مولي والظلم
معزول والتوحيد منصور والشرك مخذول وللتقى شروق وما للفسوق سوق وهو الذي
اعاد رونق الاسلام الى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضر فاستفتح معاقلها واستخلص
عقايلها واشاع بها شعار الشرع في جميع الحل والعقد والابرام والنقض والبسط والقبض
والوضع والرفع وكانت للفرنج في ايام غيره على بلاد الاسلام بالشام قطايع فقطعها وعفى
رسومها ومنعها ونصر الله عليهم مرارا حتى اسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم
وحماها عنهم واحيا معالم الدين الدوارس وبنى للايمة المدارس وانشا الخانقاهات للصوفية
وكثرها في كل بلد وكثر وقوفها وقرر معروفها وادنى للوافدين من جنانه قطوفها
واجد الاسوار والخنادق وانمى المرافق وحمى الحقايق وامر في الطرقات ببنا الربط والخانات
وضاعف ضيوف الفضايل وفاضت فيوض الافاضل وهو الذي فتح مصر واعمالها وانشا دولتها
ورجالها ثم ذكر العماد في اثنا حوادث سنة تسع وستين وهي السنة التي توفي فيها نور الدين
قال وفي هذه السنة اكثر نور الدين من الاوقاف والصدقات وعمارة المساجد
المهجورة وتعفية اثار الاثام واسقاط كل ما يدخل في شبهة الحرام فما ابقى سوى الجزية
والخراج وما يحصل من قسمة الغلات على قويم المنهاج قال وامرني بكتبة مناشير لجميع
اهل البلاد فكتب اكثر من الف منشور وحسبنا ما تصدق به على الفقرا في تلك الاشهر
فزاد على ثلثين الف دينار وكانت عادته في الصدقة انه يحضر جماعة من اماثل البلد من كل
محلة ويسالهم عمن يعرفون في جوارهم من اهل الحاجة ثم يصرف اليهم صدقاتهم وكان برسم
نفقته الخاص في كل شهر من جزية اهل الذمة مبلغ الفي قرطيس يصرفه في كسوته ونفقته
وحوايجه المهمة حتى اجرة خياطه وجامكية طباخه ويستفضل منه ما يتصدق به في اخر

الشهر واما ما كان يُهدى اليه من هدايا الملوك وغيرهم فانه كان لا يتصرف
في شي منه لا قليل ولا كثير بل اذا اجتمع يخرجه الى مجلس القاضي يحصّل ثمنه
ويُصرف في عمارة المساجد المهجورة وتقدم باحصا ما في محال دمشق فاناف
على مايه مسجد فامر بعمارة ذلك كله وعين له وقوفا قال ولو اشتغلت بذكر
وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ولم ابلغ الى امل ومشاهد ابنيته
الداله على خلوص نيته تغني عن خبرها بالعيان وتكفي اسوار البلدان عن الربط
والمدارس على اختلاف المذاهب واختلاف المواهب وفي شرح طوله طول
وعمله لله مبرور ومقبول وواظب على عقد مجالس الوعاظ ونصب الكرسي لهم في
القلعه للانذار والانعاظ والزم الفقيه قطب الدين النيسابوري وهو مشغوف
ببركة انفاسه واغتنام كلامه واقتباسه ووفد بغداد ابن الشيخ ابي النجيب
الاكبر وبسط له في كل اسبوع المنبر وشاقه وعظه وراقه معناه ولفظه وكذلك
وفد اليه من اصبهان الفقيه شرف الدين عبد المؤمن ابن شوروه وما ايمن تلك
الايام وابرك تلك الشتوه قال ــــــ ولما اسقط نور الدين الجهات المحظوره
والشبه المحذوره عزل الشحن وصرف عن الرعيه بصرفهم المحن وقال للقاضي كمال
الدين ابن الشهرزوري انظر انت في ذلك واحمل امور الناس فيها على الشريعه قال
ولم يكن لمال المواريث الحشريه حاصل ولا لديوانه طايل فجعل نور الدين يحاسب القاضي
على شي من الوقوف ويقول النافذ قلدته على ان يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها
وشروط واقفها يا من بصرفه في بنا الاسوار وحفظ الثغور وكانت دولته نافذه
الاوامر منتظمه الامور ۝ قلت ــــــ وحكى الشيخ ابو البركات الحسن ابن محمد بن هبه
الله انه حضر مع عمه الحافظ ابو القاسم رحمه الله مجلس نور الدين لسماع شي من الحديث
فمر في اثنا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج متقلدا سيفا فاستفاد نور الدين
امرًا لم يكن يعرفه وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقلد السيف يشير الى
التعجب من عادة الجند اذهم على خلاف ذلك لانهم يربطونه باوساطهم قال فلما كان

[illegible]

من

من الغد مررنا تحت القلعه والناس مجتمعون ينتظرون ركوب السلطان فوقفنا
ننظر اليه معهم فخرج نور الدين رحمه الله من القلعه وهو متقلد للسيف وجميع
عسكره كذلك فرحمه الله على هذا الملك الذي لم يفرط في الاقتدا بالنبي صلى الله عليه
وسلم بمثل هذه الحاله لما بلغته رجع بنفسه ورد جنده عن عوايدهم اتباعا لما بلغه
عن نبيه صلى الله عليه وسلم فما الظن بغير ذلك من السنن ولقد امرني انه امر باسقاط
القابه في الدعا له على المنابر وراى له وزيره موفق الدين خالد ابن القيسراني الشاعر في
منامه انه يغسل ثيابه وقص ذلك عليه ففكر ساعه ثم امر بكتابه اسقاط المكوس
وقال هذا تفسير منامك وكان في تهجده يقول ارحم العشار المكاس وبعد ان ابطل ذلك
استحل من الناس في حل وقال والله ما اخرجناها الا في جهاد عدو الاسلام يعتذر
بذلك اليهم من اخذها منهم وعلى الجمله كان نور الدين رحمه الله فردا في زمانه من بين
ساير الملوك ولو لم يكن الا استماعه للموعظه وانقياده لها وان اشتملت على الفاظ
قد اغلظ له فيها ۝ قرات ــــــ في تاريخ اربل لشرف الدين ابن المستوفي رحمه الله
قال المنتجب الواعظ هو ابو عثمن المنتجب ابن ابي محمد بن البختري الواسطي ورد اربل
ووعظ بها وكان له قبول عظيم وسافر الى نور الدين محمود بن زنكي ابن اق سنقر الى الشام
بسبب الغزاه وانفذ له نور الدين جمله من مال فلم يقبلها ثم ردها عليه انشدني له
يحيى بن محمد بن صدقه قصيده عملها في نور الدين وحلف انه سمعها من لفظه
مثل وقوفك ايها المغرور يوم القيامه والسما تمور
ان قيل نور الدين رحت مسلما فاحذر بان تبقى وما لك نور
انهيت عن شرب الخمور وانت من كاس المظالم طايح مخمور
عطلت كاسات المدام تعففا وعليك كاسات الحرام تدور
ماذا تقول اذا انقلبت الى البلى فردا وجاك منكر ونكير
وتعلقت فيك الخصوم وانت في يوم الحساب مسحب مجرور
وتفرقت عنك الجنود وانت في ضيق اللحود موسد مقبور

وودت انك ما وليت ولاية يوما ولا قال الانام امير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة في عالم الموتى واني حقير
وحشرت عريانا حزينا باكيا قلقا وما لك في الانام مجير
ارضيت ان تحيى وقلبك دارس عافي الخراب وجسمك المعمور
ارضيت ان يحظى سواك بقربه ابدا وانت مبعد مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها يوم المعاد لعلك المعذور ٥ قلت ولعل هذه
الابيات كانت من اقوى الاسباب المحركة له الى السلطان في ابطال تلك المظالم والخلاص
من تلك الماثم رضي الله عن الواعظ والمتعظ بشيبه ووفق من رام الاقتدا به ونقلت
من خط الصاحب العالم كمال الدين ابي القسم عمر بن احمد بن هبة الله بن ابي جراده في كتاب
تاريخ حلب الذي صنفه وسمعت من لفظه ان نور الدين رحمه الله كان مع ابيه بحلب
فلما حاصر ابوه قلعة جعبر وقتل عليها قصد حلب وصعد قلعتها وملكها في شهر ربيع الاول
سنه احدى واربعين وخمسمئه واحسن الى الرعيه وبث العدل ودفع الجور وابطل البدع
واشتغل بالغزو وفتح قلاعا كثيره من عمل حلب كانت بيد الفرنج وحدث بحلب ودمشق
عن جماعه من العلما اجازوا له منهم ابو عبد الله بن رفاعه بن غدير السعدي المصري وروى عنه
جماعه من شيوخنا مثل ابي الفضل احمد وابي البركات الحسن وابي منصور عبد الرحمن بني
ابي عبد الله محمد بن الحسن ابن هبة الله الشافعي قال ووقفت على رقعه بخط الوزير خالد
ابن محمد بن نصر بن صغير القيسراني كتبها الى نور الدين وجوابها من نور الدين على راس
الورقه وبين السطور فنقلت جميع ما فيهما من خطيهما قال وكان رحمه الله كتب رقعه
يطلب من ابن القيسراني لا كتبها الى نور الدين ان يكتب له صوره ما يدعى له به على المنابر
حتى لا يقول الخطيب ما ليس فيه ويصونه عن الكذب وعن ما هو مخالف لحاله ونسخه
الورقه بخط خالد ٥ اعلا الله قدر المولى في الدارين وبلغه اماله في نفسه وذريته
وختم له بالخير في العاجله والاجله بمنه وجوده وفضله وحمده وقف المملوك على الرقعه
وتضاعف دعاوه وابتهاله الى الله تعالى بان يرضى عنه وعن والديه وان يسهل له السلوك

الى رضاه والقرب منه والفوز عنده انه على كل شي قدير وراى المملوك ما يعرضه على العلم
الاشرف زاده الله شرفا وهو ان يذكر الخطيب على المنبر اذا اراد الدعا للمولى اللهم
اصلح عبدك الفقير الى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتصم بقوتك المجاهد في سبيلك
المرابط لاعدا دينك ابا القسم محمود بن زنكي بن اق سنقر ناصر امير المومنين فان هذا جميعه
لا يدخله كذب ولا زيد والراي اعلا واسمى ان شا الله تعالى فكتب نور الدين على راس الرقعة
بخطه ما هذا صورته مقصودي ان لا يكذب على المنبر انا بخلاف كل ما يقال افرح بما لا
اعمل قله عقل عظيم الذي كتبت جيد هو اكتب به نسخ حتى تسير الى جميع البلاد وكتب في
اخر الرقعه ثم يبدوا بالدعا اللهم اره الحق اللهم اسعده اللهم انصره اللهم وفقه من هذا الجنس
قال وحدثني والدي قال استدعانا نور الدين انا وعمك ابو غانم وشرف الدين ابن ابي
عصرون الى الميدان الاخضر واشهد علينا بوقف حوانيت على سور حمص فلما اشهدنا على نفسه
التفت الينا وقال بالله انظروا اي شي علمتموه من ابواب البر والخير دلونا عليه واشركونا
في الثواب فقال شرف الدين ابن ابي عصرون والله ما ترك المولى شيا من ابواب البر الا
وقد فعله ولم يترك لاحد من بعده فعل خير الا وقد سبقه اليه وقال قال ابي والدي
دخل في ايام نور الدين الى حلب تاجر موسر فمات بها وخلف بها ولدا صغيرا ومالا كثيرا
فكتب بعض من بحلب الى نور الدين يذكر له انه قد مات هاهنا تاجر موسر وخلف عشرين
الف دينار او فوقها وله ولد عمره عشر سنين وحسن له ان يرفع المال الى الخزانه الى ان يكبر
الصغير ويرضى منه بشي ويمسك الباقي للخزانه فكتب على رقعته اما الميت فرحمه الله واما
الولد فانشاه الله واما المال فثمره الله واما الساعي فلعنه الله قال وبلغني هذه الحكايه
عن غير نور الدين ايضا ٥ وحدثني الحاج عمر بن سنقر عتيق شاذبخت النوري قال سمعت الطواشي
شاذبخت الخادم يحكي لنا قال كنت يوما انا وسنقرجا واقفين على راس نور الدين وقد صلى المغرب
وجلس وهو مفكر فكرا عظيما وجعل ينكث باصبعه الارض فتعجبنا من فكره وقلنا ترى في اي
شي يفكر في عايلته او في وفادينه فكانه فطن بنا فرفع راسه وقال ما تقولان فقال اي فقلنا شيا
فقال بحياتي قولا لي فقلنا تعجبنا من افراط مولانا في الفكر وقلنا يفكر في عايلته او في نفسه فقال

والله انني افكر في والٍ وليته امراً من امور المسلمين فلم يعدل فيهم او فيمن يظلم
المسلمين من اصحابي واعواني واخاف المطالبه بذلك فبالله عليكم والا فخبزي عليكم
حرام لا ترى بان قصه ترفع الي او تعلمان مظلمه الا واعلماني بها وارفعاها الي ۝ وسمعت
قاضي القضاه بها الدين ابا المحاسن يوسف ابن رافع بن تميم قال كان نور الدين ينفذ كل
سنه في شهر رمضان يطلب من الشيخ عمر الملا شيا يفطر عليه فكان ينفذ اليه الا ياس
فيها الفتيت والرقاق وغير ذلك فكان نور الدين يفطر عليه وكان اذا قدم الموصل لا ياكل
الا من طعام الشيخ عمر الملا قال وكان نور الدين لما صارت له الموصل قد امر كمشتكين
شحنه الموصل ان لا يعمل شيا الا بالشرع اذا امره القاضي به وان لا يعمل القاضي والنواب
لهم شيا الا بامر الشيخ عمر الملا قال فكان لا يعمل بالسياسه وبطلت الشحنكيه فجا
اكابر الدوله وقالوا لكمشتكين قد كثر الدعار وارباب الفساد ولا يجي من هذا شي الا
بالقتل والصلب فلو كتبت الى نور الدين وقلت له في ذلك فقال لهم انا لا اكتب اليه في
هذا المعنى ولا اجسر على ذلك فقولوا للشيخ عمر يكتب اليه فحضروا عنده وذكروا له ذلك
فكتب الى نور الدين وقال له ان الدعار والمفسدين وقطاع الطريق قد كثروا ويحتاج الى نوع
سياسه فمثل هذا لا يجي الا بقتل وصلب وضرب واذا اخذ مال انسان في البريه من يجي
يشهد له قال فقلب نور الدين كتابه وكتب على ظهره ان الله تعالى خلق الخلق وهو اعلم بمصلحتهم
وشرع لهم شريعه وهو اعلم بما يصلحهم وان مصلحتهم تحصل فيما شرعه على وجه الكمال فيها
ولو علم ان على الشريعه زياده في المصلحه لشرعه فما لنا حاجه الى زياده على ما شرعه الله تعالى
قال فجمع الشيخ عمر الملا اهل الموصل واقراهم الكتاب وقال انظروا الى كتاب الزاهد الى
الملك وكتاب الملك الى الزاهد ۝ وسمعت صقر بن يحيى بن صقر المعدل يقول
سمعت مقلدا يعني الدولعي يقول لما مات الحافظ المرادي وكنا جماعه الفقها قسمين العرب
والاكراد فمنا من مال الى المذهب واردنا ان نستدعي الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون
وكان بالموصل ومنا من مال الى علم النظر والخلاف واراد ان يستدعي القطب النيسابوري
وكان قد جا وزار البيت المقدس ثم عاد الى بلاد العجم فوقع بيننا كلام بسبب ذلك ووقعت

فتنه بين الفقها فسمع نور الدين بذلك فاستدعى جماعه الفقها الى القلعه بحلب وخرج
اليهم مجد الدين يعني ابن الدايه عن لسانه وقال لهم نحن ما اردنا ببنا المدارس الا نشر العلم
ودحض البدع من هذه البلده واظهار الدين وهذا الذي جرى بينكم لا يحسن ولا يليق وقد قال
لي المولى نور الدين نحن نرضي الطايفتين ونستدعي شرف الدين ابن ابي عصرون وقطب
الدين النيسابوري فاستدعاهما جميعا وولي مدرسه ابن ابي عصرون لشرف الدين ومدرسه
النفري لقطب الدين ۝ قال وعلقت ايضا من خط فقيه كان معيدا بالنظاميه
يقال له ابو الفتح محمد ابن ابي الحسن بن محمد الاشتري وكان من ورد دمشق وجمع لنور الدين
سيره مختصره قال كان نور الدين يقعد في الاسبوع اربعه ايام او خمسه ايام في دار
العدل للنظر في امور الرعيه وكشف الظلامه لا يطلب بذلك درهما ولا دينارا ولا زياده
ترجع الى خزانته وانما يفعل ذلك ابتغا مرضات الله وطلبا للثواب والزلفى في الاخره ويامر
بحضور العلما والفقها ويامر بازاله الحاجب والبواب حتى يصل اليه الضعيف والقوي
والفقير والغني ويكلمهم باحسن الكلام ويستفهم منهم بابلغ النظام حتى لا يطمع الغني
في دفع الفقير بالمال ولا القوي في دفع الضعيف بالقال ويحضر في مجلسه العجوز
الضعيفه التي لا تقدر على الوصول الى خصمها ولا المحاكمه معه فيامر بمساواته لها
فتغلب خصمها طمعا في عدله ويعجز الخصم في دفعها خوفا من عدله فيظهر الحق عنده فيجري
الله تعالى على لسانه ما هو موافق الشريعه ويسال العلما والفقها عما يشكل عليه من الامور
الغامضه فلا يجري في مجلسه الا محض الشريعه ۝ قال واما زمانه فمصروف
الى مصالح الناس والنظر في امور الرعيه والشفقه عليهم واما فكره ففي اظهار شعار
الاسلام وتاسيس قاعده الدين من بنا المدارس والربط والمساجد حتى ان بلاد الشام كانت
خاليه من العلم واهله وفي زمانه صارت مقرا للعلما والفقها والصوفيه لصرف همته الى
بنا المدارس والربط وترتيب امورهم والناس امنون على انفسهم واموالهم ولو لم يكن من
هذه الخصال الا ما علم منه وشاع انه اذا وعد وفا واذا اوعد عفا واذا تحدث بشي وقف عليه
ولا يخالف قوله ولا يرجع عن لفظه ومنطقه للفي ولا يجري في مجلسه الفسوق والفجور والشتم

والغيبه والقدح في الناس والكلام في اعراضهم كما يجري في مجالس ساير الملوك ولا
يطمع في اخذ اموال الناس ولا يرضى بان ياخذ احد من اموال الشريعه شيا بغير حق قال
وبلغنا باخبار التواتر عن جماعه يعتمد على قولهم انه كان اكثر الليالي يصلي ويناجي ربه
مقبلا بوجهه عليه ويودي الصلوات الخمس في اوقاتها بتمام شرايطها واركانها وركوعها
وسجودها قال وبلغنا عن جماعة من الصوفيه الذين يعتمد على اقوالهم ممن دخلوا ديار
الفرنج للزياره حكاية عن الكفار انهم يقولون ابن القسيم له مع الله سر فانه ما يظفر علينا
بكثرة جنده وعسكره وانما يظفر علينا بالدعا وصلاة الليل فانه يصلي بالليل ويرفع يديه
الى الله ويدعوا فالله سبحانه وتعالى يستجيب له دعاه ويعطيه سوله وما يرد يديه خايبه
فيظفر علينا قال فهذا كلام الكفار في حقه ۝ قال وحدثنا الشيخ داود المقدسي
خادم قبر شعيب على نبينا وعليه افضل الصلاه والسلام قال حضرت في دار العدل في
شهر ربيع الاول سنه ثمان وخمسين فقام رجل وادعى على الملك العادل ان اباه اخذ من
ماله شيا بغير حق قال وانا مطالب لك بذلك فقال نور الدين انا ما اعلم ذلك فان كان لك
بينه تشهد بذلك فهاتها وانا اردد اليك ما يخصني فاني ما ورثت جميع ماله كان هناك
وارث غيري فمضى الرجل ليحضر البينه فقلت في نفسي هذا هو العدل قال وحضر رجل زاهد
فيه سمه الخير معروف بالصلاح والسداد فسالت عنه فقالوا اخو الشيخ ابي البيان وكان
قد اودع عند اخيه ابي البيان وديعه وقد توفي فادعى المودع على هذا الشيخ انه يعلم بالوديعه
وطالبه بالرد عليه فانكر هذا الرجل علمه بالوديعه فاوجب عليه القاضي كمال الدين
حكم الشرع ان يحلف انه لا علم له بهذه الوديعه فحلف على ذلك فجعل المودع يشنع عليه
ويقول انه حلف كاذبا ويتكلم في عرضه ويقول في حقه من الشتم وغيره فحضر عند الملك
العادل شاكيا منه وذاكرا سيرته وطريقته ومن الذي يقدر ان يقول في حقه هذا ويتعرض
بالتماسه من الملك العادل والتقدم باحضاره والانكار عليه فيما يقول في حقه فلما فرغ
من الكلام وذكر ما كان في جعبته من دعوى الحقيقه والطريقه وكان حاصله التماس الانكار
عليه فقال الملك العادل اليس ان الله تعالى يقول في كتابه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما

فاذا كان هو يجهل عليك ويقول في حقك بالجهل ما لا يجوز فيجب عليك ان لا تعامله مثل
معاملته فتكون مثله فكانك قابلت الاساه بالاساه ومن حقك ان تقابل الاساه
بالاحسان فقلت في نفسي الحق ما قال الملك العادل انا ما قرا هذا في كتب التفاسير
فثبت في قلبه او اجراه الله على لسانه وانطقه به ۝ قال وحضر جماعه من التجار
وشكوا ان القراطيس كان يشترون منها بدينار وتزيد وتنقص فيخسرون فسال الملك العادل
عن كيفيه الحال فذكروا ان عقد المعامله على اسم الدينار ولا يرى الدينار في الوسط وانما يعدون
القراطيس بالسعر تاره ستين بدينار وتاره سبعه وستين بدينار واشار كل واحد من
الحاضرين على نور الدين ان يضرب الدينار باسمه وتكون المعامله بالدنانير الملكيه وتبطل
القراطيس بالجمله فسكت ساعه وقال اذا ضربت الدينار وابطلت المعامله بالقراطيس
فكاني خربت بيوت الرعيه فان كل واحد من السوقه عنده عشره الف وعشرون الف قرطاس
ايش يعمل به فيكون سببا لخراب بيته قال فاي شفقه تكون اعظم واكثر من هذا على الرعيه
قال وحضر صبي وبكا عند الملك العادل وذكر ان اباه محبوس على اجره حجره من حجر
الوقف فسال عن حاله فقالوا هذا الصبي ابن الشيخ ابي سعد الصوفي وهو رجل زاهد قاعد في
حجره للوقف وليس له قدره على الاجره وقد حبسه وكيل الوقف لانه اجتمع عليه اجره سنين
فسال الملك العادل كم اجره السنه فقالوا مايه وخمسون قرطاسا وذكروا سيرته وطريقته
وفقره فرق له وانعم عليه وقال نحن نعطيه كل سنه هذا القدر ليصرفه الى الاجره ويقعد فيها
وتقدم بذلك وباخراجه من الحبس فوصل الى قلب كل واحد من الحاضرين الفرح حتى كان
الانعام كان في حقه ۝ اخبرنا افتخار الدين عبد المطلب بن الفضل ابن عبد المطلب الهاشمي
قال كان عند القاضي تاج الدين عبد الغفور بن لقمان الكردي قاضي حلب غلام قد جعله لمجلس
الحكم يدعى سويدا يحضر الخصوم الى مجلس الحكم فحضر بعض التجار وادعى ان له على نور الدين
دعوى فقال الكردي لسويد المذكور امض الى نور الدين وادعه الى مجلس الحكم وعرفه انه حضر
شخص يطلب حضوره وكان نور الدين في الميدان فجا سويد الى باب الميدان فخرج اسمعيل الخزندار
فوجده فتقدم سويد اليه وقال سيري تاج الدين يعني القاضي وذكر انه حضر تاجر وذكر ان له

فقال

دعوى على المولى نور الدين وقد انفذني تاج الدين وقال لي كذا وكذا فضحك اسمعيل الخزندار
ودخل على نور الدين ضاحكا وقال له مستهزيا وقال له يقوم المولى الى اين فقال قد
حضر سويد غلام تاج الدين الكردي وقال ان تاج الدين ارسله يطلب المولى الى مجلس الحكم
فانكر نور الدين على اسمعيل استهزاه وقال تستهزي بطلبي الى مجلس الحكم وقال نور الدين
يحضر فرسي حتى نركب اليه السمع والطاعة قال الله تعالى انما كان قول المومنين اذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ثم نهض وركب حتى دخل باب المدينه
فاستدعى سويدا وقال له امض الى القاضي تاج الدين وسلم عليه وقل له انني جيت الى هاهنا
امتثالا لامر الشرع واحتاج في الحضور الى مجلسه الى سلوك هذه الازقه وفيها الاطيان
وهذا وكيلي يسمع الدعوى وان توجهت علي يمين احضر ان شا الله قال فحضر الوكيل وسمع الدعوى
وتوجهت اليمين فقال الكردي قد توجهت اليمين فليحضر فلما بلغ نور الدين ذلك وعلم انه
لا مندوحه عن حضور مجلسه لليمين استدعى ذلك التاجر واصلح الامر فيما بينه وبينه
وارضاه ۞ وسمعت قاضي القضاه بها الدين يقول حكى لي السلطان الملك الناصر صلاح
الدين قال ارسلني الملك العادل نور الدين الى عمي اسد الدين شيركوه وكان لا يفعل شيا الا
بمشورته فقال امض وقل لاسد الدين قد خطر في بالي ان ابطل هذه الضمانات باسرها والمون
والمكوس وخذ رايه في ذلك قال فجيت اليه وانهيت اليه ما قال لي فقال امض وقل له يا مولانا
اذا فعلت ذلك فالاجناد الذين ادرارهم على هذه الجهات من اين نعطيهم ونحتاج اليهم
للغزاه وخروج العساكر قال السلطان صلاح الدين فقلت لعمي هذا امر قد الهمه الله اياه فسا
عليه فصاح في وقال امض اليه وقل له ما اقول لك قال فعدت الى نور الدين فانهيت اليه ما قال
عمي فقال امض اليه وقل له اذا كنا نغزو وامن هذه الجهات نتركها ونقعد ولا نخرج قال
فعدت الى عمي وقلت له ما قال فقال قل له ان تركوك تقعد فجيد هو فراجعته في ان لا يثبطه
عن ذلك فصاح في وقال امض اليه وقل له ما اقول لك فجيت اليه وقلت له ذلك فترك
ذلك مده ثم امضى ما كان عزم عليه ۞ قال صقر بن يحيى بلغني ان موفق الدين خالد
راى في النوم كان نور الدين دفع اليه ثيابه ليغسلها فقص منامه على نور الدين فتمعر وجه

نور الدين فخجل موفق الدين وبقي اياما على غايه من الخجل فاستدعاه يوما نور الدين وقال تعال
قد اذن لك ان تغسل ثيابي اقعد واكتب باطلاق المون والمكوس والاعشار واكتب للمسلمين
اني قد رفعت عنكم ما رفعه الله تعالى عنكم واثبت عليكم ما اثبته الله عليكم قال فكتب موفق
الدين توقيعا ۞ سمعت خليفه بن سليمن بن خليفه الفقيه يقول سمعت ابي يقول
لما كسر نور الدين يعني كسره البقيعه تكلم البرهان البلخي فقال اتريدون ان تنصروا وفي
عسكركم الخمور والطبول والزمور كلا وكلا فلما سمعه نور الدين قام ونزع
عنه ثيابه تلك وعاهد الله تعالى على التوبه وشرع في ابطال المكوس الى ان خرج في نوبه
حارم وكسر الافرنج ۞ سمعت صديقنا شمس الدين اسمعيل بن سودكين بن عبد الله
النوري وكان ابوه احد مماليك نور الدين فاعتقه يقول سمعت والدي يقول كان نور الدين
محمود رحمه الله يلبس في الليل مسحا ويقوم يصلي فيه قطعه من الليل قال وكان يرفع يديه الى
السما ويبكي ويتضرع ويقول ارحم العشار المكاس قال لي قاضي القضاه بها الدين سير
نور الدين الى بغداد كتابا يعلم الخليفه بما اطلق ويقدار ما اطلق ويسال له ان يتقدم الى
الوعاظ بان يستحلوا من التجار ومن جميع المسلمين له في حل ما كان قد وصل اليه يعني من
اموالهم فتقدم بذلك وجعل الوعاظ على المنابر ينادون بذلك ۞ حدثني رضي الدين ابو
سالم عبد المنعم ابن المنذر ان نور الدين حين خرج لاخذ شيزر خرج ابو غانم بن المنذر بصحبته
فامر نور الدين بكتابه منشور باطلاق المظالم بحلب ودمشق وحمص وحران وسنجار
والرحبه وعزاز وتل باشر وعداد العرب فكتب عنه توقيعا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما تقرب به الى الله سبحانه وتعالى صالحا واطلقه مسامحا لمن علم ضعفه من الرعايا رعاهم الله
لضعفهم عن عماره ما اخربته ايدي الكفار ابادهم الله عند استيلايهم على البلاد وظهور كلمتهم في
العباد رافه بالمسلمين المتاغرين ولطفا بالضعفا المرابطين الذين خصهم الله تعالى بفضيله الجهاد
واستمنحهم بمجاوره اهل العناد اختبارا لصبرهم واعظاما لاجرهم فصبروا احتسابا واجزل
الله لهم اجرا وثوابا انما يوفى الصابرون اجورهم بغير حساب واعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من
املاكهم التي افا الله عليهم بها من الفتوح العمريه واقرها في الدوله الاسلاميه بعد ما طرا عليها

من الظلمه المتقدمين واسترجعه بسيفه من الكفره الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم
الجور وهدم اركان التعدي واقر الحق مقره لقوله تعالى من جا بالحسنه فله عشر امثالها
والله يضاعف لمن يشا ثم لما اعانه الله بعونه وايده بنصره وقمع به عاديه الكفر واظهر
بهمته شعاير الاسلام واظفره بالفيه الطاغيه وامكنه من ملوكها الباغيه فجعلهم
بين قتيل غير مقاد وهارب ممنوع الرقاد واخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاونا فامنن
او امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن ماب علم ان الدنيا فانيه فاستخدمها
للاخره الباقيه واستبقى ملكه الزايل بان قدمه امامه وجعله ذخرا للمعاد فالتقوى
ماده دارت اذا انقطعت المواد وجاده واضحه حين يلتبس الجواد يوم لا تملك نفس لنفس
شيا والامر يومئذ لله فصفح لكافه المسافرين وجميع المسلمين بالضرايب والمكوس
واسقطها من دواوينه وحرمها على كل متطاول اليها ومنها فتعلها تجنبا لاثمها
واكتسابا لثوابها فكان مبلغ ما سامح به واطلقه وانفذ الامر فيه اتباعا لكتاب الله
وسنه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كل سنه من العين مايه الف وسته وخمسون الف
دينار جمله ذلك حلب خمسون الف دينار اعزاز عن مكس جددته الفرنج خذلهم الله على
المسافرين عشره الف دينار تل باشر احد وعشرين الف دينار المعره ثلثه الف دينار
دمشق المحروسه لما استنجد به اهلها واستصرخ من فيها خوفا على انفسهم واموالهم
من استيلا العدو وضعفهم عن مقاومته ما كان يوخذ منهم في كل سنه وهو رسم يسمونه
القسمه عشرون الف دينار حمص سته وعشرين الف دينار حران خمسه الف دينار سنجار
الف دينار الرحبه عشره الف دينار عراد العرب عشره الف دينار وما وقفه وتصدق به
واجراه في سبيل الخيرات ووجوه البر والصدقات تقدير ثمنه مايتا الف دينار وتقدير
الحاصل من ارتفاعه في كل سنه ثلثون الف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الحنفيه
والشافعيه والمالكيه والحنبليه وايمتها ومدرسيها وفقهايها وما وقفه على ادر الصوفيه
والربط والجسور والبيمارستانات والجوامع والمساجد والاسوار وما وقفه على السبيل
في طريق الحجاز وما وقفه على فكاك الاسرى وتعليم الايتام ومفتقد الغربا وفقرا المسلمين وما وقفه

على الاشراف العلويين والعباسيين وما ملكه لجماعه من الاولياء والغزاه والمجاهدين هذا
هذا جميعه سوى ما انعم به على اهل الثغور حرسها الله تعالى من املاكه التي تقدم ذكرها
فانه يضاهي هذا المبلغ وزياده عليه جعل ذلك ذريعه عند الله وتقربا اليه مضافا الى ما
انفقه في الغزاه والجهاد واستيصال شافه اهل الكفر والعناد من خزانته المعموره باموالها
الموروثه المذخوره طلبا لما عند الله والله عنده حسن الثواب فالواجب على كل امام عادل
وسلطان قادر ان يمده ويوده ويشد عضده ويقوي عزمه ويسدد حكمه وعلى كل مسلم
ان يواصله بالدعا انا الليل واطراف النهار كتب خادم دولته وغذي نعمته عبد الرحمن
ابن عبد المنعم بن رضوان ابن عبد الواحد بن محمد بن المنذر الحلبي غفر الله له ورحمه ورضي عنه
الى كل من يصل اليه من ايمة الدين وفقها المسلمين واصحاب الزوايا المتعبدين وكافه
التجار والمسافرين احسن الله توفيقهم وسدد الى اغراض الخير تفويقهم ليشيعوا ذلك بين
حضرهم من التجار والمترددين اليهم من السفار ليعرفوا قدر ما انعم الله به عليه وعليهم في ليسندوا
قومهم اذا رجعوا اليهم ويمدوه بادعيتهم ويبروا ذمته مما سبق من اخذ مونتهم فانه لم
يصرف ذلك الا في وجه بر وتجهيز جيش ومعونه مجاهد وردع كافر ومعاند فهم شركاوه
في الثواب ۝ قال لي رضي الدين ابو سالم بن المنذر فلما وقف نور الدين على قوله
ويبروا ذمته مما سبق استحسن ذلك كثيرا ووعد باقطاع حسن وانفق مونته بعد ذلك
قلت ونقلت من خط الشيخ الامين ابي القسم عبد الرحمن ابن الحسين بن الخضر ابن
الحسين ابن عبدان الازدي الدمشقي وقف المولى نور الدين بستان الميدان سوى الغيضه
التي من قبليه بعد عمارته واصلاح ما يحتاج اليه على تطييب المساجد التي ياتي ذكرها وهي جامع
دمشق المحروسه جامع قلعه دمشق مدرسه الحنفيه التي جددها نور الدين مسجد بن عطيه
داخل باب الجابيه مسجد ابن لبيد بالفسقار مسجد سوق الرماحين المسجد المعلق بسوق الصاغه
مسجد دار البطيخ المعلق مسجد العباسي بسوق الاحد مسجد نور الدين جوار بيعه اليهود
جامع الصالحين بجبل قاسيون يبتاع بذلك عود وطيب ويفرق على هذه الاماكن النصف
للجامع بدمشق والنصف الثاني ينقسم على احد عشر جزا جزان للمدرسه وتسعه اجزا التسعه

المساجد الباقية لكل مسجد جزوًا واحدًا تُطيب هذه الاماكن في الاوقات الشريفة ومواسم
الاجتماعات وليالي شهر رمضان والاعياد وايام الجمع وقت عقد الجمعة في الجوامع
وليالي الجمعة والخميس والاثنين ونقلت ــــــــ من خطه ايضا ان نور الدين رحمه
الله حضر عنده بقلعة دمشق يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة اربع وخمسين وخمس مئة
القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يحيى القرشي والفقها الشيخ شرف الدين ابن
ابي عصرون والخطيب عز الدين ابو البركات بن عبد والامام عز الدين ابو القسم علي ابن
الماسح الشافعيون وشرف الدين ابو القسم عبد الوهاب بن عيسى المالكي وشرف الاسلام
نجم الدين عبد الوهاب الحنبلي ورضي الدين ابو غالب عبد المنعم بن محمد بن اسد التميمي رئيس
دمشق ونظام الدين ابو الكرام المحسن ابن ابي المضا متولي الوزارة بدمشق والاعيان
من شهود العداله بدمشق وهم عبد الصمد بن تميم وعبد الواحد بن هلال والصابي ابو
الحسين وغيرهم فسالهم نور الدين عن المضاف الى اوقاف المسجد الجامع بدمشق من المصالح
التي لبست وقفا عليه وان ينظر كل واحد منهم بما يعلمه من ذلك ليعمل به ويقع الاعتماد عليه
وقال لهم ليس يجوز لاحد منكم ان يعلم من ذلك شيًا الا ويذكره ولا ينكر شيًا مما يقوله غيره
الا وينكره والساكت منكم مصدق للناطق ومصوب لقوله وليس العمل الا على ما تتفقون
عليه وتشهدون به وعلى هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يجتمعون ويتشاورون في مصالح
المسلمين فكل من الحاضرين شكره على ما قصده واثنى عليه ودعا له بالبقا ثم امر نور الدين
متولي اوقاف الجامع والمساجد والبيمارستان وفتى السبيل وما يجري مع ذلك ان يقرا عليه
بحضر من المذكورين ضريبة الاوقاف موضعًا موضعًا ليفرد ما يعلمون انه للمصالح دون
الوقف فافتتح بالسوق المستجد تحت المادنه الغربية جوار البيمارستان فقال الصابي وابن
تميم وابن هلال هذا السوق بكماله لمصالح المسلمين وليس من وقف الجامع لانه احدث في
طريق المسلمين وقد صرف في الجامع من اجرته اوفا مما غرم على عمارته من وقفه فصدقهم
الحاضرون على ما شهدوا به ومبلغ ذلك خمس وعشرون عضاده ثم عين للمصالح ايضا ما
في زياده الجامع القبلية وزيادة باب البريد في الصف القبلي والشامي من العضايد والحوانيت

والحجر

والحجر التي طباقها وطباق الطريق بحضرتها وجميع بيوت الخضرا من قبلة الجامع
والغرف المستجده بها ودار الخيل والمساكن والحوانيت المجاورة لدار الخيل وحانوت
في الخواصين في الصف الغربي واثنا عشر حانوتًا متلاصقات في الصف الشرقي
تعرف بالمعتضمات ونصف حانوت والفرجه المستجده بحضرة دار الوكاله الى سوق
علي بلصق الفرجه من شرقها وحانوت بالقشقار في الصف القبلي تعرف بسكني ثعلب
الفقاعي وحوانيت اللبادين والتي بحضرة الفوارة وتحت اللبادين وقيسارية العقيقي
بسوق احد وتعرف بدار الشجرة وحانوتان في الصف الشرقي بحضرة فندق الزيت
من غرب درب التمارين وحانوت بقنطرة السماعين في الصف الشامي بحضرة الباطل
وقطعه جوار المامونيه من غربها والعضايد التي في الصف الشامي من سوق الجدود وهي
خمس عشره عضاده وستة اسهم من طاحونة السقيفه وذلك كله بعضه ميراث
عن بني اميه كالخضرا ودار الخيل وبعضه اشتري بمال الوقف والمصالح وبعضه
اخذ ممن باداهله الموقوف عليهم ولم يلزمه له مال وبعضه احدث في الطريق فلما شهدوا
بصحة جميع ما ذكروا من منافع ذلك واجرته جاريه في المصالح قال نور الدين ان اهم
المصالح سد ثغور المسلمين وبنا السور المحيط بدمشق والخندق لصيانة المسلمين وحريمهم
واموالهم فصوبوا ما اشار اليه وشكروه ثم سالهم عن فواضل الاوقاف هل يجوز صرفها
في عمارة الاسوار وعمل الخندق للمصلحه المتوجهه للمسلمين فافتى شرف الدين عبد
الوهاب المالكي بجواز ذلك ومنهم من توقف في مهلة النظر وقال الشيخ شرف الدين
ابن ابي عصرون الشافعي لا يجوز ان يصرف وقف مسجد الى غيره ولا وقف معين الجهة
غير تلك الجهة واذا لم يكن بد من ذلك فليس طريقه الا ان يقترضه من اليه الا في بيت
مال المسلمين فيصرفه في المصالح ويكون القضا واجبًا من بيت المال فوافقه الائمة
الحاضرون معه على ذلك ثم سال ابن عصرون نور الدين هل انفق شي قبل اليوم على سور
دمشق وعلى بنا الكلاسه من مال الجامع وعلى انشا السقف المنقض تحت النسر بالجامع
المعمور بغير اذن مولانا وهل كان الا مبلغًا للامرا العالي في عمل ذلك فقال نور الدين لم

[illegible] الجامع العمري

ينفق ذلك ولا شيء منه الا باذني وانا امرت به وبفتح المشهدين من غربي الجامع المعمور
اللذين كانا مخزونين وكتب مبلغا عني ومؤديا امري قلت ــــ هذا مختصر المحضر الذي
كتب فيه صورة ما جرى في ذلك المجلس وهو مشتمل على فوايد حسنة وتاكيد لما نقل
من سيرة هذا الملك في وقوفه مع اوامر الشرع وفي ذلك المحضر خطوط الجماعة الحاضرين
وصورة ما كتبه المالكي المفتي حضرت المجلس المذكور عمره الله وزينه بالعدل ابدا ما
عاش صاحبه وشهدت على ما تضمنه من المشورة المباركة وما نسب الى الجماعة
الشهادة به من المواضع المشهورة كما نسب اليهم وقد اخل بذكر دار الحجارة وقد
ذكروها في المصالح المشهورة وما نسب الى الفتوى فقد كنت قيدته بالحاجة
وفراغ بيت المال او ضعفه عن القيام بما يحتاج اليه المسلمون ومهماتهم الدينية
كتبه عبد الوهاب بن عيسى بن محمد المالكي **فصل** وقد مدح نور الدين
رحمه الله تعالى باشعار كثيرة واوصافه فوق ما مدح به وكان في دولته اول شاعر
زمانهما ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير وابو الحسن احمد بن منير ولهما فيه اشعار
فايقة سياتي جملة منها في مواضعها وقد رايت ان اقدم منها شيئا هنا قرات في
ديوان محمد بن نصر القيسراني كتب الى نور الدين سلام الله وتحياته ورافته وامتنانه
وروحه وريحانه على من عصم بعزمه العواصم وخصم بحجته الدهر المخاصم والجم بهيبته
العاتب والواصم الذي انتضى في سبيل الله سيوف الجهاد وارتضى بعز سلطانه
شعار العباد والزهاد واهتدى الى طاعة الله وليس غير الله من هاد ومن اصبحت
اطراف البلاد اوساطا لمملكته ومعاقل الكفار في عقال ملكته ومركز الشكر
مراكز اعلامه والويته ومن غادت به ثغور الشام ضاحكة عن ثغور النصر وممالك
الاسلام متوجة بتيجان الفخر وصعاب الامور منقادة اليه بازمة القهر ومن راى الحكم
دارسة فبنى مدارسها والهمم يايسة فسقى منابتها ومغارسها والمنابر شامسة فامكن
من صهواتها فوارسها ومن عمر ربع السنن بعدما عفا وانقذ من الفتن من كان منها على
شفا ومن نشر اعلام الفضل وانشر بعد الوفاة ايام العدل ومن اناد بوجهه الايمان واخذ

الناس به من الزمان توقيع الامان ٥
ذو الجمادين من عدو وتقى فهو طول الحياة في هيجاء — ايها الملك الذي الزم
الناس سلوك المحجة البيضاء — قد فضحت الملوك بالعدل حتى سرت في الناس سيرة
الخلفاء — فاسلما ما ملكت في الناس حتى قسمت التقى على الاتقياء
شيم الصالحين في حسن الترك وكم من سكينة في قباء — انت حينا نفاس بالاسد
الورد وحينا نعد في الاولياء — صاغك الله من صميم المعالي حيث لا تشتبه سوى
الالاء — وكان العبا منك لما ضم من الطهر مسجد بقباء — انت ان لا تكن نبيا
فما فاتك الا خلايق الانبياء — رافة في شهامة وعفاف في اقتدار وسطوة في حياء
وجمال منطق بجلال وكمال متوج ببهاء — واذا ما الملوك خافت سهام الذم
زردت عليك درع الثناء — عجبا الناس منك انك في الحرب شهاب الكتيبة الشهباء
وكان السيوف من عزمك الماضي افادت ما عندها من مضاء — ولعمري لو استطاع
فداك القوم بالامهات والاباء
وله فيه
لله عزمك اي سيف وغى طبعت مضاربه على القهر — ما ازفت الحرب العوان به
الا انجلت عن معقل بكر — هل وجه نور الدين غير سنى صدع الدجى عن غرة
البدر — ملك مهابته طليعته ابدا امام جيوشه تسري — كم قد كبدهم بصاعقة
شغلت قلوبهم عن الفكر — تركت حصونهم سجونهم فالقوم قبل الاسر في اسر
عصم العواصم فهي ضاحكة تجلو الظبى ثغرا على الثغر — فاذا سراياه خيله فغلت
نهضت سرايا الخوف والذعر — ورمى القلاع بمثل جندلها حتى استكان الصخر بالصخر
يا سايلي عن نهج سيرته هل غير مفرق هامه الفجر — قال حقيق من تامله ان يحيي
العمرين بالذكر — وشهامة في الله خالصة عقدت عليه تمايم الاجر
وندى يد ما ضر واردها الا بتيت مجاور البحر — هذا المحبة في ذراطب وثناؤه
ابدا على ظهر
وله فيه وقد وصف داره
دار تغار الشمس في افقها من حسنها والشمس مغيار — يزار فيها ضيغم ما له غير سيوف الهند اظفار

تمشي وتضحي وهو جار لها والله ذو العرش له جار ○ لشيفه البائر من دهن الجابر
ما تهوى وتختار ○ قد ملا الاسفار من ذكره نشر له في الارض اسفار ○
حمد يضوع الجو من طيبه كانما راويه عطار ○ ان خطرت في قلبه خطرة اجابها
ماض وخطار ○ وان دعى داعيه يوم الوغى بسوفه لبته اقدار ○ كانما صارمه
مرسل له من التابيل انصار ○ يا مالك الدنيا ولكنها دنيا لها في الدين آثار ○
ويا جوادا مالا لايه غير قضا الحمد مضمار ○ وله فيه ايضا ○
تدارك ملك العرب ذبا الى ان اعتله منه معتد ○ وحل ذرى العواصم وهي نهبى
فاجلى الشرك حتى ليس ضد ○ تنى به عن الدنيا عفافا ومال بها عن الاموال زهد
راى حط المكوس عن الرعايا فاهدر قبل ما انشاه بعد ○ ومد لها رواق العدل شرعا وقد
طوى الرواق ومن يمد ○ وبات وعند باب العرش منها لدولته دعا لا يرد ○ وله فيه
ملك اشبه الملايك فضلا وشبيه بمالك الامر جنده ○ عم احسانه فاصبح يتلى شكره
في الورى ويدرس حمده ○ فسقى الله ذكر ابنما حل ولا فاته من النصر رفده ○ وله فيه
ضحكت تباشير الصباح كانها قسمات نور الدين خير الناس ○ المشتري العقبى بانفس
قيمة والبايع الدنيا بغير مكاس ○ وسرى دعا الخلق يحرس نفسه ان الدعا بعد في الحراس
راض الخطوب الصم بعد جماحها والان من قلب الزمان القاسي ○ واعاد نور الحق في مشكاته
واقام وزن العدل بالقسطاس ○ واختار مجد الدين سايس ملكه فحمى السياسه منه طود راسي
فهو الخبير بكل داء معضل يا سو جراح زماننا ويواسي ○ واذل سلطان النفاق بعزه
خضعت لقا الاساد في الاخياس ○ وعرته اقران الخطوب فصدها الوى يمارسها
اشد مراس ○ ولو ان فيض النيل فايض نيله لم تفتقر مصر الى مقياس ○ سكنت شعب
الدهر بعد تخمط والنت من عطفيه بعد شماس ○ وفتحت باب الحظ بعد رتاجه وادنت
للاطماع بعد الياس ○ حتى منحت الخلق كل مسرة فالناس في عرس من الاعراس ○
وله فيه ايضا ○ سام الشام وبالهام صفقة لولاه ما غنت على يد سايم
ولشمرت عنها الثغور واصبحت فيها العواصم وهي غير عواصم ○ تلك التي جمحت على من رامها

ودعوت

ودعوت فانقادت بغير شكايم ○ واذا سعادتك اجتبت في دولة قام الزمان لها
مقام الخادم ○ حصن بلادك هيبة لا رهبة فالدرع من عدد الشجاع الحازم ○
هيهات يطمع في محلك طامع طال البنا على يمين الهادم ○ كلفت همتك السمو فحلقت
فكانما هي دعوة في ظالم ○ واظن ان الناس لما لم يروا عدلا كعدلك ارجفوا بالقايم ○
وله فيه ايضا ○ قلت تقول الله لا خايفا مع حكم القران حكم القران ○
لا راقب النجم ولا سايلا ما فعل السعدان والنيران ○ بل غرت للاسلام حتى لقد دان
له من بالطواغيت دان ○ دعت نواميس نواقيسها بحلبه الاذان وقت الاذان ○
تمحو انتصاوير الذي عن يد تبنى المحاريب خلال الحان ○ هناك كم انشان من منبر
فارسه فارس سحر البيان ○ من مال بالاخلاص ما تلته كان من الله مكين المكان ○
يا شايما بالشام صوب الحيا ودانيا من كل قاص ودان ○ هذي سجوف الملك مرفوعه
عن ملك اجناده كالعيان ○ اوضح سبل العدل مفتنة فللبرايا بالدعا افتنان ○
الغى حقوقا كلها باطل الا ما الحظ مال الضمان ○ عطفا ورفقا بالرعايا وان اصبح
تادب ملوك الزمان ○ كم بين من نام على نشوة وساهد في صهوة من حصان ○
في كل يوم يشتفى سيفه بليله بكر واخرى عوان ○ وقرات في ديوان احمد بن
منير الطرابلسي من قصايد يمدح بها نور الدين رحمه الله تعالى ○
يا محيي العدل ويا منشره من بين اطباق البلى وقد همد ○ وركن الاسلام الذي وطده
طال وارسى العز فيه ووطد ○ وشارع المعروف اذ لا سفه يجنح للقرا ولا سمح يد ○
محوت ما اثبته الجور مضى عليه اخلاد الليال مخلد ○ من كل مكاس يظل فاغرا لما
يسو المسلمين بالرصد ○ كانشا لا رجاس اليهود دولة ازالها ملك الهصور ذو اللبد ○
الملك العادل لفظ طابق المعنى وفي الوصف معار مسترد ○ خير الغيوث ما جرى الوصف
على صفحته جرى النسيم في الومد ○ عدل حييت اليوم حلو ربعه وسوف يحيى لك
اخلامنه غد ○ لا زال للاسلام منك عدة يقيم منه كل ربع واود ○
الناس انت والملوك شرط تعد لينا ويعدون نقد ○

مثلك لا يسخوا به زمانه ومثل ما اوتيت لم يؤت احد ٥   وله فيه ايضا
ابا نور دين خانوه ومذ شاع عدلك فيه انقد ٥ رايت الصليب صليب الفناه ابن
العثار منيز العمد ٥ تهدم فتسليه ما افنى وتداى فتشكله ما احتشد ٥
زنبتهم امس عن صرخد فمضوا كان نعاما شرد ٥ ويوم العريمه اقبلتهم عراما بثعلب
منه الاسد ٥ حبت مليكهم في الصفاد وعفوك عنه اعتم الصفد ٥
وقبل ازيتهم في الرها موارق من كن جرد الجرد ٥ بقيت ترقع خرق الزمان قياما
لا ينابه ان قعد ٥ تثقف من زيغه ما التوى وتصلح من طبعه ما فسد ٥
وله فيه ايضا ٥ ايا مالك الدنيا الحلاحل والذي له الارض دارا والبرية اعبد ٥
ولست بدعوى لا يقوم دليلها ولكنه الحق الذي ليس يجحد ٥ اخو عزوات كالقعود
تناسقت تخل بأجياد الجياد وتعقد ٥ لسان بذكر الله يكشف نهاره بها وجفن في
الدجى ليس يرقد ٥ وبيك وعدك ان قادوا تلقاه فلا الورد مثمود ولا الباب موصد
مرام سماى وحزم مسدد ورأى تهامي وعزم مؤيد ٥   وله فيه ايضا
ابدا ينكب عن ضلال سادرا بثقوب زندك اوندل على هدا ٥ سدت الكهول من
الملوك مراهقا وشاوت شيبهم البوازل امردا ٥ ان شيد وامرجا اتان مناره او
انجدوا الكانر جد سنجدا ٥ واذا استهزتهم فلا بد معبد هزته موعظة فعوف
معبدا ٥ متما بشام الشام منك مهندا ارضاه مشهورا وراع مقلدا ٥
وتمسك الاسلام منك بعروة الله ابرم حبلها فاستحصدا ٥ اشفى فكنت شفاه
من حادث عاداه عارضه مردى بالرادا ٥ كنت الصباح لليله لما دجى والغوث
كف لظاه حين توقدا ٥ لله يوم اطلعتك به النوى تختاب من مهج الاصافر مجندا ٥
نشوان عتك الظبي مغلوله واما لا عطفيك الوشيج مقصدا ٥ في معرك ما قام باسك
دونه لا اثام المشركين وانعدا ٥ ولكم مكر قمت فيه معلا ارض الهلك والمسيح واحمدا ٥
يوم العريكه والخطيم وحارم وشعاب باشوطا وهاب وصرخدا ٥ لا يعدم الاشراك حلك
انه ما سل فيهم حاكما الا اعتدا ٥ اهمدتهم من بعد ما ملاوا الملا ارجلا فعل كانت سيوفك
مرقدا

طلعت

طلعت نجوم الحق من افاقها واعادها كر العصور كما بدا ٥ وهوى الصليب وحزبه
وتبختر الاسلام من بعد التشافف اعيدا ٥ سبق المجلي الحظي فرفعه نسق بثم وقد
رفعت بالابتدا ٥   وله فيه ايضا
محمود المزري على اسلافه ان زاد في حب الحسيب نجار
ملك اذا نليت ماثر قومه كسد اللطيم وهجن النوار
ملا الفرنجة جور سيفك فيهم فلهم على سيف المحيط جوار
يوما يزيل جون عرقه معلما جون له خلف الدروب اوار
وتجر في الاردن فضله ذيله نقع باكناف الانط مثار
اما تبيح حريم انطاكيه او يحتاج الداروم منك دمار
عفا جهادك رسم كل مخوفة وعفت بصفوة عدلك الاكدار
ومحا المظالم منك نظرة راحم لله في خطراته اسرار
غضبان للاسلام مال عموكه فلنوره مما عراه نوار
وخدمت كل يد تسود على يد فاحلت ذا ل السور وهو سوار
لم تبق ما كسر مسلم شلقا ولا ساع لظلمة ولا عشار
هدوا كما هدمت ثمود وقادهم نحسازهم مما اوقدوه قدار
العار في الدنيا شقوا بالمباشه ولباسهم يوم الحساب النار
كم سترته احيتها عمرية رفعت لها في الخافقين منار
ونوافل صيرتهن لوازما با فلما تستعبد الاحرار
لا زلت تقفوا الصالحين مسابقا لهم وتطلع خلفك الابرار
نفس النساده زهد مثلك في اللهى فيه نفاسات يعرب ونزار
ومتى ادعى ما تدعيه محكم اوهى معاقد دينه دينار
لله ما ظفرت به منك المنى وتكنفت من ركنك الاسنار
وسقى الغمام ثرى ابيك فانه ازكى ثرى فطرت عليه قطار
شهدت نضارة عودك الغض الجنا ان الذي استخلصت منه نظار
اما نهارك فهو ليل مجاهد والليل من طول القيام نهار

وله فيه رحمه الله تعالى

فلذلك النصر العزيز ادلة انى اتجهت وللفتوح امار ٥
داينا الملوك وقد ساجلوك نمنوا امنونا وعزوا غرورا

اى لك ان يدركوها اب يزيد فيثنى الاسد الزبيرا
وجد اذا احد يوم الرهان اتى لنا ليه جلا عشورا
تصب عصاك على من عصاك يوما عبوسا بها قمطريرا
لقد البس الشام هذا الابا لبوسا من الامن لينا وثيرا
تداركت ارماقه والقلوب نوافر ان تسجن الصدورا
اقمت جثاثا وكانت جثا وشدت قصورا وكانت قبورا
وكم لك من عصبة للهدى تميت الهوى وتحب الذكورا
اذا قطب الباس كانت ردى وان ضحك العفو عادت نشورا
حلت فوقيت عين الكمال تعيد الشنين ويفنى العصورا
وجاد لنا رب براك للكفر نارا وللدين نورا
اذا ما حمدت فولى كريما وما اعبدت فعبدا شكورا
امام المحارب برا حصورا وتحت الحروب هزبرا هصورا
تبارك من شاد هنى الجلال فى ظله الملك طودا وقورا
والقى فى معقد التاج منك سطوا شعيرا وعفوا مبيرا
موخر وله فيه رحمه الله تعالى
واسد الانام قولا وافعالا ونفسا ونية وبقينا
عقل الحق الشرك المدعينا انت خير الملوك دنيا ودينا
انت اشنام ابا واابا واموا حيا وامرع حينا
بسط الرزق فى البسيطة كالكفك كفا بيك تلق يمينا
فبد تختم النوايب عنا وبد تقسم الرغايب فينا
ايها البحر لو تساجلك الابحر عامت فى ساحليك سفينا
ولكان المحيط منها محاطا مثل نون الهجا وخل نونا
مشرعا مترعا وتما معينا وربا عا فحا وكفا لبونا

سودب تميت عادية الشرك وهب يحيى به المسلمونا
كلما احتبيت ثوب نصر عزيز من مرام اقبلت فتحا مبينا
يا بن من طبق البسيطة اثارا وعلى المنابذيه الاحبونا
ثم تعالى صهيلها فى ربى الشام فاعلى خلف الخليج الرنينا

ومحيا طلقا ومالا طليقا وابتهاجا قصدا وحبلا متينا
تتسنا من الفتوح الوفا انت اعلى من ان تعد المئينا
صنع الله عنك صرف زمان انت علمته صرفه ان يهونا
وغدت حصنه على سرح هذا الدين من شله الاعادى حصونا

كان صنو الرشيد ابقاك للحكمة والباس بعده المامونا
سمع الله فيك دعوة شكر اوطنوا من حبالك حصنا حصينا
غرقتهم مدى الخطوب فاحييت رفاتا من التراب دفينا
لبسوا عدلك المديح فاختالوا ابنا فى وشيه وبنينا
شهرت عينك الحكوونا موالخت اكاف دعيها امينا ۞ قلت فهذا انموذج من
اشعار هذين الفحلين فيه مع انهما ماتا فى سنه ثمان واربعين وخمس ميه قبل ان يفتح
نور الدين دمشق وبقى نور الدين حيا بعدهما احدى وعشرين سنه يترقى كل عام فى
ازدياد من جهاد واجتهاد ولو كانا ادركا ذلك لاتيا فى وصفه بعجايب المدايح مع
انه قد تولى ذلك غيرهما ممن لم يبلغ شاوهما ولابى المجد المسلم بن الخضر بن قسيم
من قصيده فيه ۞ تبدو الشجاعه من طلاقه وجهه كالرمح دل على القساوه لينه ۞
وورا تيقظه اناة مجرب لله سطوة باسه وسكونه
هذا الذى فى الله صح جهاده هذا الذى بالله صح يقينه
هذا الذى بخل الزمان بمثله والمشمخر الى العلى عرنينه
ملك الورى ملك اغر متوج لاغدره يخشى ولا تلوينه
ان حل فالشرف التليد انيسه اوسار فالظفر الطريف قرينه
فالدهر خاذل من اراد عناده ابدا وجبار السماء معينه
والدين يشهد انه لمعزه والشرك يعلم انه لمهينه
ما زال يقسم ان يبدد شمله والله يكره ان تمين يمينه
فتح الرها بالامس فانفتحت له ابواب ملك لا يذال مصونه ۞ ومدايح نور الدين
رحمه الله كثيره وذكر الحافظ ابو القسم انه كان قليل الابتهاج بالشعر ومات حادى
عشر شوال سنه تسع وستين وخمس ميه ودفن بقلعه دمشق ثم نقل الى قبته بمدرسته
جوار الخواصين قلت وقد جرب استجابه الدعا عند قبره وهذا ذكر طرف من
مناقبه جمله ونحن بعد ذلك ناتى باخباره واخبار سلفه مفصله مرتبه وما جرى فى

زمانهم على سبيل الاختصار ان شا الله تعالى ۞ فصل اصل البيت
الاتابكي هو قسيم الدوله اق سنقر جد نور الدين فنذكره وما تم في ايامه ثم نذكر ولده
زنكي وما تم في ايامه ثم نذكر ولده محمود بن زنكي ثم نذكر ما بعده وهي الدولة
الصلاحيه الايوبيه وما تم في ايامها فنقول كان اق سنقر تربا من اصحاب السلطان
ركن الدين ملكشاه ابن الب ارسلان وهو عم دقاق بن تتش بن الب ارسلان الذي
كان سلطان دمشق وقبره بقبه الطواويس بها بينه والمشهد والدنه وكان السلطان
ملكشاه من جملة الملوك السلجوقيه المتغلبين على البلاد بعد بني بويه بالعراق فكان
قسيم الدوله من اصحابه واترابه وممن ربي معه في صغره واستمر في صحبته الى حين كبره
فلما افضت السلطنه بعد ابيه اليه جعله من اعيان امرايه واخص اوليايه واعتمد عليه
في مهماته وزاد قدره علوا الى ان صار تقيه مثل نظام الملك على السلطان ان تولى
اق سنقر مدينه حلب واعمالها واراد بذلك ان يبعده عن خدمه السلطان ويتجذ عنده
يدا بذلك ۞ قال ابن الاثير ومن الدليل على علو مرتبته تلقيبه قسيم الدولة
وكانت الالقاب حينئذ مصونه لا تعطى الا لمستحقها وفي سنه سبع وسبعين
واربع ميه سير السلطان ملكشاه الوزير فخر الدوله بن جهير وكان زوج ابنه نظام
الملك الى الموصل وسير معه جيشا عظيما وجعل المقدم على الجيش قسيم الدوله اق سنقر
فسار وانحو الموصل ولقيهم في الطريق الامير ارتق التركماني جد ملوك الحصن وماردين
فاستصحبوه معهم فحصروا الموصل وجاهدوا من بها وتسلموها وسار صاحبها الى السلطان
فردها عليه وكانت يوميذ لاحد امرا بني عقيل وهو شرف الدوله مسلم بن قريش بن
بدران العقيلي وكان ملكه من السنديه بالعراق على نهر عيسى الى منبج وما بينهما من
البلاد الفراتيه كهيت والانبار وغيرها وملك الموصل وديار بكر والجزيره باسرها
وملك مدينه حلب وكان عادلا حسن السيره عظيم السياسه واتفق ان وقع بينه وبين
صاحب انطاكيه وذلك ان انطاكيه كان الروم قد استولوا عليها سنه ثمان وخمسين وثلثمايه
ولم يزالوا بها الى هذه السنه ففتحها سليمن بن قتلمش وهو جد الملك غياث الدين كيخسروا
صاحب

الوزير مع علمه على السلطان ومن بعضهم من الاكابر انا سار
نظام الملك عن ...

صاحب قونيه وغيرها وكان لشرف الدوله صاحب حلب على صاحب انطاكيه الرومي
جزيه ياخذها كل سنه فانقطعت عنه بسبب اخذ سليمن البلد فارسل شرف الدوله
يطلب منه ما كان ياخذه من الروم وتهدده وقال اني في طاعتك وهذا الفتح بسعادتك
والخطبه والسكه لك ولست بكافر حتى اعطيك ما كنت تاخذه من الروم فلج شرف
الدوله في طلب المال فالتقيا فقتل شرف الدوله فانهزم عسكره وسار سليمن الى حلب
فحصرها وسار اليها من دمشق تاج الدوله تتش ابن الب ارسلان اخو السلطان ملكشاه
فالتقى عسكر تتش وسليمن فقتل سليمن وانهزم عسكره وملك تتش مدينه حلب دون
القلعه فارسل اهل القلعه الى ملكشاه ليسلموها اليه وهو يوميذ بالرها وكان سبب مسيره
اليها ان ابن عطيه النميري كان قد باعها من الروم بعشرين الف دينار وسلمها اليهم فدخلوها
واخربوا المساجد واجلوا المسلمين عنها فسار ملكشاه اليها في هذه السنه فحصرها وفتحها
واقطعها الامير بزان فلما اتاه رسل اهل القلعه بحلب بالتسليم سار اليهم فلما بلغ مسيره الى
اخيه تاج الدوله رحل عن حلب الى دمشق ووصل السلطان الى حلب وبالقلعه سالم بن مالك
ابن بدران العقيلي وهو ابن عم شرف الدوله فسلمها الى السلطان بعد قتال اعطاه السلطان
عوضا عنها قلعه جعبر وكان قد ملكها في هذه السفره من صاحبها جعبر النميري وكان
شيخا كبيرا اعمى فبقيت بيد سالم واولاده الى ان اخذها منهم الملك العادل نور الدين كما
سياتي فلما ملك السلطان حلب ارسل اليه الامير نصر بن علي بن المقلد بن منقذ الكناني صاحب
شيزر ودخل في طاعته وسلم اليه اللاذقيه وفاميه وكفر طاب ثم ان نظام الملك اشار على
السلطان بتسليم قلعه حلب واعمالها وحماه ومنبج واللاذقيه وما معها الى قسيم الدوله اق
سنقر فاقطعه الجميع وبقيت بيده الى ان قتل سنه سبع وثمانين واربع مايه كما سياتي
واقطع السلطان مدينه انطاكيه الامير باغي سيان ولما استقر قسيم الدوله في الشام ظهرت
كفايته وحمايته وهيبته في جميع بلاده ثم ان السلطان استدعاه الى العراق فقدم اليه في تجمل
عظيم لم يكن في عسكر السلطان من يقاربه فاستحسن ذلك منه وعظم محله عنده ثم امره
بالعود الى حلب فعاد اليها فلما مات السلطان ملكشاه سير قسيم الدوله جيشا الى تكريت

فملكها وفي سنه احدى وثمانين قصد قسيم الدوله شيزر فنهبها وعاد الى حلب وفي سنه
ثلث وثمانين اجتمع قسيم الدوله وبزان وحصروا مدينه حمص فملكوها ومضى ابن ملاعب
الى مصر وفي سنه اربع وثمانين ملك قسيم الدوله حصن فاميه من الشام وملك الرحبه

فصل وفي عاشر رمضان سنه خمس وثمانين قتل الوزير نظام الملك ابو علي
الحسن ابن علي بن اسحق قتله صبي ديلمي بعد الافطار وقد تفرق عن طعامه الفقها والامرا
والفقرا وغيرهم من اصناف الناس وحمل في محفه لتفريس كان به الى خيمه الحرم فلقيه
صبي ديلمي مستغيثا به فقربه منه ليسمع شكواه فقتله وقتل الصبي ايضا فعدمت الدنيا
واحدها الذي لم تر مثله وكان تلك الليله قد حكى له بعض الصالحين انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم في المنام كانه اتاه واخذ من محفته فتبعه فاستبشر نظام الملك بذلك
واظهر السرور به وقال هذا ابغي واياه اطلب وبلغ من الدنيا مبلغا عظيما لم ينله غيره
وكان عالما فقيها دينا خيرا متواضعا عادلا يحب اهل الدين ويلين لهم ويجزل صلاتهم
وكان اقرب الناس منه واحبهم اليه العلما وكان يناظرهم في المحافل ويبحث معهم عن غوامض
المسايل لانه اشتغل بالفقه في حال حداثته مده واما صدقاته ووقوفه فلا حد عليها
ومدارسه في العالم مشهوره لم يخل بلد من شي منها حتى جزيره ابن عمر التي هي في زاويه
من الارض لا يوبه لها بنى فيها مدرسه كبيره حسنه وهي التي تعرف الان بمدرسه رضى
الدين واعماله الحسنه وصنايعه الجميله مدونه في التواريخ لم يسبقه من كان قبله
ولا ادركه من كان بعده وكان من جمله عباداته انه لم يحدث الا توضا ولا توضا الا صلى
وكان يقرا القران حفظا ويحافظ على اوقات الصلوات محافظه لا يتقدمه فيها المتفرغون
للعباده حتى انه كان اذا غفل المؤذن امره بالاذان واذا سمع الاذان امسك عن كل ما هو
فيه واشتغل باجابته ثم بالصلاه وكان قد وزر للسلطان عضد الدوله الب ارسلان والد
ملكشاه قبل ان يلي السلطنه في حياه عمه السلطان طغرلبك اول الملوك السلجوقيه ببغداد
فلما توفي طغرلبك سعى نظام الملك في اخذ السلطنه لصاحبه الب ارسلان وقام المقام
الذي تعجز عنه الجيوش الكثيره واستقرت السلطنه له وبقي معه الى ان توفي ثم وزر
بعده

بعده لولده السلطان ملكشاه الى ان قتل وكان قد تحكم عليه الى حد لا ينفذ السلطان على
خلافه لكثره مماليكه ومحبه العساكر له والامرا وميل العامه والخاصه اليه لحسن سيرته
وعدله وهذا كلام ابي الحسن ابن الاثير ٥ وقرات ـــــ في كتاب المعارف المتاخره ويسمى
عنوان السير لمحمد بن عبد الملك بن ابرهيم الهمذاني قال وزر نظام الملك ابو علي الحسن بن علي بن
اسحق الطوسي للسلطان الب ارسلان ولولده السلطان ملكشاه اربعا وثلثين سنه وقتل
بالقرب من نهاوند وعمره ست وسبعون سنه وعشره اشهر وتسعه عشر يوما اغتاله احد
الباطنيه وقد فرغ من فطوره قال وقيل ان السلطان ملكشاه دس عليه من قتله لانه سيم
طول عمره ومات بعده بشهر وخمسه ايام وقد تقدم نظام الملك في الدنيا التقدم العظيم
وافضل على الخلق الافضال الكثير وعم الناس بمعروفه وبنى المدارس لاصحاب الشافعي ووقف
عليهم الوقوف وزاد في الحلم والدين على من تقدمه من الوزرا ولم يبلغ احد منهم منزلته في
جميع اموره وعبر جيحون فوقع على العامل بانطاكيه بما يصرف على الملاحين وملك من الغلمان
الاتراك الوفا وكان جمهور العساكر وشجعانهم وفتاكهم من مماليكه قلت ـــــ وانشد
ابو سعد السمعاني في ذيل تاريخ بغداد فقال انشدني عمي الامام ابو القسم احمد بن منصور
السمعاني غير مره من لفظه للامير سبل الدوله يعني مقاتل بن عطيه بن مقاتل البكري ٥

كان الوزير نظام الملك لولوه يتيمه صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الايام قيمتها فردها غيره منه الى الصدف

فصل عاش السلطان ملكشاه بعد نظام الملك خمسه وثلثين يوما ومات
في منتصف شوال سنه خمس وثمانين وعمره ثمانيه وثلثون عاما ونصف عام وكانت مملكته
قد اتسعت عظما وخطب له من حدود الصين الى الداروم من ارض الشام واطاعه اليمن والحجاز
وكان ياخذ الخراج من ملك القسطنطينيه واطاعه صاحب اترار واسبيجاب وكاشغر
وبلاساغون وغيرها من الممالك البعيده وملك سمرقند وجميع ما وراء النهر ثم ان صاحب
كاشغر عصى عليه فسار السلطان اليه فلما قارب كاشغر هرب صاحبها منه فسار في طلبها
ولم يزل حتى ظفر به واحسن اليه واستصحبه معه الى اصفهان وعمل السلطان من الخيرات

وابواب البر كثيرًا منها ما اصلحه وعمله من المصانع بطريق مكه وحفر من الابار وبنى
مدرسه عند قبر الامام ابى حنيفه رحمة الله عليه وبنى الجامع الذى بظاهر بغداد عند دار
السلطنه وهو الذى بنى منارة القرون فى طرف البر مما يلى الكوفه بمكان يعرف بالسبعى
وبنى مثلها بسمرقند ايضا قيل انه خرج سنه من الكوفه لتوديع الحجيج فجاوز العذيب السبعيه
وبلغ الحمر الوحشيه التى اصطادها فى طريقه وبعد موته تنازع ابناه بركياروق ومحمد
ودامت الحروب بينهما نحو ثنتى عشره سنه الى ان توفى بركياروق واستقرت السلطنه
لمحمد وفى مده تلك الحروب ظهرت الفرنج بالساحل وملكوا انطاكيه اولا ثم غيرها من البلاد
وكان السلطان قد اقطع اخاه تاج الدوله تتش مدينه دمشق واعمالها وما جاورها كطبريه
والبيت المقدس فلما توفى ملكشاه طمع تاج الدوله فى السلطنه فسار الى حلب وبها قسيم
الدوله فصالحه وراسل بوزان صاحب حران وباغى سغان صاحب انطاكيه فسارو معه
نحو الرحبه ونصيبين فاخذهما وراسل صاحب الموصل ابرهيم بن قريش ابن بدران ويامره
بالخطبه له وان يعطيه طريقًا الى بغداد فامتنع فالتقيا فهزم صاحب الموصل وقتل واخذ
بلاده وسار الى ميافارقين فملكها وساير ديار بكر ثم سار الى اذربيجان فالتقى هو وابن
اخيه بركياروق بن ملكشاه فانتقل قسيم الدوله وبوزان الى بركياروق فرجع تاج الدوله
الى الشام ورجعا الى بلادهما بامر بركياروق ليمنعا تاج الدوله عن البلدان فقصدها فجمع
تاج الدوله العساكر وسار عن دمشق نحو حلب فاجتمع قسيم الدوله وبوزان وامدهما
السلطان ركن الدين بركياروق بالامير كربوقا وهو الذى صار فيما بعد صاحب الموصل فالتقوا
بالقرب من تل السلطان بينه وبين حلب نحو من سته فراسخ فانهزم جيش قسيم الدوله
واخذ اسيرًا فقتله تاج الدوله صبرا ودخل بزان وكربوقا حلب فحصرها تاج الدوله حتى
فتحها واخذهما اسيرين وارسل الى حران والرها وكانتا لبزان فامتنع من بها من التسليم
فقتل بزان وانفذ راسه وتسلم البلدين واما كربوقا فانه سجنه بحمص فلم يزل الى ان
اخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تاج الدوله قال ابن الاثير وكان قسيم الدوله
احسن الناس سياسه لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين عدل عام ورخص شامل

وامن واسع وكان قد شرط على اهل كل قريه فى بلاده متى اخذ عند احدهم قفل او احد
من الناس غرم اهلها جميع ما يوخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغت
قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا امنين وقام اهل القريه يحرسونهم الى ان يرحلوا فامنت
ستـ طا الطرق وتحدث الركبان بحسن سيرته ن وفى المحرم من سنه سبع وثمانين واربع مايه توفى
الخليفه المقتدى بامر الله فجاه وهو ابو القسم عبد الله بن الامير محمد بن القايم بامر الله وعمره
تسع وثلثون سنه وثمانية اشهر وسبعة ايام وكانت خلافته تسع عشره سنه وخمسة
اشهر وامه تركيه وبويع من بعده ولده المستظهر بالله ابو العباس احمد ويلقب محمد بن القايم
والد المقتدى بالله الذخيره مات فى حياة ابيه فلم يلى الخلافه

ذكر اخبار زنكي والد نور الدين رحمهما الله تعالى على سبيل الاختصار فى فصول الى حين وفاته ثم نذكر
اخبار نور الدين على ترتيب السنين لما قتل قسيم الدوله اق سنقر لم يخلف من الاولاد غير
واحد وهو عماد الدين زنكي والد نور الدين وكان حينيذ صبيًا له من العمر نحو عشر سنين
فاجتمع عليه مماليك والده واصحابه وفيهم زين الدين علي وهو صبي ايضا ثم ان الامير كربوقا
خلص من السجن بعد قتل تاج الدوله سنه سبع وثمانين واربع مايه وتوجه الى حران وقد
اجتمع معه عسكر صالح فملكها ثم سار الى نصيبين فملكها ثم الى الموصل فملكها وزال
عنها علي بن شرف الدوله العقيلي وسار نحو ماردين فملكها وعظم شانه وهو فى طاعه ركن
الدوله بركيارق فلما ملك البلاد احضر مماليك قسيم الدوله اق سنقر وامرهم باحضار
عماد الدين زنكي وقال هو ابن اخي وانا اولى الناس بتربيته فاحضروه عنده فاقطعهم الاقطاعات
السنيه وجعلهم على عماد الدين زنكي واستعان بهم فى حروبه وكانوا من الشجاعة فى اعلى
درجاتها فلم يزل الوا معه فتوجه بهم الى امد وصاحبها من امرا التركمان فاستنجد بمعين الدين
سقمان بن ارتق صاحب الحصن فكسرهم قوام الدوله كربوقا وهو اول مصاف حضره زنكي
بعد قتل والده ولم يزل كربوقا الى ان توفى سنه اربع وتسعين واربع مايه وملك بعده موسى التركماني
فلم تطل مدته وقتل وملك الموصل شمس الدوله جكرمش وهو ايضا من مماليك السلطان ملكشاه
فاخذ زنكي فقربه واحبه واتخذه ولدا لمعرفته بمكانه والده فبقى معه الى ان قتل سنه خمس

فلا جرم ان زنكي رعي هذا الجكرمش لما ملك الموصل وغيرها من البلاد فانه اخذ ولده
ناصر الدين كوري فالزمه وقدمه واقطعه اقطاعا كثيرا وجعل منزلته اعلا المنازل
عنده واتخذه صهرا ثم ملك الموصل بعد جكرمش جاولي سقاوه فاتصل به عماد الدين
زنكي وقد كبر وظهرت عليه امارات السعاده والشهامه ولم يزل معه حتى عصى على
السلطان محمد وكان جاولي قد عبر الى الشام ليملكه من الملك فخر الملك رضوان فارسل
السلطان الى الموصل الامير مودودا واقطعه اياها سنه اثنتين وخمس مئه فلما اتصل
الخبر بجاولي فارقه زنكي وغيره من الامرا فلما استقر مودود بالموصل واتصل به زنكي اكرمه
وشهد معه حروبه فسار مودود الى الغزاه بالشام ففتح في طريقه قلاعا لهم من شبختان كانت
للفرنج وقتل من كان بها منهم ثم سار الى الرها فحصرها ولم يفتحها فرحل وعبر الفراه فحصر تل
باشر خمسه واربعين يوما ثم سار الى معرة النعمان فحصرها ثم حضر عنده اتابك طغتكين
صاحب دمشق فسارا الى طبريه وحاصروها وقاتلوها قتالا شديدا وظهر من اتابك
زنكي شجاعه لم يسمع بمثلها منها انه كان في نفر وقد خرج الفرنج من البلد فحمل عليهم هو
ومن معه وهو يظن انهم يتبعونه فتخلفوا عنه وتقدم وحده وقد انهزم من بظاهر البلد من
الفرنج فدخلوا البلد ووصل رمحه الى الباب فاثر فيه وقاتلهم عليه وبقي ينتظر وصول من كان
معه بحيث لم ير احدا حمى نفسه وعاد سالما فعجب الناس من اقدامه اولا ومن سلامته اخرا
ثم التقى الجمعان فهزم الفرنج لعنهم الله ووصلوا الى مضيق دون طبرية فاجتمعوا به
وجاتهم نجده واذن الامير مودود للعسكر في الرجوع الى بلادهم والاجتماع اليه في الربيع
فلما تفرقوا دخل دمشق واقام بها فخرج يوما يصلي الجمعه فلما صلاها وخرج الى صحن الجامع
ويده بيد طغتكين وثب عليه انسان فضربه بسكين معه فجرحه اربع جراحات وكان صايما
فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا لقيت الله الا صايما فانني ميت لا محاله
سوى افطرت او صمت وتوفي في بقيه يومه رحمه الله فقيل ان الباطنيه بالشام خافوه
فقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من يقتله وكان خيرا عادلا حسن السيره قال
ابن الاثير فحدثني والدي رحمه الله قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين ان امة قتلت عميدها يوم

عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها فلما قتل الامير مودود اقطع السلطان
بلاد الموصل وغيرها للامير جوش بك وسير معه ولده الملك مسعودا الى الموصل ثم انه
جهز اق سنقر البرسقي في العساكر وسيره الى قتال الفرنج وكتب الى عساكر الموصل وغيرها
يامرهم بالمسير معه فساروا وفيهم عماد الدين زنكي وكان يعرف في عساكر العجم بزنكي الشامي
فسار البرسقي الى الرها في خمسه عشر الف فارس فحصرها وقاتل من بها من الفرنج والارمن
وضاقت الميره عن العسكر فرحل الى سميساط وهي ايضا للفرنج فاخرب بلدها وبلد
سروج وعاد الى بلد شبختان فاخرب ما فيه للفرنج وابلى زنكي في هذه المواقف كلها بلا
حسنا ثم عادت العساكر تحدثت بافعله وعاد البرسقي الى بغداد واقام زنكي بالموصل مع
الملك مسعود والامير جوش بك الى سنه اربع وعشرين وخمس ميه وقد علا قدره وظهر
اسمه

فصل

وفي سنه احدى عشره وخمس مئه ولد الملك العادل نور الدين
محمود بن زنكي رحمه الله وفيها غرقت سنجار من سيل المطر وهلك منها خلق كثير ومن
اعجب ما يحكى ان السيل حمل مهدا فيه طفل فعلق المهد في شجره ونقص الما فسلم ذلك الطفل
وغرق غيره من الماهرين بالسباحه وفيها ايضا زلزلت اربل وغيرها من البلاد المجاوره لها
زلزلة عظيمة وفيها في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه
وعمره سبع وثلثون سنه واربعة اشهر وسته ايام واول ما خطب له ببغداد في ذي الحجة
سنه اثنتين وتسعين واربع مئه وقطعت خطبته عده مرار ولقي من المشاق والاخطار ما لم
يلقه احد الى ان توفي اخوه بركيارق فحينيذ استقرت له السلطنه وصفت له ودانت البلاد
واصحاب الاطراف لطاعته وكان اجتماع الناس عليه بعد موت اخيه اثنتي عشرة سنه وسته
اشهر وكان عادلا حسن السيره شجاعا واطلق المكوس والضرايب في جميع البلاد ومن عدله انه
اشترى عده مماليك من بعض التجار وامر ان يوفى الثمن من عامل خوزستان فاوصل اليه البعض
ومطل بالباقي فحضر التاجر مجلس الحكم واخذ غلام الحاكم ووقف بطريق السلطان واستغاث اليه
فامر من يستعلم حاله فعاد الحاجب واعلم السلطان حاله فعظم عليه وضاق صدره وامر
في الحال ان يحضر عامل خوزستان ويلزم بمال التاجر ثم انه ندم على تاخره عن مجلس الحكم

وكان يقول كثيراً لقد ندمت على تركي حضور مجلس الحكم ولو فعلته لاقتدى بي غيري
ولم يمتنع احد عن اداء الحق ۝ قال ابن الاثير وهذه الفضيلة ذخرها الله للبيت الاتابكي
فان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي فعل ما ندم السلطان محمد على تركه وقد تقدم ذلك
ولما علم الامرا وغيرهم من خلق السلطان محبة العدل واداء الحق وكراهية الظلم ومعاقبة
من يفعله اقتدوا به فامن الناس وظهر العدل وولي بعد السلطان محمد ابنه محمود وعمره يومئذ
اربع عشرة سنة فقام بالسلطنة وجرى بينه وبين عمه سنجر حرب انهزم فيها محمود وعاد
الى عمه بغير عهد فاكرمه واقطعه من البلاد من حد خراسان الى الداروم باقصى الشام وهي
من الممالك همذان واصفهان وبلاد الجبال جميعه وبلاد كرمان وفارس وخوزستان والعراق
واذربيجان وارمينيه وديار بكر وبلاد الموصل والجزيره وديار مضر وديار ربيعه والشام
وبلاد الروم الذي بيد قليج ارسلان وما بين هذه الممالك من البلاد ۝ قال ابن الاثير و[illegible]
منشور بذلك وفي سادس عشر ربيع الاخر سنه اثنتي عشرة وخمس مية توفي الامام المستظهر
بالله امير المومنين ابو العباس احمد بن المقتدي بامر الله وكان عمره احدى واربعين سنه
وستة اشهر وستة ايام وخلافته اربع وعشرون سنه وثلثه اشهر واحد عشر يوما ومضى في
ايامه ثلاثه سلاطين خطب لهم ببغداد من السلجوقيه وهم اخو ملكشاه تاج الدوله تتش
وركن الدوله بركيارق بن ملكشاه واخوه غياث الدين محمد بن ملكشاه وكان المستظهر رحمه
الله كريم الاخلاق لين الجانب مشكور المساعي يحب العلم والعلما وصنفت له التصانيف
الكثيره في الفقه والاصول وغيرهما وكان يسارع الى اعمال البر والمثوبات حسن الخط جيد
التوقيعات ولما توفي صلى عليه ولده المسترشد بالله ودفن في حجرة له كان يالفها ۝ وفي
ايامه توفي جماعه من العلما ففي شعبان سنه ثمان وثمانين واربعمية توفي قاضي القضاه ابو بكر محمد
ابن المظفر الشامي وفي ذي القعده منها توفي القاضي عبد السلام بن محمد القزويني المعتزلي
مصنف حدايق ذات بهجه في تفسير القران تزيد على ثلثمايه مجلد ۝ قال ابن الاثير
رايت منه تفسير الفاتحه في مجلد كبير ۝ وفي ذي الحجه منها توفي الامام ابو نصر الحميدي
مصنف الجمع بين الصحيحين ۝ وفي شوال سنه احدى وتسعين توفي الكامل نقيب النقبا

طراد بن محمد الزينبي وله نحو تسعين سنه ۝ وفي سنه اثنتين وخمس مية توفي ابو زكريا
التبريزي اللغوي ۝ وفي ذي الحجه منها توفي ابو الفوارس الحسين ابن علي بن الخازن صاحب
الخط المشهور ۝ وفي سنه خمس وخمس مية توفي الامام ابو حامد الغزالي ۝ وفي سنه سبع
وخمس مية توفي الامام ابو بكر محمد بن احمد الشاشي الفقيه رحمهم الله اجمعين

فصل

لما ولي السلطان محمود السلطنه اقر اخاه مسعوداً على الموصل مع اتابكه جوش بك فبقي مطيعاً
لاخيه الى سنه اربع عشره وخمس مايه فحسن له الخروج عن طاعته وطلب السلطنه فاظهر
العصيان وخطب للملك مسعود بالسلطنه وكان زنكي يشير بطاعه السلطان وترك الخلاف
عليه ويحذرهم عاقبة العصيان فلم ينفع فالتقى الاخوان في عسكريهما فانهزم عسكر مسعود
واسر جماعه من الامراء والاعيان منهم الاستاد ابو اسمعيل الحسين ابن اسمعيل الطغرائي
وزير مسعود فقتله السلطان محمود وقال قد صح عندي فساد اعتقاده ودينه وكان قد
جاوز ستين سنه وكان حسن الكتابه جيد الشعر قلت ــــ وقيل انه قتل سنه ثلاث عشره
او اربع عشره او ثماني عشره وخمس مية وقيل ان الذي قتله هو السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه
ذكر ذلك كله ابو سعد السمعاني في تاريخه وسماه الحسين بن علي بن عبد الصمد الديلمي وانشد
له اشعاراً حساناً منها ۝

اذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً لمالكه مطيعا
وان لم تملك الدنيا جميعا كما تهواه فاتركها جميعا
هما سيان من ملك ونسك ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
ومن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين يحيى بها وضيعا

ثم استامن مسعود واتابكه جوش بك فامنهما السلطان واخذ الموصل منهما فاقطعها
اق سنقر البرسقي مع اعمالها الجزيره وسنجار ونصيبين وغيرها في صفر سنه خمس عشره
وسيره اليها وامره بحفظ عماد الدين زنكي وتقديمه والوقوف عند اشارته ففعل البرسقي
ذلك وزاد عليه لما كان زنكي من العقل والشجاعه وتقدم والده في الايام الركنيه وكانت
سير ملكشاه عندهم كالشريعه المتبعه فاعظم الناس عندهم اكثرهم اتباعا لسيرته

وفي سنه ست عشره وخمس مايه اقطع اتابك زنكي مدينه واسط وشحنكيه البصره
وظهر من كفايته في البلدين ما لم يظنه احد فازداد شانه عظما وهاب الامير دبيس
ابن صدقه الاسدي صاحب الحله ناحيته وجرت بينه وبين البرسقي حروب ومواقفات
وهم دبيس بقصد بغداد فسار البرسقي اليه وتبعه الخليفه المسترشد بالله بنفسه
فانهزم عسكر دبيس وقتل منهم واسر خلق كثير وكان لعماد الدين زنكي اثر حسن في
هذه الواقعه ايضا بين يدي الخليفه وذلك في اول المحرم سنه سبع عشره واما
دبيس فانه لما انهزم لحق بالملك طغرل بن السلطان محمد وصار معه من خواص اصحابه
وكان عاصيا على اخيه السلطان محمود وامر السلطان محمد البرسقي ان يرجع الى الموصل
فعاد واستدعى زنكي من البصره ليسير معه الى الموصل فقال زنكي لاصحابه قد ضجرنا مما
نحن فيه كل يوم قد ملك البلاد امير ونومر بالتصرف على اختياره وارادته ثم تاره بالعراق
وتاره بالموصل وتاره بالجزيره وتاره بالشام فسار من البصره الى السلطان محمود فاقام
عنده وكان يقف الى جانب تخت السلطان عن يمينه لا يتقدم عليه احد وهو مقام والده
قسيم الدوله من قبله وبقي لولده من بعده ثم اتى السلطان الخبر ان العرب قد اجتمعت
ونهبت البصره فامر زنكي بالمسير اليها واقطعه اياها لما بلغه عنه من الحمايه لها في العام
الماضي وقت اختلاف العساكر والحروب ففعل ذلك فعظم عند السلطان وزاد محله
وكان قد جرى بين يرنقش الزكوي شحنه بغداد وبين الخليفه المسترشد بالله نفره
فتهدده المسترشد فسار عن بغداد الى السلطان في رجب سنه تسع عشره شاكيا
من المسترشد وحذر السلطان جانبه واعلمه انه قد جمع العساكر عازما على منعه من
العراق فسار السلطان الى بغداد وجرى بينه وبين المسترشد حروب ووقايع ثم اصطلحا
وعاد الى ما كانا عليه واقام السلطان ببغداد الى عاشر ربيع الاخر ونظر فيمن يصلح ان يلي
شحنكيه بغداد والعراق يامن معه من الخليفه ويضبط الامور فولى ذلك زنكي مضافا
الى ما بيده من الاقطاع وسار السلطان عن بغداد ٥ وفي سنه عشرين وخمس ميه قتل اق
سنقر البرسقي بالجامع العتيق بالموصل بعد صلاه يوم الجمعه ثار به من الباطنيه ما يزيد

على عشره انفس فقتل بيده منهم ثلثه وقتل رحمه الله وكان عادلا لين الاخلاق
حسن العشره وكان يصلي كل ليله صلاه كثيره ولا يستعين في وضوءه باحد
فقرر السلطان ولده عز الدين مسعودا على ما كان لابيه من الاعمال وهي الموصل وديار
الجزيره وحلب وحماه وجزيره ابن عمر وغيرها وكان شابا عاقلا فضبط البلاد فلم
تطل ايامه وتوفي سنه احدى وعشرين وولي الامر بعده اخوه الصغير وقام بتدبير
دولتهما الامير جاولي وهو مملوك تركي من مماليك ابيهما فجرت الامور على احسن نظام

فصل في ولايه زنكي الموصل وغيرها من البلاد التي كانت بيد البرسقي

وذلك في شهر رمضان من سنه احدى وعشرين وسبب ذلك ان عز الدين البرسقي لما
توفي وقام بالبلاد بعده اخوه الصغير وتولى امره جاولي ارسل الى السلطان محمود يطلب
ان يقر البلاد عليه وكان المرسل بذلك القاضي بها الدين ابو الحسن علي بن الشهرزوري
وصلاح الدين محمد الباغساني فحضرا بغداد ليخاطبا السلطان في ذلك وكانا يخافان
جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بحكمه وكان بين صلاح الدين وبين نصير الدين جقر
مصاهره فاشار عليهما ان يطلبا البلاد لعماد الدين زنكي ففعلا وقالا للوزير قد علمت
انت والسلطان ان بلاد الجزيره والشام قد استولى الفرنج على اكثرها وتمكنوا منها
وقويت شوكتهم وكان البرسقي يكف بعض عاديتهم فمنذ قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل
صغير ولا بد للبلاد من شهم شجاع يذب عنها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال اليكم لئلا
يجري خلل او وهن على الاسلام والمسلمين فنحصل نحن بالاثم من الله تعالى واللوم من السلطان
فانهى الوزير ذلك الى السلطان فاعجبه وقال من ترى ان يصلح لهذه البلاد فذكرا جماعه
فيهم عماد الدين زنكي وعظما محله اكثر من غيره فاجاب السلطان الى توليته لما علم من
شهامته وكفايته فولي البلاد جميعها وكتب منشوره بها وسار من بغداد الى البوازيج
ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره ان منعه جاولي عن البلاد فلما استولى عليها سار منها
الى الموصل فخرج جاولي اليه لقايه وعاد في خدمته الى الموصل فسيره الى الرحبه واعمالها
واقام هو بالموصل يصلح امورها ويقرر قواعدها فولى نصير الدين دزداريه قلعه الموصل

وفوض اليه امر الولايه جميعها وجعل الدزداريه في البلاد جميعها له وجعل للصلاح محمد الباغيسانى امير حاجب الدوله وجعل بها الدين قاضى قضاه بلاده جميعها وما يفتحه من البلاد ووفا لهم بما وعدهم وكان بها الدين اعظم الناس عنده منزله واكرمهم عليه واكثرهم انبساطا معه وقربا منه ورتب الامور على احسن نظام واحكم قاعده وكانت الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت اجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم وامتدت الى بلاد المسلمين ايديهم وضعف اهلها عن كف عاديهم وتتابعت غزواتهم وساموا المسلمين سوء العذاب واستطار في البلاد شررهم وامتدت مملكتهم من ناحيه ماردين وشبختان الى عريش مصر لم يتخلله من ولايه المسلمين غير حلب وحماه وحمص ودمشق وكانت سراياهم من ديار بكر الى امد ومن ديار الجزيره الى نصيبين وراس عين واما اهل الرقه وحران فقد كانوا معهم في ذل وهوان وانقطعت الطرق الى دمشق الا على الرحبه والبر ثم زاد الامر وعظم الشر حتى جعلوا على اهل كل بلد جاورهم خراجا واتاوه ياخذونها منهم ليكفوا اذيتهم عنهم بذلك حتى ارسلوا الى مدينه دمشق واستعرضوا الرقيق ممن اخذ من الروم والارمن وساير بلاد النصرانيه وخيروهم بين المقام عند اربابهم والعود الى اوطانهم فمن اختار المقام تركوه ومن اثر العود الى اهله اخذوه وناهيك بهذه الحاله ذله للمسلمين وصغارا واما اهل حلب فان الفرنج اخذوا منهم مناصفه اعمالها حتى في الرحا التي على باب الجنان وبينها وبين المدينه عشرون خطوه واما باقي بلاد الشام فكان حال اهلها اشد من حال اهل هذين البلدين فلما نظر الله سبحانه الى بلاد المسلمين ولاها عماد الدين زنكي فغزا الفرنج في عقر ديارهم واخذ للموحدين منهم بثارهم واستنقذ منهم حصونا ومعاقل وسياتي تفصيل ذلك وما فتحه من البلاد الاسلاميه هو وابنه من بعده ان شا الله تعالى ۞

ثم شرع زنكي رحمه الله في اخذ البلاد فافتتح جزيره ابن عمر ثم مدينه اربل في رمضان سنه اثنتين وعشرين ثم عاد الى الموصل وسار في جمدى الاولى سنه ثلاث وعشرين الى سنجار فتسلمها وسير منها الشحنه الى الخابور فملكه ثم قصد

الرحبه فملكت قسرا ثم افتتح نصيبين وسار الى حران وكانت الرها وسروج وغيرهما من ديار الجزيره للفرنج لعنهم الله واهل حران معهم في ضيق عظيم فراسلوا زنكي بالطاعه واستحثوه على الوصول اليهم فوصل وهادن الفرنج مده يسيره يعلم انه يفرغ فيها من الاستيلا على ما بقي له من البلاد الشاميه والجزيره وكان اهم الاشيا عنده عبور الفراه وملك مدينه حلب وغيرها من البلاد الشاميه فلما عبر الفراه ملك مدينه منبج وحصن بزاعه وحاصر حلب ثم فتحت له فرتب امورها وسار عنها الى حماه فملكها وقبض على صاحب حمص وحصرها وذلك سنه ثلث وعشرين وفي سنه اربع وعشرين اتفق صاحب امد مع صاحب حصن كيفا وغيرهم من الملوك وجمعوا عساكر نحو عشرين الفا وقصدوا زنكي فلقيهم فهزمهم وملك سرجه ودارا ثم صمم على الجهاد فنازل حصن الاثارب وكان اضر شي على اهل حلب فجمع الفرنج جمعا عظيما فهزمهم وقتلهم مقتله عظيمه بقيت عظام القتلى بتلك الارض مده طويله ثم رجع الى الحصن فملكه عنوه فاخربه ومحى اثره وازال من تلك الارض ضرره ثم رحل الى حصن حارم فانفذ من لم يحضر المعركه من الفرنج ومن نجا منها يسالون الصلح ويبذلون له المناصفه على ولايه حارم فاجابهم الى ذلك لان عسكره كان قد كثرت فيهم الجراحات والقتل فاراد ان يستريحوا فهادنهم وعاد عنهم وقد ايقن المسلمون بالشام بالامن وحلول النصر وسيرت البشاير الى البلاد بذلك ۞ وفيها استولى زنكي على مدينه حماه وما فيها وكان فيها بها الدين سونج بن تاج الملوك بوري فاخذه ورجاله ثم طلب في اطلاقهم خمسين الف دينار فاتفق حضور دبيس بن صدقه بن مزيد امير العراق بدمشق منهزما فطلبه زنكي واطلق من كان عنده من سونج واصحابه ذكر ذلك الرييس ابو يعلى ۞ وفي سنه خمس وعشرين وخمسمايه توفي السلطان محمود بهمذان وكان عمره نحو ثمان وعشرين سنه وكانت ولايته ما يقارب اربع عشره سنه وكان حليما كريما عاقلا عادلا كثير الاحتمال وطلب السلطنه بعده ولده داود بن محمود واخواه مسعود وسلجوقشاه ابنا محمد وعمهما سنجر بن ملكشاه ومعه طغرل بن السلطان محمد فجرت بينهم حروب واختلافات كثيره ظفر فيها سنجر بن ملكشاه ومعه طغرل بن السلطان وخطب

لابن اخيه طغرل بالسلطنه فى همذان واصفهان والرى وساير بلاد الجبل ۞ وفى سنه
سبع وعشرين سار الخليفه المسترشد بنفسه الى الموصل فى ثلثين الف فارس فحصرها
ثلثه اشهر ثم عاد الى بغداد ولم يبلغ غرضا ۞ وفى سنه تسع وعشرين استولى زنكى على
ساير قلاع الحميديه وولاياتهم منها قلعه العقر وقلعه شوش وحاصر مدينه امد ثم مدينه
دمشق ۞ وفيها توفيت والدته بالموصل ۞ وفى المحرم سنه تسع وعشرين توفى السلطان
طغرل بن محمد بن ملكشاه فخرج السلطان مسعود والتقى هو والخليفه المسترشد فى عسكرين
عظيمين عاشر رمضان فهزم عسكر الخليفه وقبض عليه وعلى خواصه وانفذ السلطان شحنه
الى بغداد فقبض جميع املاك الخليفه وهجم جماعه من الباطنيه على المسترشد وهو فى
الخيمه فقتلوه وكتب السلطان الى شحنه بغداد يامر بالبيعه لابنه ابى جعفر المنصور ابن
المسترشد فبايعه فى السادس والعشرين من ذى القعده ولقب بالراشد وكان عمر
المسترشد ثلثا واربعين سنه وثلثه اشهر وثمانيه ايام وكانت خلافته سبع عشره
سنه وستة اشهر وكان شهما شجاعا مقداما فصيحا وتمكن فى خلافته تمكنا عظيما لم
ير احد ممن تقدمه من الخلفا من عهد المستنصر بالله الى خلافته الا ان يكون المعتضد
والمكتفى لان المماليك كانوا قديما يخلعون الخلفا ويحكمون عليهم ولم يزالوا كذلك الى ملك
الديلم واستيلائهم على العراق فزالت هيبه الخلافه بالمره الى انقراض دوله الديلم
فلما ملكوا السلجقيه جددوا من هيبة الخلافه ما كان قد درس لا سيما فى وزاره نظام الملك
فانه اعاد الناموس والهيبه الى احسن حالاتها الا ان الحكم والشحنه بالعراق كان الى السلطان
وكذلك العمد وضمان البلاد لم يكن للخلفا الا اقطاع ياخذون دخله واما المسترشد فانه
استبد بالعراق بعد السلطان محمود ولم يكن للسلطان محمود معه فى كثير من الاوقات سوى
الخطبه واجتمعت عليه العساكر وقاد الجيوش وباشر الحروب ۞ وفى سنه ثلثين وخمسمه
سار الراشد الى الموصل صحبه زنكى ملتجيا اليه وذلك ان جماعه حسنوا له الخروج من بغداد
لمحاربة السلطان مسعود فاجابهم الى ذلك وظهر منه تنقل فى الاحوال وتلون فى الارا
وقبض على جماعه من اعيان اصحابه وخافه الباقون وتقدم السلطان مسعود وحصر بغداد

واستظهر

واستظهر عليها فخرج الراشد ملتجيا الى زنكى فسار به الى الموصل ودخل مسعود بغداد
وامر بخلع الراشد ومبايعه عمه ابى عبد الله محمد بن المستظهر بالله ففعل ذلك ولقب
المقتفى لامر الله واما الراشد فان السلطان سنجر ارسل الى اتابك يامره باخراجه عن بلده
فسار الى اذربيجان ثم الى همذان فاجتمع اليه ملوك وعساكر كثيره وسار السلطان اليهم
فتصافوا فانهزم الراشد وقصد اصبهان فقتله الباطنيه بها فى السابع والعشرين
من رمضان سنه اثنتين وثلثين وخمسمئه ودفن باصبهان ۞ وفى سنه اثنتين وثلثين ايضا
تزوج زنكى بالخاتون صفوه الملك زمرد ابنه الامير جاولى ام شمس الملوك اسمعيل واخوته
بنى تاج الملوك بورى بن طغتكين اتابك وهى اخت الملك دقاق واليها ينسب مسجد خاتون
الذى هو مدرسه لاصحاب ابى حنيفه باعلى الشرف القبلى بارض دمشق بارض صنعا
وتسلم قلعه حمص **فصل** فى جهاد زنكى للفرنج كان فى سنه اثنتين
وثلثين خرج ملك الروم من القسطنطينيه ومعه خلق عظيم لا يحصون كثره من الروم
والفرنج وغيرهم من انواع النصارى فقصد الشام فخاف الناس خوفا عظيما وكان زنكى
مشغولا بما تقدم ذكره لا يمكنه مفارقه الموصل فقصد ملك الروم مدينه بزاعه
وحصرها وهى على مرحله من حلب وفتحها عنوه وقتل المقاتله وسبى الذريه فى شعبان
ثم سار عنها الى شيزر وهى حصن منيع على مرحله من مدينه حماه فحصرها منتصف شعبان
ونصب عليها ثمانيه عشر منجنيقا وارسل صاحبها ابو العساكر سلطان بن منقذ الى
زنكى يستنجده فنزل على حماه فكان يركب كل يوم فى عساكره ويسير الى شيزر بحيث يراه
ملك الروم ويرسل السرايا يتخطف من يخرج من عساكرهم للميره والنهب ثم يعود اخر
النهار وكان الروم والفرنج قد نزلوا على شرقى شيزر فارسل اليهم زنكى يقول لهم انكم قد
تحصنتم بهذه الجبال فاخرجوا عنها الى الصحرا حتى نلتقى فان ظفرتم اخذتم شيزر وغيرها
وان ظفرت بكم اراحت المسلمين من شركم ولم يكن له بهم قوه لكثرتهم وانما كان يفعل
هذا ترهيبا لهم فاشار الفرنج على ملك الروم بلقايه وقتاله وهونوا امره فقال لهم الملك
اتظنون ان معه من العساكر ما ترون وله البلاد الكثيره وانما هو يريكم قله من معه لتطمعوا

ونصروا له فحينئذ ترون من كثرة عسكره ما يعجزكم وكان اتابك زنكي مع هذا
يراسل فرنج الشام ويحذرهم ملك الروم ويعلمهم انه ان ملك بالشام حصنا واحدا
اخذ البلاد التي بايديهم منهم وكان يراسل ملك الروم يتهدده ويوهمه ان الفرنج معه
فاستشعر كل واحد من الفرنج والروم من صاحبه فرحل ملك الروم عنها في رمضان وكان
مقامه عليها اربعه وعشرين يوما وترك المجانيق والات الحصار بحالها فسار زنكي خلفهم
وظفر بطايفة منهم في ساقه العسكر فغنم منهم وقتل واسر واخذ جميع ما خلفوه ورفع
الى قلعه حلب وكفى الله المومنين القتال وكان المسلمون بالشام قد اشتد خوفهم وعلموا
ان الروم ان ملكوا حصن شيزر لا يبقى لمسلم معهم مقام لا سيما مدينه حماه لقربها ولما يسر
الله تعالى هذا الفتح مدح الشعرا الشهيد اتابك فاكثروا منهم ابو المجد المسلم بن الخضر
ابن المسلم بن قسيم الحموي له قصيده قد ذكرتها في ترجمته في التاريخ اولها ۞

بعزمك ايها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتستقيم
الم تر ان كلب الروم لما تبين انه الملك الرحيم
فجا يطبق الفلوات خيلا كان الجحفل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاه فكان لخطبه الخطب الجسيم
فحين رميته بك في خميس تيقن ان ذلك لا يدوم
وابصر في المفاضه منك جيشا فاحزن لا يسير ولا يقيم
كانك في العجاج شهاب نور توقد وهو شيطان رجيم
اراد بقا مهجته فولى وليس سوى الحمام له حميم
يومل ان تجود بها عليه وانت بها وبالدنيا كريم
اليلتمس الفرنج لديك عفوا وانت بقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها غصص المنايا بيوم فيه يكتهل الفطيم
ولما ان طلبتهم تمنى المنيه جوسلينهم اللييم
اقام يطوف الافاق حينا وانت على معاقله مقيم

فسار وما يعادله مليك وعاد وما يعادله سقيم
اذا خطرت سيوفك في نفوس فاول ما يفارقها الجسوم ۞ وله ايضا من قصيده
مدح بها صلاح الدين محمد بن ايوب العمادي النونان صاحب حماه ۞
وما جا كلب الروم الا ليحتوي حماه وما يسطو على الاسد الكلب
اراد بها ان يملك الشام عنوة وقد غلبت عنه الضراغمه الغلب
وما ذم فيها العيش حتى صدمته فمال جناح الجيش وانكسر القلب
فولى واطراف الرماح كانها نجوم عليه بالمنيه تنصب ۞ ولابن منير من
قصيده في مدح اتابك زنكي رحمه الله سياتي بعضها عند ذكر فتحه مدينه الرها ان شا
الله تعالى ۞ وما يوم كلب الروم الا اخو الذي ازحت به ما في الجناجن من نبل
اتاك بمثل الروم حشدا وانه ليفضل اضعافا كثيرا عن الرمل
ففاتلته بالله ثم بعزمة تصك قلوب العاشقين بها تسلي
توهم ان الشام مرعى وما دري بانك امضى منه في الشرز والسحل
فطار وخير المغنمين دماوه واذادعنه مغنم المال والاهل ۞ قال ابن الاثير ومن
عجايب ما يحكى في هذه الحادثه ان الخبر لما وصل بقصد الروم شيزر قال الامير مرشد
ابن علي اخو صاحبها وهو ينسخ مصحفا فرفعه بيده وقال اللهم بحق من انزلته عليه ان
قضيت بمجي الروم فاقبضني اليك فتوفي بعد ايام ونزل الروم بعد وفاته ولما عاد الروم
الى بلادهم نزل اتابك الى حصن عرقه وهو من اعمال طرابلس فحصره وفتحه عنوة ونهب ما
فيه واسر من به من الفرنج واخربه وعاد سالما غانما وفيها ملك قلعه دارا من حسام
الدين تمرتاش ۞ وفيها توفي بها الدين علي بن القسم الشهرزوري قاضي الممالك الاتابكيه
وكان اعظم الناس منزله عنده ۞ وفيها ولد صلاح الدين يوسف بن ايوب بتكريت
فصل في فتح شهرزور وبعلبك وحصار دمشق قال ابن الاثير كانت
شهرزور واعمالها وما يجاورها من البلاد والجبال في يد قفجق بن ارسلان تاش التركماني وكان
ملكها نافذ الحكم على قاصي التركمان ودانيهم يرون طاعته فرضا حتما فتحاما الملوك قصده لانه

انتضى ان صح

ولم يتعرضوا لها لحصانتها فعظم شانه وازداد جمعه فلما كان سنه اربع وثلثين بلغ
الشهيد اتابك عنه ما اقصده بلاده فهزم عسكره وملك بلاد شهرزور وغيرها
فاضافها الى بلاده واصلح احوال اهلها وخفف عنهم ما كانوا يلقونه من التركمان وعاد
الى الموصل عازما على المسير الى الشام فانه كان لا يرى المقام بل لا يزال ظاعنا اما الى عدو
يقصده واما لقصد بلاد عدو واما لغزو الفرنج وسد الثغور وكانت مباشرة السروج اثر عنده
من وثير المهاد والسهر في حراسه المملكه احب اليه من عرض الوساد واصوات السلاح
الذي يسمعه من الغنا لا يجد لذلك كله عنا ۞ وفي هذه السنه وهي سنه اربع وثلاثين
ولد تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب بن شاذي ۞ وفيها سار الشهيد في جنوده بعد
ملك شهرزور الى مدينه دمشق فحصرها وصاحبها حينيذ جمال الدين محمد بن بوري بن
طغتكين وكان محكوما عليه والغالب على امره معين الدين انر مملوك جده طغتكين وكان
اتابك قد امر كمال الدين ابا الفضل بن الشهرزوري بمكاتبه جماعه من مقدمي احداثها
وزناطرتها واستمالتهم واطماعهم في الرغايب والصلات ففعل ذلك فاجابه منهم خلق
كثير الى ان يسلم البلد وخرجوا متنفرقين الى كمال الدين وجدد عليهم العهود وتواعدوا
يوما يزحف فيه الشهيد الى البلد ليفتحوا له الباب ويسلموا البلد اليه فاعلم كمال الدين الشهيد
اتابك بذلك فقال لا ارى هذا رايا فان البلد ضيق الطرق والشوارع ومتى دخل العسكر اليه
لا يتمكنون من القتال فيه لضيقه وربما كثر المقاتلون لنا فنعجز عن مقاومتهم لانهم
يقاتلون على الارض والسطوحات واذا دخلنا البلد اضطررنا الى التفريق لضيق المسالك
فيطمع فينا اهله وعاد عن ذلك العزم بحزمه وحذقه ۞ ومن العجب ان محمد بن بوري صاحب
دمشق توفي واتابك يحصره فضبط انر الامور وساس البلد فلم يتغير بالناس حال
وارسل الى بعلبك فاحضر ولده مجير الدين ابق بن محمد بن بوري ورتبه في الملك مكان
ابيه فمشى الحال بتمكين معين الدين انر وحسن تدبيره وهذا مجير الدين ابق هو الذي
منه اخذ نور الدين محمود بن زنكي دمشق كما سياتي ولما دخل مجير الدين دمشق اقطع
بعلبك معين الدين انر فارسل اليها نايبه وتسلمها فلما علم الشهيد ذلك سار الى بعلبك

وحصرها

وحصرها عدة شهور فملكها عنوه وترك بها نجم الدين ايوب والد صلاح الدين دزدارا
وعزم على العود عنها الى دمشق فجاءته رسل صاحبها ببذل الطاعه والخطبه فاجابه الى
ذلك وعاد عن قصد دمشق وقد خطب له فيها وصار صاحبها في طاعته وتحت حكمه ۞
قال يحيى بن ابي طي الحلبي واتفق ان الامرا لما نزلوا من بعلبك افسدوا ذخايرها
فقبض عليهم اتابك زنكي وقتل بعضهم وصلبهم وكان ولي قتلهم صلاح الدين محمد بن ايوب
الباغيساني فحكى انه احضر اليه في جمله الامرا شيخ مليح الشيبه ومعه ولد له امرد كانه
فلقه قمر فقال الشيخ لصلاح الدين سالتك بحياه المولى اتابك الا صلبتني قبل ولدي لئلا اراه
يعالج سكرات الموت وبكا وكان نجم الدين ايوب واقفا فرحم الشيخ وبكا وسال صلاح
الدين في اطلاقه فقال ما افعل خوفا من المولى اتابك فذهب نجم الدين الى اتابك وساله في
الشيخ وولده وقص عليه ما قاله فاذن باطلاقه واطلاق من بقي من الجماعه ووهبه نصف
بعلبك وقيل ان نجم الدين ورد على اتابك وهو قد ملك بعلبك فساله في الامرا فاطلقهم له
وولاه بعلبك وكتب له ثلثها ملكا واستقر فيها هو واهله ولم يزل بها الى ايام نور الدين
محمود بن زنكي فاخرجه منها على ما سنذكره ثم ان اتابك بعد ملكه بعلبك سار الى دمشق
فنزل البقاع فوردت هديه صاحب دمشق ويطلب العود ويعطيه خمسين الف دينار
ويعطيه حمص فاشار نجم الدين عليه بقبول ذلك وقال هذا مال كثير وقد حصل بلا تعب
وبلد كبير بلا عنا ودمشق بلد عظيم وقد الف اهله هذا البيت وتمرنوا على سياستهم وقد
بلغتهم الاحوال التي جرت ببعلبك فامتنع زنكي من قبول ما اشار به ففاته ذلك ولم يظفر
بغرضه **فصل** ثم سار اتابك الشهيد في هذه السنه وهي سنه اربع وثلثين الى
بلاد الفرنج فاغار عليها واجتمع ملوك الفرنج وساروا اليه فلقيهم بالقرب من حصن بارين وهو
للفرنج فصبر الفريقان صبرا لم يسمع بمثله الا ما يحكى عن ليله الهرير ونصر الله المسلمين وهرب
ملوك الفرنج وفرسانهم فدخلوا حصن بارين وفيهم ملك القدس لانه كانه اقرب حصونهم واسلموا
عدتهم وعتادهم وكثر فيهم الجراح ثم سار الشهيد الى حصن بارين فحصره حصرا شديدا
فراسلوه في طلب الامان ليسلموا ويسلموا الحصن فابى الا اخذهم قهرا فبلغه ان من بالساحل

من الفرنج فسار وا الى الروم والفرنج يستنجد وبهم ويهونون اليهم ما فيه ملوكهم من
الحصر فجمعوا وحشدوا واقبلوا الى الساحل ومن بالحصن لا يعلمون بشيء من ذلك
لقوة الحصر عليهم فاعادوا مراسلته في طلب الامان فاجابهم وتسلم الحصن وساروا
فلقيتهم امداد النصرانية فسالوهم فاخبروهم بتسليم الحصن فلاموهم وقالوا عجزتم عن
حفظه يوما او يومين فحلفوا لهم انا لم نعلم بوصولكم ولم يبلغنا عنكم خبر منذ حصرنا والى الان
فلما عميت الاخبار عنا ظننا انكم قد اهملتم امرنا فحقنا دماءنا بتسليم الحصن ○ قال
وكان حصن بارين من اضر بلاد الفرنج على المسلمين فان اهله كانوا قد اخربوا ما بين حماه
وحلب من البلاد ونهبوها وتقطعت السبل فازال الله تعالى بالشهيد رحمه الله هذا
الضرر العظيم وفي مدة مقامه على حصن بارين سير جنده الى المعرة وكفر طاب وتلك
الولاية جميعها فاستولى عليها وملكها وهي بلاد كبيرة وقرايا عظيمة قلت وقد
قال القيسراني يذكر هزيمة الفرنج ويمدح زنكي قصيدة اولها ○

حذار منا وانى ينفع الحذر … هي الصوارم لا تبقي ولا تذر
واين ينجو ملوك الشرك من ملك … من خيله النصر لا بل جنده القدر
سلوا سيوفا كاغماد السيوف بها … صالوا فما غمدوا نصلا ولا شهروا
حتى اذا ما عماد الدين ادهمهم … في مازق من سناه يبرق البصر
ولوا يضيق بهم ذرعا مسالكهم … والموت لا ملجا منه ولا وزر
وفي المسافة من دون النجاة لهم … طول وان كان في اقطارها قصر
واصبح الدين لا عينا ولا اثرا … يخاف والكفر لا عين ولا اثر
فلا تخف بعدها الافرنج قاطبة … فالقوم ان نفروا الوي بهم نفر
ان قاتلوا قتلوا او حاربوا حربوا … او طاردوا طردوا او حاصروا حصروا
وطالما استفحل الخطب البهيم بهم … حتى اتى ملك اراه غرر
والسيف مقترع ابكار انفسهم … ومن هنالك قيل الصارم الذكر
لا فارقت ظل محيي العدل لامعة … كالصبح تطوي من الاعداء ما نشروا

ولا انثنى النصر عن انصار دولته … بحيث كان وان كانوا به نصروا
حتى تعود ثغور الشام ضاحكة … كانما حل في اكنافها عمر ○ وقال ابن منير

فدتك الملوك وايامها … ودام لنفسك ابرامها ○
وزلت لعيبك اقدامها … وزال البطش الغدر امها
ولو لم تسلم اليك القلوب … هواها لما صح اسلامها ○
ايا محيي العدل المانعه … ايامي البرايا وايتامها
ومستنقذ الدين من امة … اذا الحاربت اصنامها ○
دلفت لها تنتقيك الاسود … والبيض والسمر اجامها
جززت جزيرتها بالسيوف … حتى تشاءم ما شامها ○
وصارت عواري اكنافه … متى شيت ارخص مستامها

قال ابن الاثير ولما وصل الروم والفرنج الى الشام ورأوا الامر قد فات ارادوا جبر مصيبتهم
بمنازلة بعض بلاد المسلمين فنازلوا حلب وحصروها فلم ير الشهيد ان يخاطر بالمسلمين
ويلقاهم لانهم كانوا في جمع عظيم فانحاز عنهم ونزل قريبا منهم يمنع عنهم الميرة ويحفظ اطراف
البلاد من انتشار العدو فيها والاغارة عليها وارسل القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري الى
السلطان مسعود ينهي اليه الحال بامر البلاد وكثرة العدو ويطلب منه النجدة وارسال
العساكر فقال له كمال الدين اخاف ان تخرج البلاد من ايدينا ويجعل السلطان هذا حجة ويبعث
العساكر فاذا توسطوا البلاد وملكوها فقال الشهيد ان هذا العدو قد طمع في وان اخذ حلب
لم يبق بالشام اسلام وعلى كل حال فالمسلمون اولى بها من الكفار قال فلما وصلت الى بغداد
واديت الرسالة وعدني السلطان بانفاذ العساكر ثم اهمل ذلك ولم يتحرك فيه بشي وكتب
الشهيد الي منصله يحثني على المبادرة بانفاذ العساكر وانا اخاطب فلا ازاد على الوعد قال
فلما رايت اهتمام السلطان بهذا الامر العظيم احضرت فلانا وهو فقيه كان ينوب عني في القضا
فقلت خذ هذه الدنانير وفرقها في جماعة من اوباش بغداد والاعاجم واذا كان يوم الجمعة وصعد
الخطيب المنبر بجامع القصر قاموا واشعهم واستغاثوا بصوت واحد وااسلاماه وادين
محمداه ويخرجون من الجامع ويقصدون دار السلطنة مستغيثين ثم وضعت انسانا اخر
يفعل مثل ذلك في جامع السلطان فلما كان يوم الجمعة وصعد الخطيب المنبر قام ذلك الفقيه
وشق ثوبه والقى عمامته عن راسه وصاح وتبعه اولئك النفر بالصياح والبكا فلم يبق بالجامع
الا من قام يبكي وبطلت الجمعة وسار الناس كلهم الى دار السلطان وقد فعل اولئك الذين بجامع

السلطان مثلهم فاجتمع اهل بغداد وكل من بالعسكر عند دار السلطان يبكون ويصرخون
ويستغيثون وخرج الامر عن الضبط وخاف السلطان في داره وقال ما الخبر فقيل له ان
الناس قد ثاروا حيث لم ترسل العساكر الى الغزاه فقال احضروا ابن الشهرزوري قال فحضرت
عنده وانا خايف منه الا انني قد عزمت على صدقه وقول الحق فلما دخلت عليه قال يا قاضي ما
هذه الفتنه فقلت ان الناس قد فعلوا هذا خوفا من الفتنه والشر ولا شك ان السلطان ما يعلم
كم بينه وبين العدو وانما بينكم نحو اسبوع ولئن اخذوا حلب انحدروا اليك في الفرات وفي البر
وليس بينكم بلد يمنعهم عن بغداد وعظمت الامر عليه حتى جعلته كانه ينظر اليهم فقال اردد هولاء
العامه عنا وخذ من العساكر ما شئت وسيرهم والامداد تلحقك قال فخرجت الى العامة
ومن انضم اليهم فاخبرتهم وعرفتهم الحال وامرتهم بالعود فعادوا وتفرقوا وانتخبت من عسكره
عشرة الف فارس وكتبت الى الشهيد اعرفه الحال وانه لم يبق غير المسير واجدد استيذانه
في ذلك فامرني بتسييرهم والحث على ذلك فعبرت العساكر الجانب الغربي فبينما نحن
نتجهز للحركه واذا قد وصل نجاب من الشهيد يخبر بان الروم والفرنج قد رحلوا عن حلب خائبين
لم ينالوا منها غرضا ويامرني بترك استصحاب العساكر فلما خوطب السلطان في ذلك اصر
على انفاذ العساكر الى الجهاد وقصد بلاد الفرنج واخذها وكان قصده ان تطا عساكره البلاد
بهذه الحجة فيملكها فلم ازل اتوصل مع الوزير واكابر الدوله حتى اعيدت العساكر الى الجانب الشرقي
وسرت الى الشهيد قال ابن الاثير فانظروا الى هذا الرجل الذي هو خير من عشرة الاف
فارس يعني كمال الدين رحم الله الشهيد فلقد كان ذا همة عاليه ورغبه في الرجال ذوي الراي
والعقل يرغبهم ويخطبهم من البلاد ويوفر لهم العطاء حكى لي والدي قال قيل للشهيد ان هذا
كمال الدين يحصل له منك في كل سنه ما يزيد على عشرة الاف دينار اميريه وغيره يقنع منك
بخمس مايه دينار فقال لهم بهذا العقل والراي تدبرون دولتي ان كمال الدين يقل له هذا
القدر وغيره يكثر له خمس مئة دينار فان شغلا واحدا يقوم به كمال الدين خير من مايه الف
دينار وكان كما قال رحمه الله تعالى ه **فصل** قال وفي سنه سبع وثلثين سار
الشهيد الى بلد الهكاريه وكان بيد الاكراد وقد اكثروا في البلاد الفساد الا ان نصير الدين
جقر

جقر نايب السلطان الشهيد بالموصل كان قد ملك كثيرا من بلادهم فلما بلغها الشهيد
حصر قلعه الشعباني وهي من اعظم قلاعهم واحصنها فملكها واخربها وامر ببنا قلعه
العماديه عوضا عنها وكانت هذه العماديه حصنا كبيرا عظيما فاخربه الاكراد لعجزهم عن حفظه
لكبره فلما ملك الشهيد اتابك البلاد التي لهم قال اذا عجز الاكراد عن هذا الحصن فانا بحول
الله لا اعجز عنه فامر ببنايه وكان رحمه الله ذا عزم ونفاذ امر فبني وسماه القلعه العماديه
نسبه الى لقبه عماد الدين وفي هذه السنه خطب لاتابك بامد وكان قد ارسل الى صاحبها
يطلب منه الانفصال عن موافقه ركن الدوله داود صاحب الحصن والانتما الى خدمته
والخطبه له فاجابه الى ذلك ه وفيها ملك الشهيد مدينه عانه وفيها حصر مدينه حمص
مرة اخرى وفتحها في شوال وقصد ولايه دمشق فشتى بها ه وفي سنه ثمان وثلثين عزم
السلطان مسعود على قصد الموصل بعساكره وكان قد وقع بينه وبين الشهيد وحشه
فترددت الرسل بينهما حتى استقرت الحال على مايه الف دينار اميريه يحملها الشهيد الى السلطان
وطلب ان يحضر الشهيد في خدمته فامتنع واعتذر باشتغاله بالفرنج فعذره وشرط عليه
فتح الرها وكان من اعظم الاسباب في تاخر السلطان عن قصد الموصل انه قيل له ان البلاد
لا يقدر على حفظها من الفرنج غير اتابك عماد الدين فانها قد وليها قبله مثل جاولي سقاوه ومودود
وجيوش بك والبرسقي وغيرهم من الاكابر وكان السلاطين يمدونهم بالعساكر الكثيره ولا
يقدرون على حفظها ولا يزال الفرنج ياخذون منها البلد الى ان وليها اتابك فلم يمده احد
من السلاطين بفارس واحد ولا بمال ومع هذا فقد فتح من بلاد العدو عدة حصون وولايات
وهزمهم غير مرة واستضعفهم وعز الاسلام به ومن الاسباب المانعه له ايضا ان الشهيد كان
لا يزال ولده الاكبر سيف الدين غازي في خدمة السلطان مسعود بامر والده وكان السلطان
يحبه ويكرمه ويعتمد عليه ويثق به فارسل اليه الشهيد يامره بالهرب والمجي الى الموصل
وارسل الى نايبه بالموصل يامره ان يمنعه من دخول الموصل ومن المسير اليه ايضا ففعل ذلك
وقال له ترسل الى والدك تستاذنه في الذي تفعله فارسل له فعاد الجواب انني لا اريدك مهما
السلطان ساخط عليك فالزمه بالعود اليه فعاد ومعه رسول الى السلطان يقول له انني لما

بلغني ان ولدي فارق الخدمه بغير اذن لم اجتمع به ورددته الى اتابك فحل هذا
عند السلطان محلا كبيرا واجاب الى ما اراد الشهيد ولما استقر المال حمل منه
نحو عشرين الف دينار ثم ان الامور تقلبت وعاد اصحاب الاطراف خرجوا على السلطان
فاحتاج الى مداراة الشهيد واطلق له الباقي استمالة له ۝ وفي هذه السنه سار الشهيد
الى ديار بكر ففتح عده بلاد منها طنزه واسعرد وملك مدينه المعدن الذي يعمل منه
النحاس من ارمينيه ومدينه حيزان واخذ من اعمال ماردين عده مواضع ورتب امور الجميع
وملك مدينه حاني وحاصر امد وارسل عسكرا الى مدينه عانه فملكها له وقد تقدم
ذكرها في السنه قبلها **فصل** في فتح الشهيد الرها في جمدى الاخره من سنه
تسع وثلثين وخمس مئه وكانت لجوسلين وهو عاتي الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم
وفرسانهم وكانت مده حصاره لها ثمانيه وعشرين يوما واعادها الى حكم الاسلام وهذه
الرها من اشرف المدن عند النصارى واعظمها محلا وهي احدى الكراسي عندهم فاشرفها البيت
المقدس ثم انطاكيه ثم روميه ثم قسطنطينيه والرها وكان على المسلمين من الفرنج الذين بالرها
شر عظيم وملكوا من نواحي ماردين الى الفرات على طريق شبختان عده حصون كسروج والبيره
وجملين والموزر وكانت غاراتهم تبلغ مدينة امد من ديار بكر وماردين ونصيبين وراس عين
والرقه واما حران فكانت معهم في الخزي كل يوم قد صبحوها بالغاره فلما راى الشهيد الحال
هكذا انف منهم وعلم انه لا ينال منها غرضا ما دام جوسلين بها فاخذ في اعمال الحيل والخداع
لعل جوسلين يخرج منها الى بعض البقاع فتشاغل عنها بقصد ما جاورها من ديار بكر
التي بيد الاسلام كحاني وجبل جور وامد فكان يقاتل من بها قتالا لا فيه ابقا وهو يسر حسوا
في ارتغاء فهو يخطبها وعلى غيرها يحوم ويطلبها وسواها يروم ووكل بها من يخبره بخلو عرينها
من اساده وفراغ حصنها من انصاره واجناده فلما راى جوسلين اشتغال الشهيد بحرب اهل
ديار بكر ظن انه لا فراغ له اليه وانه لا يمكنه الاقدام عليه ففارق الرها الى بلاده الشاميه
ليلاحظ اعماله ويتعهد ذخايره وامواله فاقبل الشهيد مسرعا بعساكره الى الرها ثم
وصف ابن الاثير الجيش وانشد ۝

بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحرا من سلاح
والسنة من العذبات حمر تخاطبنا بافواه الرياح
واروع جيشه ليل بهيم وغرته عمود الصباح
صفوح عند قدرته ولكن قليل الصفح ما بين الصفاح
فكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح ۝ والح الشهيد في حصارها
فملكها عنوة فاستباحها ونكس صلبانها واباد قسوسها ورهبانها وقتل شجعانها
وفرسانها وملا الناس ايديهم من النهب والسبي ثم انه دخل البلد فراقه فانف لمثله
من الخراب فامر باعاده ما اخذ منه من اثاث ومال وسبي ورجال وجوار واطفال
فردوا عن اخرهم لم يفقد منهم الا الشاذ والنادر فعاد البلد عامرا بعد ان كان داثرا ثم
رتب البلد واصلح من شانه وسار عنه فاستولى على ما كان بيد الفرنج من المدن والحصون
والقرايا كسروج وغيرها واخلى الديار الجزريه من معره الفرنج وشرهم واصبح اهلها بعد
الخوف امنين وكان فتحا عظيما طار في الافاق ذكره وطاب بها نشره وشمله خلق كثير
من الصالحين والاولياء قال ابن الاثير حكى لي جماعه اعرف صلاحهم انهم راوا يوم فتح الرها
الشيخ ابا عبدالله بن علي بن مهران الفقيه الشافعي وكان من العلما العاملين والزاهدين في
الدنيا المنقطعين عنها وله الكرامات الظاهره ذكروا عنه انه غاب عنهم في زاويته يومه
ذلك ثم خرج عليهم وهو مستبشر مسرور وعنده من الارتياح ما لم يروه ابدا فلما قعد عنهم قال
حدثني بعض اخواننا ان اتابك زنكي فتح مدينه الرها وانه شهد معه فتحها يومنا هذا ثم
قال ما يضرك يا زنكي ما فعلت بعد اليوم يردد هذا القول مرارا فضبطوا ذلك اليوم فكان
يوم الفتح ثم ان نفرا من الاجناد حضروا عند هذا الشيخ وقالوا له منذ رايناك على السور
نكبر ايقنا بالفتح وهو ينكر حضوره وهم يقسمون انهم راوه عيانا ۝ قال وحكى لي
بعض العلما بالاخبار والانساب وهو اعلم من رايت بها قال كان ملك الجزيره صقليه من الفرنج
لما فتحت الرها وكان بها بعض الصالحين من المغاربه المسلمين وكان الملك يحضره ويكرمه
ويرجع الى قوله ويقدمه على من عنده من الرهبان والقسيسين فلما كان الوقت الذي فتحت فيه

الرهاحي

الرها شير هذا ملك الفرنج جيشًا في البحر الى افريقيه فنهبوا واغاروا واسروا وجآت الاخبار الى الملك وهو جالس وعنده هذا العالم المغربي وقد نعس وهو شبيه النايم فايقظه الملك وقال يا فقيه قد فعل اصحابنا بالمسلمين كيت وكيت اين كان محمد عن نصرتهم فقال له كان قد حضر فتح الرها فتضاحك من عنده من الفرنج فقال لهم الملك لا تضحكوا فوالله ما قال عن غير علم واشتد هذا على الملك فلم يمض غير قليل حتى اتاهم الخبر بفتحها على المسلمين فانساهم شدة هذا الوهن وجاد ذلك الخبر لعلو منزلة النصرانيه عندهم قال وحكى لي الصالح غير واحد ممن اثق اليهم ان رجلا من الصالحين قال رايت الشهيد بعد قتله في المنام في احسن حال فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي قلت بماذا قال بفتح الرها قلت وهناه القيسراني عند فتح الرها بقصيده اولها ○

هو السيف لا يغنيك الا جلاده وهل طوق الاملاك الا نجاده
وعن ثغر هذا النصر فلتأخذ الظبا سناها وان فات العيون اتقاده
سمت قبة الاسلام فخرا بطوله ولم يك يسمو الدين لولا عماده
وذاد قسيم الدوله بن قسيمها عن الله ما لا يستطاع ذياده
ليهن بني الايمان ان ترفعت رواسيه عزا واطمان مهاده
وفتح حديث في السماع حديثه شهي الى يوم المعاد معاده
اركح قلوبا طرن عن وكناتها عليها فوافي كل صدر فواده
لقد كان في فتح الرها دلالة على غير ما عند العلوج اعتقاده
يرجون ميلاد ين مريم نصرة ولم يغن عند القوم عنه ولاده
مدينة افك منذ خمسين حجة يفل حديد الهند عنها حداده
تفوت مدى الابصار حتى لو انها ترقت اليه خان طرفا سواده
وجامحة عن الملوك قيادها الى ان ثناها من يعز قياده
فاوسعها حز القراع موتد بضيم يزين الال ... سداده
كان شنا لمع الاسنه حوله سوار ولكن في يديه زناده
فاضى بها نادر ين حربا وخدعة فما راع الا سورها وانهداده
فصدت صدود البكر عند افتضاضها وهيهات كان السيف حتما سفاده
فيا ظفرا عم البلاد صلاحه بمن كان قد عم البلاد فساده
فلا مطلق الا وشد وثاقه ولا موثق الا وحل صفاده

ولا منبر الا ترنح عوده ولا مصحف الا انار سواده
فان تتكل الابرنز فيها حياته ولا افقل النجم كيف سهاده
وبانت سرايا الغمص تمضي دونها تا تستراغن حريق جراده
الى اين يا اسرى الضلالة بعدها لقد ذل غاويكم وعز رشاده
رويدكم لا مانع من مظفر يعاند اسباب القضاء عناده
مصيب سهام الراي لو ان عزمه ذي تعتدى القربين اصمى سواده
وقل للملوك الكفر تسلم بعدها ممالكها ان البلاد بلاده
كذا عن طريق الصبح ايتها الدجى فيا طالما غال الظلام امتداده
ومن كان املاك السموات جنده فايه ارض لم تطاها جياده
ولله عزم ما ايسحاز ورده وروضه قسطنطينيه مستراده

وله من قصيدة هنابها القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري اولها هي جنة الماوى فهل من خاطب يقول فيها

ان الصفائح يوم صافحت الرها عطفت عليها كل اشوس ناكب
فتح الفتوح مبشرا بتمامه كالفجر في صدر النهار الايب
لله وقفة ايه بلديه نصرت صحابتها بايمن صاحب
ظفر كمال الدين كنت لقاحه كم ناهض بالحرب غير محارب
وامدكم جيش الملايك نصرة كتايب محثوثه بكتايب
جنبوا الدبور وقدموا ريح الصبا جندا البنوه هل لها من غالب
اترى الرها الورها يوم تمنعت ظنت وجوب السور رسور الحاجب
لا اين يا اسرى الممالك بعدها ضاق القضا على نجاة الهارب
شدا الى ارض الفرنجه بعدها ان الدروب على الطريق اللاحب
اقفر كم والثار رهن دماكم ماكان من طال وحظ الطالب
واذا رايت الليث يجمع نفسه دون الفريسة فهو عين الواثب

وقال ابن منير ○ صفات مجدك لفظ جل معناه فلا استرد الذي اعطاكه الله ○
يا صارما بيمين الله قايمه وفي اعالي اعادي الله حداه ○ اصبحت دون ملوك الارض منفردا بلا شبيه اذ الاملاك اشباه
فكل من حاولت مسعاك همته جهلا وقصر عن مسعاك مسعاه ○ قل للاعادي الا موتوا بدايكم فالله خيبكم والله اعطاه
ملك تنام عن الفحشا همته تقى وتسهر للمعروف عيناه ○ مازال يسمك والايام تخدمه فيما ابتلاه موندى ما توخاه
حتى تعالت عن الشعرى مشاعره قدرا وجاوزت الجوزا نعلاه ○ وقد روى الناس اخبار الكرام مضوا وان بما رووه ما رايناه

ابن الخلايف عن فتح ابتج له مظلل افق الدنيا جناحاه
على المنابر من ابنايه ارج مقطوبة بفتيق المسك رياه
فتح اعاد على الاسلام بهجته فافتر مبسمه واهتز عطفاه
يهدا لمعتصم بالله فتكته حديثها نسخ الماضي وانساه
ان الرها غير عمورية وكذا من رامها ليس مغزاه كمغزاه
اخت الكواكب عزا مانعا احد من الملوك لها وقما فواتاه
حتى دلفت لها بالعزم تشحذه واي بيت قوي النجم مسراه
مشمرا وبنو الاسلام في شغل عن مدغرض لهم امثار عقباه
يا محيي العدل اذ قامت نوادبه وعامر الجود لما انداح مغناه
يا نعمة الله يستصفي المزيد بها للشاكرين ويستشفي بمغناه
ابقاك للدين والدنيا لحوطهما من لم يتوجك هذا التاج الا هو

ولابن منير ايضا من قصيدة نقدم بعضها

ايا ملكا القى على الشرك كلكلا اناخ على كلكل الثكل
جمعت الى فتح الرها شد بابه بجمعك بين الهيت والاسر والقتل
هو الفتح انسى كل فتح حديثه وتوج مسطور الرواية والنقل
فضضت به نقش الخواتم بعد ما خزيت جزا الصدق عن خاتم الرسل
تجرد للاسلام دون ملوكه بتبتك اسباب المذلة والخذل
اخو الحرب غذته القراع مفطما بتشويب اقدام الفتى حنكه الكهل

وله من قصيدة اخرى

بعماد الدين اضحت عروة الدين معصوما بها الفتح المبين
واستزادت بقسيم الدولة القسم من ادحاض كيد المارقين
ملك اشهر عين لم تزل همها تشريد هم الراقدين
لا خلت من كحل النصر فقد فقات غيضا عيون الحاسدين ٥ كل يوم من ايامه فهو عيد عايد للمسلمين
لوجرى الاضاف في اوصافه كان اولاها امير المومنين ٥ ما روى الراوون بل ما سطروا مثل ما خطت له ايدي السنين
اذ اناخ الشرك في اكنافه بمئي الف تلاها بمئين ٥ وقعة طاحت بكلب الروم من قطعه البين الى قطع الوتين
ان حمى مصر فقد قام لها واضح البرهان ان الصين صين ٥ والرها لو لم تكن الا الرها لكفت شاها السك الممترين

هم قسطنطين ان يفرعها ومضى لم يحومنها قسطنطين
ولكم من ملك حاولها فتحلا الحين وسما في الجبين
هي اخت النجم الا انها منه كالنجم لراي المبصرين
منيت منه بليث وابد بعران الذل اشاد العرين
زارها يزار في اسد وغى ببدل الاسد من الزار الانين
صولجوا البيض بضرب نثر الهام في ساحاتها نثر الكرين
بالها همه ثغر اضحكت من بني القلف ثغور الشامتين
برنست راس برنس ذلة بعد ما حاست حوايا جوسلين
وسروج مذ وعت اسراجه فرقت جما عما عنها غضين
تلك اقفال رماها الله من عزمه الماضي بخير الفاتحين
شام منه الشام برقا ودقه مومن الخوف بخوف الامنين
كم كنيس لنشت دامها منه بعد الروح في ظل السفين
دنت الاجال من اجالها فاحلتها القطا بعد القطين
ومنار بحللا صلبانه بين بيض تتبارى في البرين
قرعته البيض حتى بدلت قرعة الناقوس تثويب الاذين
بالقسيميات مقسوم لها الدهر في علك لحين او لحين
سل بها حران كم حرى سقت بردا يوم رددت من ماردين
سمطت امس سميساط بها نظم جيش منهج للناظرين
وغدا يلقى على القدس لها كلكل يدرسها درس الدرين
همة تمشي وتضحي عزمه ليس حصن ارحته بحصين
قل لقوم غرهم امهاله سنذ وقون سداه بعد حين
انه الموت الذي يدرك من فر منه فسحا للعنا فلين
وهو يحيى ممسكي عروته اذا حبل لمن تاب متين
من يطع ينج ومن يكن من عداه عبرة للاخرين ٥ بك يا شمس المعالي ردت الروح في الميتين من دنيا ودين
اقسم الجد بان تبقى لكي تملك الارض يمينا لا يمين ٥ وبفيض العدل في اقطارها منسيا مولم عسف الجايرين
لا تزل دارك كيف انتقلت كعبة محفوفة بالطائفين ٥ كل يوم يتحلى جيدها من نظم المدح بالدر الثمين
كلما اخلص فيها دعوة قالت الانس اخلق امين ٥

فصل لما فرغ الشهيد من اخذ الرها واصلاح حالها والاستيلا على ما وراها من البلاد والولايات سار الى قلعه البيره وهي حصن حصين مطل على الفرات وهو لجوسلين ايضا فحصرها وضايقه فاتاه الخبر بقتل نايبه بالموصل والبلاد الشرقيه نصير الدين جقر بن يعقوب فرحل عنها خوفا من ان يحدث بعده في البلاد فتق يحتاج الى المسير اليها فلما رحل عنها سير اليها حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين عسكرا فسلمها الفرنج اليهم خوفا من الشهيد ان يعود اليهم فياخذها وكان قتل النصير في ذي القعده سنه تسع وثلثين وسببه ان الملك الب ارسلان المعروف بالخفاجي ولد السلطان مسعود واصحاب الاطراف ان البلاد التي بيده للملك الب ارسلان وانه نايبه فيها وكان اذا ارسل رسولا او اجاب عن رساله فانما يقول قال الملك كذا وكذا وكان ينتظر وفاه السلطان مسعود ليجمع العساكر باسمه ويخرج الاموال ويطلب السلطنه فعاجلته المنيه قبل ذلك وكان هذا الملك بالموصل هذه السنه وبها نصير الدين وهو ينزل اليه كل يوم يخدمه ويقف عنده ساعه ثم يعود فحسن المفسدون للملك قتله وقالوا له انك ان قتلته ملكت الموصل وغيرها ويعجز اتابك ان يقيم بين يديك ولا يجتمع معه فارسان عليك فوقع هذا في نفسه وظنه صحيحا فلما دخل نصير الدين اليه على عادته وثب عليه جماعه في خدمه الملك فقتلوه والقوا راسه الى اصحابه ظنا منهم ان اصحابه اذا راوا راسه تفرقوا ويملك البلاد وكان الامر بخلاف ما ظنوا فان اصحابه واصحاب اتابك الذين معه لما راوا راسه قاتلوا من بالدار مع الملك واجتمع معهم الخلق الكثير وكانت دوله الشهيد مملوه بالرجال الاجلاد ذوي الراي والتجربه فلم يتغير عليه بهذا الفتق شي وكان في جمله من حضر القاضي تاج الدين يحيى بن عبد الله بن القسم الشهرزوري اخو كمال الدين فدخل الى السلطان وخدعه حتى اصعده القلعه وهو يحسن له الصعود اليها وحينيذ يستقر له ملك البلاد فلما اصعده القلعه سجنوه بها وقتل الغلمان الذين قتلوا النصير وارسلوا الى اتابك يعرفونه الحال فسكن جاشه واطمان قلبه وارسل زين الدين بن بكتكين واليا على قلعه الموصل وكان كثير الثقه به والاعتماد عليه فسلك بالناس غير الطريق التي سلكها النصير وسهل الامر فاطمان الناس وامنوا وازدادت البلاد معه عماره ولما راى الشهيد صلاح امر الموصل سار الى حلب فجهز منها جيشا الى قلعه شيزر وبينها وبين حماه نحو اربعه فراسخ فحصرها قلت ـــــ كذا وقع في كتاب ابن الاثير وقد وهم في قوله الب ارسلان المعروف بالخفاجي فالخفاجي غير الب ارسلان على ما ذكره العماد الكاتب في كتاب السلجوقيه فانه قال كان مع زنكي ملكان من اولاد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه احدهما يسمى الب ارسلان وهو في معقل من معاقل سنجار والاخر يسمى فرخشاه ويعرف الملك بالخفاجي وهو بالموصل وكان هذا الملك مسلما الى الامير دبيس بن صدقه فانتزعه منه زنكي في حرب جرت فكانت زوجه زنكي خاتون السكمانيه تربيه حتى بلغ وكان النصير يقبض عنانه ويبسط فيه لسانه ويقول ان عقل ان عقل والا عقلته وان ثقل طبعه والا ثقلته فدبر في قتله مع اصحابه فقطعوه في دهليز داره لما دخل للسلام على الملك ثم اصعد القاضي تاج الدين الملك الى القلعه فلم ير له اثر والتقط ما لديه ثم عطف زنكي على الملك الاخر الب ارسلان فاستخرجه من معقله وعني بتفاصيل امره وجمله وضرب له نوبتيه ونوبا ورتب له في حالتي ركوبه وجلوسه رتبا واغرى بتوالي اكرامه وتوجيه وغرضه خفا ما جرى من هلاك اخيه ثم ذكر قصه موت زنكي على قلعه جعبر كما سياتي ۞ وفي سنه اربعين وخمس ميه ارسل اتابك الى زين الدين علي يامره بارسال عسكر الى حصن فنك يحصره فسير خلقا كثيرا من الفرسان والرجاله فاقاموا عليه يحصرونه الى ان اتاهم الخبر بقتل الشهيد اتابك وهذا الحصن هو مجاور جزيره ابن عمر وهو للاكراد البشنويه ولهم مده طويله يقولون نحو ثلثمايه سنه وهو من امنع الحصون مطل على دجله وله سرب الى عين ماء لا يمكن ان يحال بين اهله وبينها ۞ قلت ـــــ وفي هذه السنه انشد ابن منير بالرقه عماد الدين زنكي يهنيه بالعافيه من مرض عرض له في يده ورجله قصيده اولها ۞

يا بدر لا افل ولا محاق ولا برم مشرقك الاشراق
بالدين والدنيا الذي يشكو وهل يهتز فرع لم يقمه ساق
لن تورق الغصن وتجري ماوها اذا ما النانت الاعراق
ان الرعايا ما سلمت في حمى للخطب عن طرفه اطراق
غرست بالعدل لهم خمايلا ترتع في حدبقها الحداق

يا هضبة الدين التي عاذ بها فعاذ لا بغت ولا ارهاق ۝ لو لم تحطه راحلا وقافلا
اصبح لا شام ولا عراق ۝ عماد دين مذ اقام زيغه حتى ومات الشرك والنفاق ۝
يا محيي العدل الذي في ظله تسربلت زينتها الافاق ۝ يفديك من لا ان مهاد جنبه
لما نبا بجنبك الاقلاق ۝ من يشتري اسيفك ابطك له العذب وما عيشه زعاق ۝
تجرع السم ولو لم تحمه يحك لعز الدرياق ۝ ملوك اطراف حمى اطرافها عزمك هذا
اللاحق السباق ۝ لو لم ترق ما كرى العين لما ساغت بافواههم الارياق ۝
شفقت من دونهم مرج الردى وشق اجادهم الشقاق ۝ اقسم لو كلفتهم ان يسمعوا حديث
ايامك ما اطاقوا ۝ لما اشتكيت دب في اهوائهم توجس للسمع واستراق ۝
تطاولوا لا عدمت امالهم نصرا ولا جانبها الاخفاق ۝ توهموها غسقا ثم انجلت والصفو
من مشربهم غساق ۝ لئن الم الدهر بقدم خد السها لنعلها طراق ۝ او كان مد بيده
الى يد يجري بها الاجال والارزاق ۝ فالنصل يعلا صدا وتحته حد حسام وسنا رقراق ۝
رمى الصليب بصليب الراي عن زوراء وهي ترعها الاغراق ۝ ونوم من خلف الخليج سهر
والعيش في فرنجة سياق ۝ ماتوا فلا همس ولا اشارة خوف هموس ان ازهاق ۝
لا سلبت منك الليالي ما كسبت ولا غير حدثك الاخلاق ۝

فصل في وفاة زنكي

رحمه الله قال ابن الاثير كانت قلعة جعبر قد سلمها السلطان ملكشاه الى الامير سالم
ابن مالك العقيلي لما ملك قسيم الدولة مدينة حلب فلم تزل بيده وبيد اولاده الى سنة احدى
واربعين فسار الشهيد اليها فحصرها وحصر فنك ان لا يبقى في وسط بلاده ما هو لغيره
وان قل للحزم الذي كان عنده والاحتياط واقام عليه يحصره بنفسه الى ان مضى من شهر ربيع
خمس ليال فبينا هو نائم دخل عليه نفر من مماليكه فقتلوه ولم يجهزوا عليه وهربوا من
ليلتهم الى القلعة ولم يشعر اصحابه بقتله فلما صعد اولئك النفر الى القلعة صاح من بها
الى العسكر يعلمهم بقتله فبادر اصحابه اليه فادركوه وبه رمق ثم ختم الله له بالشهادة
اعماله
لا في الحمام ولم اكن متيقنا ان الحمام سيبتلى بحمام
فاضحى وقد خانه الامل وادركه الاجل وتخلى عنه العبيد والخول فاي نجم للاسلام افل واي

ناصر للايمان رحل واي بحر ندى نضب واي بدر مكارم غرب واي اسد افترس ولم
ينجه قلة حصن ولا صهوة فرس فكم اجهد نفسه لتمهيد الملك وسياسته وكم ادبها في
حفظه وحراسته فاتاه مبيد الامم ومفنيها في الحدث والقدم فاصار بعد القهر للخلائق
مقهورا وبعد وثير المضاجع في التراب معفرا مقبورا رهين جدث لا ينفعه الا ما قدم فلطويت
صحيفة عمله فهو موثوق في صورة مستسلم ثم دفن بصفين عند اصحاب علي امير المؤمنين
رضي الله عنه قلت وذكر العماد الكاتب في كتاب السلجوقية قال قصد زنكي حصار
قلعة جعبر فنازلها وكان اذا نام ينام حوله عدة من غلمه الصباح وهو يحبهم ويحبوهم
ولكنه مع الوفا منهم يجفوهم وهم ابنا الفحول القروم من الترك والروم وكان من دابه انه اذا
نقم على كبير اراداه واقصاه واستبقوا له عنده وخصاه فنام ليلة موته وهو سكران فشرع
في اللعب فزجرهم وذبرهم وتوعدهم فخافوا من سطوته فلما نام ركبه كبيرهم واسمه برنقش
فذبحه وخرج ومعه خاتمه فركب فرس النوبة موهما انه يمضي في مهم وهو لا يرتاب به لانه
خاص زنكي فاتى الخادم اهل القلعة فاخبرهم وذكر الحديث قلت ثم نقل الى الرقة فدفن
بها وقبره الان فيها قال ابن الاثير وكان حسن الصورة مليح العينين قد وخطه الشيب
طويلا وليس بالطويل البائن وخلف من الاولاد سيف الدين غازيا وهو الذي ولي بعده ونور الدين
محمودا الملك العادل وقطب الدين مودودا وهو ابو الملوك بالموصل ونصرة الدين امير اميران
وبنتا فانقرض عقب سيف الدين من الذكور والاناث ونور الدين من الذكور ولم يبق الملك الا
في عقب قطب الدين ولقد انجب رحمه الله فان اولاده الملوك لم يكن مثلهم ۝ قلت
ومن عجيب ما حكي انه لما اشتد حصار قلعة جعبر جاء في الليل ابن حسان المنبجي ووقف تحت
القلعة ونادى صاحبها فاجابه فقال له ان هذا المولى اتابك صاحب البلاد وقد نزل عليك
بعساكر الدنيا وانت بلا وزير ولا معين وانا ارى ان ادخل في قضيتك واخذ لك من المولى اتابك
مكانا عوض هذا المكان وان لم تفعل فاي شيء تنتظر فقال له صاحب القلعة انتظر الذي انتظر
ابوك وكان بلك بن بهرام صاحب حلب قد نزل على ابيه حسان وحاصره في منبج اشد حصار
ونصب عليه عدة مجانيق وقال يوما لحسان وقد احرقه بحجارة المنجنيق اي شيء تنتظر ما تسلم

الحصن فقال له حسان انتظر سهماً من سهام الله فلما كان من الغد بينا ملك يرتب المنجنيق
اذ اصابه سهم غرب وقع في لبته فخر ميتاً ولم يكن من جسده شي ظاهراً الا ذلك المكان لانه
كان قد لبس الدرع ولم يزرها على صدره فلما سمع بن حسان ذلك من مقاله صاحب قلعه جعبر
رجع عنه وفي تلك الليله قتل اتابك فكان هذا من الاتفاقات العجيبه والعبر الغريبه ذكر
ذلك يحيى بن ابي طي في كتاب السيره الصلاحيه **فصل** في بعض سيره الشهيد اتابك
زنكي وكان من احسن سير الملوك وكانت رعيته في امن شامل يعجز القوي عن التعدي على الضعيف
قال ابن الاثير حدثني والدي قال قدم الشهيد الينا بجزيره ابن عمر في بعض السنين وكان زمن الشتا
فنزل بالقلعه ونزل العسكر بالخيام وكان في جمله امرايه الامير عز الدين ابو بكر الدبيسي
وهو من اكابر امرايه ومن ذوي الراي عنده فدخل الدبيسي البلد ونزل بدار انسان يهودي واخرجه
منها فاستغاث اليهودي الى الشهيد وهو راكب فسال عن حاله فاخبروه وكان الشهيد واقفاً
والدبيسي الى جانبه ليس فوقه احد فلما سمع اتابك الخبر نظر الى الدبيسي نظر مغضب ولم
يكلمه كلمة واحده فتاخر القهقري ودخل البلد واخرج خيامه وامر بنصبها ولم تكن الارض تحتمل
وضع الخيام عليها لكثره الوحل والطين قال فلقد رايت الفراشين وهم ينقلون الطين لينصبوا
خيمته فلما راوا كثرته جعلوا على الارض تبناً ليقيموها ونصبوا الخيام وخرج اليها من ساعته
قال وكان ينهى اصحابه عن اقتنا الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فاي حاجه لكم الى الاملاك
فان الاقطاع تغني عنها وان خرجت البلاد عن ايدينا فان الاملاك تذهب معها ومتى صارت
الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعيه وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم ثم ذكر ما تجدد في
ايامه من عماره البلاد لاسيما بالموصل وذلك لحسن سيرته فكان يقصده الناس ويتخذون بلاده
دار اقامه وهو الذي امر ببنا دور المملكه بالموصل ولم يكن بها للسلطان غير الدار المعروفه
بدار المملكه مقابل الميدان ثم رفع سورها وعمق خندقها وهو الذي فتح الباب العمادي واليه ينسب
قال وكانت الموصل اقل بلاد الله فاكهه وكان الذي يبيع الفواكه يكون عنده مقراض يقرض به
العنب لقلته اذا اراد ان يزنه فلما عمرت البلاد عملت البساتين بظاهر الموصل وفي ولايتها
قال ومن احسن ارايه انه كان شديد العنايه باخبار الاطراف وما يجري لاصحابها حتى في

خلواتهم لاسيما ذكاة السلطان وكان يغرم على ذلك المال الجزيل فكان يطالع ويكتب اليه
بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وهزل وجد وغير ذلك فكان
يصل اليه كل يوم من عيونه عده قاصدين وكان مع اشتغاله بالامور الكبار من امور الدوله لا
يهمل الاطلاع على الصغير وكان يقول اذا لم يعرف الصغير ليمنع صار كبيراً وكان لا يمكن رسول
ملك يعبر في بلاده بغير امره واذا استاذنه رسول في العبور في بلاده اذن له وارسل اليه
من يسيره ولا يتركه يجتمع باحد من الرعيه ولا غيرهم فكان الرسول يدخل بلاده ويخرج منها ولم
يعلم من احوالها شياً وكان يتعهد اصحابه ويمتحنهم سلم يوماً خشكنانكه الى طشتدار له وقال
احفظ هذه فبقي نحو سنه لا تفارقه الخشكنانكه خوفاً ان يطلبها منه فلما كان بعد ذلك قال
له اين الخشكنانكه فاخرجها في منديل وقدمها بين يديه فاستحسن ذلك منه وقال مثلك
ينبغي ان يكون مستحفظ الحصن وامر له بدزداريه قلعه كواشي فبقي فيها الى ان قتل اتابك
وكان لا يمكن احداً من خدمه من مفارقه بلاده ويقول ان البلاد كبستان عليه سياج
فمن هو خارج السياج يهاب الدخول فاذا خرج منها من يدل على عورتها ويطمع العدو
فيها زالت الهيبه وتطرق الخصوم اليها ○ قال ومن صايب رايه وجيده انه
سير طايفه من التركمان الايوانيه مع الامير اليارق الى الشام واسكنهم بولايه حلب وامرهم
بجهاد الفرنج وملكهم كلما استنقذوه من البلاد التي للفرنج وجعله ملكاً لهم فكانوا يغادون
الفرنج بالقتال ويراوحونهم واخذوا كثيراً من السواد وسدوا ذلك الثغر العظيم ولم يزل
جميع ما فتحوه في ايديهم الى نحو سنه ستمايه ○ قال ومن ارايه انه لما اجتمع له الاموال
الكثيره اودع بعضها بالموصل وبعضها بسنجار وبعضها بحلب وقال ان جرى على
بعض هذه الجهات خرق او حيل بيني وبينه استعنت على سد الخرق بالمال في غيره ○
قال واما شجاعته واقدامه فاليها النهايه فيهما وبه كان تضرب الامثال ويكفي في
معرفه ذلك جمله ان ولايته احدق بها الاعدا والمنازعون من كل جانب الخليفه المسترشد
والسلطان مسعود واصحاب ارمينيه واعمالها بيت سكمان وركن الدوله داود صاحب حصن
كيفا وابن عمه صاحب ماردين ثم الفرنج ثم صاحب دمشق وكان ينتصف منهم ويغزو كلا

منهم في عقر داره ويفتح بلادهم ما عدا السلطان مسعود فانه كان لا يباشر قصده بل كان
يحمل اصحاب الاطراف على الخروج عليه فاذا فعلوا عاد السلطان محتاجا اليه وطلب منه
ان يجمعهم على طاعته فيصير كالحاكم على الجميع وكل يداريه ويخضع له ويطلب منه ما
تستقر القواعد على يده قال واما غيرته فكانت شديدة ولا سيما على نسا الاجناد
فان التعرض اليهن كان من الذنوب التي لا يغفرها وكان يقول ان جندي لا يفارقوني في اسفار
وقلما يقيمون عند اهلهم فان نحن لم نمنع من التعرض الى حرمهم هلكن وفسدن قلت وفي
صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري وذكر رجم النبي صلى الله عليه وسلم ماعزا قال ثم
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا قال اوكلما انطلقنا غزاة في سبيل الله خلف رجل
في عيالنا له نبيب كنبيب التيس على ان لا اوتى برجل فعل ذلك الا نكلت به قال ابن
الاثير وكان قد اقام بقلعه الجزيره دزدارا اسمه نور الدين حسن البربطي وكان من خواصه
واقرب الناس اليه وكان غير مرضي السيرة فبلغه عنه انه يتعرض للحرم فامر حاجبه صلاح
الدين الباغسياني انه يسير مجدا ويدخل الجزيره فاذا دخلها اخذ البربطي وقطع ذكره وقلع
عينيه عقوبة لنظره بهما الى الحريم ثم يصلبه فسار الصلاح مجدا فلم يشعر البربطي الا وقد وصل
الى البلد فخرج الى لقايه فاكرمه الصلاح ودخل معه البلد وقال المولى اتابك يسلم عليك
ويريد ان يعلي قدرك ويرفع منزلتك ويسلم اليك قلعه حلب ويوليك جميع البلاد الشاميه
لتكون هناك مثل نصير الدين فتجهز وتحدر مالك في الما الى الموصل وتسير الى خدمته ففرح
ذلك المسكين فلم يترك له قليلا ولا كثيرا الا نقله الى السفن ليحدرها الى الموصل وفي
دجله فحين فرغ من جميع ذلك اخذ الصلاح وامضى ما فيه امر به واخذ جميع ما له فلم
يتجاسر بعده احد على سلوك شي من افعاله قال واما صدقاته فقد كان يتصدق
كل جمعه بمايه دينار اميري ظاهرا ويتصدق فيما عداه من الايام سرا مع من يثق به وركب
يوما فعثرت به دابته فكاد يسقط عنها فاستدعى اميرا كان معه فقال له كلاما لم يفهمه
ولم يتجاسر على ان يستفهمه منه فعاد عنه الى بيته وودع اهله عازما على الهرب فقالت له
زوجته ما ذنبك وما حملك على هذا الهرب فذكر لها الحال فقالت له ان نصير الدين له بك

عنايه فاذكر له قصتك وافعل ما يامرك به فقال اخاف ان يمنعني من الهرب فاهلك
فلم تزل زوجته تراجعه وتقوي عزمه فعرف النصير حاله فضحك منه وقال له خذ هذه
الصره الدنانير واحملها اليه فهي التي اراد فقال الله الله في دمي ونفسي فقال لا باس عليك
فانه ما اراد غير هذه الصره فحملها اليه فحين راه قال امعك شي قال نعم فامره ان يتصدق
به فلما فرغ الصدقه قصد النصير وشكره وقال من اين علمت انه اراد الصره فقال
له انه يتصدق في هذا اليوم بمثل هذا القدر يرسل الي ياخذه من الليل وفي يومنا هذا لم
ياخذه ثم بلغني ان دابته عثرت به حتى كاد يسقط الى الارض وارسلك الي فعلمت انه ذكر
الصدقه قال وحكى لي من شده هيبته ما هو اشد من هذا قال والدي
خرج يوما الشهيد من القلعه بالجزيره من باب السر خلوه وملاح له نايم فايقظه بعض
الجانداريه وقال له اقعد فحين راى الشهيد سقط الى الارض فحركوه فوجدوه ميتا
قال وكان الشهيد قليل التلون والتنقل بطي الملل والتغير شديد العزم لم يتغير على احد
من اصحابه منذ ملك الى ان قتل الا بذنب يوجب التغير والامرا والمقدمون الذين كانوا
معه اولا هم الذين بقوا اخيرا من سلم منهم من الموت فلهذا كانوا ينصحونه ويبذلون
نفوسهم له وكان الانسان اذا قدم عسكره لم يكن غريبا ان كان جنديا اشتمل عليه الاجنا
واضافوه وان كان صاحب ديوان قصد اهل الديوان وان كان عالما قصد القضاه
بني الشهرزوري فيحسنون اليه ويونسون غربته فيعود كانه اهل وسبب ذلك جميعه
انه كان يخطب الرجال ذوي الهمم العليه والارا الصايبه والانفس الابيه ويوسع عليهم
في الارزاق فيسهل عليهم فعل الجميل واصطناع المعروف قلت وما احسن
ما وصفه به احمد بن منير من قوله في قصيده

في ذرى ملك هو الدهر عطاء واستلابا   من له كف تبذ الغيث سحا وانسكابا
ترجف الدنيا اذا حرك للسير الركابا   ونجوم المشجرات اختلالا واضطرابا
وترى الاعدا من هيبته تاوي الشعابا   واذا ما اقحمتهم ناره صاروا كبابا
يا عماد الدين لا زلت على الدين سحابا   جاعلا من دونه سيفك ان ريع حجابا

فالبس النعمى الامن الذي طبت وطابا   واصف عيشًا ان اعداك قد صاروا ترابا

وقال العماد الكاتب استولى زنكى على الشام من سنه اثنتين وعشرين الى ان
قتل في سنه احدى واربعين وهو الذى فتح الرها عنوه واحتل بها من السعاده ذروه
فتشنى بفتح الرها للمسلمين جوش بلاد جوسلين وعاد جميعها الى الاسلام في عهد ولد
زنكى نور الدين وصارت عقود الفرنج من ذلك الحين تنفسخ وامورها تنتسخ ومعاقلها
تفرع وعقايلها تفترع ۞ وقال الرييس ابو يعلى التميمي دانت الاعمال بعد قتل
زنكى فقد اضطربت والمسالك قد اختلت بعد الهيبه المشهوره والامنه المشكوره
وانطلقت ايدى التركمان والحراميه في فساد الاطراف والعيث في سابر النواحي
والاكناف ونظمت في صفة هذه الحال ابيات من قصيده ۞

كذاك عماد الدين زنكى تنافرت سعادته عنه وخرت دعايمه
وكم بيت مالٍ من نضارٍ وجوهرٍ وانواع ديباج حوتها مخاتمه
واضحت باعلى كل حصن مصونةً تحامى عليها جنده وخوادمه
ومن صافنات الخيل كل مطهم يروع الاعادي حليه ويراحمه
فلو رامت الكتاب وصف سياتها باقلامها ما ادرك الوصف ناظمه
وكم معقل قد رامه بسيوفه وشامخ حصن لم تفته غنايمه
وكانت ولاه الارض فيها الامن وقد امنتهم كتبه وخواتمه
وامن من في كل قطر هيبه يراع بها اعدايه واعاجمه
وظالم قوم حين يذكر عدله فقد زال عنهم ظلمه وخصايمه
واصبح سلطان البلاد بسيفه وليس له فيها نظير يزاحمه
وزاد على الاملاك باسا وسطوةً ولم يبق في الاملاك ملك يقاومه
فلما تناهى ملكه وجلا له وراعت ولاه الارض منه لوايمه
اتاه قضا لا ترد سهامه فلم تنجه امواله ومغانمه
وادركه للحين فيها حمامه وحامت عليه بالمنون حوايمه

[illegible]

ومن دون هذا عصبه قد ترتبت باسمها بردي من الطير حايمه ۞ وكم رام في الايام
راحة سنة وهمته تعلو وتقوى شكايمه ۞ وكم ملك للشفر امن سلبه ومسح
جبا ان تراع سوايمه ۞ وكم ثغر اسلام حواه بسيفه من الروم لما ادركته مراحمه
فمن ذا الذي ياتي بهيبه مثله وتنفذ في اقصى البلاد مراسمه ۞ فلو رقيت في كل
مصر بذكره اراقمه ذلت هناك اراقمه ۞ فمن ذا الذي ينجو من الدهر سالما
اذا ما اتاه الامر والله حاتمه ۞ ومن رام صفوا في الحياه فما يرى له صفو عيش والحمام يحاومه
فاياك لا تغبط مليكا بملكه ودعه فان الدهر لاشك قاصمه ۞ وقل للذي يبني
الحصون لحفظه رويدك ما تبني فدهرك هادمه ۞ وفي مثل هذا عبرة ومواعظ بها
يتناسى الامر ما هو عازمه ۞ قال وفي ثامن عشر جمادى الاخره من السنه
وصل الخادم برنقش القاتل لعماد الدين زنكى وانفصل من قلعه جعبر لخوف صاحبها
من طلبه منه فوصل دمشق ميقنا انه قد امن بها ومدلا بما فعله وظنا منه ان الحال
على ما توهمه فقبض عليه وانفذ الى حلب صحبه من حفظه واوصله اليها فاقام بها
اياما ثم حمل الى الموصل وذكر انه قتل بها ۞ قلت وللحكيم ابى الحكم المغربي
قصيده في مرثيه الشهيد عماد الدين زنكى رحمه الله منها ۞

عين لا تذخري الدموع وبكي واستهل دما على فقد زنكي
لم يهب شخصه الردى بعد ان كانت له هيبة على كل تركي
خير ملك ذي هيبة وبهاءٍ وعظيم بين الانام بزركِ
يهب المال والجياد لمن يمتدحه مادحا بغير تلكي
ان دار اتمدنا بالرزايا هي عندي احق دار بترك
فاسكبوا فوق قبره ماورد والطخوه بزعفران ومسك

[illegible]

فيما جرى بعد قتل زنكى من تفرق اصحابه وتملك ولديه غازي
ومحمود قال الرييس ابو يعلى توجه الملك ولد السلطان المقيم كان معه فيمن صحبه وانضم
اليه الى ناحيه الموصل ومعه سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك وامتنع عليهم الوالي

اياما

بالموصل على كوجك الى حين تقررت الحال بينهم ثم فتح الباب ودخلوا له واستقام
له الامر وانتصب منصبه وعاد الامير سيف الدوله سوار وصلاح الدين يعني محمد
ابن ايوب الياغيسياني في تلك الحال الى ناحيه حلب ومعهما الامير نور الدين محمود
ابن زنكي وحصل بها وشرع في جمع العساكر وانفاق المال فيها واستقام له الامر
وسكنت الدهما وفصل عنه الامير صلاح الدين وحصل بحماه ولايته على سبيل الاستيحاش
والخوف على نفسه من امر يدبر عليه ۝ وقال الحافظ ابو القسم لما راهق
نور الدين لزوم خدمه والده الى ان انتهت مدته على قلعه جعبر وسير في صحبه الاحد
الملك الب ارسلان بن السلطان محمود الى الموصل مع جماعه من اكابر دوله ابيه وقال
لم ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل فهو له وانتم في خدمته وان تاخرنا اقرر امور
الشام واتوجه اليكم ثم قصد حلب ودخل قلعتها يوم الاثنين سابع ربيع الاخر ورتب
النواب في القلعه والمدينه ۝ قال ابن ابي طي الحلبي لما اتصل قتل اتابك باسد الدين شيركوه
ركب من ساعته وقصد خيمه نور الدين وقال له اعلم ان الوزير جمال الدين قد اخذ عسكر
الموصل وعول على تقديم اخيك سيف الدين وقصده الى الموصل وقد انضوى اليه جل
العسكر وقد انفذ الى جمال الدين واراد ني على اللحاق به فلم اعرج عليه وقد رايت ان
اصير الى حلب وتجعلها كرسي ملكك وتجمع في خدمتك عساكر الشام وانا اعلم
ان الامر جميعه يصير اليك لان ملك الشام يحصل بحلب ومن ملك حلب استظهر
على بلاد الشرق فركب وامر ان ينادى في الليل في عساكر الشام بالاجتماع فاجتمعوا
وساروا في خدمه نور الدين الى حلب ودخلوها سابع ربيع الاول ولما دخلوا حلب جا
اسد الدين الى تحت القلعه ونادى واليها واصعد نور الدين اليها وقرر امره ومشى احواله
فكان نور الدين يرى له ذلك واسد الدين يمت بانه كان السبب في توليته وقال
ابن الاثير لما قتل اتابك الشهيد ركب الملك الب ارسلان بن السلطان محمود وكان مع
الشهيد واجتمعت العساكر عليه وخدموه فارسل جمال الدين الوزير الى الصلاح يقول
له المصلحه ان نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا ونسلك طريقا يبقى به الملك في اولاد

صاحبنا

صاحبنا ونعمر بيته جزا لاحسانه الينا فان الملك قد طمع في البلاد واجتمعت عليه
العساكر ولئن لم نتلاف هذا الامر في اوله ونتداركه في بدايته ليتسعن الخرق ولا
يمكن رقعه فاجابه الصلاح الى ذلك وحلف كل واحد منهما لصاحبه فركب الجمال الى
الملك لخدمه وضمن له فتح البلاد واطمعه فيها ومعه الصلاح وقالا له ان اتابك كان
نايبا عنك في البلاد وباسمك كنا نطيعه فقبل قولهما وظنه حقا وقربهما طمعا ان يكونا
له عونا على تحصيل غرضه وارسلا الى زين الدين بالموصل يعرفانه قتل الشهيد ويامرانه
بالارسال الى سيف الدين غازي وهو ولد عماد الدين زنكي الاكبر واحضاره الى الموصل وكان
بشهرزور وهي اقطاعه من ابيه ففعل زين الدين ذلك وكان نور الدين محمود بن الشهيد
قد سار لما قتل والده الى حلب فملكها وذلك باشارة اسد الدين شيركوه عليه بذلك
وقال الجمال للملك ان من الراي ان نسير الصلاح الى مملوكك نور الدين بحلب يدبر
امره وكانت حماه اقطاع الصلاح فامره فسار وبقي الجمال وحده مع الملك فاخذه وقصد
الرقه فاشتغل بشرب الخمر والخلوه مع النسا واراد ان يعطي الامرا شيا فمنعه خوفا
من ان تميل قلوبهم اليه وقال لهم الاقطاع الجزيل والنعم الوافره وشرع الجمال يستميل العسكر
ويحلف الامرا لسيف الدين ابن اتابك الشهيد واحدا بعد واحد وكل من حلف يامره
بالمسير الى الموصل هاربا من الملك واقام بالملك في الرقه عده ايام ثم سار به نحو سنجار
وكان سيف الدين غازي قد دخل الموصل واستقر بها فقوي حينئذ جنان جمال الدين ووصل
ووصل هو والملك الى سنجار فارسل الى دزدارها وقال له لا تسلم البلد ولا تمكن احدا من
دخوله ولئن ارسل الى الملك وقل له انا تبع الموصل فمتى دخلت الموصل سلمت اليك ففعل
الدزدار ذلك فقال الجمال للملك المصلحه اننا نسير الى الموصل فان مملوكك غازي اذا سمع
بقربنا منه خرج الى الخدمه فحينئذ نقبض عليه ونتسلم البلاد فساروا عن سنجار وكثر
رحيل العسكر الى الموصل هاربين من الملك فبقي في قله من العسكر فساروا الى مدينه بلد
وعبر الملك دجله من هناك فلما عبرها دخل الجمال الموصل وارسل الامير عز الدين ابا بكر الدبيسي
الى الملك في عسكر وهو في نفر يسير فاخذه وادخله الموصل فكان اخر العهد به واستقر

امر سيف الدين واقر زين الدين على ما كان عليه من ولاية الموصل وجعل الجمال وزيره وارسلوا
الى السلطان مسعود فاستحلفوه لسيف الدين فحلف له واقره على البلاد وارسل له
الخلع وكان هذا سيف الدين قد لازم خدمة السلطان مسعود في ايام ابيه سفرا
وحضرا وكان السلطان يحبه كثيرا ويانس به ويبسطه فلما خوطب في اليمين وتقرير
البلاد لم يتوقف ٥ قال ابن الاثير فانظروا الى جمال الدين وحسن عهده وكمال مروته ورعايته
لحقوق مخدومه وهذا المقام الذي ثبت فيه يعجز عنه عشرة الف فارس ولقد قلل
من قال الناس الف منهم كواحد وهو معذور لانه لم ير مثل جمال الدين قال ولما استقر سيف
الدين في الملك اطاعه جميع البلاد ما عدا ما كان بديار بكر كالمعدن وحيزان واسعرد
وغير ذلك فان المجاورين لها تغلبوا عليها قال ولما فرغ سيف الدين من اصلاح امر السلطنه
وتحليفه وتقرير امر البلاد عبر الى الشام لينظر في تلك النواحي ويقرر القاعده بينه
وبين اخيه نور الدين وهو بحلب وقد تاخر عن الحضور عند اخيه وخافه فلم يزل يراسله
ويستميله فكلما طلب نور الدين شيئا اجابه اليه استمالة لقلبه واستقرت الحال بينهما
على ان يجتمعا خارج العسكرين الشيفي ومع كل واحد خمس مئه فارس فلما كان يوم الميعاد
سار نور الدين من حلب في خمس مئه فارس وسار سيف الدين من معسكره في خمس
فوارس فلم يعرف نور الدين اخاه سيف الدين حتى قرب منه فحين راه عرفه فترجل له وقبل
الارض بين يديه وامر اصحابه بالعود عنه وفعل سيف الدين ونور الدين بعد ان اعتنقا
وبكيا فقال له سيف الدين لم امتنعت من المجي الي اكنت تخافني على نفسك والله
ما خطر ببالي ما تكرهه فلمن اريد البلاد ومع من اعيش وبمن اعتضد اذا فعلت السوء
اخي واحب الناس الي فاطمان نور الدين وسكن روعه وعاد الى حلب فتجهز وعاد بعسكره
الى خدمة اخيه سيف الدين فامره سيف الدين بالعود وترك عسكره عنده وقال
لا غرض لي في مقامك عندي وانما غرضي ان تعلم الملوك والفرنج اتفاقنا فمن يريد السوء
بنا يكف عنه فلم يرجع نور الدين ولزمه الى ان قضيا ما كانا عليه وعاد كل واحد منهما الى
بلده قلت ومن قصيدة لابن منير في نور الدين ٥

ايا خير الملوك ابا وجدا وانفعهم حيا لغليل صادي ٥ علوا وغلوا وقال الناس فيهم
سوارد من ثناء او احادي ٥ وما اقتسموا ولا عهدوا ابناهم بمنصبك القسيمي العمادي ٥
وهل حلب سوى نفس شعاع نقسمها التمادي والتعادي ٥ نفى ابن عماد الدين عنها الشكاه
فاصبحت ذات العماد ٥ تبختر في كساء عدل وبذل مديحه التهايم والنجاد ٥
وفي محرابها داود منه يهذب حكمه ايات صاد ٥ تجاوزت النجوم فاين تبغي ترق فلا
خلوت من ازدياد ٥ **فصل** فيما جرى بعد وفاة زنكي من صاحب دمشق
والفرنج المخذولين قال ابن ابي طي في سابع يوم من استقرار نور الدين بحلب اتصل
خبر مقتل اتابك بصاحب انطاكيه البيمند فخرج في يومه بعساكر انطاكيه وقسم عسكره
قسمين قسما نفذه الى جهة حماه وقسما اغار به على جهة حلب وعاث في بلادها وكان
الناس امنين فقتل وسبى عالما عظيما وتمادى حتى وصل الى صلدي ونهبها ووصل الخبر الى
حلب فخرج اسد الدين شيركوه فيمن كان بحلب من العساكر وجد في السير ففاته الفرنج
وادرك جماعة من الرجاله يسوقون الاسرى فقتلهم واستنقذ كثيرا مما كانت الفرنج
اخذته وسار مجنبا عن طريق الفرنج الى ان شن الغارة على بلد ارتاح واستاق جميع ما كان
للفرنج فيه وعاد الى حلب مظفرا ٥ وقال ابن الاثير لما قتل مجير الدين صاحب دمشق
في عسكر الى بعلبك وحاصرهم وبها نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح الدين فسلمها
اليه واخذ منه مالا وملكه قرايا من اعمال دمشق وانتقل ايوب الى دمشق واقام بها ٥
وقال ابن ابي طي اشتد صاحب دمشق في القتال وصبر نجم الدين ايوب احسن صبر فاتفق
فاتفق ان الما لما شا الله من حصن بعلبك غار حتى لم يبق منه شي فصار اهل القلعه يستمدون
من البلد فلما ملك البلد منع من يريد الما من القلعه فاشتد الامر فطلبوا الامان والمصالحه
فاستحلف صاحب دمشق نجم الدين واقر له الثلث الذي كان اتابك قد جعله له فيها واقره
فيها ولما بلغ ذلك نور الدين خاف ان يفسد عليه اسد الدين الى صاحب دمشق بحصول نجم
الدين عنده ومال نور الدين الى مجد الدين ابي بكر بن الدايه حتى ولاه جميع اموره وجميع مملكته
فشق ذلك على اسد الدين ٥ قال الرئيس ابو يعلى لما اتصل خبر موت زنكي بمعين الدين انر شرع

الشهيد زنكي سار

في المناهب والاستعداد لقصد تعليك وانتهاز الفرصه فيها بالات الحرب والمجانيقات
فنزل عليها وضايقها ولم يمض الا ايام قلايل حتى قل الما فيها فالجاتهم الى النزول على حكمه
وكان الوالي بها ذا حزم وعقل ومعرفه بالامور فاشترط ما قام لديه من اقطاع وغيره وسلم
البلد والقلعه اليه ووفا له بما قرر الامر عليه وتسلم ما فيه من غله وآلة في ايام من جمادى
الاولى من السنه وارسل معين الدين الوالي بحمص وتقررت بينه وبينه مهادنه وموادعه
بعود ان يصلاح الاحوال وعماره الاعمال ووقعت المراسله فيما بينه وبين صلاح الدين بحماه
وتقرر بينهما مثل ذلك ثم انكفا بعد ذلك الى البلد عقيب فراغه من تعليك وترتيب
من رتبه لحفظها والاقامه فيها قال وورد الاخبار في ايام من جمادى الاخره
من السنه بان ابن جوسلين جمع الفرنج من كل ناحيه وقصد مدينه الرها على غفله بموافقه
من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها من المسلمين فنهض نور
الدين صاحب حلب في عسكره ومن انضاف اليه من التركمان وعدتهم زهاء عشره الف
فارس ووقفت الدواب في الطرقات من شده السير ووافوا البلد وقد حصل ابن جوسلين
واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقتل من ارمن الرها والنصارى من قتل وانهزم
الى برج يقال له برج الما فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارسا من وجوه اصحابه
واحدق بهم المسلمون وشرعوا في النقب عليهم حتى تعرقب البرج فانهزم ابن جوسلين
في الخفيه من اصحابه واخذ الباقون ومحق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها وتخلص
من كان فيه اسيرا من المسلمين ونهب منها شي كثير من المال والاثاث والسبي وانكفا
المسلمون بالغنايم الى حلب وساير الاطراف ٥ وقال ابن الاثير لما قتل زنكي كان جوسلين
الفرنجي الذي كان صاحب الرها في ولايته غرب الفرات في تل باشر وما جاورها فراسل اهل
الرها وكان عامتهم من الارمن وواعدهم يوما يصل اليهم فيه فاجابوه الى ذلك فسار في
عساكره اليها وملكها وامتنعت عليه القلعه بمن فيها من المسلمين فقاتلهم وجد في قتالهم
فبلغ الخبر نور الدين وهو يومئذ بحلب فسار اليها بعسكره فهرب جوسلين ودخل نور الدين
مدينه الرها ونهبها وسبى اهلها وفي هذه الدفعه نهبت وخربت وخلت من اهلها ولم يبق

منهم بها الا القليل ووصل خبر الفرنج الى سيف الدين غازي بالموصل فجهز العساكر الى الرها
فوصل العساكر وقد ملكها نور الدين فبقيت بيده ولم يعارضه فيها اخوه سيف الدين قال
ومن عجيب ما جرى ان نور الدين ارسل من غنايمها الى الامرا وارسل الى زين الدين علي جاريه من
الجواري فحملت اليه فدخل ليطاها وخرج وقد اغتسل وهو يضحك فسئل عن ذلك فقال
لما فتحنا الرها مع الشهيد كان في جمله ما غنمت جاريه مالت نفسي اليها فعزمت على ان
ابيت معها فسمعت منادي الشهيد وهو يامر باعاده السبي والغنايم وكان مهيبا مخوفا فلم
اجسر على اتيانها واطلقتها فلما كان الان ارسل الي نور الدين سهمي من الغنيمه وفيه تلك
الجاريه فوطيتها خوفا من العود ٥ قلت وللقيسراني قصيده مدح بها جمال الدين
وزير الموصل ذكر فيها فتح الرها اولها ٥

أن م

اما آن ان يزهق الباطل ... وان ينجز العده الماطل
الى كم يغب ملوك الضلال ... سيف باعناقها كافل
فلا تحفلن بصول الذباب ... وقد زار الاسد الباسل
وهل يمنع الدين الا فتى ... يصول انتقاما فيستاصل
اباجعفر اشرقت دوله ... اضا لها بدرك الكامل
فاما انتصبت لرفع اسمها ... فانكما الفعل والفاعل
ليهنك ما افرج الثغر عنه ... وما ناله الملك العادل
فقل للحفاق الطريق الطريق ... فقد لف القرم البازل
وجاهد في الله حق الجهاد ... محتسب بالعلى فاضل
وهل يمنع السور من طالع ... يشايعه القدر النازل
فان يك فتح الرها لجه ... فساحلها القدس والساحل
فهل علمت علم تلك الديار ... ان المقيم بها راحل
ارى القمص يامل فوت الرماح ... ولا بد ان يضرب الشايل
بقوى معاقله جاهدا ... وهل عاقل بعدها عاقل
وكيف يضبط بواقي الجمات ... لمن فات حسبته الحاصل

ولابن منير من قصيده في نور الدين ٥
ملك ما اذل بالفتح ارضا ... قط الا اعزها اعلاقه
والوهاني الرها اذ حجا اليها ... عارضا شيب الدجى ابراقه
جارت حاره الله فعلا عطلا ... من اعناقها اعناقه
تلك بكر الفتوح بالشام منها ... شامه والعراق بعد عراقه

ان كان الملوك عن وجهها الطلق برينا اضاة اطلاقه ۝ سنه سنها ابوه بكلب
الروم لما اظله ارهاقه ۝ خافقا قلبه الى اجل عاجله دون نيله اخفاقه ۝
قسمته ابيه المواضي القشيبات وابتز من لهاه عراقه ۝ وكذا انت يا ابنه ما علا من
خلقه فيك خصله خلاقه ۝ وكفى البحر انه ابن سحاب ما ونى سحه ولا اضعاقه ۝
لم يبت من شددت ثلمته يا من على الدين حفظه اشفاقه ۝ رهبه لم تدع على الارض قلبا
خلف صدر ينشق عنه شقاقه ۝ كلما طن ذكرها منه في السمع يكما في النافقاء نفاقه
وجهاد عن حوزه الدين لم يال به ركضه ولا انفاقه ۝ وله فيه من قصيده اخرى ۝
بنور الدين روض كل محل من الدنيا وجدد كل بال ۝ اقام على ثنيه كل خوف سهادا
بات بكلا كل كال ۝ وصوب عدله في كل اوب فعوض عن طلا منه بحال ۝
بنكث رايه راي المحامي ويقبل خوفه قبل القتال ۝ لقد احصنت للاسلام عزا يفوت
شنامه بكل قال ۝ واصبحت العواصم ملحفات عصاما غير منكث الحبال ۝

فصل وقفت على توقيع كتب في ذي القعده سنه احدى واربعين
عن خليفه مصر يومئذ وهو الملقب بالحافظ وعليه علامته الحمد لله رب العالمين
الى القاضي الاشرف ابي المجد علي ابن الحسن ابن الحسين الميساني وهو والد القاضي الفاضل
وكان يومئذ متولي القضا والحكم بمدينه عسقلان فيه انهى الى حضره امير المومنين ان قوما
من اهل ثغر عسقلان حماه الله قد صاروا يوردون توقيعات بقبول اقوالهم من غير تزكيه
من شهود المعروفين بالتزكيه لهم مع كونهم غير مستوجبين للشهاده ولا مستحقين
لسماع القول انكر امير المومنين ذلك من فعلهم وخرج عالي امره بان لا يسمع قول شاهد
ولا من يتقدم لخطابه ولا الصلاه بالناس ولا التلاوه في موضع شريف الا من زكاه اعيان شهود
الثغر المحروس وهم فلان وفلان وعد ثمانيه انفس عبد الشاكر بن عبد الرحمن
عبد العزيز بن مفضل   علي بن قريش   احمد بن حسن   احمد بن علي   عبد الرحمن
ابن محسن   اسامه بن عبد الصمد   علي بن عبد الله   قلت وهذا احسن ما يورخ
عن ايام تلك الدوله المباينه للشريعه على ما سياتي ان شا الله تعالى ۝ وقال الرئيس ابو يعلي

وفي شوال من سنه احدى واربعين ترددت المراسلات بين نور الدين ومعين الدين انر الى
ان استقرت الحال بينهما على اجمل صفه واحسن قضيه وانعقدت الوصله بين نور الدين
وبين ابنه معين الدين وتاكدت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب العقد في دمشق
بمحضر من رسل نور الدين في الثالث والعشرين من شوال وشرع في تحصيل الجهاز وعند
الفراغ منه توجهت الرسل عائدين الى حلب وفي صحبتهم ابنه معين الدين ومن في جملتها
من خواص الاصحاب في النصف من ذي القعده قال وتوجه معين الدين الى ناحيه صرخد وبصرى
بالخيل والرجل والات الحرب ونزل على صرخد وبها المعروف بالتونتاش غلام امين الدوله
كمشتكين الاتابكي الذي كان واليها اولا قلت ــــ هو الذي تنسب اليه المدرسه
الامينيه قبلي الجامع بدمشق قال وكانت نفس التونتاش قد حدثته بجهله انه يقاوم من
يكون مستوليا على دمشق وان الافرنج يعينونه على مراده وكان قد خرج من حصن صرخد الى
ناحيه الفرنج للاستنصار بهم وتقرير احوال الفساد معهم فحال معين الدين بينه وبين العود
الى احد الحصنين وراسل نور الدين في انجاده على الكفره فاجابه وكان مبرزا بظاهر حلب في
عسكره فثنى اليه الاعنه واغذ المسير فوصل الى دمشق في السابع والعشرين من ذي الحجه
فاقام اياما يسيره **ودخلت** سنه اثنتين واربعين وخمسمايه
فتوجه نور الدين نحو صرخد ولم يشاهد احسن من عسكره وهيبته وعدته ووفور عدته
واجتمع العسكران وارسل من بصرخد اليهما يلتمسون الامان والمهله اياما وتسلم
المكان وكان ذلك منهم على سبيل المغالطه والمحاتله الى ان يصل عسكر الفرنج لترحيلهم وقضى
الله تعالى وصول من اخبر بتجمع الفرنج واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم مجدين
السير الى ناحيه بصرى وعليها فرقه وافره من العسكر محاصره لها فنهض العسكر في الحال
الى ناحيه بصرى فسبقوا الفرنج اليها فحالوا بينهم وبينها ووقعت العين على العين فانهزم
الكفار وولوا الادبار وتسلم معين الدين بصرى وعاد الى صرخد فتسلمها وعاد العسكر
الى دمشق فوصلاها يوم الاحد السابع والعشرين من المحرم وفي هذا الوقت وصل التونتاش
الذي خرج من صرخد الى الفرنج بجمله وسخافه عقله الى دمشق من بلاد الفرنج من غير امان

ولا تقرير واستيذان توهمًا منه انه يكرم ويصطنع بعد الاساه القبيحه والارتداد
عن الاسلام فاعتقل في الحال وطالبه اخوه خطلخ بما جناه عليه من سمل عينيه وعقد
لهما مجلس حضره الفقها والقضاه واوجبوا عليه القصاص فسمل كما سمل اخاه واطلق الى
داره بدمشق فاقام بها ⊙ قلت ـــــــ وقد ذكر ابن منير وقعه بصرى هذه وغيرها
من الوقعات التي ياتي ذكرها في قصيده قد تقدم بعضها منها ⊙

اي شاو ادركت يا نور دين الله اعيى على الملوك لحاقه
نطق الحاسدون بالعجز عن ملك محلا بالنيرات نطاقه
غض ابصارهم لحاق جواد ليس الا الى المعالي سباقه
سل بصيرا اكم اعتقت بيوم بصرى من اسار الموت الزوام اعناقه
كم غرام على العريمه شبت ضاق منه على الصليب خناقه
ولكم هبوة بهاب واحسا لها هاصكت الاسارى رباقه

بسط الذل فوق بسطه باسوطا ولكن طواه عنه ارتفاقه ⊙ وفي هذه السنه ولد ببعلبك
الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب وقيل في سنه فتح زنكي الرها ⊙ قال
ابو يعلى وفي ليله الجمعه الثالث من ربيع الاول توفي الفقيه شيخ الاسلام ابو الفتح نصر الله
ابن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق كان بقيه الايمه الفقها المفتيين على مذهب الامام
الشافعي ولم يخلف بعده مثله ⊙ قال وفي جمدى الاخره تقررت ولايه حصن صرخد
للامير مجاهد الدين بزان بن مامين على مبلغ من المال والغله وشروط وايمان دخل فيها
وقام بها واستبشر اهل تلك الناحيه لما هو عليه من حب الخير والصلاح والتدين
والعفاف ⊙ قال وفي الحادي والعشرين من شوال وهو مستهل نيسان اظلم الجو ونزل
غيث ساكن ثم اظلمت الارض في وقت العصر ظلاما شديدا بحيث كان ذلك كالغلسه
بين العشايين وعينت السما في عين الناظر اليها كصفره الورس وكذلك الجبال والاشجار
الغوطه وكل ما ينظر اليه من حيوان وجماد ونبات ثم جا في اثر ذلك من الرعد القاصف
والبرق الخاطف والهتان المزعجه والرجفات المفزعة ما ارتاع لها الشيب والشباب
وكيف الولدان والنسوان وقلقت لذلك الخيول في مرابطها وبقي الامر على هذه
الحال الى وقت العشا الاخره ثم سكن بقدرة الله تعالى واصبح على الارض والاشجار
وساير النبات غبار في رقه الهوا بين البياض والغبره ⊙ قال ـــــ ابن الاثير وفي سنه
اثنتين واربعين فتح نور الدين ارتاح بالسيف وحصن باراه وبصرفوث وكفرلاثا
وكان الفرنج قد طمعوا وظنوا انهم بعد قتل الشهيد يستردون ما اخذ منهم فلما راوا من نور
الدين هذا الجد علموا ان ما املوه بعيد

فصل في نزول الفرنج على دمشق ورجوعهم وقد خذلهم الله عنها

قال الرييس ابو يعلى وفي هذه السنه تواصلت الاخبار من
ناحيه القسطنطينيه وبلاد الفرنج والروم وما والاها بظهور ملوك الفرنج من بلادهم
منهم الالمان والفنش وجماعه من كبارهم في العدد الذي لا يحصر لقصد بلاد الاسلام بعد ان
نادوا في ساير بلادهم ومعاقلهم النفير النفير اليها والاسراع نحوها وخلوا بلادهم واعمالهم
خاليه شاغره من حماتها والحفظه لها ثم استصحبوا ذخايرهم واموالهم وعددهم الشي الكبير
الذي لا يحصى بحيث يقال ان عدتهم الف الف من الرجاله والفرسان ويقال اكثر من ذلك
وغلبوا على اعمال قسطنطينيه واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ومسالمتهم والنزول
على احكامهم وحين شاع خبرهم واشتهر امرهم شرعت ولاه الاعمال المضافه لهم والاطراف
الاسلاميه القريبه منهم في التاهب للمدافعه لهم والاحتشاد على المجاهده فيهم وقصدوا
منافذهم ودروب معابرهم لكي يمنعوهم من العبور والنفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شن
الغارات على اطرافهم واستحر القتل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحل
بهم من عدم القوت والعلوفات والميره وغلا السعر اذا وجد ما افنى الكثير منهم بالجوع
والمرض ولم تزل اخبارهم تتواصل بهلاكهم وفنا اعدادهم الى اواخر سنه اثنتين واربعين بحيث
سكنت النفوس بعض السكون ⊙

ودخلت سنه ثلث واربعين
وخمسمايه وتواترت الاخبار بوصول مراكب الفرنج وحصولهم على سواحل الثغور الساحليه
صور وعكا واجتماعهم مع من بها من الفرنج ويقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع
وصل تقدير من مايه الف وقصدوا البيت المقدس وقضوا حجهم وعاد من عاد منهم الى بلادهم

في البحر وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي
ملك الالمان اكبر ملوكهم ومن هو دونه واختلفت الآرا بينهم فيما يقصدون من منازلته من
البلاد الاسلامية الى ان استقرت الحال على منازلتهم دمشق وبلغ ذلك معين الدين
فاستعد لحربهم فجاوا في تقدير خمسين الفا ودنوا من البلد ثم قصدوا المنزلة المعروفة
بنزول العساكر فيها فصادفوا الما مقطوعا فقصدوا ناحية المزة فخيموا عليها لقربهم
من الما وزحفوا الى البلد بخيلهم ورجلهم ووقف المسلمون بازايهم في يوم السبت سادس
ربيع الاول ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الاعمال الاجناد والاتراك والقتال
واحداث البلد والمطوعة والغزاة الجم الغفير واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الاعداد
وغلبوا على الما وانتشروا في البساتين وخيموا فيها وقربوا من البلد وحصلوا منه بمكان
لم يتمكن احد من العساكر قديما وحديثا منه واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام
يوسف الفندلاوي المالكي رحمه الله قريب الربوة على الما لوقوفه في وجوههم وترك
الرجوع عنهم اتباعا لامر الله تعالى في كتابه الكريم وقال بعنا واشترا وكذلك عبد الرحمن
الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجرى ○ فصل قلت وذكر
الامير اسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار ان ملك الالمان الفرنجي لما وصل الى الشام
اجتمع اليه كل من بالشام من الفرنج وقصد دمشق فخرج عسكرها واهلها لقتالهم وفي
جملتهم الفقيه الفندلاوي المالكي والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحلحولي رحمهما الله وكانا من
خيار المسلمين فلما قاربوهم قال الفقيه لعبد الرحمن اما هولا الروم قال بلى قال فالى متى نحن
وقوف قال سر على اسم الله فتقدما فقاتلا حتى قتلا في مكان واحد رحمهما الله تعالى ثم
قال ابو يعلى وشرعوا في قطع الاشجار والتحصن بها وهدموا القناطر وباتوا تلك
الليلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياع لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما
ضعفت به القلوب وحرجت معه الصدور وبادروا الظهور اليهم في غد ذلك اليوم
وهو الاحد اليه وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم واكثروا
القتل والجراح فيهم وابلى الامير معين الدين في حربهم بلا حسنا وظهر من شجاعته وصبره

وبسالته ما لم يشاهد في غيره بحيث لا ينثني في جهادهم ولا ينتهي عن ردهم ولم تزل رحا
الحرب دايرة بينهم وخيل الكفار محجمة عن الحملة المعروفة لهم حتى تتهيا الفرصة لهم الى ان
مالت الشمس الى الغروب واقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل منهم الى مكانه
وبات الجند بازايهم واهل البلد على اسوارهم للحرس والاحتياط وهم يشاهدون اعداهم بالقرب
منهم وكانت المكاتبات قد نفذت الى ولاة الاطراف بالاستصراخ والاستنجاد وجعلت
خيل التركمان تتواصل ورجالة الاطراف تتتابع وباكرهم المسلمون وقد قويت شوكتهم
ونفوسهم وزال عنهم روعهم وثبتوا بازايهم واطلقوا فيهم السهام والنبل الجرح بحيث يقع
في مخيمهم في راجل او فارس او فرس او جمل ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة
كثيرة من الرماة فزادت بهم العدة وتضاعفت العدة وانفصل كل فريق الى مستقره
في هذا اليوم وباكروهم من غد يوم الثلثا واحاطوا بهم في مخيمهم وقد تحصنوا باشجار البساتين
واسندوها رشقا بالنشاب وحذفا بالاحجار وقد احجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ولم
يظهر منهم احد وظن انهم يعملون مكيدة او يدبرون حيلة ولم يظهر منهم الا النفر اليسير من
الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة خوفا من المهاجمة الى ان يجدوا لحملتهم مجالا
وليس يدنوا منهم احد الا صرع برشقة او طعنة وطمع فيهم نفر كثير من رجالة الاحداث والضياع
وجعلوا يقصدونهم في المسالك وقد امنوا فيقتلون من ظفروا به ويحضرون روسهم لطلب
الجوايز عليها وحصل من روسهم العدد الكثير وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلامية
بالمسارعة الى جهادهم واستيصال شافتهم فايقنوا بالهلاك والبوار وحلول الدمار
واعملوا الآرا بينهم فلم يجدوا لنفوسهم خلاصا من الشبكة التي حصلوا فيها غير الرحيل فرحلوا
سحر يوم الاربعا التالي مفلولين وحين عرف المسلمون ذلك برزوا اليهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا
في اثارهم بالسهام بحيث قتلوا في اعقابهم من الرجال والخيول والدواب العدد الكثير ووجدوا
في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفاين قتلاهم وخيولهم ما لا عدد له ولا حصر يلحقه بحيث لها روايح
من جيفهم تكاد تصرع في الجو وكانوا قد احرقوا الربوة والقبة الممدودة في تلك الليلة
واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغها الله عليهم واكثروا من الشكر له تعالى على ما اولاهم

من اجابه دعائهم الذي واصلوه في ايام هذه الشده فلله الحمد على ذلك والشكر واتفق
عقيب هذه الرحمه اجتماع معين الدين مع نور الدين عند قربه من دمشق للانجاد لها وقال
ابن الاثير خرج ملك الالمان من بلاد الفرنج في جيوش عظيمه لا تحصى كثره من الفرنج الى بلاد
بلاد الشام فاتفق هو ومن بساحل الشام من الفرنج فاجتمعوا وقصدوا مدينه دمشق ونازلوها
لوها ولا يشك ملك الالمان الا انه يملكها وغيرها لكثره جموعه وعساكره قال وهذا النوع
من الفرنج هو اكثرهم عددا واعظم محلا فلما حاصروا دمشق وبها صاحبها مجير الدين ابق
ابن محمد بن بوري بن طغتكين وليس له من الامر شي وانما كان الامر الى مملوك جده طغتكين
وهو معين الدين انر فهو كان الحاكم والمدبر للبلد والعسكر وكان عاقلا دينا خيرا حسن
السيره فجمع العسكر وحفظ البلد وحصرهم الفرنج وزحفوا اليهم سادس ربيع الاول
فخرج العسكر واهل البلد لمنعهم وكان فيمن خرج الشيخ الفقيه حجة الدين ابو الحجاج يوسف
ابن دوناس المغربي الفندلاوي شيخ المالكيه بدمشق وكان شيخا كبيرا زاهدا عابدا فخرج
راجلا فراه معين الدين فقصده وسلم وقال له يا شيخ انت معذور ونحن نكفيك وليس بك
قوه على القتال فقال قد بعت واشترى فلا نقيله ولا نستقيله يعني قول الله تعالى ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه الايه وتقدم فقاتل حتى قتل رحمة الله عند النيرب
شهيدا وقوي امر الفرنج وتقدموا فنزلوا بالميدان الاخضر وضعف اهل البلد عن ردهم عنه
وكان معين الدين قد ارسل الى سيف الدين يستغيث به ويستنجده ويساله القدوم عليه
ويعلمه شده الامر فجمع سيف الدين عساكره وسار مجدا الى مدينه حمص وارسل الى معين الدين
يقول له قد حضرت ومعي كل من يطيق حمل السلاح من بلادي فاريد ان اناجيت اليك ولقينا الفرنج
وليست دمشق بيد نوابي واصحابي وكانت الهزيمه والعياذ بالله علينا لا يسلم منا احد
لبعد بلادنا عنا وحينيذ يملك الفرنج دمشق وغيرها فان اردتم ان القاهم واقاتلهم فتسلم البلد
الى من اثق اليه وانا احلف لك ان كانت النصره لنا على الفرنج انني لا اخذ دمشق ولا اقيم بها
الا مقدار ما يرحل العدو عنها واعود الى بلادي فماطله معين الدين لينظر ما يكون من الفرنج وارسل
سيف الدين الى الفرنج الغربا يتهددهم ويعلمهم انه على قصدهم ان لم يرحلوا وارسل معين الدين

[Margin note, illegible]

اليهم ايضا يقول لهم قد حضر ملك الشرق ومعه من العساكر ما لا طاقه لكم به فان انتم رحلتم
عنا والا سلمت اليه البلد وحينيذ لا تطمعون في السلامه منه وارسل الى فرنج الشام
يخوفهم من اوليك الفرنج الخارجين الى بلادهم ويقول لهم انتم بين امرين مذمومين ان ملك هولاء
الفرنج الغربا دمشق لا يبقون عليكم ما بايديكم من البلاد وان سلمت انا دمشق الى سيف الدين
فانتم تعلمون انكم لا تقدرون على منعه من البيت المقدس وبذل لهم ان يسلم اليهم بانياس
ان رحلوا ملك الالمان عن دمشق فاجابوه الى ذلك وعلموا صدقه واجتمعوا بملك الالمان
وخوفوه من سيف الدين وكثره عساكره وتتابع امداده وانه ربما ملك دمشق فلا يبقى لهم معه
مقام بالساحل فاجابهم الى الرحيل عن دمشق فرحل ورحل فرنج الساحل وتسلموا حصن بانياس
من معين الدين وبقي معهم حتى فتحه نور الدين محمود رحمه الله كما سنذكره **فصل**
قلت وذكر الحافظ ابو القسم بن عساكر رحمه الله في تاريخه ان الفقيه الفندلاوي روي في
المنام فقيل له اين انت قال في جنات عدن على سرر متقابلين وقبره الان يزار بمقابر باب
الصغير من ناحيه حايط المصلى وعليه بلاطه كبيره منقور فيها شرح حاله واما عبد
الرحمن الحلحولي فقبره في بستان الشعباني في جهه شرقه وهو المسجد المحاذي لمسجد شعبان
المعروف الان بمسجد طالوت وكان مقامه في حياته في ذلك المكان رحمه الله وقرات قصيده
في شعر ابي الحكم الاندلسي شرح فيها هذه القصه منها

بشطي نهر داريا امور ما توانينا — واقوام راوا سفك الدما في جلق دينا
اتانا ما بينا الف عديدا او يزيدونا — فبعضهم من اندلس وبعضهم من فلسطينا
ومن عكا ومن صور ومن صيدا وتبنينا — اذا ابصرتهم ابصرت اقواما مجانينا
ولكن حر قوافي عاجل الحال البساتينا — وجازوا المرج والنغد بل ايضا والميادينا
نخالهم وقد ركبوا قطاين ها حرادينا — وبين خيامهم ضموا الخنازير والقرابينا
ورايات وصلبانا على مسجد خاتونا — وقلنا اذ رايناهم لعل الله يكفينا
سمالهم معين قد اعان الخلق والدينا — وفتيان نخالهم لذي الهيجا شياطينا
فولوا يطلبون المرج من شرق جسرينا — ولكن غادروا الباس تحت الترب مدفونا

وشيخًا فند لاويًا فيقها يعضد الدينا   وفينا انًا تفانوا من دمشق نحو سبعينا
ومنهم ما بنا علج وخيل نحو تسعينا   وباقيهم الى الان من القتل يفروننا

وللعرقله حسان في مدح مجير الدين صاحب دمشق حينئذٍ قصيده ذكر فيها هولاء الفرنج اولها ۝ عرج على نجدٍ لعلك منجدي بنسيمها وبذكر سعدى مسعدي
يقول فيها ۝ من قاتل الافرنج دينا غيره والخيل مثل السيل عند المشهدِ

ردّ الامان بكل ندب باسلٍ ومن الجياد بكل نهدٍ اجردِ
ومن السيوف بكل عضبٍ ابيضٍ ومن العجاج بكل نقعٍ اسودِ
حتى لوا الاسلام تحت لوايه وغدا بجدٍ من شريعة احمدِ

وقرات في ديوان محمد بن نصر القيسراني قصيده في مدح تاج الملوك بوري جد مجير الدين انشده اياها عند كسره الفرنج على دمشق في اواخر سنه ثلث وعشرين وخمس ميه وهي واقعه تشبه الواقعه في زمن مجير الدين اول القصيده

الحق مبتهج والسيف مبتسم وما لاعدا مجير الدين مقتسم
فلتث الجياد وحصنت البلاد وامنت العباد فانت الحل والحرم
وجيت بالخيل من اقصى مرابطها معاقد الحزم في اوساطها الحزم
حتى اذا ما احاط المشركون بنا كالليل يلتهم الدنيا له ظلم
واقبلوا الامن الاقبال في عددٍ يودّ حاسبه الاعيا والسام
اجريت بحرًا من الماذي معتكرًا امواجه باواسي الباس يلتطم
وشنت خيلك والرحمن يكلوها شناشنًا ما بعفى اثرها ندم
ووقفت في الجيش والاعلام خافقةً بالنصر كل قناه فوقها علم
يحوطك الله صونًا عن عيونهم والله يعصم من بالله يعتصم
حتى اذا بدت الا راضاحكةً واقبلت اوجه الاقبال تبتسم
انبعثت سراياهم مضمرةً فيها نجوم اذا جلا الوغى رجم
والنصر دان وخيل الله مقبلةً ترجوا الشهادة في الهيجا وتغتنم
صان النعم عليهم والسنا معًا فما دروا الا الطفل الا له السلم
سر والينبس الاعدا ان يشفوا الا وقيه وينتقضوا الاسلوان عيشهم
وانهلت خيلنا ترى نكلصه عن صوفية على جانا الا الفم
وادبر البلاد الطاغي غرته صوره احرمت الاسقف من اللدن

وافوا دمشق فظنوا انها جنةً ففارقوها وفي ايديهم العدمُ
وايقنوا مع ضيا الصبح انهم ان لم يزولوا اسرًا عاز الخيم
فغادروا اكثر القربان وانجفلوا وخلفوا اكبر الصلبان وانهزموا
مستسلمين لايدي المسلمين وقد اغرى القنا بتمادي خطفهم نهمُ
لا يملك الجسم دفعًا عن مقاتله كانه حين يغشاه الردى صنمُ
وحاولوا المسجد الادنى فما عبرت عن مسجد القدس الاقصى لهم قدمُ ۝

قال ابن الاثير لما رحل الفرنج عن دمشق سار معين الدين انر الى بعلبك وارسل الى نور الدين وهو مع اخيه سيف الدين يسأله ان يحضر عنده فاجتمعا فوصل اليهما كتاب القمص صاحب طرابلس يشير عليهما بقصد حصن العريمه واخذه ممن فيه من الفرنج وكان سبب ذلك ان ولد الفنش صاحب صقليه خرج مع ملك الالمان الى الشام وتغلب على العريمه واخذها من القمص واظهر انه يريد اخذ طرابلس منه ايضا وجد هذا الذي ملك العريمه هو الذي غزا افريقيه وفتح مدينه طرابلس الغرب فلما استولى هذا على العريمه كاتب القمص نور الدين ومعين الدين في قصده فسارا اليه مجدين فصبحاه وكتبا الى سيف الدين يستنجدانه ويطلبان منه المدد فامدهما فحصروا الحصن وبه ابن الفنش ونقبوا السور فاذعن الفرنج واستسلموا والقوا بايديهم فملك المسلمون الحصن واخذوا كل من به من رجل وصبي وامراه وفيهم ابن الفنش واخربوا الحصن وعادوا الى سيف الدين وافتتح نور الدين ايضا باسوطا وهاب ۝ وقال الرييس ابو يعلى قتل اكثر من كان فيه يعني في حصن العريمه واسروا واخذوا ولد الملك وامه ونهب ما فيه من العدد والخيول والاثاث وعاد عسكر سيف الدين الى مخيمه بحمص وعاد نور الدين الى حلب ومعه ولد الملك وامه ومن اسر معهما وانكفا معين الدين الى دمشق قال ووردت الاخبار في رجب من ناحيه حلب بان نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحيه الاعمال الفرنجيه وقصد افاميه وظفر بعده من الحصون والمعاقل الفرنجيه وبعده واقر من الفرنج وان صاحب انطاكيه جمع الفرنج وقصده على حين غفلة منه فنال من عسكره واثقاله وكراعه ما اوجبته الاقدار النازله وانهزم بنفسه وعسكره وعاد الى حلب

سالمًا فى عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعه وافره من الفرنج واقام بحلب
ايامًا بحيث جدد ما ذهب له من البرك وما يحتاج اليه من الات العسكر وعاد الى
منزله وقيل لم يبعد وذكر بن ابي طي ان اسد الدين لما كان في نفسه على نور الدين فقال له
ما هذا الوقوف والغفله في مثل هذا الوقت والمسلمون قد انكسروا فقال يا خوند ايش تنفع
نحن انما ينفع مجد الدين ابو بكر فهو صاحب الامر فاستدرك نور الدين ذلك وطيب قلب
اسد الدين بعد ذلك والزم مجد الدين ان يعرف لاسد الدين حقه واصلح بينهما قال وقتل
في هذه الكسره شاهنشاه بن ايوب اخو الملك الناصر وقيل في كسره البقيعه قلت
وهو والد عز الدين فرخشاه وتقي الدين عمر والست عذرا المنسوب اليها العذراويه داخل
باب النصر بدمشق وقبره الان بالتربه النجميه جوار المدرسه الحساميه بمقبره العونيه ظاهر
دمشق رحمهم الله قلت ولابن منير من قصيده تقدمت اعتذارًا عما جرى في هذه
الغزاه قال ۝ لم يشنه من ما يغر ان فر الاشابات ذاد عنها اندلاقه
كان فيها ليث العرين حمى الاشبال منه غضبان كالنار مافه
وشبيه النبي يوم حنين اذ سلا فاد واهم درباقه
وهي الحرب نحلها تحسن الكره ان عض ما سها لا بنا فه
وقال ابن الاثير وفي سنه ثلاث واربعين ايضا سار نور الدين الى بصرى
وقد اجتمع بها الفرنج في قضهم وقضيضهم وقد عزموا على قصد بلاد الاسلام فالتقى بهم هنالك
واقتتلوا اشد قتال ثم انزل الله نصره على المسلمين وانهزم الفرنج وكانوا اين قتيل واسير وفي
هذه الوقعه يقول القيسراني من قصيده اولها ۝
يا ليت ان الصد مصدود او لا فليت النوم مردود ۝ الى متى تعرض عن مغرم في خده
للدمع اخدود ۝ قالوا عيون البيض بيض الظبى قلت ولكن هذه سود ۝
يخاف منها وهي في جفنها والسيف يخشى وهو مغمود ۝ وكيف لا يثنى على عيشنا
المحمود والسلطان محمود ۝ فليشكر الناس ظلال المنى ان رواق العدل ممدود ۝
ونيران الملك وهاجه وطالع الدوله مسعود ۝

وصارم الاسلام لا ينثني الا وشلو الكفر مقدود ۝
مناقب لم تكن موجوده الا ونور الدين موجود
مظفر في درعه ضيغم عليه تاج الملك معقود
وكم له من وقعه يومها عند ملوك الشرك مشهود
والقوم اما منهم صرعه او موثق بالقد مشدود
حتى اذا عادوا الى مثلها قالت لهم هيبته عودوا
طالب بثار ضمنته الظبى فكل ما يضمن مردود
والكر والفر سجال الوغى فطارد طورًا ومطرود
وقال ايضا قصيده في نور الدين وانشده اياها بظاهر حلب وقد كسر الفرنج على
يغرا وهزمهم الى حصن حارم وقد كانت الفرنج هزمت المسلمين اولًا بهذا الموضع اولها
نفى بضمانها البيض الحداد وتقضي دينها السمر الصعاد
وتدرك ثارها من كل باغ فوارس من عزايمها الجلاد
ويغشى حومه الهيجا همام يشد بضبعه السبع الشداد
اظنوا ان نار الحرب تخبو ونور الدين في يده الزناد
وجند كالقصور على صقور اذا انقضوا على الابطال صادوا
اذا اخفوا مكيدتهم اخافوا وان ابدوا اعداوتهم ابادوا
ونصره دوله حاميت عنها وهل تخشى وانت لها عماد
وان ثبت القوافي ما تليه بانت ما يوثيها سناد
جرت بالنصر اقلام العوالي وليس سوى النجيع لها مداد
وطارت ارؤس الاعلاج خصبًا فنادى السيف قد وقع الحصاد
احطت بهم فكان القتل صبرًا ولا طعن هناك ولا طراد
وللابرنز فوق الرمح راس توسد والسنان له وساد
ترجل للسلام فقرسوه وليس سوى القناة له جواد

[illegible]

لانطاكيه يحمى ذراها وقد اشتد لسطوتك البلادُ
واذعنت الممالك واستجابت ملبية لدعوتك العبادُ ٥ قلت ووقعه انب هذه كانت عظيمه

وفيه كثر ذلك الشعر الهاو سياتى ذكرها قريبا ان شا الله تعالى **فصل** قال ابو يعلى التميمى وفى رجب من هذه السنه ورد الخبر من ناحيه حلب بان صاحبها نور الدين اتابك امر باطال حى على خير العمل فى اواخر اذان الغداه والتظاهر بسب الصحابه وانكر ذلك انكارا شديدا وشاعه على ذلك جماعه من السنه بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيليه واهل التشيع وضاقت له صدورهم وهاجوا وماجوا ثم سكنوا واحجموا للخوف من السطوه النوريه المشهوره والهيبه المحذوره قلت واشد ابن منير فى رمضان

فداك من صام ومن افطروا من شعى شعيك او قصرا
وما الورى اهلا فتفد لهم وهل يوازى عرضا جوهرا
عدل تساوى تحت اكنافه بطايل العين واسد الشرا
يا نور دين الله كم حادث دجا واسفرت له فانشدا
وكم حمى للشرك لا يهتدى الوهم له غادرته مجزرا
يا ملك العصر الذى صده افسح من اقطارها مصدرا
وابن الذى طاول افلاكها فلم يجد من فوقه مظهرا
مناقب تذكر كسرى كما يقصر عن ادراكها قيصرا
ما عام فى اوصافها شاعر الاراى اوصافها اشعرا
لله اصل انت فرع له ما اطيب الجنا وما اطهرا
ما طلب البيضا مصنتها الاحمر امثل ام القرى
شيدت فى معمورها بابها الكل باغى عمره مشعرا
فاصبح الشاذى اذا ثوب الداعى له هلل او كبرا
لاعدم الاسلام من كفه كف لمن ارهق او احصرا
كانما ساحته جنة اجرت بها راحته كوثرا

نصرم الشهر الذى كنت فى اوقاته من قدره اشهرا
جهاد ليل فى نهار وقفر اذ كنت فيه الاصبر الاشكرا
اصدق ما يرشفه سامع ما هز من اوصافك المنبرا
ابقاك للدنيا وللدين من ظلالك فى ليلهما نيرا
حتى ترى عيسى من القدس قد نجا الى سيفك مستنصرا

قال ابو يعلى وفى رجب اذن لمن يتعاطى الوعظ بالتكلم فى الجامع المعمور بدمشق على جارى العاده والرسم فبدا من اختلافهم فى احوالهم واغراضهم والخوض فى قضايا لا حاجه الى بها من المذاهب ما اوجب صرفهم عن هذه الحال وابطال الوعظ لما يتوجه معه من الفساد وقطع سفها الاوغاد وذلك فى اخر شعبان منها قال وكثر فساد الافرنج المقيمين بصور وعكا والثغور الساحليه فى الاعمال الدمشقيه بعد رحيلهم عن دمشق فاغار معين الدين على اعمالهم وخيم فى ناحيه من حوران بالعسكر وكاتب العرب واستدعى جماعه وافره من التركمان والحق ايديهم فى نهبهم والفتك بهم فلم يزل على النكايه فيهم والمضايقه لهم الى ان الجاهم الى طلب الصلح **ودخلت** سنه اربع واربعين وخمسمايه فتجددت المهادنه فى المحرم مده سنتين وانفذ نور الدين الى معين الدين يعلمه ان صاحب انطاكيه قد جمع افرنج بلاده وظهر بطلبهم الافساد فى الاعمال الحلبيه وانه قد برز فى عسكره الى ظاهر حلب للقايه والحاجه ماسه الى معاضدته فندب معين الدين مجاهد الدين بزان بن مامين فى فريق وافر من العسكر الدمشقى للمسير الى جهته وبذل المجهود فى طاعته ومناصحته وبقى معين الدين فى باقى العسكر بناحيه حوران قال وفى صفر من السنه ورد البشاير من جهه نور الدين بما اولاه الله تعالى من النصر على حشد الافرنج المخذول ولم يفلت منهم الا من خبر بوارهم وتعجيل دمارهم وذلك ان نور الدين اجتمع له من العساكر سته الف فارس مقاتله سوى الاتباع والسواد فنهض بهم الى الافرنج فى الموضع المعروف بانب وهم فى نحو اربعمايه فارس والف راجل فقتلوهم وغنموهم ووجد اللعين البرنس مقدمهم صريعا بين حماته وابطاله فعرف وقطع راسه وحمل الى نور الدين وكان هذا اللعين من ابطال الفرنج المشهورين بالفروسيه وشده الباس وقوه الحيل وعظم الخلقه مع اشتهار الهيبه وكثره السطوه والتناهى فى الشر وذلك يوم الاربعا الحادى والعشرين من صفر ثم نزل نور الدين فى العسكر على باب انطاكيه وقد خلت من حماتها والذابين عنها ولم يبق فيها غير اهلها مع كثره اعدادهم وحصانه بلدهم وتردد المراسلات بينه وبينهم فى طلب التسليم اليه وايمانهم وصيانه اموالهم موقع الاحتجاج منهم بان هذا امر لا يمكنهم الدخول فيه الا بعد انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم وحملوا ما امكنهم من التحف والمال ثم استمهلوا فامهلوا ثم رتب

نور الدين بعض العسكر للاقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض في باقية العسكر لمنازلتها
ومضايقتها فالتمسوا الامان فاومنوا على انفسهم وتسلموا البلد في ثامن عشر ربيع الاول
وانكفا نور الدين في عسكره الى ناحية انطاكية وقد انتهى الخبر بنهوض الفرنج من ناحية
الساحل الى صوب انطاكية لانجاد من بها فاقتضت الحال مهادنة من في انطاكية وموادعتهم
وتقرير ان يكون ما قرب من الاعمال الحلبية له وما قرب من انطاكية لهم ورحل عنهم الى جهة غيرهم
بحيث كان قد ملك في هذه النوبة مما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعاقل وغيرها
المغانم الجمة وفصل عنه الامير مجاهد الدين بزان في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه
الوقعة ولمن في جملته البلا المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشهامة والبسالة
واصابة الراى والمعرفة بمواقف الحروب وقال ابن ابي طي حمل اسد الدين على حامل صليب
الفرنج فقتله وقتل البرنس صاحب انطاكية وجماعة من وجوه عسكره ولم يقتل من المسلمين
من يوبه له وعاد المسلمون بالغنايم والاسارى وكان لاسد الدين في هذه الحرب اليد البيضا ومدحه
بها بعض الشعرا الحلبيين بقول فيها

ان كان آل فرنج ادركوا فلجا في يوم بغرا ونالوا منيه الظفر
فقى الحطيم حطمت الكفر منصلتا ابا المظفر بالصمصامة الذكر
نالوا ببغرا نهابا واشتهيت لنا على الحطيم نقوس المعشر الاشر
واستقودوا الخيل عربا واستقدت لنا قوامض الكفر في ذل وفي صغر

قال وحصل لاسد الدين من هذه الكسرة سلاح كثير وعدة اسارى وخيول كثيرة فانفذ لاخيه نجم الدين منها شيا وفي هذه
السنة عظم امر اسد الدين وقال ابن الاثير سار نور الدين الى حصن حارم وهو للفرنج فحصره وخرب
ربضه ونهب سواده ثم رحل عنه الى حصن انب فحصره فاجتمعت الفرنج مع البرنس صاحب
انطاكية وساروا اليه ليرحلوه عن انب فلم يرحل بل لقيهم وتصاف الفريقان واقتتلوا وصبروا
وظهر من نور الدين من الشجاعة والصبر في الحرب على حداثة سنه ما تعجب منه الناس واجلت الحرب
عن هزيمة الفرنج وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وفيمن قتل البرنس صاحب انطاكية وكان عاتيا من
عتاة الفرنج وذوي التقدم فيهم والملك ولما قتل البرنس خلف ابنا صغيرا وهو بيمند فبقي مع

امه

امه بانطاكية فتزوجت امه بابرنس اخر واقام معها بانطاكية يدبر الجيش ويقودهم ويقاتل
بهم الى ان يكبر بيمند ثم ان نور الدين غزا بلاد الفرنج غزوة اخرى وهزمهم وقتل فيهم واسر
وكان في الاسرى البرنس الثاني زوج ام بيمند فلما اسر تملك بيمند انطاكية بلد ابيه وتمكن
منه وبقي بها الى ان اسره نور الدين بحارم سنة تسع وخمسين وخمس مية على ما نذكره ان شا
الله تعالى واكثر الشعرا مدح نور الدين وتهنيته بهذا الفتح وقتل البرنس فممن قال فيه
القيسراني الشاعر من قصيدة انشده اياها بجسر الحديد الفاضل بين عمل حلب وعمل انطاكية
اولها هذي العزايم لا ما تدعي القضب وذي المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتي متى خطبت تعثرت خلفها الاشعار والخطب
صافحت يا بن عماد الدين ذروتها براحة للمساعي دونها تعب
ما زال جدك يبني كل شاهقة حتى ابتنى قبة اوتادها الشهب
لله عزمك ما امضى وهمك ما اقضى انشاعا بما ضاقت به الحقب
يا شاهد الطرف والاجفان هاجعة وثابت القلب والاحشا تضطرب
اغرت سيوفك بالافرنج راجفة فوا د رومية الكبرى لها يجب
ضربت كبشهم منها بقاصمة اودى بها الصلب وانحطت بها الصلب
قل للطغاة وان صمت مسامعها قولا لصم القنا في ذكره ارب
ما يوم انب والايام دايلة من يوم بغرا بعيد لا ولا كثب
اغركم خدعة الامال ظنكم كم اسلم الجهل ظنا غره الكذب
غضبت للدين حتى لم يفتك رضى وكان دين الهدى مرضاته الغضب
طهرت ارض الاعادي من دمائهم طهارة كل سيف عندها جنب
حتى استطار شرارا الزند قادحه فالحرب تضرم والاجال تحتطب
والخيل من تحت قتلاها تقر لها قوايم خانهن الركض والخبب
والنقع فوق صقال البيض منعقد كما استقل دخان تحته لهب
والسيف هام على هام بمعركة لا البيض ذو ذمة فيها ولا اليلب

كذاك من لم يرو الله مهجته لا في العدى والقنا في كفه قضب
كانت سيوفهم اوحى حتوفهم يا رب جانبه مخافتها العطب
حتى الطوارق كانت من طوارقهم ثارت عليهم بها من تحتها النوب
اجسادهم في ثياب من دمائهم مسلوبة وكان القوم ما سلبوا
ابناء ملحمة لو انها ذكرت فيما مضى نسبت ابا ئها العرب
من كان يغزو بلاد الشرك مكتسبا من الملوك فنور الدين محتسب
ذو غرة ما سمت والليل معتكر الا تزوق عن شمس الضحى الحجب
انعا له كاسمه في كل حادثة ووجهه نايب عن وصفه اللقب
في كل يوم لفكري من وقايعه شغل فكل مديح فيه مقتضب
من بات للاسد اسرى في سلاسله هل بامر الغلب الا من له الغلب
فملكوا اسلب الابرنز قاتله وهل له غير انطاكيه سلب
من للشقي بما لاقت فوارسه وان يشا برها من تحته قتب
عجبت للصعدة السمرا مثمرة براسه ان اثمار القنا عجب
سما عليها سمو الما ارهقه انبوبه في صعود اصلها صبب
ما فارقت عذبات التاج مفرقه الا وهامته تاج ولا عذب
اذا القناه ابتغت في راسه نفقا بدا لتغلبها من نحره سرب
كنا نعد حمى اطرافنا ظفرا فملكتك الظبى ما ليس تحتسب
عمت فتوحك بالعدوى معاقلها كان تسليم هذا عند ذا جرب
لم يبق منهم سوى بيض بلا رمق كالنوى بعد راس الحية الذنب
فانهض الى المسجد الاقصى بذي لجب يوليك اقصى المنى فالقدس مرتقب
وائذن لموجك في تطهير ساحله فانما انت بحر لجه لجب
يا من اعاد ثغور الشام ضاحكة من الظبى عن ثغور زانها الشنب
ما زلت تلحق عاصيها بطايعها حتى اقمت وانطاكيه حلب

حللت من عقلها ايدي معاقلها فاستجفلت والى مثاقل الهرب ٥ وايقنت انها تتلو امر اكرهها وكيف يثبت لا جوق بلا طنب
اجريت من ثغر الاعناق انفسها جرى الجفون امتراها بارح حضب ٥ وما رأت القنا الا ومنك على جسر الحديد هزبر غيله اشب
فاسعد بما نلته من كل صالحة ياوي لها جنة الماوى لها حسب ٥ ان لا يكن احد الابدال في فلك التقوى فلا يتمارى انك القطب
فلو تناسب افلاك السما بها لكان بينكما من عفه نسب ٥ هذا وهل كان في الاسلام مكرمة الا سمت وعباد الهوى غيب

وله فيه من قصيدة اخرى ٥
الا لله درك اي در صريح جا بالكرم الصريح
وعسكرك الذي استولى منحجا على ما بين فاميه وسيح
ورفعتك التي بلت العوالي صواد رعن قتيل او جريح
بابنب يوم ابرزت المذاكي من النقع الغزاله في مسوح
غداه كانما العاصي احمرارا من الدمع عبرة الجفن القريح
وقد وافاك بالابرنز حتف اتيح له من القدر المتيح
فملت اشجهم بالقسر اذ لا يجود بنفسه غير الشحيح
ملات بهم ضرائحهم فامسوا وليس سوى القشاعم من ضريح
وعلت الى ذرا حلب حثيثا سمو البدر من بعد الجنوح
فان حليت بغرتك الليالي فكم لسناك من زمن مليح
وديك تسكن الهيجا فواقا بجيش تريح من تعب المريح
فانت وان اراحت الخيل وقتا فهمتك غير همم المستريح

وقال احمد منير يمدحه ويذكر ظفره بالابرنز واصحابه وحمل راسه الى حلب وانشده ايضا اياها بجسر الحديد ٥

اقوى الضلال واقفرت عرصاته وعلا الهدى وتبلجت قسماته
وانتاش دين محمد محموده من بعد ما غلبت دما عبراته
وذنا على الاسلام عصر شبابه وثنا به من دونه وثباته
ارسى قواعده ومد عماده صعدا وشيد سوره سوراته
واعاد وجه الحق ابيض ناصعا اصلاته وصلاته وصلواته
لما تواكل حزبه وتخاذلت انصاره وتقاصرت خطواته
رفعت لنور الدين نار عزيمة رجعت لها من طبعها ظلماته
ملك مجالس لهوه شداته ومشوقه بين الصفوف شذاته
تغري بحمحمة اليراع بنانه ان لذ حمحمة الكؤوس لذاته
ويروقه ثغر العدى وان دما لا الثغر يعبق في لماه لثاته
فصبوحه خمر الظبى وغبوقه نطف النفوس تديرها اشواته
فتح تعممت السما بغباره وهفت على اعضائها عذباته
سبغت على الاسلام بيض حجوله واختال في اوضاحها جبهاته
والخيل فوق الابطحين غمامه وشرت الى سكينها تقحاته
لله بلجة ليلة محضت به واليوم دجن وشيه ساعاته
حط الفوارس فيه بعد قماشها ضرب يصلصل في الطلى صعقاته
بذلوا السلاح لضيغم عاداته فرس الفوارس والقنا غاباته

لجرب عمرته غضبانه لله معتصميه غـــزواته
تحيا الضيق صفاده اسراوه وتفيض ما اشتو ولها نغمـاته
بين الجبال خواضعا اعناقها كالذود نابت عن براه حداته
تشرق على حلب عقود بنودهم حلل الربيع تناسقت زهراته
روض جناه لها مكر جياده واستوارت حماله حمـلاته
متساندين على الرحال كانشى شرب امالت هامه قهواته
لم تنبت الاجام قبل رماحه شجرا فروع اصوله ثمـراته
فليحمد الاسلام ما جلحت له شربات عزيز هذه مخباته
وسقى صدى ذاك الجياصوب الجياخير الثرى ما كنت انت بناته
نصب السرير ومال عنه ومهدت لغير منصبك السرير سراته
ماضر هذا البدر وهو محلق ان الكواكب في الذرى ضراته
في كل يوم يستظل قنانه فوق السماء وتعتلي درجاته
ونظل ترقم في الضحى اثاره مجدا والسنة الزمان رواته
ابن الاولى ملا الطروس زخارفا عن ترق بحر هذه قطراته
عذقوا باعناق العواطل ماله من جوهر فانثهم فذاته
لو فضلوا اسمطا ببعض فتوحه سخرت بما افتعلوا الم فعلاته
تمشى قمابنه بنات قبونه فوق الفوارس والقنا قيناته
ضلتان من دون الملوك تقرها حركاته وتنيمها يقظاته
فعلت بهم عن خطوه هماتهم وسمت به عن قطوهم هماته
سكنوا استحفه الجمال واسكنت ذجل الرجال مع السهاء زماته
لولاح للطائي غرة فتحه بات بحمل نا قه باتـــــه
او هب للطبري طيب نسيمه لاحتش من نار دخه حسواته
صدم الصليب على صلابة عوده فتفرقت ايدي سبا خشباته
وسقى البرنس وقد تبرنس ذلة بالروح ممقر ما جنت غدراته ۝ فانقاد في خطم المنية انفه يوم الحطيم واقصرت ثرواته
ومضى يوتب تحت ابن همة امست زوار عينها زفراته ۝ اسد تبوا للعرين فجانه فتبوات طرف السنان شواته
دون النجوم معظما ولطالما اغضت وقد كرت لها الحظاته ۝ فجلونه تبكي الاصادق تحته بدم اذا اضحكت له سماته
تمشي القناه براسه وهو الذي نظمت مدارا النيرين قناته ۝ لو عانق العيوق يوم رفعته لاراك شاهد خفضه اخباته
ما انقاد قبلك انفه بخزامه كلا ولا همت لها هداته ۝ طيان خلف السرح طال زئيره نطقت سطاك له فطال صماته

لما بدا مسود درايك فوقه مبيض نصرك نكست راياته
ورأى سيوفك كالصواعق طاوحت مثل الكرين فقلصت كثراته
ولى وقد شربت ظباك كانه تحت العجاج واسلمته حماته
ترك الكنائس والكنائس لناهب بالبيض ينهب ما حواه عفاته
لعلاب اروع لا يبيت عداته ذا الطال ولا تعيش عداته
للوحش ملقى بالعراء قتاته ما كان قبل يصيده بقنـاته
اليوم ملكك القلاع فلاعه متسنما ما استشرفت شرفاته
وغدا تحل لك الحلايل اسهم متوزعات بينهن بناتـه
اوطان اطراف السنان هامه فتقاذفت بعتيقها قذفاته
لا زال هذا الملك يشمخ شانه ابدا وبلغت في الحضيض شانه
ما اخطاتك يد الزمان فدونه من شا فلتشرع اليه هناته
انت الذي تحلى الحياة حياته وتهب ارواح القصيد هباته

فصل قال ابن الاثير وفيها سار نور الدين الى حصن افاميه وهو للفرنج ايضا وبينه وبين مدينة حماه مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احصن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماه وشيزر وينهبونها فاهل تلك الاعمال معهم تحت الذل والصغار فسار نور الدين اليه وحصره وضيق عليه ومنع من به القرار ليلا ونهارا وتابع عليهم القتال فسار نور الدين اليه وحصره وضيق عليه ومنعهم الاستراحة فاجتمعت الفرنج من سائر بلادها وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلم يصلوا اليه الا وقد ملك الحصن وملاه ذخاير من طعام ومال وسلاح ورجال وجميع ما يحتاج اليه فلما بلغه قرب الفرنج سار نحوهم مجدا واجدا في لقايهم رجعوا واجتمعوا ببلادهم وكان قصاراهم ان صالحوه على ما اخذ ومدحه الشعراء واكثروا منهم ابو الحسن احمد بن منير قال

اسنى الممالك ما اطلت منارها وجعلت مرهفة الشفار دثارها
واحق من ملك البلاد واهلها رؤف تكنف عدله اقطارها
من عام شام الخافقين وحام منا وزاد هوى فخص نزارها
مضرية طبعت مضاربه وان عدته ذروة فارس اسوارها
آل الرعية وهي تحمل الها ونعاف نطقها وتكن دارها
فافترع صحيحها وابنت بنيها واساغ جرعتها واثبت زارها
ملك ابو شماليها فسما بها واجارها فعلت سهيلا جارها

نهج السبيل له فاوضع خلفه وشدا له بمن العلى فانارها ○ انشرت يا محمود مله احمد
من بعد ما شمل البلى ابشارها ○ ان جانات عدل السنان قوامها او بانات كان الحسام
جبارها ○ علقت مع العصم العواصم منذ غلقت هذى العزايم اسرها واسارها ○
وتكفلت لك ضمرة انضبتها في ضوتها ان تسترد ضمارها ○ كلا هو املها ودمطارها
ما اربيته وثقفت اطارها ○ كم حاولت من قبلها غرّ غلب الاسود فقلمت اظفارها ○
انّى وحامي سرحها من لو سمت للفلك بسطته احال مدارها ○ في كل يوم من فتوحك سورة
للدين يحمل سفره اسفارها ○ ومطيله قصر المنابر ان غدا الخطبا تنثر فوقها نفصارها ○
هم تحلت الملوك ورايها بدم العثار وما اقتفت اثارها ○ وعزايم تستوبز الاساد عن
نهش الفرايس ان احسوا اوارها ○ ابدا تقصر طول مسرفه الذي بالمشرفيه او تطيل قصارها ○
تعرف امانيه فما همته كوبار اجناها الاران بوادها ○ ارهفت رايك فوق ذابك
تحتها فخططت من شعفاتها اعمارها ○ ادركت ثارك في البغاه وكنت يا مختار
امة احمد مختارها ○ عاديه الزمن المعير سمالها منك المغير فاسترد معارها ○
زار الهزبر فقيدت عاناتها عصر الضلال واسلمت اعيارها ○ ضاقت نجومك فوقها
ولربما باتت تنافثها النجوم سرارها ○ امست مع الشعرى العبور واصبحت شعرا
تستقل الفحول شوارها ○ ولكم قرعت بمقربانك مثلها تلعا وفللت الكماه عذارها ○
حتى اذا استملتك اشرق سورها عزا وحلاها سناك سوارها ○ خر الصليب وقد علت
نغماتها واستوبلت صلواته تكرارها ○ لما وعاها سمع انطاكيه سرت الوقار وكشفت
استارها ○ فاليوم اضحت تستقل بجيرها من جوره وغدا تنم جوارها ○
علمت بان ستذوق جرعه اختها ان زرّ الطواق القنا وزارها ○ ماض اذا قرع الركاب
لبلدة القت له قبل القراع ازارها ○ واذا مجانقه ركعن لصعبه الملقاه اسجد كالجدير
جدارها ○ ملا البلاد مواهبا ومهابة حتى استرقت ايه احرارها ○
يذكي العيون اذا اقام لعونها ابدا ويقضي بالظبى ابكارها ○ اوما الى دم الذي فاعاشها
وهما السابقه التي فارارها ○ بنوي تشبيه بالفتوح كانما انصاره رجعت له انصارها ○

احيا الصريح سلامها سلمانها واماس تحت عمادها عمارها ○ ان سار سار وقد تقدم جيشه
رجف يقصع في اللهى ذعارها ○ او حل حل حبا القروم بهيبة سلب البدور بدارها ابدارها
واذا الملوك تنافسوا ادرج العلى ادنى بنفس افرعته جبارها ○ ونهى اذا هيضت تبذل
خيرها وسطى نيل اذا اعتت جبارها ○ تهدى لمحمود السجايا كاسمه لولا فاعله بها لاربابها
الفاعل الفعلات ينظم في الدجى بين النجوم حسودها اشمارها ○ ساع سعى والسابقات
وراه عنها فعضفر منتهاه عثارها ○ كالمضرحي اذا يصر ابيابا خرس النعاق وهاجرت
اوكارها ○ عرفت لنور الدين نور وقايع يغشى اذا اكتحلت به ابصارها ○
مشهورة سعطت وقد حاولتها الاقدار عجزا ان تشق غبارها ○ لله وجهك والوجوه
كانما حطت بها اوقار هيبة قارها ○ والبيض تخنس في الصدور صدورها هبرا او تكحل
الشفور شفارها ○ والخيل تدلج تحت ارشيه القنا جنب المواتح غاورت ابارها ○
فبقيت تستجلي الفتوح عرايسا متمليا صعد العلى وصدارها ○ فالدين موماه رفعت منارها
الصوى وحديقه ضمنت يداك ابارها ○ في دولة النصر فوق لوائها زبر تموج في الطلى اسطارها

وله فيه من قصيدة اخرى ○

خنس الثعالب حين زمجر مصحرا ملأ البلاد هماهما وزئيرا ○ تركوا اساجرة الرماح
لحاذق جعلت مخافته القصور قبورا ○ لو بيب حرب لم تزل فعلاته كالراي يلزم لفظها
التكبيرا ○ اسد اذا ما عاد من ظفر بمفترس احد لمثله اظفورا ○ بينا ذرا الاعلا
منه سطوة مثل الزمان تغيظا وزفيرا ○ عرفوا النور الدين وقع وقايع وفابها الاسلام
امس تدورا ○ ابدا بطا فرك القضا على التي تبغي فترجع ظافرا منصورا ○ قوضت
فانقع الظهاير ظلمة وفقلت فاشتعل الدياجر نورا ○ وعلى العواصم من دفاعك عاصم
يلتقي الرشيد ويبشر المنصورا ○ **فصل** في وفاة معين الدين انر بدمشق وما
كان من الرئيس ابن الصوفي في هذه السنة قال ابو يعلى التميمي فصل معين الدين من عسكره
بحوران ووصل الى دمشق في اواخر ربيع الاخر لامر اوجب ذلك ودعا اليه وامعن في الاكل
فلحقه عقيب ذلك انطلاق تمادى به وحمله اجتهاده فيما بين على العود الى عسكره

بناحية حوران وهو على هذه الصفة من الانطلاق وقد زاد به وضعفت قوته وتولد
معه مرض في الكبد فاوجب الحال عوده الى دمشق في محفة لمداواته فوصل وقضى
نحبه في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الاخر ودفن في ايوان الدار الاتابكية التي كان
يسكنها ثم نقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها قلت قبره في قبة بمقابر العونية
شمالي دار البطيخ الان واسمه مكتوب عليها فلعله نقل من ثم اليها وفيه يقول الامير مؤيد الدولة
اسامة بن منقذ وكتب اليه من مصر لما لقي الفرنج في ارض بصرى وصرخد مع نور الدين وقد تقدم
ذلك كتب اليه قصيدة يقول فيها

كل يوم فتح مبين واعلاء على الاعادي وقهر ۝ صدق النعت فيك انت معين الدين ان النعوت
فال وزجر ۝ انت سيف الاسلام حقا فلا كل غراريك ايها السيف دهر ۝
لم تزل تضمر الجهاد مسرا ثم اعلنت حين امكن جهر ۝ كل ذخر الملوك يفنى وذخراك
هما الباقيان اجر وشكر ۝ قال وفي يوم الجمعة تاسع رجب قرئ المنشور المنشأ عن
مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بابطال الفقه المستخرجة من الرعية وازالة حكمها
وتعفية رسمها وابطال دار الضرب فكثر دعا الناس له وشكرهم قال واستوحش الرئيس
مؤيد الدولة من مجير الدين استيحاشا اوجب جمع من امكنه من سفهاء الاحداث والغوغاء
وحملة السلاح من الجملة العوام وترتيبهم حول داره ودار اخيه زين الدولة حيدرة للاحتماء
بهم من مكروه يتم عليهما وذلك في ثالث عشر رجب ووقعت المراسلات من مجير الدين
بما يسكنهما ويطيب نفسهما فما وثقا بذلك وجدا في الجمع والاحتشاد من العوام وبعض
الاجناد واثاره الفتنة فقصدوا باب السجن وكسروا اغلاقه واطلقوا من فيه واستنفروا
جماعة من اهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلوا مثل ذلك وحصلوا في
جمع كثير وامتلأت بهم الازقة والدروب فحين عرف مجير الدين واصحابه هذه الصورة اجتمعوا
في القلعة بالسلاح الشاك واخرج ما في خزائنه من السلاح والعدد وفرقت على العسكرية
وعزموا على الزحف على جميع الاوباش والايقاع بهم والنكاية فيهم فسأل جماعة من المقدمين
التمهل في هذا الامر وترك العجلة بحيث تحقن الدماء ويسلم البلد من النهب والحريق والحوا

عليه الى ان اجاب سوالهم ووقعت المراسلة والتلطف في اصلاح ذات البين فاشترط الرئيس
واخوه شروطا اجيبا الى بعضها واعرض عن بعض بحيث يكون ملازما لداره ويكون ولده
وولد اخيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى القلعة الا مستدعى اليها وتقررت الحال على
ذلك وسكنت الدهماء ثم حدث بعد هذا التقرير عود الحال الى ما كانت عليه من العناد
واثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد والمقدمين والرعاع والفلاحين واتفقوا على
الزحف الى القلعة وحصر من بها وطلب من عين عليه من الاعداء الاعيان في اواخر رجب
ونشبت الحرب بين الفريقين وجرح وقتل بينهم نفر يسير وعاد كل فريق منهم الى مكانه
ووافق ذلك هروب السلار زين الدين اسمعيل الشحنة واخيه الى ناحية بعلبك ولم تزل الفتنة
ثائرة والمحاربة متصلة الى ان اقتضت الصورة ابعاد من التمس ابعاده من خواص مجير الدين
وسكنت الفتنة واطلقت ايدي النهابة في دار السلارين واصحابهما وعمهما النهب والاخراب
ودعت الضرورة الى تطييب نفس الرئيس واخيه والخلع عليهما واعادة الرئيس الى الوزارة
والرياسة بحيث لا يكون له في ذلك معترض ولا مشارك قلت وفي هذه الفتنة
يقول العرقلة ۝

ذر الاتراك والعربا وكن في حزب من غلبا ۝ بجلق اصبحت فتن تجر الويل والحربا
لئن تمت فوا اسفا ولم تخرب فوا عجبا ۝ وقال في الرئيس لما زحف الى القلعة
زد علوا في المجد يا بن علي هكذا من اراد ان يتعالى ۝ قد حوى الدين منك يا مؤيد ملك هزبرا وديمة وهلالا
وغدت جلق بنا ذيل عجبا هكذا هكذا والا فلالا ۝ جئتها في الظلام خيلا ورجلا وجمعت النفوس والاموالا
لن تبالي من بعدها بعدو انما ذاك كان قطعا فزالا ۝ قد بلغت المراد من كل ضد وكفى الله المؤمنين القتالا

قال ابو يعلى التميمي وفيها ورد الخبر من ناحية مصر بوفاة المستخلف بها الملقب
بالحافظ واسمه عبد المجيد بن الامير بن المستنصر في خامس جمادى الاخرة وولي الامر بعده ولده
الاصغر ابو منصور اسمعيل ولقب بالظافر وولي الوزارة امير الجيوش ابو الفتح بن مصال المغربي

في وفاة سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل وهو اخو نور الدين الاكبر

قال ابن الاثير كان اتابك الشهيد يعني زنكي ملك دارا وبقيت بيده الى ان قتل فاخذها صاحب

ماردين ثم سار اليها سيف الدين بن الشهيد في سنة اربع واربعين فحاصرها وملكها
واستولى كثير من بلد ماردين يشبيها ثم حصر ماردين عازما على ان يدخل ديار بكر ويستعيد
ما اخذ من البلاد بعد قتل والده فتفرق العسكر في بلدها ينهبون ويخربون فقال صاحب
ماردين كنا نشكو من اتابك وابن ايامه فلقد كانت اعيادا فقد حصرنا غير مرة فلم يتعد
هو وعسكره حاصل السلطان ولا اخذوا كفا من التبن بغير ثمن ○

رب دهر بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه

ثم انه راسل سيف الدين وصالحه على ما اراد وزوجه ابنته الخاتون ورحل سيف الدين عن
ماردين وعاد الى الموصل وجهزت الخاتون وسيرت اليه فوصلت الى الموصل وهو مريض
فتوفي ولم يدخل بها وذلك في اواخر جمدى الاخرة وكان عمره نحو اربعين سنه وكان من
احسن الناس صورة ودفن بالمدرسه التي انشاها بباطن الموصل وخلف ولدا ذكرا اخذه
نور الدين محمود عمه فرباه فاحسن تربيته وزوجه ابنه عمه قطب الدين مودود فلم تطل
ايامه وادركه اجله في عنفوان شبابه فتوفي وانقرض عقب سيف الدين وكان كريما
شجاعا ذا عزم وحزم وهو اول من حمل على راسه سنجق من اصحاب الاطراف فانه لم يكن فيهم
من يفعله لاجل السلاطين السلجوقيه وهو اول من امر عسكره ان لا يركب احدهم الا والسيف في
وسطه فلما امر هو بذلك اقتدى به غيره من اصحاب الاطراف وبنى بالموصل المدرسه
الاتابكيه العتيقه وهي من احسن المدارس واوسعها وجعلها وقفا على الفقهاء الشافعيه
والحنفيه نصفين وبنى رباط الصوفيه بالموصل ايضا وهو الرباط المجاور لباب المشرعه ووقف
عليهما الوقوف الكثيره وكان كريما قصده شهاب الدين حيص بيص وامتدحه بقصيدته
المشهوره وهي من جيد شعره فاجازه عنها الف دينار اميري سوى الاقامه والتعهد مدة
مقامه وسوى الخلع والثياب قلت اول تلك القصيده ○

الا مر اراك المجد في زي شاعر   يقول في اخرها
اتابك ان سميت في المهد غازيا   فسابقة معدودة في البشائر
وفيت بها والدين قد مال زوقه   وصدقتها والكفر بادي الشعائر

وعن ابو الحسين احمد بن منير نور الدين ماخيه بقصيده تقدم بعضها   اولها
هو الجد بز التمام البدر وزرا   يقول فيها
سوى كل ما جنت الحادثات ما كنت طلا علينا قمرا ○ اسا ان واحسن عكس
الهلال وملاتنا منك بدرا منيرا ○ اذا ثبج البحر اخطانه فلا غرو ان يتشفن الغديرا
واصغر بفقدانا الذاهبين ما عشت ناتاك ملكا كبيرا ○ وما اغمد الدهر ذاك
الحسام ما سل حداك عضبا تبورا ○ فسيم علاك ونعم القسيم اخ شاف نزرا واعطى
كثيرا ○ وكان نظيرك غاز الزمان من ان يرى لك فيه نظيرا ○ فلك نفوس بك
استوطنت من الامن نورا وقد كن بورا ○ وغيرك لمهد بسط العز او يول المسلمين
سمعا وقورا ○ وما نقص الدهر اعدادكم اذا اشف قطرا وابقى بحورا ○
ولو انصف المجد موتاكم لخط لهم في السما القبورا ○ حياتك احيت رميم الرجا وامطت
من الجود ظهرا طهيرا ○ بقيت معزا من الهالكين توقى الردى وتوفى الاجورا ○
وللقيسراني قصيده منها ○
ما الطرق الجو حتى اشرق الافق ان اغمد السيف فالصمصام يا تلق
دون الاسى فيك نور الدين في حلب ممالك ينجلي عن وجهه الغسق
كنت الشقيق الشفيق الغيب حين نوى اراو ما الكرى من جفنك الارق
تلقى الاسى من لباس الصبر في جنن حصينة تحتها الاحشا تحترق
وملك الاجل المحتوم ان خفيت فان ايامنا من دونها طرق
وانما نحن في مضمار حلبتها خيل الى غاية الاعمار تستبق
شاو اذا ابتدر الاقوام غايته كان الموخر فيها من له السبق
ان كان صنوك هذا قد ثوى فذوي ففي مغارسك الاثمار والورق
او اصبحت بعده الاهوا نافرة ابدى شبا فعلى علياك تتفق
ما غاب من غاب عن افاق مطلعه الا ليفتر عن انوارك الافق
ما دام شمسك فينا غير افلة فالدين منتظم والملك متسق

فصل قال ابن الأثير لما توفي سيف الدين غازي كان أخوه قطب الدين
مودود بالموصل فاتفق كله جمال الدين وزين الدين علي على توليته وتمليكه طلبا للسلامة منه فانه
كان لين الجانب حسن الاخلاق كثير الحلم كريم الطباع فاحضروه من داره وحلفوا لهم
وحلفوا له وتولى بلاد المملكة وحلف له الامرا والاجناد واستقر في الملك واطاعه جميع ما
كان لاخيه سيف الدين لان المرجع كان في جميع المملكة الى جمال الدين وزين الدين ولما ملك
واستقر في الملك تزوج امراة اخيه التي مات ولم يدخل بها الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش
صاحب ماردين فولدت لقطب الدين اولاده الذين ملكوا الموصل بعده على ما سنذكره ولم يملكها
من اولاد قطب الدين احد غير اولادها قال وكانت هذه الخاتون يحل لها ان تضع خمارها عند
خمسة عشر ملكا من ابائها واجدادها واخوتها وبني اخوتها وازواجها واولادها واولاد اولادها
ثم ذكرهم ابن الاثير في كتابه وسماهم وذكر انها اشبهت في ذلك فاطمة بنت عبد الملك بن
مروان زوج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان لها ان تضع خمارها عند ثلثة عشر خليفة وهم
من معوية رضي الله عنه الى اخر خلفا بني امية سوى اخرهم وهو مروان بن محمد فانه ابن عم لها
ليس بمحرم والباقون محارم لها وما تم له ذلك الا بعد ذكر ان امها عاتكة بنت يزيد بن معوية
فمعوية جد امها ويزيد جدها لامها ومعوية بن يزيد خالها ومروان جدها لابيها وعبد الملك
ابوها والوليد وسليمن وهشام ويزيد اخوتها وعمر بن عبد العزيز زوجها والوليد بن يزيد بن الوليد
اولاد اخوتها وهولا كلهم خلفا وعدتهم ثلثة عشر ○ قلت —— وهذا كله مبني على اصل فيه
خلل وهو ان فاطمة بنت عبد الملك ليست امها عاتكة بنت يزيد بن معوية بل امها امراة مخزومية
على ما بيناه في ترجمتها في تاريخ دمشق ولكن الصواب في ذلك ان يقال كان لفاطمة ان تضع خمارها
عند عشرة من الخلفاء وهم مروان بن الحكم ونسله سوى مروان بن محمد واما عاتكة فالجميع يحرم لها
سوى عمر بن عبد العزيز ومروان بن محمد بقي اثنا عشر خليفة كلهم محارم لها معوية جدها ويزيد ابوها
ومعوية بن يزيد اخوها ومروان حموها وعبد الملك زوجها والوليد وسليمن وهشام اولاد زوجها
ويزيد بن عبد الملك ابنها والوليد بن يزيد ابنها ويزيد بن الوليد وابرهيم بن الوليد ابنا ابن زوجها
ولو اضيف الى ذلك الملوك من محارم عاتكة او فاطمة كالاخوة والاعمام والاخوال وبني الاخوة

لتضاعف العدد كخالد بن يزيد بن معوية اخي عاتكة وعبد العزيز بن مروان عم فاطمة ومسلمة
وعبد الله ابني عبد الملك وغيرهم وذلك ظاهر لمن عرف انساب بني امية وما ذكره ابن الاثير
من امر بنت حسام الدين فست الشام بنت ايوب اكثر منها محارم من الملوك يجتمع لها من
ذلك اكثر من ثلثين ملكا من اخوتها الاربعة المعظم وصلاح الدين والعادل وسيف الاسلام
ومن اولادهم واولاد اولادهم واولاد اخيها الاكبر شاهنشاه بن ايوب تقي الدين وذريته اصحاب حماة
وفرخشاه وابنه الامجد صاحب بعلبك **فصل** قال ابن الاثير ولما ملك قطب الدين الموصل
والبلاد الجزرية كان اخوه نور الدين بحلب وهو اكبر من قطب الدين فكاتبه بعض الامرا وطلبوه اليهم
منهم المقدم والد شمس الدين بن المقدم وهو حينئذ دزدار سنجار فسار نور الدين جريدة في سبعين
فارسا من امرا دولته منهم اسد الدين شيركوه ومجد الدين ابو بكر بن الداية وغيرهما فوصلوا الى ماكسين
في ستة انفس في يوم شديد المطر وعليهم اللبابيد فلم يعرفهم الذين بالباب وارسلوا الى الشحنة
واخبروه بوصول نفر من الاجناد وكانهم تركمان فلم يستتم القاصد كلامه حتى وصل نور الدين فحين
راه الشحنة قبل يده وخرج عن الدار فنزلها نور الدين حتى لحق به اصحابه وسار مجدا الى سنجار فوصلها
وليس معه الا نفر يسير فنزل بظاهر البلد والقى نفسه على محفورة صغيرة من شدة تعبه
وارسل الى ابن المقدم بالقلعة يعرفه وصوله وكان المقدم قد استدعي من الموصل لان جمع مع نور
الدين بلغ من بها فارسلوا اليه فوقف عدة ايام فلم يصل نور الدين فسار الى الموصل وترك ابنه شمس الدين
بسنجار وقال له انا اتاخر في الطريق فان وصل نور الدين يعلمني فلما فارق سنجار وصل نور الدين فلما علم شمس
الدين بوصوله ارسل قاصدا الى ابيه بالخبر وانهى الحال الى نور الدين فخاف فوات الامر ووصل القاصد
الذي سيره ابن المقدم الى ابيه فادركه بتل يعفر فعاد الى سنجار وسلمها الى نور الدين وكاتب فخر الدين
قرا ارسلان بن داود صاحب الحصن يستنجده وبذل له قلعة الهيثم فسار اليه بجنده فلما سمع قطب
الخبر جمع عساكره وسار عن الموصل نحو سنجار ومعه الجمال والزين ونزلوا بتل يعفر وارسلوا الى نور
الدين ينكرون عليه اقدامه واخذ ما ليس له وتهددوه بقصده واخراجه من البلاد قهرا ان لم
يرجع اختيارا فاعاد الجواب انني انا الاكبر وانا احق ان ادبر امر اخي منكم وما جئت الا لما تتابعت
الي كتب الامرا ايذكرون كراهيتهم لولايتكم عليهم يعني الجمال والزين فخفت ان يحملهم الغيظ والانفة

فارسل من حم

على ان يخرجوا البلاد من ايدينا فاما تهددكم اياي بالقتال فانا ما اقاتلكم الا بجندكم وكان قد
هرب اليه جماعه من اجنادهم فخافوا ان يقوم لبلا يخامر عليهم باقي العسكر ودخل الامرا
في الصلح واشار به جمال الدين الوزير وقال نحن نظهر للسلطان والخليفه انا نتبع نور الدين ونور
الدين يظهر للفرنج انه بحكمنا ويتهددهم بنا فان كاسفناه وحاربناه فان ظفر بنا طمع فينا
السلطان وان ظفرنا به طمع فينا الفرنج ولنا بالشام حمص وقد صار له عندنا سنجار فهذه انفع
لنا من ذلك وذلك انفع له من هذه والراي ان نسلم اليه حمص وناخذ سنجار وهو في ثغر بازا
الفرنج وتعين مساعدته فانفق الجماعه على هذا الراي وسار جمال الدين الى نور الدين وابرم معه
الامر وتسلم حمص وسلم سنجار الى اخيه وعاد نور الدين واخذ ما كان بسنجار من المال والامام قطب
الدين سنجار اقطعها لزين الدين لان حمص كانت لاخيه سار وهو مقيم بها وانفقت كلمتهم واتحدت
اراوهم وكل واحد منهما لا يصدر الا عن امر اخيه وطلب نور الدين ان يكون الجمال عنده فقال الجمال
انت عندك من الكفايه ما تستغني به عن وزير ومشير وليس عندك من الاعمال ما عند اخيك
لان عدوك كافر فالناس يعينونه ديانه واعدا اخيك مسلمون فيحتاج من يقوم بدفعهم واذا
كنت عند اخيك فالنفع اليك عايد واريد من بلادك مثل مالي من بلاد اخيك معونه على كرم خرج
فاجابه الى ذلك فقال له جمال الدين انت عليك خرج كثير لاجل الكفار فيجب مساعدتك وانا
اقنع منك بعشرة الاف دينار كل سنه فامر له بها فكان نايب جمال الدين يقبضها كل سنه ويشتري
بها اسرى من الفرنج ويطلقهم قلت وقرات في ديوان القيسراني في مقال في نور الدين عند
تقدمه وقد استولى على سنجار واعمال الرحبه والفرات وذلك في منتصف ذي القعده سنه
اربع واربعين وخمس مايه ۞ هذا الذي ولت له الافكار وتمخضت فلا به الاشعار ۞

وجرت لاجل المنى في حلبة وردت وضمورها المضمار ۞
واتت به ندر القوافي برهة ان القوافي وحيها انذار
حكمت لسيفك بالممالك عنوة حكما لعمري ما عليه غبار
يا ايها الملك الذي لجياده بين يديه يهديه الابرار
يا ابن السيوف وهل فخرت بنسبه الا اباك قايم وغرار

فارقت دار الملك غير مفارق
للامر علاك بكل ارض دار ۞
في عسكر يخفي كواكب ليله نقعا
فيطلعها القنا الخطار ۞

جرار

جرار اذيال العجاج وراه وامامه بل جحفل جرار
تدنى لك الغايات اكرم همة نوريه هم الملوك كبار
حتى ملات الخافقين مهابة ذانت لعظم نظامها الاقطار
وملكت سنجارا وما من بلدة الا تمنى انها سنجار
وبسطت بالاموال كفا طالما طالت بها الامال وهي قصار
وجرت بامداد الجياد شعابها جرى السيول وماسواك مرار
وثنى الفرات اليك ايدي عناية والبحر ما اتصلت به الانهار
وملكت رحبة مالك فتبرجت منها العبيك كاعب معطار
جاءتك في حلل الربيع وحليها قبل الربيع شقايق وبهار
نثرت عليك هوى القلوب محبة وتود لو ان النجوم نثار
فاقمت كالشمس المنيرة ان نات عن افقها فلها به اقمار
من كان نور الدين ثم اخيه ليل السرى حفت به الانوار
نذعوا البلاد اليك الشته الظلى فيجيبك الانجاد والاغوار
حتى عمدت الدين بابن عماده بقنا استبها عليه منار
وقفلت من اسفار جدك قادما كالصبح ثم بتغرة الاسفار
تغشى البصاير نوره وجمك بعدما اعتركت على قسماته الابصار
حتى غرت بكل قلب ضده حين الصدود ومن القلوب قفار
ان تمس في حلب رياحك غضة فلها بانطاكيه اعصار
وغدت جيادك بالشام مقيمة ولها باطراف الدروب مغار
هم سيقتها الى مهج العدى صرف الردى وشبين احضار
واري صباح النصر كان خديعة فطغى وجار وليس ثم وجار
نال الصنيعه غير محقوق بها والخير يهدم ما بنا الختار
حتى اذا ما غبت اقدم عاينا اقدام من لم يدر منه فرار

امض السلاح على عدوك بغيه بالعدل يطعن في الوغى الغدار
جند على جرد امام صدورها صدد عليه من اليقين صدار
ملك له من عدله ووفايه جيش به سيفتح الامصار
واذا انتضته الى الثغور عزيمة قامت مقام جنوده الاقدار
ترنح معطف الزور لما دعاك لزور سنجار لمام

فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل كالليل فيه من الصفيح نهار
قد بايع الاخلاص بيعه نصحه ولكل هادي امة انصار
واذا الملوك تساقلت عن غاية واراد ها حفت به الاقدار
ولابن منير من قضيه فيه ۞
وزلزلت الصعيد وآمصر غداة علتك في وطنا الخيام

رجاهم تبك وتلك خوف ولو قد شيبت ضمتها قرام
بعيشك يا بيد الجبل ركنا حام هز تحتك ام حمام ⊙ وقال ابن منير ايضا يهنيه
بتسليم قلعة حمص من نيال وانتثنه في القلعه القضيه اولها ⊙

ارحها فهي ازلام المعالي لهن الى الوغى نزق المغالي
اما ومقبلهن بكل نقع بقوص بالهدى عمر الضلال
واي سيوفك الحمر الحواشي منزله متى دعيت نزال
مواض ان سللن سلكن جزما نقاه من الطلى لقط اعتلال
لقد غلب الصليب بحزب بسيب اوارها لم الليالي
وشمت لنصر هذا الدين باسا تخرم منه كل حمى حلال
وقايع ارعت في كل فج وقايع جوهاد اعى الغزال
تسل حمص عن منبي دين تقاضاه لك انجح الحوالي
موالت وهي اخت النجم بعدا وعدا اصيع من مطل مطال
نتايج انتها عزا وشدت على ان لا تنال بدا بنال

فما زالت رقاك تحل نقضا لما تثنيه من مرر الحبال
الى ان اطلق الحسنا كرها وآلت لا ملاوحة المآلي
بصد الوجه عن شمّا الفتت بدا الاشم ذي باع طوال
شغلت بها يمينك والمواضي تكفل ان مصر للشمال
اذا فتح القتال عليك ارضا اباحك اختها لا عن قتال

فصل قال الرئيس ابو يعلى اتصل الخبر بنور الدين بافساد الفرنج في الاعمال الحورانيه بالنهب والسبي فعزم على النهوض لقصدهم وكتب الى من بدمشق يعلمهم ما عزم عليه من الجهاد ويستدعي المعونه على ذلك بالف فارس تصل اليه مع مقدم يعول عليه وقد كانوا عاهدوا الفرنج على ان يكونوا يدا واحدة على من يقصدهم من عساكر المسلمين فاحتج عليه وغولط فلما عرف ذلك رحل ونزل بمرج بيوس وبعض العسكر به بيعفور فلما قرب من دمشق وعرف من بها خبره ولم يعلموا ابن قصده وقد كانوا راسلوا الفرنج بخبره وقرروا معهم الانجاد عليه وكانوا قد نهضوا الى ناحيه عسقلان لعماره غزه ووصلت اوايلهم الى بانياس وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم ومال الاخرف عن جهادهم وهو مع ذلك كان ناهي اصحابه عن العبث والافساد في الضياع والامر باحسان الراي في الفلاحين والتخفيف عنهم والدعا لدعوه له متواصلا من اهل دمشق واعمالها وسائر البلاد واطرافها وكان الغيث قد احتبس عن

عن حوران والمرج والغوطه ونزح اكثر اهل حوران عنها للمحل واشتداد الامر فلما وصل نور الدين الى بعلبك انفق نزول المطر يوم الثلثا ثالث ذي الحجه واقام الى مثله فروي الاكام والوهاد وجرت الاوديه وزادت الانهار وامتلات برك حوران ودارت ارحيتها وعاد ما صوح من الزرع والنبات طريا واحيا الناس بالدعا لنور الدين وقالوا هذا ببركته وحسن معدلته وسيرته ثم رحل من منزلته بالاعوج ونزل بحسر الخشب المعروف بمنازل العساكر في السادس والعشرين من ذي الحجه وارسل مجير الدين والرئيس وقال اني ما قصدت بنزول هذا المنزل طلبا لمحاربتكم ولا منازلتكم وانما دعاني الى هذا الامر كثره شكايه المسلمين من اهل حوران والعربان بان الفلاحين اخذت اموالهم وسبيت نساهم والمظالم بيد الفرنج وعدم الناصر لهم ولا يسعني مع ما اعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصره المسلمين وجهاد المشركين وكثره المال والرجال ان اقعد عنهم ولا انتصر لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالفرنج على محاربتي وبذلكم لهم اموال الضعفا والمساكين من الرعيه ظلما لهم وتعديا عليهم وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا احدا من المسلمين ولا بد من المعونه من الف فارس مزاحي العله تجرد مع من يوثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغزه قال فكان الجواب عن هذه الرساله ليس بيننا وبينك الا السيف وسيوافينا من الفرنج ما يعيننا على دفعك ان قصدتنا ونزلت علينا فلما عاد الرسول بهذا الجواب ووقف عليه اكثر التعجب منه والانكار له وعزم على الزحف الى البلد ومحاربته في غد ذلك اليوم فارسل الله من الامطار وتداركها ودوامها ما منعه من ذلك ثم دخلت

سنه خمس واربعين في مستهل المحرم تقرر الصلح بين نور الدين وارباب دمشق والسبب في ذلك ان نور الدين اشفق من سفك دما المسلمين ان اقام على حربها والمضايقه لها بعد ما اتصل به من اخبار دعته الى ذلك واتفقوا على بذل الطاعه واقامه الخطبه له على منبر دمشق بعد الخليفه والسلطان وكذا السكه ووقعت الايمان على ذلك وخلع نور الدين على مجير الدين خلعه كامله بالطوق واعاده مكرما محترما وخطب له على منبر دمشق يوم الجمعه رابع عشر محرم ثم استدعى الرئيس الى المخيم وخلع عليه خلعه كامله ايضا واعاده الى البلد وخرج اليه جماعه من الاجناد والخواص الى المخيم واختلطوا به ووصل من استماحه من الطلاب والقراء والضعفا بحيث ما خاب قاصده ولا الفى سايله ورد

عن مخيمه عايداً الى حلب بعد احكام ما قرر وتكميل ما دبر قلت وفي ذلك يقول القيسراني

لك الله ان حاربت فالنصر والفتح ... وان شئت صلحاً عدّ من حزمك الصلح
وهل انت الا السيف في كل حالة ... فطوراً له حدٌّ وطوراً له صفح
سقيت الردى بنيات حتى رددتها ... فانزح من سكرٍ نخل القنا تصحو
وما كان كف العزم الا اشارة ... اليه الحزم لولم يغضب السيف والرمح
وقد علم الاعدا مذ بت جانحاً ... الى السلم ما تنوي بذاك وما تنحو
اذا ما دمشق ملكتك عنانها ... ينتقن من في ايليا انه الذبح
متى النقف نقع الجحفلين على الهدى ... فلا معصمة تحوى الضلال ولا تنح
اذا سار نور الدين في الجيش غازياً ... فقولا لليل الافك قد طلع الصبح
تركت قلوب الشرك تسلو اجراحها ... فلا زالت الشكوى ولا اندمل الجرح
صبرت فكان الصبر خير مغبة ... فسيق اليك الملك يسعى به النجح
كان القنا تجلو له وجه اسد ... ولو امهلت بلقيس ما عزها الصرح
بدولتك الغرا اصبح ضدها ... بهيماً ولولا الحسن ما عرف القبح
وكم من قريح القلب لوبات واردا ... موارد هذا العدل ما مسه قرح
تجاببك هذا الدهر جوداً على الورى ... على انه ما زال في طبعه شح
وقد كان يحوا رسم كل فضيلة ... ونحن نراه اليوم يثبت ما يمحو
بك ابتهج الالباب وابتهج الحجى ... واثرت الاداب واطرد المدح

ولاذت بك التقوى وعاذت بك العلى ... ودانت لك الدنيا وعز بك الشرح ⊙ فلا قلب الا فيه لك
هوى ولا صدر الا فيه حلاوة لك النصح ⊙ وما الجود في الاملاك الا تجارة ... فمن فاته حمد الورى فاته الربح
ولم اختصر ما قلت الا لانني ... اعبر عما لا يقوم به الشرح ⊙

فصل في فتح عزاز قال ابو يعلى وورد الخبر في الخامس من المحرم من ناحية حلب بان عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب عزاز واصحابه وحصلوا في قبضة الاسر وقلعه حلب فسر بهذا الفتح كافة الناس وتوجه نور الدين في عسكره الى عزاز ونزل عليها وضايقها وواصل قتالها الى ان سهل الله تعالى ملكها بالامان وهي على غاية من المنعة والحصانة والرفعة فلما تسلمها رتب فيها من ثقاته من يثق به ورحل عنها ظافراً مسروراً عايداً الى حلب في ايام من شهر ربيع الاول قلت ... وذكر ابن منير فتح عزاز وغيرها وامر دمشق في قصيدة اولها ⊙

فدتك القلوب بالبابها ... وساح الملوك باربابها ⊙ كتائب تغري جنود الصليب ... منها بتقطيع اصلابها ⊙ اذا ما انثنت من قراع الكماة ... كست وفدها من اسلابها ⊙ تبرنس منها البرانس الثياب وحليه ... وقع احلابها ⊙ عشية غصت على انب ... نقوس النصارى بغصابها ⊙ وقام لاحمد محمودها ... يحلع موارد احزابها ⊙ تجلا لها جيلدى كالصباح ... اغلب مود بغلابها ⊙ مورث اركانها من اب ... اكول الفوارس شرابها ⊙ هام اذا الاعصر صيبت ... ينوّ دهاها بهاشم اعصابها ⊙ مضى وضالك حلو الشهاد ... مما تطق من صابها ⊙ واوصى بها لك من بعدما ... تجرع ممقر اوصابها ⊙ واقسم جدك ان يلتقى ... بغيرك ملبس اثوابها ⊙ صحبت دمشق بمسق الجياد ... زبور الوعى بين احطابها ⊙ واصلت رايك قبل الحسام ... محمد حسم اجلابها ⊙ فاعطتك ما لم تنله يدٌ ... وفازت رقاك باصحابها ⊙ وانت نصرت فصل الزمان ... من حص ناحبير ركابها ⊙ تخوتها الجور فاستدركت ... بعدلك اعباز ظنابها ⊙ وفاجات فوديس بالسابلات ... تخ الغنائم اذنابها ⊙ فمارمت حتى رمت بيضها ... اليك ازمة ضرابها ⊙ وعزت عزاز فادللتها ... بحر مضيق لاشعابها ⊙ باشمخ من ابقها منكباً ... واكثر من عدّ نورابها ⊙ دلفت لعيطا ام النجوم ... في الامراليطا لاترابها ⊙ وعذرا مذ عمرت ما اهتدت ... ظنون الليالي لاخرابها ⊙ تفرعتها بفروع الوشيج ... متمّوخ هام اوشابها ⊙ وعوج اذا انبضت اغمضت ... ذكا الارسال نشابها ⊙ ومحدودبا تطير الخطوب ... ملاقط السن خطابها ⊙ تصوب عقبان ريب المنون ... متى زينتها باعقابها ⊙ ومارفعت حول شم الهضاب ... الا تنجدن لاتضابها ⊙ فلاذت بمعتصم بالكتاب ... وهوب الممالك سلابها ⊙ بمعتصمي الذرى والهدى ... همومن السرى غير هيابها ⊙ محلا المحل بوصف الفتوح ... ووصف التهاني وارباسها ⊙ وتعجز مداحه ان تحيط ... بادابه فلك ادابها ⊙ بدايع لو ورد دهرٌ ... رمين بنات حبيب باحبابها ⊙ وابن ابن اوس وابانه ... من اللالاء اودت بحسابها ⊙ من الاعاد عنيقها ... ودعليها ابن خطابها ⊙ فايامه من حبور تكاد ... يطير بها فرط اعجابها ⊙ لك الفضل اذ اسلك الجيا ... دوفا اذلة الجنابها ⊙ اقول لموحي بالغرور ... ونمطت هواها فاهوى بها ⊙

حذار فعند ابتسام الغيوث تخشى صواعق الهابهات ولا تخدعوا بافترار الليوث فالناب في بردا نيابها ات **فصل** في صفه اسر جوسلين قال ابن الاثير شاد نور الدين الى بلاد جوسلين وهي القلاع التي شمال حلب منها تل باشر وعين تاب وعزاز وغيرها من الحصون فجمع جوسلين الفرنج فارسهم وراجلهم ولقوا نور الدين وكانت بينهم حروب شديده اجلت عن انهزام المسلمين وظفر الفرنج واخذ جوسلين سلاح دار كان لنور الدين اسيرًا واخذ ما معه من السلاح فانفذه الى السلطان مسعود بن قلج ارسلان السلجوقي صاحب قونيه واقصرا وغيرها من تلك الاعمال وكان نور الدين قد تزوج ابنته وارسل مع السلاح اليه يقول قد انفذت لك بسلاح صهرك وسيأتيك بعد هذا غيره فعظمت الحادثه على نور الدين واعمل الحيله على جوسلين وعلم ان هو جمع العساكر الاسلاميه لقصده جمع جوسلين الفرنج وحذر وامتنع فاحضر نور الدين جماعه من التركمان وبذل لهم الرغايب من الاقطاع والاموال ان هم ظفروا بجوسلين اما قتيلًا واما اسيرًا فاتفق ان جوسلين خرج في عسكره واغار على طايفه من التركمان فنهبوا وسبوا فاستحسن من السبي امراه منهم فخلا معها تحت شجره فعاجله التركمان فركب فرسه ليقاتلهم فاخذوه اسيرًا فصانعهم على مال يبذله لهم فرغبوا فيه واجابوه الى ذلك واخفوا امره عن نور الدين فارسل جوسلين في احضار المال فاتى بعض التركمان الى نايب نور الدين بحلب فاعلمه الحال فسير معه عسكرًا اخذوا جوسلين من التركمان قهرًا وكان نور الدين حينيذ بحمص وكان اسره من اعظم الفتوح على المسلمين فانه كان شيطانًا عاتيًا من شياطين الفرنج شديد العداوه للمسلمين وكان هو يتقدم على الفرنج في حروبهم لما يعلمون من شجاعته وجوده رايه وشده عداوته لله الاسلاميه وقسوه قلبه على اهلها واصيبت النصرانيه كافه باسره وعظمت المصيبه عليهم بفقده وخلت بلادهم من حاميها وثغورهم من حافظها وسهل امرهم على المسلمين بعده وكان كثير الغدر والمكر لا يقف على يمين ولا يفي بعهد طالما صالحه نور الدين وهادنه فاذا امن جانبه بالعهود والمواثيق نكث وغدر فلقيه غدره وحاق به مكره ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فلما اسر تيسر فتح كثير من بلادهم وقلاعهم فمنها عين تاب وعزاز وتل باشر والراوندان وحصن البارة وتل خالد وكفر لاثا وكفر سود وحصن نسر وقوب بحيل بني عليم ودلوك ومرعش ونهر الجوز وبرج الرصاص قال

وكان

وبقي الطول
من هذا

وكان نور الدين رحمه الله اذا فتح حصنًا لا يرحل عنه حتى يملاه رجالًا وذخاير تكفيه عشر سنين خوفًا من نصره تتجدد للفرنج على المسلمين فتكون الحصون مستعده غير محتاجه الى شي ۝ وقال الشعرا في هذه الحادثه فاكثروا منهم القيسراني قال يمدح نور الدين بعد صدوده عن دمشق واستقرار امرها ويذكر قتل البرنز واسر جوسلين واخذ بلاده ۝

دعا ما ادعى من غره الامر والنهي فما الملك الا ما اجاب به القهر
ومن ثنت الدنيا اليه عنانها تصرف فيما شا عن اذنه الدهر
ومن راهن الاقدار في صهوه العلى فلن تدرك الشعرى مداه ولا النسر
اذا الجد امسى دون غايته المنى فماذا عسى ان يبلغ النظم والنثر
ولم لا يلي اسنى الممالك مالك زعيم بجيش من طلايعه النصر
ليهن دمشقا ان كرسي ملكها حبي منك صدرًا ضاق عن همه الصدر
وانك نور الدين مذ زرت ارضها سمت بك حتى انحط عن نسرها النسر
خطبت فلم يحجبك عنها وليها وخطب العلى بالسيف ما دونه ستر
جلاها لك الاقبال حوريه السنا عليها من الفردوس اردية خضر
خلوب اكنت من هوى المحبة نمت فانمت جهرًا وسر الهوى جهر
فسقت اليها الامن والعدل نحلة فامست ولا اسر تخاف ولا اصر
فان صافحت يمناك من بعد هجرها فاحلى التلاقي ما تقدمه هجر
وهل هي الا كالحصان تمنعت دلالًا وان عز الحيا وغلا المهر
ولكن اذا ما قستها بصداقها فليس له قدر وليس لها قدر
هي الثغر امسى بالكراديس عابسًا واصبح عن باب الفراديس يفتر
على انها لو لم تجبك انابه لارهقها من باسك الخوف والذعر
فاما وقفت الخيل ناقعه الصدى على بردا من فوقها الورق النضر
فمن بعد ما اوردتها حومه الوغى واصدرتها والبيض من علق حمر
وحللتها نقعًا اضاع شيتها فلا شهبها شهب ولا شقرها شقر

على النهر لما كاثر القصب القنا سكاكينه في كل نحر لها نحر ۝ وقد شرفت اجرافه بدم العدى الى ان جرى العاصي وضحضاحه غمر ۝
صدعتهم صدع الزجاجه لا يد لجابرها ما لم يشا له جبر ۝ فلا ينتحل من بعدها الفخر دايل فمن بادني الابرنز كان له الفخر ۝
ومن برانطاكيه من ملكها الطاغيه الحائط الموله الحرد ۝ اخو الليث لولا غدره ترعت به الى الذيب ان الذيب شيمته الغدر ۝

الى راسه ركضًا وغودر شلوه وليس سوى عافي النسور له قبر
وقد كان في استيفايه للئمة هي الفتك لولم تغضب البيض والسمر
حماهن الاقدار للقمص اسره واسعد قرن من حواه لك الاسر
طغى وبغى عدوًا على غلوايه فاوبقه الكفران عدواه والكفر
والقت بايديها اليك حصونه ولولم تجب طوعًا لجابها القسر
وامست عزاز كاسمها بك عزة تشق على النسرين لو انها الوكر
فسر واملا الدنيا ضياء وبهجة فبالافق الداجي الى ذا السنا فقر
كانى بهذا العزم لا فل حده واقصاه بالاقصى وقد قضى الامر
وقد اصبح البيت المقدس طاهرًا وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد ادت البيض الحداد فروضها فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر
وصلت بمعراج النبي صوارم مساجدها شفع وساجدها وتر
وان يتيمم ساحل البحر مالكًا فلا عجب ان تملك الساحل البحر
سللت سيوفًا اثكلت كل بلدة بصاحبها حتى تخوفك البدر
اذا سار نور الدين في عزماته فقولا لليل الافك قد طلع الفجر
ولولم يسر في عسكر من جنوده لكان له من نفسه عسكر مجر
مليك سمت شم المنابر باسمه كما زهيت تيها به الانجم الزهر
فيا لهجة ما زال في عرضها مواسم حج لا يروعها النفر
خلعت على الايام من حلل العلى ملابس من اعلامها الحمد والشكر
وتوجت ثغر الشام منك جلالة تمنت لها بغداد لو انها ثغر
فلا تفخر مصر علينا بنيلها فيمناك نيل كل مصر لها مصر
رددت الجياد الصعب سهلا سبيله وبالطالما امسى ومسلكه وعر
واطمعت في الافرنج من كان ياسه تخوف ان يعتاده منهم فكر
واقحمت جرد الخيل اعلا حصونها ولولان لم يهجم على كافر كفر
ومن يدعي في سلك الشرك شركه اذا لم يكن عند القوافي له ذكر
ولو لم يكن في فضلها وكمالها سوى انها من بعد عمر الفتى عمر
هي القانتات الحافظات فروجها فشاهد عدل وابنها سحر
وله من قصيدة يصف فيها وقايعه اولها ◉
اذا ما صبا قلب المحب الى الصبا ذكرت نسيمًا بالثغور مهبه
فلا تسأل الريح الصبا عن فواده فان فواد المرء من حيث حبه
اما وخيال زار من نحو حبه لقد هاج من ذكراه ما لا اعبه
فيا نفحات الشام رفقًا بمهجة تحامى عليها مدنف القلب صبه

وفي شعب الاكوار من هو عالم غداة انسطار البرق من طار لبه
شيم ثغور المزن تهمي كانها شنابشر نور الدين تنهل سحبه
اذا ما سما في مبهم الخطب وجهه تمزق عن بدر الدجنة حجبه
تولد بين الغيث والليث والتقى منافسه اي الثلثة تربه
بعيد مضاء في الظبي لا وضربة بها فلل الاعداء ما السيف ضربه
مكين الحجى ارضي الزمان بنفسه الى الان حتى لان وانقاد صعبه
حمى قبة الاسلام بالخيل فاغتدت واوتادها جرد الطعان وقبه
فكم هبوة او قعن بالكفر تحتها فما انقشعت الا وللذل جنبه
كيوم الرها الورها والهام يانع ملى يرعى الهند وانى خصبه
وشهباها جيتها وغى صرخديه ثناها وليل الحرب تنقض شهبه
وعادم يومًا بالعريمة فاغتدت كوادي ثمود اذ رغا فيه سقبه
وعاصى على العاصي بارعن خاطب دم الافك حتى انتج النصل خطبه
بانب لما الكسب المال واتثنى بصاحب انطاكيه وهو كسبه
غداة هوى شطرين للسيف راسه وللرمح حتى توج الراس قلبه
على حين للخطى فيه عوامل بعاقبه خفض الحسام ونصبه
وقابع محوديه النصر لم تزل غزنها بها عن موطن السيف عربه
يقوم مقام الجيش فيها وعيده ويفعل افعال الكتايب كتبه
وحين انتضته عزمه من قرابه مضى وهو نصل والممالك قربه
الى ان دعته دبها كل بلدة فليس من الامصار ما لا يربه
وما زلت بالقمص عجب هوى به على ام راس البغي والغدر عجبه
فاصبح في الحجلين ينكر خطوه بعيد على الرجلين في السعي قربه
تعاقبه البشرى بأخذ حصونه فيا عانيًا ضرب البشاير ضربه
تناجي عزاز باسمه نازلًا بشر فلعنه لعن الصريح ونسبه
فان يكن المعهود عن ثار عرسه فهذا عمود الكفر قد طاح طنبه
وخلوا عن الافاق فالشرق شرقه بحكم الرديينات والغرب غربه
رحيب فضا الحلم عن ذات قلبه اذا ضاق من صدر الممالك رحبه
اتخذ الاخلاص لله جنة ومن يعتصم بالله فالله حسبه
فقل للملوك الخافقين نصيحة لنا عن طريق الليث ينزاح غلبه
ولا يعتصم بالدرب طالع على القنا فان القنا في نغرة النحر دربه
عفو عن الجاني يكاد الذي جنى يكر به شوقًا الى العفو ذنبه
ابوك استرد الشام بالسيف عنوة وللروم باس طالما غال خطبه

اذا دب عن اضغاث دنياه مالك فانت الذي عن جونه البزدية
رايت اتباع الحق خيرا مغبة فافرحت عن راى يسوك غبة
واوضحت ما بين الفريقين سنة كما عرف المربوب من هو ربه
وبينت ما قد كان يبتغي دليلا بان الله من انت حزبه
وقال ابن منير يمدح نور الدين بظاهر حمص ⊙
هيهات يعصم من اردت جدار اني ومن اوهاقك الاقدار
طلعت عليك بجوسلين ذريعة لا تسحل انشاها ولا اسرار
وشعاده ما زلت تمري خلفها فيشف وهو النافر المدرار
فاراك ما تحمى الوفى وفاه وارته كيف تحيز الغدار
عو دا مر على ابارك طلعه فاجبل ذاك البر وهو بوار
ما زلت نعم وهو يكفر غاثيا والله يهدم ما بنى الكفار
حتى اناخ لقومه ما جره لثمود من عقر الفصيل قدار
اسرى فاصبح في براثن اشير ما زال يدمي ظفره الاظفار
يهب البلاد من البلاد وما حوت ان السماحة للبحار بحار
يقظان يخشى الله في خلواته لا مترف لاه ولا جبار
نصب المراقب للعواقب ناظرا فيها كذلك ترتا الابرار
لا كالذين تعجلوا احسوائها وتفلسوا ابعدوهي خسار
درجوا وادرج في ملف رقابهم سوى تنسى لذكرها الاثار
والمرء يطوى فينشر طيه ما اودعته صدورها الاخبار
قل للاولى ناموا على نامانه ما كل هبه بارح اعصار
لا تامنوا في الله بطشه ثاير لله سل شريع الاسرار
صاف اذا كدر المعادن عادل ان حاف حكام الملوك وجاروا
اعلى ابو له النجاد وشيد في صعبائها ما ابتناه منار
محمود المحمود اثارا اذا نظمت على جيد الدجى الاسمار ⊙ دانت له الايام صاغرة كما دانت له في ظله الامصار
وله من قصيدة اخرى اولها ⊙ ما الملك الا ما حواك نجاده ⊙ يقول فيها
ونذير حسك لمحكم ابيه والفضل ما شهدت به حساده ⊙ سمر اذا ما الحرب زر جيوبها حل المعاقد كره وطراده

الوى الدحى الشريعة جهده واذل ناصية الضلال جهاده
صعق البرنس وقد تلالا برقه واطار شاكن جاشه ارعاده
ولى وقد سلت فسلت ضغنه ذبر تلقى مودهن فواده
مستليما مستنسلا لا عدة ردا المناعنة ولا استعداده
ولجوسلين اجنتهم فاضحت نهبى لهن بلاده وتلاده
جات به بعد الشماس عوابس قود يلين لعنقهن قياده
ونصيدنه لك السعود وقلما ينجى بخير من اردت صياده
دانى له قبناه ادهم كلما عناه طار شمانه عواده
سلبت عزا عزاه وبقوس مجحويه فرشت له اقتاده
وبذل خالد اليوم نل جبينها خلط الثرى بجبينه اخلاده
وغدا بياسر نل باسر قلبه ناحر ما حمل القلوب عداده
منت امانيه بشابرك التي عادت لهن مانما اعياده
وجبون ملكك من نظيم ثغوره حليا سا به تحته اجياده
لا يجد عنك فانما اصلاح من يخشى انتشاط خنا فه افساده
انزله حيث قضت له غدراته واحله طغيانه وعناده
في حيث لا ياوى له سجانه حنقا ويكشط جلده جلاده
وتن هدمت بني الضلال بهدمه وعلت عباد عنوه عباده

فصل قال ابن الاثير لما سار نور الدين الى قلاع جوسلين ملك بعضا وبقى بعضا فاجتمعت الفرنج فالتقوا مع نور الدين بدلوك فهزمهم واستولى على دلوك وغيرها ففيها يقول احمد بن منير قصيدة منها ⊙
هي الخيل خير عتاد الكريم يحضر للهم احضارها ⊙ ضعنت فادرت اغواهها وسرت
فقلمت اظفارها ⊙ الام ولم تبق ما غزوت قلوبا تكابد اذعارها ⊙ اما في مفصل اي
القراع ان تضع الحرب اوزارها ⊙ عسى ان نجم لهذا الكلام ان نتوكر اوكارها ⊙

فنلت به ايات من المجد ولبنيه ابدا ... وعواده ⊙ ولولا ... انطقت يا ساهر فضله اعواده
نام الخليفه واستطار لذبه عن سدنيه واستطير رقاده ⊙ رجعت لك العز الفيم سبوقه ما زان
رونق ما بها اغماده ⊙ من بعد ما نعق الصليب بحزنه ورايت زرع الملك حان حصاده
انى تميل الحادثات ذوائبه بهبوبها وابن العماد عماده ⊙

وما يوم من علته واحد فتودعه الالسن اشعارها ۞ واين المقاول مما فعلت ولو شفع الفطر اكثارها ۞ فكم اجلبت خلفك الجاهات فصلصل بحرك تخارها ۞ اعدت بعصرك هذا الانيق فتوح النبي واعصارها ۞ وكان مهاجرها تابعيك وانصار رايك انصارها ۞ تجددت اسلام سلمانها وعمر حلك عمارها ۞ وما يوم انب الا كثيك بل طال ما لبوع اشبارها ۞ واياما الغر من بعده بعيد الى الطي اعمارها ۞ ولما هبت بمضري سمكت باهبا خيلك ابصارها ۞ ويوم على الجون جون السراه عز فسعطها عارها ۞ صدمت عزيمتها صدمة اذابت مع الما احجارها ۞ وفي تل باشر باشرتهم بزحف تسور اسوارها ۞ وان دالكتهم دلوك فقد سددت فصدقت اخبارها ۞ وثبت الندامر حتى طلعت عليها فولتك ادبارها ۞ مشاهد مشهورة نمنمت على صفحة الدهر اسطارها ۞ يلذ الاغاني ترجيعها وتستنشف السفر اسفارها ۞ بنيت لوفد المنى كعبة تحير المعلو اسنادها ۞ وملكت الارض مغبرة تكاد تحدث اخبارها ۞ فما زلت تدجن حتى محوت دجاها وشعشعت انوارها ۞ وصلت فاعززت مسكنها وصلت فاذللت جبارها ۞ وصعت حلا من علا احكمت على عنق الدهر ازرارها ۞

قال ابو يعلى وفي رجب وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بعسكر الفرنج النازلين بازايه قريبا من تل باشر وعظم النكاية فيهم والفتك بهم وامتلات الايدي من غنايمهم وسبيهم واستولى على حصن خالد الذي كان مضايقه ومنازله قال وفي ايام من المحرم وصل جماعة من حجاج العراق وخراسان الماخوذين في طريق الحج عند عودهم بجماعة من كفار العربان وحكوا مصيبة ما نزل مثلها باحد في السنين الخالية ولا يكون ابشع منها وذكر انه كان في هذا الحاج من وجوه خراسان وبناتها وفقهايها وعلمايها وقضاتها وخواتين امرا العساكر السلطانية والحرم والعدد الكثير والاموال الجمة والامتعة الوافرة فاخذ جميع ذلك وقتل الاكثر وسلم الاقل وهتكت النسا وسلبن وهلك من هلك بالجوع والعطش فضاقت الصدور لهذه النازلة فكفى العادي منهم واطلق لهم ما استعانوا به على اوطانهم من اصحاب بدمشق ذلك تقدير العزيز العليم **فصل** قال وكان مجاهد الدين بزان قد توجه

عودهم لاجم

الى حصنه صرخد ليتفقد احواله فعرضت نفرة بين مجير الدين والرييس بسعايات اصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال استدعا مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل وتم ذلك بوساطته على شرط ابعاد الحاجب يوسف صاحب مجير الدين عن البلد مع اصحابه وتوجهوا ولم يعرض لشي من اموالهم وقصد بعلبك فاكرمه والبها قال وورد الاخبار من مصر بالخلف المستمر بين وزيرها ابن مصال وبين الامير المظفر بن السلار ووقوع الحرب وسفك الدما الى ان اسفرت الحال عن قتل بن مصال الوزير وانتصاب بن السلار موضعه في الوزارة

قال وفيها في سابع عشر رجب توفي القاضي بها الدين عبد الملك بن الفقيه عبد الوهاب الحنبلي وكان اماما فاضلا مناظرا مستقلا مفتيا على مذهب الامامين احمد وابي حنيفة بحكم ما كان عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم وكان يعرف اللسان الفارسي مع العربي وهو حسن الحديث في الجد والهزل وكان له يوم مشهود ودفن في جوار ابيه وجده في مقابر الشهدا قال وتوفي عقيب وفاته الشريف القاضي النقيب فخر الدولة ابو الحسين بن ابي الجن وتفجع الناس لخيريته وشرف بيته ۞ **ودخلت** سنة ست واربعين ففيها حاصر نور الدين دمشق لمعاضدة اهلها الفرنج واستنصارهم بهم ومدحه بن منير بقصيدة يحرضه فيها عليهم وكتبها اليه من حماه وهو محاصر دمشق وقد تخلف عن الخدمة لمرض عرض له منها ۞ اخليفة الله الذي ضمنت له تصديق واصفه سراه المنبر ۞

لا المستطيل بمضر ظل قصوره والمستطال اليه شقه صرصر
يا نور دين الله وابن عماده والكوثر ابن الكوثر ابن الكوثر
صفر بحد السيف دار اشايب عقلوا اجيادك عن نبات الاصفر
هم شيدوا واصح النفاق واوقدوا نار الحشر بهم غدا في المحشر
اذكوا الجلوق جرها واستشعرت لفحاتها بين الصفا والمشعر
شردتهم من خلفهم مستنجدا ما ظاهر الكفار من لم يكفر
لا يعف بل يسق الهدى نفسا الذي ادرع الضلال على اغر مشهر
فلذ ما اهدى على لمرحب فلقد تهكم في الخداع الخيبري

اثعاب آرآ المعز وحفق رايات العزيز ويقظه المستنصر
سم فقد سدت اليك رقابها لا يدرك الغايات غير مشمر
اولست من ملا البسيطه عدله واجتب بالمعروف انف المنكر
حدب الاب البر الكبير ورافه الام الحفيه باليتيم الاصغر
ياهضبه الاسلام من يعصم بها يومن ومن يتول عنها يكفر
كانوا على صلب الصليب سرادقا ابنت بنيته بكل مذكر
اثارهم نجس اذال المسجد الاقصى فضن ما دنسوه وطهر
جار الخليل ومن يغزه هاشم بلهام البد دمشق المتمصر
يعزمن ضلمت وعاوعه غرى اسماع جيحون وشيف البربر
يفتر عن ملك الملوك منحل الا نوابل سعد السعود الاكبر
عن طاعن الفرسان غير مكذب ومتمم الاحسان غير مكدر
بدر المحافل والجحافل فارس الاسا دفي غاب الوشيج الاسمر
ملك تساوى الناس في اوصافه عذر المقل وبان عجز المكثر
يا ايها الملك المنادي جوده في ساير الافاق هل من معسر
ان القصايد اصبحت ابكارها في ظل ملكك غاليات الامهر
ان كنت اجيبت بن حمدان لها فانا الذي عبرت في وجه السري
ولانت اكرم من اناس نوهوا باسم ابن اوس واستخصوا البحتري
ذلك لدولتك الرقاب ولا نزل ان تغز تغنم او تقاتل تظفر
وكتب اليه من حماه ايضا وهو محاصر دمشق قصيده
بنال فيها من صاحبها بقوله ٥
ابوك اب لو كان للناس كلهم ابا ورضوا وطا النجوم لفندوا
وما مات حتى شد ثلمه ملكه بك الله ثري ما رماه فتصرد
صدمت ابن ذي اللغبين فانحل عقده وكالسلك قدامسي يحل ويعقد

كبعض الذي جرعته فسرطته وابدفيه من عماك الموبد
ولابنه عزل اليك موجه وتصحيفه قتل عليك مويد
رمانك يا فلادمشق فلم تكن سوى بغله حمقا بالحمق تحصد
وجالك جلادا وانت مونث تذكرت والجلاد ادهى واجلد
تطاولت لا نفس تسمو ولا اب ورداك زحفا انما انت مقعد
امسعاه نور الدين تبغي ودونها الاسنه تبر والعوامل تعضد
بمحمود المحمود سيفا وساعدا احملت لقد ناحلك صما مويد
وهل يستوى شار لناسد طاويا ونشوان يعلا معصما ويوبد
نصرت اما بل تخنث والداوعما فغوق الكفر فيك مردد
تخذت بني الصوفي اسرا واسره لكي يصلحوا ما في يديك فافسدوا
لعمري لنعم العبد انت يجيعه الموالي وبوليه هوانا فيحمد
اليكم بني العلات عن متشاوش له الشام مرفا والعراق مرفد
وما مصر الا بعض امصاره التي الى امنه تسعى قماء وتحفد
انيبوا اليه فهو ارحم قادر له الصفح دين واقبلوا النصح ترشد
ولا تشفوا نفث المويد انه عن الخير يروى او الى الغين يسند
وفروا الى مولاكم والذي له عليكم ايادي وسمها الييس يجحد
ولا نكفروه انما انتم له ومنه وبوم عند جودان يشهد
غداه على الجولان جول وللظبي دعود فريص الموت منهن يرعد
ولما اكفهر اليوم واربد وجهه وعود مرهون وفر مزبد
وايقن من بين السندبر وجاسم بان الجراد السود بالجرد تجرد
ردنهم على بصري وصرخد خيله وقد ابصرت بصرى رداها وصرخد
وطاروا تهز المرهفات طلاهم كما انصاع من اسد نعام مشرد
وليله القى الشرك بالمرج بوكه وما ذج نيران الوغى توقد
دي واخوه مغرب الشمس دونكم بمشرقها غضبان يعدو ويسيد
تمدودت ما الارنط مغنه اثارت بثورا غله ليث ترود
ابا سيف

من عمل دمشق وما والاها وفي الغد قصد فريق وافر منهم ناحية السهم والنيرب وكمنوا
عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليهم اسرع النذير اليهم فخذلهم وقد ظهر الكمين
فانهزموا الى البلد وفي الغد نزل نور الدين بعسكره على عيون فاسريا بين عذرا ودومه
وامتدوا الى تلك الجهات ونزلوا من الغد في اراضي حجيرا وراويه في الخلق الكثير والجم
الغفير وانبسطت ايدي المفسدين من العسكر الدمشقي والاوباش من اهل العيث والفساد
في زروع الناس فحصدوها وفي الثمار فاتوا عليها بلا مانع ولا دافع وتحرك السعر وانقطعت
السابلة ووقع النهب للحصاد ووافت رسل نور الدين الى ولاة البلد يقول انا ما اوثر
الا صلاح امر المسلمين وجهاد المشركين وخلاص من في ايديهم من الاسارى فان ظهرتم معي
في عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهاد فذلك المراد فلم يعد الجواب اليه بما يرضاه
فنزل في ارض مسجد القدم وما والاه من الشرق والغرب وبلغ منتهى الخيم الى المسجد الجديد
قبلي البلد قلت ——— هو الذي يسمى في زماننا بمقبرة المعتمد بين مسجد القدم ومسجد
فلوس قال وهذا منزل ما نزل له احد من مقدمي العساكر فيما سلف من السنين واهل الزحف
الى البلد اشفاقا من قتل النفوس ووصلت الاخبار باحتشاد الفرنج واجتماعهم لانجاد اهل
دمشق فضاقت صدور اهل الصلاح وزاد انكارهم لمثل هذه الاحوال المنكرة والمناوشات
في كل يوم متصلة من غير مزاحفة ولا محاربة فلم يزل ذلك الى ثالث عشر صفر فرحل العسكر
النوري من هذه المنزلة ونزل في ارض قدايا وحقلبين والخامسين المضايقة للبلد وما
عرف في قديم الزمان من اقدم على الدنو منها ثم رحل في العشرين من صفر الى ناحية داريا
لتواصل الارجاف بقرب عساكر الفرنج من البلد لقوة عزمه على لقائهم وصار العسكر
النوري في عدد لا يحصى وفي كل يوم يزداد بما يتواصل من الجهات وطوايف التركمان ونور
الدين مع هذه الحال لا ياذن لاحد من عسكره في التسرع والظهور ولا يعودون الا خاسرين
مفلولين واقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحية الاعوج لقرب عسكر الفرنج وعزمهم على قصده
واقتضى رايه الرحيل الى جهة الزبداني استجرارا لهم وافرد من عسكره وثقاته زها اربعين
الف فارس مع جماعة من المقدمين ليكونوا في اعمال حوران مع العرب لقصد الفرنج ولقائهم

وترقبا لوصولهم وخروج العسكر الدمشقي اليهم واجتماعهم بهم ثم تقاطع عليهم واتفق ان عسكر
الفرنج رحل عقيب رحيله الى الاعوج ونزلوا به في ثالث ربيع الاول ودخل منهم خلق كثير الى البلد
لقضاء حوايجهم وخرج مجير الدين ومؤيده في خواصهما وجماعة وافرة من الرعية واجتمعوا بملكهم
وخواصه وما صادفا عنده شيئا مما هجس في النفوس من كثرة ولا قوة وتقرر بينهم النزول
بالعسكرين على حصن بصرى لتملكه واستغلال اعماله ثم رحل عسكر الفرنج الى راس الماء ولم
يتهيا خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النوري
ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحية الفرنج للايقاع بهم والنكاية فيهم والتجأ عسكر
الفرنج الى لجاة حوران للاعتصام بها ونمي الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجر من البقاع
عايدا الى دمشق وطالبا قصد الفرنج والعسكر الدمشقي وكان الفرنج حين اجتمعوا مع العسكر
الدمشقي قد قصدوا بصرى لمضايقتها ومحاربتها فلم يتهيا ذلك لهم وظهر اليهم سرخاك
واليها في رجاله وعادوا عنها خاسرين وانكفا عسكر الفرنج الى اعماله وراسلوا مجير الدين ومؤيد
يلتمسون باقي القطيعة المبذولة لهم على ترحيل نور الدين عن دمشق وقالوا لولا نحن ندفعه ما
رحل عنكم قال ——— ابو يعلى وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصري الى ثغور
الساحل في غاية من القوة وكثرة من العدة وذكر ان عدة مراكبه سبعون مركبا حربية مشحنة
بالرجال ولم يخرج مثله في السنين الخالية وقد انفق عليه فيما حكي وقرب ثلثمايه الف دينار
وقرب من يافا من ثغور الفرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ما ظفروا به واستولوا على عدة وافرة
من مراكب الروم والفرنج ثم قصدوا ثغر عكا ففعلوا فيه مثل ذلك وحصل في ايديهم عدة
وافرة من المراكب الحربية والفرنجية وقتلوا من حجاجهم وغيرهم خلقا عظيما وقصدوا ثغر
صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا في الكل مثل ذلك ووعد نور الدين بمسيره الى ناحية الاسطول
المذكور لاعانته على تدويخ الفرنجية فاتفق اشتغاله بامر دمشق وعوده اليها لمضايقتها وحدث
نفسه بملكها لعلمه بضعفها وميل الاجناد والرعية اليه وايثارهم لولايته وعدله قال وذكر
ان نور الدين امر بعرض عسكره فبلغ كمال ثلثين الف مقاتل ثم رحل ونزل بالدلهمية من عمل البقاع
ثم نزل بارض كوكبا غربي داريا ثم نزل بارض داريا الى جسر الخشب ونودي في البلد بخروج

الاجناد والاحداث اليه فلم يظهر منهم الا اليسير ممن كان يخرج اولا ثم تقدم وبرز القطيعه
وما والاها ودنا منها بحيث قرب من البلد ووقعت المناوشه بين الفريقين من غير زحف ولا
شد في محاربه تحرجا من قتل المسلمين وقال الحاجه الى قتل المسلمين بايدي بعضهم بعضا
وانا ارفههم لتكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين قال وورد الخبر الى نور الدين بتسليم نايبه
الامير حسن المنبجي مدينة تل باشر الى الامان في الخامس والعشرين من ربيع الاول وورد مع
المبشر جماعه من اعيان تل باشر لتقرير الاحوال وترددت المراسلات في عقد الصلح مع اهل
اهل دمشق على شروط واقتراحات وتردد فيها الفقيه برهان الدين علي البلخي والامير
اسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين ايوب وتقارب الامر في ذلك الى ان استقر الحال على
قبول الشروط المقترحه ووقعت الايمان من الجهتين على ذلك والرضى به في عاشر ربيع
الاخر ثم رحل نور الدين من الفيطا الى ناحيه بصرى للنزول عليها والتمس من دمشق ما تدعوا
اليه الحاجه من الات الحرب لان واليها سرخاك كان شاع عصيانه وخلافه ومال الى الفرنج
فاعتضد بهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانهض اليه فريقا وافرا من عسكره قلت
ولابن منير في نور الدين يذكر وقعه الجولان وغيرها قصيده اولها

ما برقت بيضك في غمامها الا وغنت الدين لابتسامها يقول فيها
محمود المحمود جدا وجدا دحض جلال الارض حكم عامها
ملك ازال الروم عن صلبانها دافعه وكب من اصنامها
جال على الجولان امس جوله صفرت الادحى من نعامها
والجوز قد جرعها اجوبه وقل مشحودا من اعتزامها
وشد في الفدا له مليكها قود عنود القوط في شبامها
وفي الرها صابت له سحابه صار واجفاء جف في التظامها
وهب في هاب له عواصف تجمعها الهف من جهامها
وكفلا ثالاث في جبينها ثم ظني ابت على اشامها
وقايع ترفض تحت وقعها نظم الثريا في انفصامها
شاعه البيض اذا اعلدها سوط عذاب صب في ايامها
واعجبا العصب الشرك التي لم تعصب الرشيد على اطلامها
حكمه استنوا وها في غيها في نقض ما احصد من ابرامها
مظفر الرايات والراي اذا الحرب مشت تعثر في خطامها

علت به حدا لعلاهم عن النجوم او نواصيها مها
جلت له الدنيا على زينتها عفوا فلم يلو على حطامها
رائه وهو الليث يدمي ظفره انفذ في المشكل من حكامها
فتوجته العرب في مرتبة تمنطق الجوز اء في نظامها
غضبان للاسلام لا يغضبه استسلامها للفشل واسلامها
خط على مثل ابي طاعته الاما واستشرف لا غتنامها
تصرف الدنيا على ابنائه عن افقها مسترد اكابسامها
لو لم يكن دون مني فات المنى واقعد الفايز من قوامها
وامنك ما ملكه رواضع بقصر باع الدهر عن فطامها
وصار كالبحر البحار وخلا من اهله الاشرف من مقامها
حميتها لا زلت ترقى في حمى من مولم الارداء او لمامها
تلبس بيت الله وشيا من بقيا اياتك من اعلامها
فاننا الدين حمى قطينها وبازل مكنت من زمامها
انت بنا الاملاك منك كعبة سلم الليالي ايه استسلامها
وارشفتنا بك نعمو نعمه لا نسال الله سوى دوامها

وقال ايضا يمدحه

بجدك اصحب الجد الحرون واطلع نجم الفتح المبين
وفي كنفيك سولت الليالي وفارق طبعه الزمن الخؤون
ومنك تعلم القطع المواضي وقد زبنت بها الحرب الزبون
وانت السيف لم تمشسه نار ولا شحذت مضاربه القيون
ترقرق فوق صفحته الاماني ويقطر من غراربه المنون
وقبلك ما سمعت بغي فقادر سبير الفقر كان ولا يكون
ولا غيث شما ونه سرير ولا ليث وشادنه عرين
جبلت ندى وعفوا وانتقاما وما كل بمجبول وطين
فلا تخنه غرر الليالي اذا الايام عند سوال جون
وعندك مشرب النعمى زلال اذا اعيفت مشاربها الاجون
لقد اشعرت دين الله عزا تتيه له المشاعر والحجون
رجعت ملوكهم وهم خوف اسير في صفادك او لبون
اذا ما الفعل غل تلاه حذف نباح سماه او سكون
ولا تمر له الهيجا هال ولا تاج له الدنيا جبين
وملكك عم الاقطار قطرا فامرعت الاواعث والحزون
وانت امت الجدوى منارا بيين لشايمه ولا يبين
تحكم في عطايك كل عاط وقد شيدت من المنع الحصون
وقام بنصرك والناس فوضى قوى منك في الجلى امين
فبرنست البرنس لقاع خف وجرع من جوسلا جوسلين

عنوا حتى غزوتهم فغنى الصدا فى ارضهم حف القطين
وكم عبر الصليب بهم صليبا فردته فنالك وفيه لين
وما خطرت بدار الشرك الا هوى الناقوس وارتفع الاذين
ملأن عظام ساحتهم عظاما فحل ملأ لقوك به جدين
بابنك والقنا تجرى نجيعا كان عيون اكعبها عيون
وبين حرار صرخد بن جراله فى كل صحبه كمين
وفى من العربيه فى غرام له فى جوفها الاقصى حنون
وكم حرم لحارم غادرته ودارته لمقتسها درين
وفى سغرا قورض صعن سعر اندار على عزاره الحجون
ووايع صرن فى صنعا طيرا بوقعها على عدن عدون
نماك اب اذا عد انتسابا نرافا مصعدا والناس دون
شمالا كان الملك البرايا وقد قيسوا به وهو اليمين
فصار قضاؤه فى الارض حتما وطاعه اهلها البنيه دين
لهذا اليوم تنتخب القوافى ويدخر نفسه الدر المصون
ونحن احق منك بان نهنا اذا قرت برويتك العيون
تسلمت البنا فانا كل صعب نوازيه بان يبقى يهون
ترابطنا بعقوتك التهانى وغبطنا بدولتك القرون

فصل فى باقى حوادث هذه السنه قال ابو يعلى وورد الخبر من ناحيه ديار مصر بان اهل دمياط حدث فنا ما عهد مثله ولا قديم بحيث احصى المفقود منهم فى سنه خمس واربعين سبعه الاف شخص وفى سنه ست واربعين مثلهم فصار الجميع اربعه عشر الفا وخلت دور كثيره من اهلها وبقيت مغلقه لا ساكن فيها ولا طالب لها وفيها فى ثانى جمادى الاخره توفى القاضى الشديد الخطيب ابو الحسين بن ابى الحديد خطيب دمشق وكان خطيبا بليغا فصيحا عفيفا ولم يكن له من يقوم مقامه فى منصبه سوى ابى الحسن الفضل ولده وهو حدث السن فنصب مكانه وخطب وصلى بالناس واستمر الامر له ومضى فيه قال وورد الحكايات بحدوث زلزله وافت الليله الثالثه عشر من جمادى الاخره اهتزت الارض لها رجفات فى اعمال بصرى وحوران وما والاها من سائر الجهات وهدمت على وافر من حيطان المنازل ببصرى وغيرها ثم سكنت بقدرة من حركها سبحانه وتعالى قال وفى ثانى عشر رجب توجه مجير الدين صاحب دمشق الى حلب فى خواصه ووصل

اليها

اليها ودخل على نور الدين صاحبها فاكرمه وبالغ فى الفعل الجميل فى حقه وقرر معه تقريرات اقترحها عليه بعد ان بذل له الطاعه وحسن النيابه عنه فى دمشق ورجع الى دمشق مسرورا فى سادس شعبان قلت وفى ذلك يقول القيسرانى

وفت لك الدنيا بميعادها بادله افلاذ اكبادها
واوفدت غر سلاطينها عليك فى لهمه انجادها
تبغى سنا افضت قصده طابعه طاعه اجنادها
خاضعه تعتد اعيادها يوم الثلاثاء فى يوم ميلادها
شامت دمشق برق العلى فارسلت اصدق روادها
رائد نور الدين نار الهدى قد اشرق الافق بايقادها
فيممت منك حيا مزنه بيض الايادى وزد رادها
فاسال مجير الدين عن خبره اوردها محمود ايرادها
تبوأت من عزها قبه سمر القنا اطناب اوتادها
تنافس الناس على دوله فت بها اعين حسادها
تعد والمعادى كالموالى لها فوالها ان بث اوعادها
بالملكا من هى باسمائه منابر تسموا باعوادها
ونا اخذ الاسماع اوصافه عن جمع الدنيا واعيادها
كم للمعالى فيك من رغبه تفنى الامانى دون تعدادها
لك المساعى الغر يا جامعا من طرفيها بين اضدادها
يغشى الورى اوش فرسانها وفى التقى ازهد زهادها
فانت تنكا غيث ابن الهاوات فتكا ليث اسادها
فى امه انت حمى دينها حينا وحينا شمس عبادها
يطوى بك العمر الى غاية حسبك تقوى الله من زادها
هذا وكم من سنه بدعه اعدمتها من بعد ايجادها
ما ثر لو عدمت زادها تكفل النظم باسنادها

قال ابو يعلى وفى اواخر شعبان اغار بعض التركمان على ظاهر بانياس فخرج اليهم واليها من الفرنج فى اصحابه وظهر التركمان عليهم فقتلوا واسروا وفى رمضان قصد بعض الفرنج ناحيه من البقاع واغاروا فانهض اليهم والى بعلبك رجاله فلحقوهم وقد ارسل الله عليهم من الثلوج المتداركه ما ثبطهم فاستخلصوا منهم الغنيمه قلت والى بعلبك هذا هو نجم الدين ايوب والد صلاح الدين يوسف قال ابن القلانسى وفى سنه ست واربعين اغار التركمان على بانياس فخرج اهل بانياس

من الفرنج استنقذ واما اخذوه فعاد التركمان عليهم فكسروهم واتصل ذلك بصاحب دمشق
فاغضبه فعل التركمان لمكان الهدنه المنعقده بينه وبين الفرنج فانفذ عسكرا الى التركمان
استعاد منهم ما اخذوه واتصل خبر التركمان بالفرنج فجيشوا وخرجوا في جيش عظيم وشنوا
الغاره على البقاع والناس غافلون فامتلات ايديهم من الغنايم والاساري واتصل خبر غارة
الفرنج بنجم الدين ايوب وهو في بعلبك وعنده جماعه من عسكر دمشق واصحابه فقدم عليهم
ولده شمس الدوله فخرج واوقع بالفرنج واتفق انه كان قد اصاب الفرنج ثلج عظيم هلك اكثرهم
وجا شمس الدوله وهم متورطون فقتل فيهم مقتلة عظيمه وخلص من كان مع الفرنج من الاسارى
قال وفي هذه السنه فارق صلاح الدين والده وصار الى خدمه عمه اسد الدين بحلب فقدمه
بين يدي نور الدين فقبله واقطعه اقطاعا حسنا قال ابو يعلى وفي ثاني شوال وهو الثاني
من شباط وافت قبيل الظهر زلزله اهتزت لها الارض ثلاث هزات هايله وتحركت الدور والجدران
ثم سكنت ۞ قلت وفي هذه السنة في غره جمادى الاولى كتب احمد بن منير من حماه الى نور
الدين قصيده يهنيه بوصول الخلع اليه من بغداد من عند الخليفه على يد الشيخ شرف الدين
ابن ابي عصرون ويصف الفرس الاصفر الاسود القوايم والمعارف والسيف الهندي واولها

لعلاك التاييد والتاميل وللملك التاييد والتكميل
ابدا تهم وتعتفي فتنال ما عز الورى ادراكه وتنيل
اما كتاب يستقل به الكتايب او رسول للنجاح رسيل
لك من ابي سعد زعيم سعادة فمن تفال فيك ليس يفيل
نعم الحسام جلوته وبلونه برضيك حين يصل ثم يصول
سهم تعود في الكنانه عوده ويقصر المطلوب وهو طويل
سددته فمضى وقرطس صادرا كالنجم لا وهل ولا تهليل
فثنا القلوب الى ولايك حول منه بما تحني رضا الكفيل
والقام يبشر في العراق ودجله ابانا ولها لمصر النيل
وكان من راي الخليفه جنه لا النقص يوهيها ولا التفليل

ومملك في السرج ام ملك سطت لمهابة عقل وتاه عقول
وبرزت في لبس الخلافه كالهلال جلاه في حلل الدجى التهليل
خلع خلعن على القلوب مسرة سدكانها التعظيم والتبجيل
نثرت نظارا جامدا اعلامها ويكاد يجري رقه ويسيل
لفضي لها ان لا عديل لفخرها ورب براك فما لذاك عديل
انت المهند منذ سلته العلى لم يخل من مهج عليه تسيل
منهز قايمه الامام فالقت غرر شدخن لملكه وحجول
واليت دولته فتهت بدولة منك لان بصعيدها الاكليل
ونصرته فجلاك ابيض دونه صرف الزمان اذا استكل كليل
قلدته وكلا كما مثلهما عضب فراز المغمد المسلول
وحبار كابك حين فر من حفه القران واستخرى له الانجيل
باقب اصفر مشرف الهادي له التجيل لون واللما تحجيل
قسم الدجى بين الغدايد والشوي واعتام دونقه الاصيل اصيل
ويقاسم الراووه بحتك انه حبر وم مصرف عطفه جبريل
تختال في حبك الحلي مختالا ان الشوامخ للبدو رخيول
مرخا الذوايب كالعروس يزينه طرف باطراف الرماح كحيل
نتصاعق النعرات تحت لبانه ان شب زفروا استجش صهيل
لم يجب مثلك مثله مهد ولم يشلل على برق سواه سليل
وانشده في هذه السنه ايضا بحمص قصيده منها ۞
الدهر انت ودارك الدنيا ومن في العد بعد مومل وجود
وازمة الاقدار طوع يديك والايام جندك والانام عبيد
قت الورى وعقدت ناصيه المدى بمدر الشعرى فاين تريد
تالله ابالك فهل سليمان مرى في الدست مهد ملكه داود

وشللت بالروج السروج وفوقها ذرع لحصد الرماح حصيد
وعلى عزاز عنوا وثل عروشهم ملك مقيد من عصاه مقيد
وبنل باشر باشرول فعافسوا اهب الاساود حشوهن اسود
اوذوا كما اوذى بعاد غمها وعقوا كما استغوى القصيل ثمود
ان المواعقرا فانك صالح او المواعدرا فانك هود
وزعتهم فبكل مهبط تلعة خد به من وازع اخدود
وعصبتهم بعصايب مل الملاسى وان خل السا له عود
اثارها محمودة واثارها مشهودة وسعادها محمود
لبست من اسمك في الكريهة ميسما يبلى جديد الدهر وهو جديد
وقصيرة الاجال طول باعها بوع يسامي هامها وقد ود
مطرون الاسلاب مذ هزعتها تاه الهدى وتبخترا التوحيد
اشرعتها فعلى شريعة احمد سماجنة بوارق وعقود
ولكم نثرت نظيمها في موقف تغريد صالي حرة التغريد
يجلوا اسنانك ملامه ويحل ما عقدت قناه لواوك المعقود
في هبوة زحم السماء رواقها والارض ترجف تحته وتميد
ضربت مخيمها فكان كانها اوتاده القصوى وانت عمود
في كل يوم من فتوحك صادح هزج الغناء وطاير غريد
تهدى لعانه كاسه فرعانه وتسيغ زبده ما شذاه زبيد
نغرا سيفك للاحاين محبس ومثار نقعك للصعيد صعيد
لا تعدمن هذا المقلدامة ملقى اليه لرعيها الاقليد
الورد غمر والمسارح رحبة والرفد مد والظلال مديد
والعيش ابلج مشرق القسمات والاشجار غمر والاصايل غيد
والملك ممدود الرواق منور الافاق وضا المنى محشود

ومن نقى يعجب السماك اذا استطالت اليه كف زقي
توجهت شهباها بمشرفه مشرفه شهبها على الا فق
جو تهادى منه كواكبه طرفه طرف رجوم مسترق
فوارس تذهل الفوارس ان تهاقنت من ارشا قها الرشق
من راكض في الهوا اهوى من الفتح ومجر من تحته لبق
شاو من الحصر لو تخاوله الحصر لزلت عن موطئ زلق
تقول من دينه الفروسه ما الافق الا ضرب من الا لق
بدايع تغبط السماء بها الارض وتذكى الاشفاق في الشفق
في دوله جمعت ابا لنها من يد الحسن كل مفترق
نزر اطواقها على ملك مكتفل رزق كل مرتزق

ثم دخلت سنه سبع واربعين وخمسمايه قال ابو يعلى وورد الخبر في المحرم بنزول نور الدين على انطرطوس في عسكره وافتتاحه له وقتل من كان فيه من الفرنج وطلب الباقون الامان على النفوس فاجيبوا الى ذلك ورتب فيه الحفظه وعاد عنه وملك عده من الحصون بالسبي والسيف والاخراب والاحراق والامان قال وورد ايضا ظفر رجال عسقلان بالفرنج المجاورين لهم بغزه بحيث هلك منهم العدد الكثير وانهزم الباقون قلت وقرات في ديوان بن منير يمدح نور الدين ويهنيه بفتح انطرسوس ويحود وعوده عنهما فذكر قصيده منها ⊙

ابدا بباشر وجه غزوك ضاحكا وتوب منه مويدا منصورا
ندنى لك الامل البعيد سواهم محقت اهلتها وكن بدورا
مثل السهام لو ابتغى ذو اربع في الجو مطلبا لكن طيورا
بنذن على ايقها بحصر واعلقت سحرا بمعرق عرقه الاطفورا
وعلون صافنا الراح شوارها فذا تلعت عنقا اليك مشيرا
القلب انت فان تعاى عن هدك عضوا اهاب به فعاد بصيرا

غضبان اقسم لا يشيم حسامه والارض تحمل في الكفور كفورا
غسل العواصم امس من ادرانهم واليوم رد به السواحل بورا
لم يبق من الحولتين وامد وسرا المصطفين ولا موتورا
اخلا ديار الشرك من اوثانها حتى غدا ثالو ثهن نكيرا
رفع القصور على نضايدها بهم من بعد ما جعل القصور قبورا
بشواجب الالباط تقطوا في الظلام قطا وتهوى في الصباح نسورا
غادرت انطرسوس كالطرس امحى رسما وحرد دعمها بحمورا
وهي الزناد لفتنة كانت على الاسلام احكم كسرة اكسيرا
هتمت طرابلسا فاصبح ثغرها البسام من عز الثغور ثغيرا
اقليدها كانت وقد انطبته واسل به ممن دهنه خبيرا
ان الاولى امنوا اوقاعك بعدها غروا وقد ركبوا الاغر غرورا
الق العصا فيمن اطاع ومن عصى منهم ودمر ارضها تدميرا
لا يلهمهم ان قد منت وشنها شعوا تصلى الكافرين سعيرا
باكز بركز تتاتنشف استها والخيل صور في تزبرك صورا
وتريك لامعه التريك بساحة الاقصى مطهرة لها تطهيرا
اولست من قوم اذا هزوا القنا قتلوا معاصمهم لها تسويرا
واذاهم خطبوا اليراع عزيزة ساقوا الشفار على المهار مهورا
الغي فسيماهم اليك ازمة الملك المطل على السها تاثيرا
ضحكت لك الايام واكتاب العدا قلقا فجئت مبشرا ونذيرا
لا ملك الا الملك محمود الذي تخذ الكتاب مظاهرا ووزيرا
يمشي وراحدود احكامه تابعين فحكم التقديرا
يقظان ينشر عدله في دولة جاءت لمطوي السماح نشورا
خلف الخلايف فانما عنهم بما عبوا به الوي الله عبورا

اسد فرايسه الفوارس والظبى اظفاره والسمهرية غابه
طبع الحديد فكان منه جنانه وسنانه واهابه وثيابه
ويهش ان كلح الوجوه كانما اعداوه تحت الوغى احبابه
نشرت بمحمود شريعة احمد واري الصحابه ما احتذاه صحابه
ما غاب اصلع هاشم فيها ولا الفاروق باء بخطبه خطابه
ابنا قبيله قايمون بنصره ان اجلبت من قاسط احزابه
صبحوا لحلقه البرنس بحالق حرش الضباب من القلوب ضبابه
ما زال يغلب من بغاه ضلاله حتى اتيح من الهدى غلابه
ملقى بوحش الاصرمين تزيلت ارابه وتزايلت الابه
دون الارنط سخت به نجلانه ونجاده وقرابه وقرابه
سلبته درة تاجه يد ضيغم لم تنجه من نابه اسلابه
وابنه نجل جوسلين حبايب هبت فقل الى القتال هبابه
اسرته لا منعت سراه وغره بالقاع ان دام الورود سرابه
لا تل باشره ولا كيسونه صدت مني عنه ولا عتابه
ضمنت شقاونه سعادة صافح غطا على اعنانه اعنابه
ما زال يغدر ثم يغدر قادرا حتى اتاه بجائح اصحابه
قصر الاماني ان بلاعضك الاسلام مضروبا عليه حجابه
مجر يجر الى الغنايم قبة وحمى يزار على الفتوح قبابه
وانشد بحلب في شوال من هذه السنه قصيده منها
لقد اوطأت دين الله عزا اديم السعرى له رغام
دعاك وقد تنا وشت الرزايا له اهيا بوز عمها العذام
فقمت بنصره والناس فوضى فيام ذرما اقترفت فيام
جذبت بضبعه من قعر يم له من فوق مقسمه النظام

تالق عدله وذكت سطاه فلا يخاف خيف ولا اهتضام
يقاول خير ما يرجوه راج وانفع ما يبل به اوام

فصل وفي هذه السنة ولد بحمص لنور الدين ابن سماه احمد وهناه به بن منير في بعض قصايده ثم توفي بدمشق ودفن خلف قبر معوية رضي الله عنه اذا دخل الخطبن في مقابر الباب الصغير وقصيدة بن منير قد تقدم بعضها في اول الكتاب ومنها في ذكر المولود

توالت الاعياد لازلت لها دايم البقاء وتجدد
الفطر والميلاد والمولود لو قابله بدر التمام لسجد
ثلثه تعرب عن ثلثه لمثلها يذكر حمدا من حمد
فتح مبين وطلاب مدرك ودولة ما تنتهي الى امد ٥ وله من اخرى يقول
وجيت باحمد ملات حمدا موارد كان معذبها عذابا
تهلل وجه ملكك يوم اهديت قوابله لك الملك اللبابا
شبيهك لا يغادر منك شيا سنا وحيا وبذلا واستلابا
تقسم احمد الا ان حرفا من اسمك زاد للمعنى منابا
الا لله يوم فرعنه وركب نص بالبشرى الركابا ٥

قال ابو يعلى في اواخر صفر توجه مجير الدين في العسكر ومعه موبد الدين الوزير الى ناحية حصن بصرى ونزل عليه محاصرا لسرخاك واليه لمخالفته وجونه واراد مجير الدين المسير الى حصن صرخد لمشاهدته فاستاذن مجاهد الدين واليه في ذلك فقال له هذا المكان بحكمك وانا فيه وال من قبلك وانفذ الى ولده سيف الدين محمد النايب فيه باعداد ما يحتاج اليه ويلقى مجير الدين بما يجب له فخرج في اصحابه ومعه المفاتيح واخلى الحصن من الرجال ودخل اليه في خواصه وسر بذلك وتعجب من فعل مجاهد الدين وشكره على ذلك وعاد الى مخيمه على بصرى وحاربها عدة ايام الى ان استقر الصلح والدخول فيما اراد وعاد الى دمشق ٥ وفيها في شوال توفي الامير سعد الدوله ابو عبد الله محمد بن الحسن بن الملحي ودفن في مقابر الكهف وكان فيه ادب وافر وكتابة حسنة ونظم جيد وتقدم والد في حلب في التدبير والسياسه وعرض الاجناد

قال

قال ابن الاثير وفيها توفي السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان وعهد الى ابن اخيه ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وخطب له ببلاد الجبل وكان الغالب على البلاد والعساكر ايام السلطان مسعود خاصبك بن بلنكري فقام بامر ملكشاه ولم يمهله غير قليل حتى قبض عليه وكتب الى اخيه الملك محمد بن محمود وهو بخوزستان يستدعيه اليه ليخطب له بالسلطنه وكان غرض خاص بك ان يقبض عليه ايضا فيخلو وجهه من منازع من السلجوقيه وحينيذ يطلب السلطنه لنفسه فلما كاتب محمدا اجابه الى الحضور عنده وسار اليه وهو بهمذان واجتمع به وخدم خاص بك خدمة عظيمة فلما كان الغد دخل عليه خاص بك فقتله محمد والقى راسه الى اصحابه فتفرقوا واستقر محمد وثبت قدمه واستولى على بلاد الجبل جميعها وكان قتل خاص بك سنه ثمان واربعين وبقي مطروحا حتى اكلته الكلاب وكان ابتدا امره انه كان من بعض اولاد التركمان فخدم السلطان فمال اليه وقدمه حتى فاق ساير الامرا واستولى على اكثر البلاد وهو كان السبب في اكثر الحوادث الشاغله للسلطان مسعود فان الامرا الاكابر كانوا يتقون من اتباعه لما كان يقابلهم به من الهوان والاحتشام عليهم وذكر الوزير يحيى بن هبيره في كتاب الافصاح انه لما تطاول على الخليفه المقتفي اصحاب مسعود واساوا الادب ولم يمكن المجاهرة بالمحاربه اتفق الراي على الدعا على مسعود بن محمد شهرا كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على رعل وذكوان شهرا فابتدى هو والخليفه سرا كل واحد في موضعه يدعو سحرا من ليله تسع وعشرين من جمدى الاول سنه سبع واربعين وخمس مايه واستمر الامر على ذلك كل ليله فلما كان ليله تسع وعشرين من جمدى الاخره كان موت مسعود على سريره لم يزد عن الشهر يوما ولا ينقص يوما ووصل القصاد بذلك من همذان الى بغداد في ستة ايام فازال الله يده ويد اتباعه عن العراق واورثنا ارضهم وديارهم فتبارك الله رب العالمين مجيب دعوة الداعين قال وكان الشيخ محمد بن يحيى يقول لا ادل على وجود موجود اعظم من ان يدعى فيجيب ٥

ثم دخلت سنه ثمان واربعين فيها اخذ الفرنج خذلهم الله عسقلان وبقيت في ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله

سنه ثلاث وثمانين كما سياتي ان شا الله تعالى قال الرييس ابو يعلى التميمي وتواصلت
الاخبار من ناحيه نور الدين بقوه عزمه على جمع العساكر والتركمان من ساير الاعمال والبلدان
للغزو في احزاب الشرك والطغيان ولنصره اهل عسقلان على الفرنج النازلين عليها
وقد ضايقوها بالزحف عليها بالبرج المخذول وهم في الجمع الكثير ثم اقتضت الحال
توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جمهور عسكره للتعاضد على الجهاد في
ثالث عشر محرم واجتمع معه في ناحيه الشمال وقد ملك نور الدين الحصن المعروف بافلس
بالسيف وهو في غايه المنعه والحصانه وقتل من كان فيه من الافرنج والارمن وحصل
العسكر من المال والسبي الشي الكثير ونهضوا طالبين ثغر بانياس ونزلوا عليه في اخر
صفر وقد خلا من حماته وتسهلت اسباب ملكته وقد تواصلت استغاثه اهل عسقلان
واستنصارهم بنور الدين فقضى الله تعالى بالخلف بينهم والقتل وهم في تقدير عشره الاف
فارس وراجل فاجفلوا عنها من غير طارق من الفرنج طرقهم ولا عسكر رهقهم ونزلوا على
المنزل المعروف بالاعوج وعزموا على معاوده النزول على بانياس واخذها ثم اجمعوا عن ذلك
من غير سبب ولا موجب وتفرقوا وعاد مجير الدين الى دمشق ودخلها سالما في نفسه
وجملته حادي عشر ربيع الاول وعاد نور الدين الى حمص ونزل بها في عسكره ووردت
الاخبار بوصول الاسطول المصري الى عسقلان فقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال
وظفر وابعده وافره من مراكب الفرنج في البحر وهم على حالها في محاصرتها ومضايقتها
والزحف بالبرج اليهم واستمر ذلك الى ان تيسرت لهم اسباب الهجوم عليها من بعض جوانب
سورها فهدموه وهجموا البلد وقتل من الفريقين الخلق الكثير والجات الضروره والغلبه
الى طلب الامان فاجيبوا اليه وخرج من امكنه الخروج في البر والبحر الى ناحيه مصر وغيرها
وقيل ان في هذا الثغر المفتتح من العدد الحربيه والاموال والمير والغلال ما لا يحصر فيذكر
ولما شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه وضاقت الصدور وتضاعفت الافكار بحدوث مثله
فسبحان من لا يرد نافذ قضايه ولا يدفع محتوم امره عند نفوذه ومضايه

فصل

قال وعرض بين الرييس ابن الصوفي وبين اخويه عز الدوله وزين الدوله مشاحنات ومشاجرات

افضت المساعاه الى مجير الدين في جمدى الاولى فانفذ مجير الدين الى الرييس يستدعيه
للاصلاح بينهم في القلعه فامتنع من ذلك وجلس في داره وهم بالتحصن عنه باحداث البلد
والغوغا والت الحال الى ان تمكن زين الدوله منه بمعاونه مجير الدين عليه وتقرر بينهما اخراج
الرييس من البلد وجماعه الى حصن صرخد مع مجاهد الدين بزان واليه بعد ان قرر له بقا
داره وبستانه وما يخصه ويخص اصحابه وتقلد اخوه زين الدوله مكانه وامر ونهى ونفذ
الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسوء الافعال والتماس الرشا على افل الاعمال وراى
مجير الدين عقيب ذلك التوصل الى بعلبك لتطييب نفس واليها عطا الخادم واستصحابه
معه الى دمشق لينوب عنه في تدبير الامور وعاد وهو معه واستشعر مجاهد الدين بزان ان
نيه مجير الدين قد تغيرت فيه فاستوحش من عوده الى البلد بغير يمين يحلف له بها على
امانه في نفسه فوعد بالاجابه فعاد الى داره بدمشق ثم هجس في خاطره من مجير الدين
واصحابه ما اوحشه منهم فدعاه ذلك الى الخروج من البلد سرا طالبا صرخد فحين عرف
خبره انهض في طلبه وقص اثره فادرك وقد قرب من صرخد فقبض عليه واعيد الى القلعه
بدمشق واعتقل بها اعتقالا جميلا ثم تجدد من الرييس الوزير حيدره المقدم ذكره اشيا
ظهرت عنه مع ما في نفس الملك مجير الدين منه ومن اخيه المسيب من المعرفه بالسعي والفساد
ما اقتضت الحال استدعاه الى القلعه على حين غفله عن القضا النازل به لسو افعاله وقبح
ظلمه وخبثه ثم عدل به الجانداريه الى الحمام بالقلعه مستهل ذي القعده وضربت عنقه صبرا
واخرج راسه ونصب على حافه الخندق ثم طيف به والناس يلعنونه ويصفون انواع ظلمه
وتفننه في الفساد ومقاسمه اللصوص وقطاع الطريق على اموال الناس المستباحه بتقريبه
وتدبيره وحمايته وكثر السرور بمصرعه والابتهاج به ثم زحفت العامه والغوغا ومن كان من
اعوانه على الفساد من اهل العيث الى منازله وخزاينه ومخازن غلاته واثاثه وذخايره فانتهبوا
منها ما لا يحصى وغلبوا اعوان السلطان وجنده عليها بالكثره فلم يحصل للسلطان من ذلك
الا النزر اليسير ورد امر الرياسه والنظر في البلد الى الرييس وجيه الدين ابي غالب عبد المنعم
ابن محمد بن اسد بن علي التميمي في اليوم المقدم ذكره فطاف في البلد مع اقاربه واهله وسكنت

الدهما وبولغ فى اخراب منازل الظالم ونقل الخشب بها قال وكان عطا الخادم قد استبد
بتدبير الامور ومدبره فى الظلم واطلق لسانه بالهجو وافرط فى الاحتجاب وقصر فى قضا
الاشغال فتقدم مجير الدين باعتقاله وتقييده والاستيلا على ما فى داره ومطالبته بتسليم
بعلبك وما فيهما من مال وغلال ثم ضربت عنقه ونهبت العوام والغوغا بيوت اسبابه
واصحابه قال ووورد الخبر من ناحيه مصر بان العادل المعروف بابن السلار الذى كانت
رتبته قد علت ومنزلته فى الوزاره قد تمكنت كان لزوجته ولد يعرف بالامير عباس
قد قدمه واعتمد عليه فى الاعمال ولعباس هذا ولد قدمه الوزير وانعم عليه واذن له فى
الدخول بغير اذن اليه فدخل عليه وهو نايم فى فرشته فقطع راسه وحصل عباس فى
منصب العادل ثم كان من امره ما سياتى ذكره قلت هو ابو الحسن على بن السلار
وزير خليفه مصر وهو الذى بنى مدرسه الشافعيه بالاسكندريه للحافظ ابى الطاهر
السلفى رحمه الله وكان قتله فى سادس المحرم بمواطاه من الخليفه الملقب بالظافر بن
الحافظ ۝ وفيها فى اخر شعبان توفى الفقيه برهان الدين ابو الحسن على البلخى رييس
الحنفيه ودفن فى مقابر باب الصغير المجاوره لقبور الشهدا وكان الفقيه على مذهبه ما
هو مشهور شايع مع الورع والدين والعفاف والتصوف وحفظ ناموس العلم والتواضع
والتودد الى الناس على طريقه مرضيه وسجيه محموده قال وورد الخبر من ناحيه حلب بوفاة
الاديب ابى الحسين احمد بن منير الشاعر فى جمدى الاخره ووصل فى ثانى عشر شعبان الى دمشق
الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسرانى من حلب باستدعا مجير الدين له
ومات بعد عشره ايام فى الثانى والعشرين من شعبان قلت هما شاعرا الشام فى وقتهما وقد
شبههما العماد الكاتب فى كتاب الخريده بالفرزدق وجرير وكذلك كان اتفق موتهما فى
سنه واحده ومات جرير بعد الفرزدق بقليل وقد سبق من شعرهما فى مدح نور الدين رحمه الله
قصايد حسنه وسياتى غير ذلك فى موضعه لغرض سنذكره ومما قاله ابن منير من قصيده له

ايا سيفا اعز الدين منه الغرار العضب والنوم الغرار
ملات جوانح الاقطار رجفا كان الارض خامرها دوار

علاك حلا على الدنيا فتاج بمفرقها وفى يدها سوار ۝ اضات شمس عدلك فى
دجاها فكل زمان ساكنها نهار ۝ تحرق من عصاك وانت ماء وتغرق من رجاك
وانت نار ۝ الا لله وجهك والمنايا مخطله وللبيض افترار ۝ هتكت حجابه والنصر
غيب وللهبوات طى وانتشار ۝ بطعن للقلوب به انتظام وضرب للرووس به انتثار
تبادره كان الموت غنم وما من عادة البدر البدار ۝ انخت على الصليب مطاصليا
به من صك مبركه هدار ۝ بمشرفه المناكب مقربات لهن بمتن كل وعى حضار ۝
جبين بانت ابنا العناصى واضن وللقنا منها ثمار ۝ وفى هاب اهبت بها فجات
كما اجلى من الكثم الصوار ۝ وكم من فى فج حارم من جريم عفته فلا جدير ولا جدار ۝
وانطاكيه استنت اليها فاجفل خيطها وله عرار ۝ وصبح فى عزاز لها عزاز فامسى وهو
وعث اوجبار ۝ يشق بها دجى الغمرات عسفا جواد لا يشق له غبار ۝ وله من اخرى

ومابوم الفرنجه منك قد فحص عنه خطط الحساب ۝ اجاش الادبعا لهم خميسا
بعيد الغور ملتطم العباب ۝ واحكم بالحطيم لهم خطاما امر بريمه مر الضراب ۝
مشوا متساندين الى صليب يرقع هبوه الصم الصلاب ۝ تلقفهم المنايا فى الثنايا
وتبحاهم شعوب من الشعاب ۝ اطاشت سهم كبشهم هناة فكنت ذباب طايشه الذباب
حللت التاج عنه وحل تاجا مكان العقد من عقد الكعاب ۝ اناف على العقاب فكان
اشهى واتهى منه فى ظل العقاب ۝ فاشرف وهو عن شرف معو واصعد وهى غايته الا نصاب
تكاشره الشوامت وهو مغض ثناه مناه عن رجع الجواب ۝ بعيدا من قراع وافتراع
يوقف له الى يوم الماب ۝ وكم سوط بخيلك ابتلوه الصدور فكان سوطا من عذاب ۝
تركتهم بارض الشام شاما لظفر تنقيه اولناب ۝ هتكت حجابه والشمس وسنى
لشمس لا توارى بالحجاب ۝ بابيض من حبيك الهند صاف مصون المتن مبتذل الذباب
له سمه الشيوخ صفا شيب وفى خطراته نزق الشباب ۝ الا يا ناظر الدنيا بعين ارته
علايها خدع السراب ۝ نبطنها فطلقها ثلاثا على عز التملق والخلاب ۝
فلا ياوى الى راى شعاع ولا يثنى الى امل خراب ۝

ترفع عن مجاورة الأماني وحلق عن محاضر النصابي
صلاه الله كل درور شمس على مثوى ابيك من التراب
فقد القى الى الاسلام عضبا يطبق في النوايب كل ناب
تحشوله روايض كالرواسي تمد لها جفان كالجوابي

وله من اخرى

مطرز العزم ممدود الرواق على معالم الدين برفيها وبينها
ودا الكتايب كنسا للهدي خبت نار الضلال واودتها اثافيها
واورد العلم عذاما من ايالته فاستن وافتن عنابا في صوافيها
وبث للشرك اشراكا فما درجت طريقة منه الا استوهفت فيها
يابدر مذ اشرقت في الدست غرته غيث الرعيه واخضلت مراعيها
اقام احمد من محمودها علما به استقام على البيضا ساريها
محيي شريعته من بعدما انهدمت واستنجمت بعد افصاح معانيها
ثابت مواهبه فيها مهابته حتى استقرت على سمت سواديها

وله من اخرى

عزت سيوفك ما لعراق عراقها والشام غير مدافعات شامها
ان احجمت حل العزايم حلها او جردت حرم الكرى احرامها
نجحت عداك بها فلا اشراقها بمفازة منها ولا اعتامها
سرت فصبحها بها يقظانها هدات فمستها بها احلامها
كلما الاان في رشفانه نار احشاشات النفوس ضرامها
خفقت على ايمانكم اوزانها يوم الوغى واستثقلتها هامها
حتى احلت الشام شاما صرت فيه جنادبها وصح هامها
ورحت زردان الجزيرة بعدما غمرتها وهدانها واكامها
شطرا ابرت وشلة انطرته وقع الخطوب تكرها اباهها

بالخابطات الغاب نزاراسنه والجحفل الجي اللقاح صيامها / اوردها اجمات انطاكيه عنقا وقد شبت الضلال احجامها
تلقى المشاذب في مراشف كلما بردت بها الاكباد زاد هيامها / فغدت وقد عز البراح سراحها وتوزعت كثبانها ارامها
ومشى الضلال القهقرا واستاصل الاذان من زجر الاذان ضلامها / وغدا خلاطها الخليل شواحبا عذبا بمنزلها العذاب عمامها
غضبا لدين الله خص جناحه بغيا وادي صحفنيه لدامها / فالان رد النور فيه نوره وانجاب عن تلك الهنات ظلامها

محمود المحمود اقدامًا اذا خام الكماة وزلزلت اقدامها
الفارج الكرب العظام تصاحمت لشدايدها وفر القلوب صغامها
اما الرعايا فانها رشفت لديك نعمى عنا شابا بها
سلكت بنهج العدل القويم فاحمدت دينها ودنياها
وكم امنت خوفا فامنها من الف الخوف خوفك الله
لله افطارك التي قطرت لها منا هابيلا منا ياها
ابن في انب فوارسها تردى فتردي اولاك اخراها
ابحت لها البرنس هبوتها وكم عناعاتيا فانجاها
وجوشلين استساغ نطفتها فاحتلب الذل تحت مغدلها
ردنه صفرا من كل ما ملكت يداه ابد ما صل مسراها
جوبن حاستك اوجه لا رات بوسا وجاد الحيا محياها
في سربه لو يكون فارسها يوميذ ما انبعثت اشقاها
لا زال ظل النعما عن ملك ما الشمس كفوا له اذا باها
والله جاز به عن معتبه اعزها الله مذ تولاها
محمودا المعتلي فلك الحمد وثيراه ولا باها
اعطاكه مجدك المتوج بالمجد ونفس لله مغزاها
نفس عزوف عن الخنا طبعت ترهها الله يوم سواها
انت الذي سلم الانام له مبنى طباق العلى ويسراها
وانت مولى الملوك قاطبة من كان فنا خسرو شاهنشاها
والشعر هذا الا قول احمد اوه بديل من قولي واها

وله من اخرى

يا ابن الذي لم يال في نجدة الاسلام ادلاجا وتهجيرا
تكنف الشام وقد شام برق الخوف انجادا وتغويرا

وكف كلب الروم من بعد ان نشبه نابا واظفورا / فاهله رعك ان اضغوا روا بحد السيف مسطورا
بدر هوى واستخلف الشمس في دستك اشراقا وتاثيرا / وله من اخرى ۝
ملك لسى الاسلام من ذبه بردا بتدبيج الظبا معلما / من اصبح الشام به شامة يقطر من قتل عداه دما
لولم يقم منصلنا دونه لم تلق في اوطانها مسلما / وله يمدحه بعد مصالحه صاحب حماه واهتمامه
بالعرش وعون الحلب ۝ / الدهر ما رضنه بالجود والباس مقتسم بين اغراس واعراس

وله من اخرى

فتحٌ تعاقبه فتحٌ ومطلبُ دانى المنال وملك ثابت راسى
نصرٌ ببصرى وكحا عن حماه لقد احسنت لله احسانا بها الاسى
يا ابن الذى عنت الدنيا لدولته من فاطمى اعتزته وعباسى

وله فيه ايضا

غدا الدين باسمك سامى العلم امين العماد مكين القدم
لذلك لقبت نورًا له وقد اغطش الظلم فيه الظلم
اضات بعدلك آفاقه وفضت عرى الدين لما ادلهم
ولم تمش زهوًا لنصر الرها ومثلك ادرك لما عزم
ويوم بسوطا بسطت الحمام على الهضب من ركنها فانهدم
وبصرى وصرخد لولم تثر دراكا لكانا ودبقى ادم
ومذ فض جيشك بالغوطتين فض الصليب له ما انتظم
وفى كفرلاثا وهاب حللت عقد البرنس ببيض خذم
معودة انها لا تسل الا مقصمة للقمم
ويوم بسرفود جرعتهم اجاجا اغصهم واصطلم
وفوق العريمه غشاهم عرام جيوشك سيل العرم
وانت بكليهم فى الكبول مباح الحريم مذال الحرم
وبارتهم اذنت انها ابارتهم فلبسوا بسكم
سوها واعلوا ولم يعلموا بما خط فى اللوح منك القلم
وانك خارم ما احكموه ومن دينار افع ما انخرم
ترفع من بعد خفض هدى وتخفض من بعد رفع صنم
سمكت المدارس فوق النجوم فكم منجح تحتها قد نجم
وعاش الحنفى والشافعى بما شدت منها وكانا رمم
وان لم تك هاشمى الاصول فانك فرع الهزبر الهشم

ومن يدعى فى العلى ما ادعيت وانت ابن من عز لما احتكم
واقسم ما غاب ميت سقت مغارسه عين هذى الشيم

قلت وقصايد ابن منير فى مدح نور الدين كثيره ونفسه فيها طويل ولم يبق بعد موت القيسرانى وابن منير فحل من الشعرا يصف مناقب نور الدين كما ينبغى الا ابن اسعد الموصلى وسياتى شى من شعره الى ان قدم العماد الكاتب الشام فى سنه اثنتين وستين فتسلم هذا الامر وعبر من اوصاف نور الدين ومناقبه وغزواته باحسن العبارات واتمها نظما ونثرا وسياتى كل ذلك فى موضعه ان شا الله

الله تعالى قال ابن الاثير وفيها توفى صاحب ماردين حسام الدين تمرتاش ووليها بعده نجم الدين البى بن تمرتاش ارتق قلت وقد مدحه القيسرانى والعرقله وغيرهما من الشعرا

ثم دخلت سنه تسع واربعين وخمسيه قال ابن الاثير ففيها ملك نور الدين دمشق واخذها من صاحبها مجير الدين ابق بن محمد وكان الذى حمل نور الدين على الجد فى ملكها ان الفرنج ملكوا فى السنه الخاليه عسقلان وهى مدينه فلسطين حسنا وحصانه ولما كانوا يحصرونها كان نور الدين يتلهف ولا يقدر على ازعاجهم عنها لان دمشق فى طريقه وليس له على غيرها معبر لاعتراض بلاد الفرنج فى الوسط وقوى الفرنج بملكها حتى طمعوا فى دمشق واستضعفوا مجير الدين وتابعوا الغاره على اعماله واكثروا القتل بها والنهب والسبى وزاد الامر بالمسلمين بها الى ان جعل الفرنج على اهل المدينه قطيعه كل سنه وكان رسولهم يجى الى دمشق ويجبيها من اهل البلد ثم اشتد البلا على اهلها حتى ارسل الفرنج واستعرضوا عبيدهم واماهم الذين نهبوا من سائر بلاد النصرانيه وخيروهم بين المقام عند مواليهم والعود الى اوطانهم فمن احب المقام تركوه ومن احب وطنه سار اليه وزالت طاعه مجير الدين عن اهل البلد الا ان حصروه فى القلعه مع انسان منهم كان يقال له موىد الدين بن الصوفى فلما كانت الامور بها هكذا خاف اهلها واشفقوا من العدو وجاروا الى الله تعالى ودعوه ان يكشف ما بهم من الخوف فاستجاب لهم واذن فى خلاصهم مما هم فيه على يد احب عباده اليه واحسنهم طريقه وامثلهم طريقه سيره وهو الملك العادل حقا نور الدين محمود فحسن له السعى فى ملك البلد والقاه فى روعه فلما خطر له ذلك افكر فيه فعلم انه ان رام ملكه بالقوه والحصار تعذر عليه لان صاحبه متى راى شيا من ذلك راسل الفرنج واستعان بهم واسلمها اليهم قلت وقد كان سبق له بذلك سوابق قد تقدم ذكر شى منها ولاجل ذلك

قال العرقله يمدح اتابكه معين الدين انر من قصيده ۝

يظن صلاح الدين فرسان جلق كفرسانه ما الاسد مثل الثعالب
رجال اذا قام الصليب تصلبت رماحهم فى كل ماش وراكب
غدا يطلع الشام الفرنج بفيلق معوده ابطاله للمضا ... رب

لها الليل نقع والاسنه انجم فما غير ابطال وغير جنايب
وصلاح الدين هذا المذكور ليس هو يوسف بن ايوب المشهور فان ذلك لم يكن حينئذ ملكا
يقود الجيوش وانما هذا صلاح الدين محمد بن ايوب الباغيساني صاحب حماه احد اصحاب زنكي
وقد تقدم ذكره مرارا وكانه كان في مقدمه الجيش النوري لما قصد دمشق في المرتين الاولتين
او في احديهما او في حصار زنكي لها والله اعلم قال ابن الاثير وكان ابغض الاشيا
الى الفرنج ان يملك نور الدين دمشق لانه كان ياخذ حصونهم ومعاقلهم وليست له دمشق فكيف
اذا اخذها وقوي بها وانضاف الى ذلك كراهيته لسفك دما المسلمين فان الدم كان عنده عظيما
لما كان قد جبل عليه من الرافه والرحمه والعدل فلما راي الحال هكذا عمد الى اعمال الحيله وراسل
مجير الدين صاحبها واستماله وواصله بالهدايا واظهر له المودة حتى وثق اليه ثم صار يكاتبه في
بعض الاوقات ويقول له ان فلانا ويذكر بعض الامرا الذين لمجير الدين قد كاتبني في الخامس عليك
فاحذره فكان ياخذ اقطاع احدهم وتارة يقبض عليه فلما خلت دمشق من الامرا قدم اميرا كان
عنده يسمي عطا بن حفاظ السلمي الخادم وكان شهما شجاعا وفوض اليه امر دولته وكان نور
الدين لا يتمكن من دمشق معه فقبض عليه مجير الدين وقتله فقال له عند قتله ان الحيله قد
تمت عليك فلا تقتلني فانه سيظهر لك ما اقول فلم يصغ الى قوله وقتله قلت وفي
بعض قصايد ابن منير ما يدل على ان عطا هذا كان له مع نور الدين في دمشق حديث فانه قال

ودمشق في دمشق رجال سلم الحور نسايهم منهم نساء
هي الفردوس اصبح وهو عاف من المعالي ومن خال خلاء
جنان تعرف الجنات فيها ولا راي هناك ولا رواء
لاشح صعبها ودنت قصاها وامكنك افتياد وانتكاء
ويا نعم العطا عطا رب توسطه فانشطه عطاء
تفال باسمه فالفال وعد يكون على ظباك به الوفاء
هو السبب الذي شرف قواه وهذ به نحد منك الصفاء
وسيف ان شمه نشم حساما وان نعم نعمدن ذكاء

جنته لك السعاده قطف راي النقيب الخادعيك
به هباء
ويحور انه لم يكن لعطا في ذلك حديث وانما هذه الابيات او ما في معناها كان سبب قتله لما بلغ مجير الدين ذلك وعطا هذا هو الذي ينسب اليه مسجد عطا خارج الباب الشرقي بدمشق وجوده

عطا بيت ابيات وهي ارض فيها اخشاب كبار من الحور تربى اوتادا لجامع دمشق وهي
وقف عليه وقد مدحه العرقله وغيره من الشعرا قال ابن الاثير فلما قتل عطا قوي طمع
نور الدين في دمشق فراسل احداث البلد وزناطرته واستمالهم فاجابوه الى تسليم البلد فسار اليهم
وحاصرهم عشره ايام فكاتب مجير الدين الفرنج وبذل لهم الاموال وقلعه بعلبك ان رحلوا نور الدين
عنه قال الى ان جمعوا وجاوا بلغهم اخذ نور الدين دمشق فعادوا واخفق حنينهم واما نور الدين فانه لما
حاصرهم وضيق عليهم ثار الاحداث الذين كاتبهم نور الدين وسلموا اليه البلد من الباب الشرقي ومنه
بالامان عاشر صفر وحصر مجير الدين في القلعه وراسله وبذل له الاقطاع الكثير من جملته
مدينه حمص فاجاب الى تسليم القلعه وصار الى حمص وقال ابن ابي طي انفذ نور الدين اسد الدين
شيركوه رسولا الى صاحب دمشق فخرج في تجمل عظيم ومعه الف فارس فعظم على مجير الدين
ذلك وقال ما هذه رساله هذه مكيده ولم يتجاسر على الخروج الى لقايه ولا احد من امرا دمشق
فاستوحش اسد الدين ونزل بمرج القصب واغلظ لصاحب دمشق في المقال فانفذ الى نور الدين
يعرفه بما جرى عليه فسار نور الدين في عساكره ونزل الى البلد من شرقيه وكانت الحرب في عاشر
صفر وتولى اسد الدين القتال وابلى الجهد فكثر عسكره دمشق الى الاسوار من قبل البلد ولم يكن احد
من المقاتله على السور من ذلك الجانب لان نور الدين كان من شرقيها وجل العسكر مقابله وراى
من كان مع نور الدين من الجانداريه والحلبيين خلو السور من المقاتله فتسرعوا الى السور وتعلقوا
به وحصلوا في الحال على الاسوار ويقال ان امراه كانت على السور فدلت حبلا فصعدوا فيه
وصار على السور جماعه ونصبوا السلالم وصعد جماعه اخرى ونصبوا علما وصاحوا بشعار نور
الدين فوقع على اهل البلد الخذلان وكسر باب البلد ودخلت الخياله منه وملك نور الدين دمشق
وكان لاسد الدين اليد الطولى في فتحها فولاه نور الدين امرها ورد اليه جميع احوالها وفي هذه السنه
اقطعه نور الدين الرحبه وقال الرييس ابو يعلى في العشر الثاني من المحرم وصل الامير
اسد الدين شيركوه رسولا من نور الدين الى ظاهر دمشق وخيم بناحيه القصب من المرج في عسكر
يناهز الالف فانكر ذلك ووقع الاستيحاش منه واهمال الخروج اليه لتلقيه والاختلاط به
وتكررت المراسلات فيما اقتضته الحال ولم تسفر عن سداد ولا لاح للاوقات

لانقطاع الواصلين بالغلات ووصل نور الدين في عسكره الى شبركوه ثالث صفر وخيم
بعيون الفاسريا عند دومه ورحل في الغد ونزل بيت الابار من الغوطه وزحف الى البلد من
شرقيه وزحف اليه من عسكره واحداثه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين
الى مكانه ثم زحف يوما بعد يوم وتاكد الزحف يوم الاحد عاشر صفر وظهر اليه العسكر
الدمشقي واندفع بين ايديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدباغه من قبلي البلد وليس على
السور احد من العسكريه والبلديه لسو تدبير صاحب الامر غير نفر يسير لا يوبه لهم فتسرع بعض
الرجاله الى السور وعليه امراه يهوديه فارسلت اليه حبلا فصعد فيه وحصل على السور ولم
يشعر به احد وتبعه من تبعه واطلعوا علما نصبوه على السور وصاحوا نور الدين يا منصور وامتنع
الاجناد والرعيه من الممانعه لما هم عليه من المحبه لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض
قطاعي الخشب بفاسه الى الباب الشرقي فكسر اغلاقه وفتحه فدخل منه العسكر وسعوا في
الطرقات ولم يقف احد بين ايديهم وفتح باب توما ايضا ودخل الناس منه ثم دخل نور الدين
وخواصه وسر كافه الاجناد والعسكريه لما هم عليه من الجوع وغلا الاسعار والخوف من
منازلة الفرنج الكفار وكان مجير الدين لما احس بالغلبه والقهر قد انهزم في خواصه الى
القلعه وانفذ اليه فاومن على نفسه وماله وخرج الى نور الدين فطيب نفسه ووعده الجميل
ودخل نور الدين القلعه في يوم الاحد المقدم ذكره وامر بالمناداه بالامان للرعيه والمنع من
انتهاب شي من دورهم وتسرع قوم من الرعاع والاوباش الى سوق علي وغيره فعاثوا ونهبوا وانفذ
نور الدين الى اهل البلد بما يطيب نفوسهم وازال نفرتهم واخرج مجير الدين ما كان له في دوره
بالقلعه والخزاين من المال والالات والاثاث على كثرته الى الدار الاتابكيه دار جده
واقام اياما ثم تقدم اليه بالمسير الى حمص في خواصه ومن اراد الكون معه من اسبابه واتباعه
بعد ان كتب له المنشور باقطاعه عده ضياع باعمال حمص برسمه ورسم جنده وتوجه الى حمص على
القضيه المقرره ثم احضر نور الدين غد ذلك اليوم اماثل الرعيه من القضاه والفقها والتجار وخوطبوا
بما زاد في ايناسهم وسرور نفوسهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح احوالهم فاكثروا الدعا له
والثنا عليه والشكر لله تعالى على ما اصاره اليه ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل

وضمان

وضمان الانهار وانشا بذلك المنشور وقرئ على المنبر بعد صلاة الجمعه فاستبشر الناس
بصلاح الحال واعلن الناس برفع الدعا الى الله تعالى بدوام ايامه ونصر اعلامه وقال ابن
الاثير لما استقل نور الدين في البلد عمل مع اهله مكرمه عظيمه واظهر فيهم عدلا عاما قلت
قد تقدم ذكره في اول الكتاب وسياتي منه اشيا مفرقه فيما بعد قال والقى الاسلام جرانه
بدمشق وثبتت اوتاده وايقن الكفار بالبوار ووهنوا واستكانوا وصار جميع ما بالشام
من البلاد الاسلاميه بيد نور الدين واما مجير الدين فانه اقام بحمص وراسل اهل دمشق في
اثاره الفتنه فانتهى الامر الى نور الدين فخاف ان يحدث ما يشق تلافيه بل ربما يتعذر لا سيما مع
مجاوره الفرنج فاخذ حمص من مجير الدين وعوضه عنها مدينه بالس فلم يرضها وسار عن
الشام الى العراق فاقام ببغداد وابتنى دارا بجاور المدرسه النظاميه وتوفي بها قال ولما
ملك نور الدين دمشق خافه الفرنج كافه وعلموا انه لا يقعد عنهم وعن غزو بلادهم والمبادره
الى قتالهم فراسله كل كند وقمص وتقربوا اليه ثم ان من بتل باشر راسلوه وبذلوا له تسليمها
اليه فارسل اليها الامير حسان المنبجي وهو من اكابر امرا نور الدين واقطاعه منبج فامره ان يتسلمها
منهم فسار اليها وتسلمها وحصنها ورفع اليها ذخاير كثيره **فصل** قال الرييس ابو
يعلى وقد كان مجاهد الدين بزان اطلق يوم الفتح من الاعتقال واعيد الى داره ووصل الرييس
مويد الدين المسيب الى دمشق مع ولده النايب عنه في صرخد الى داره معولا على لزومها وترك
التعرض لشي من التصرفات والاعمال فبدا منه من الاسباب المعربه عن اضمار الفساد والعدول
الى خلاف مناهج السداد والرشاد ما كان داعيا الى فساد النيه فيه وكان في احدى رجليه فتح
قد طال به وبسببه ثم لحقه مرض وانطلاق متدارك افرط عليه واسقط قوته مع فواق متصل
وقلاع في فيه زايد فقضى نحبه في رابع ربيع الاول ودفن في داره واستبشر الناس بهلاكه
والراحه من سو افعاله قال وورد الاخبار بقتل خليفه مصر الملقب بالظافر بن الحافظ
واقيم ولده عيسى مقامه وهو صغير سنه ثلاث سنين ولقبوه بالفايز وعباس الوزير ثم ورد
الخبر بان الامير فارس الدين طلايع بن رزيك وهو من اكابر الامرا المقدمين الشجعان المذكورين
لما انتهى اليه الخبر وهو غايب عن مصر قلق لذلك وانغص وجمع واحتشد وقصد العود الى

مصر فلما عرف عباس بما جمع خاف الغلبة فتاهب للهرب في خواصه واسبابه وحرمه
وما يهمه من ماله وسار مُعِدًّا فلما قرب من اعمال عسقلان وغزه خرج اليه جماعه من خياله
الفرنج فاغتر بكثره من معه وقله من قصده فلما حملوا عليه فشل اصحابه واعانوا عليه وانهزموا
اقبح هزيمه هو وابنه الصغير واسر ابنه الكبير الذي قتل العادل بن السلار مع ولده وحرمه وماله
وكراعه وحصلوا في ايدي الفرنج ومن هرب لقي من الجوع والعطش شدّه ومات العدد الكثير
من الناس والدواب ووصل في اثرهم فارس المسلمين فوضع السيف فيمن ظفر به من اصحاب عباس
وانتصب في الوزاره وتدبير الامور موضعه ووصل الى دمشق منهم من نجاه الهرب على اشنع صفه
من العدم والعري في اخر ربيع الاول قلت وفي ذلك يقول عماره اليمني من قصيده له ۝

لكم يا بني رزيك لا زال ظلكم مواطن تسحب المون فيها مواطر
سللتم على عباس بيض صوارم قهرتم بها سلطانه وهو قاهر

وذكر الامير اسامه بن منقذ في كتاب الاعتبار ان نصر بن عباس لما قتل ابن السلار وتوزر ابوه
عباس كان نصر يعاشر الخليفه الظافر ويخالطه وعباس كاره لذلك مستوحش من ابنه لعلمه
بمذهب القوم وضرب بعض الناس بعض حتى يقتلوهم وشرع الظافر مع ابن عباس في حمله
على ابيه ومواصلته بالعطايا الكثيره فقاتحني في ذلك فنهيته فاطلع والده على الامر فاستماله
ابوه ولطف به وقرر معه قتل الظافر وكانا يخرجان متنكرين وهما تربان سنهما واحد فدعاه الى
داره ورتب من اصحابه معه في جانب الدار نفرا ثم لما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه وذلك
سلخ محرم سنه تسع واربعين وخمسميه ورماه في جب الدار واصبح عباس جا الى القصر ضحوه
نهار للسلام فجلس في مجلس الوزاره ينتظر جلوس الظافر فلما تجاوز وقت جلوسه استدعى
زمام القصر وقال ما لمولانا ما جلس للسلام فتبلد الاستاذ في الجواب فصاح عليه وقال ما لك لا
تجاوبني قال يا مولانا ما ندري اين هو قال مثل مولانا يضيع ارجع واكشف الحال فمضى ورجع فقال ما
وجدنا مولانا فقال تبقى الناس بلا خليفه ادخل الى الموالي اخوته يخرج منهم واحد لنبايعه فمضى
وعاد وقال الموالي يقولون لك ما لنا في الامر شي والدنا عزله عنا وجعله في الظافر والامر له ولولده
بعده قال اخرجوه حتى نبايعه وعباس قد قتل الظافر وعزم على ان يقول لاخوته انتم قتلتموه ويقتلهم

مولاي

فخرج ولد الظافر ولعل عمره خمس سنين يحمله الاستاذ فاخذه عباس وبكا وبكا الناس ثم
دخل به الى مجلس ابيه وهو حامله وفيه اولاد الحافظ قال ابن منقذ ونحن في الرواق جلوس وفي
القصر اكثر من الف رجل من المصريين فما راعنا الا قوم قد خرجوا من المجلس مجتمعين الى القاعه
فاذا السيوف تختلف على انسان فقلت لغلام لي ادرني ابصر من هذا المقتول فمضى وعاد
وقال ما هولاء مسلمين هذا مولاي ابو الامانه جبريل بن الحافظ قد قتلوه ثم ان واحدا شق بطنه يجذب
مصارينه ثم خرج عباس وهو اخذ براس الامير يوسف تحت ابطه وفي راسه ضربه سيف
والدم يفور منها وابو البقا ابن اخيهم مع ابنه نصر ثم ادخلوهما خزانه في القصر فقتلوهما وفي
القصر الف سيف مجرد قال وكان ذلك اليوم من اشد الايام التي جرت علي لاني رايت من الفساد
والبغي ما ينكره الله سبحانه وجميع خلقه ۝ وذكر الامير اسامه بن منقذ في ديوانه قال
كان لعباس اربع مايه جمل تحمل اثقاله ومايتا بغل ومايتا جنيب فلما اراد الخروج من مصر
يوم الجمعه رابع عشر ربيع الاول سنه تسع واربعين وخمسميه وقد قام عليه اهل مصر وعسكر
فارسهم وراجلهم تقدم بشد خيله وبغاله وجماله ليتحمل ويخرج فلما صار الجميع على باب داره
وقد ملات ذلك الفضا الى قصر السلطان الى الايوان خرج غلام يقال له عنبر كان على اشغاله
وغلمانه كلهم تحت يديه فقال للجمالين والخربنديه والركابيه روحوا الى بيوتكم وسيبوا الدواب
ففعلوا ذلك وانحازوا الى المصريين يقاتلونهم معهم وكان ما جرى من تهميك الدواب لطفا
من الله تعالى به فانها سدت الطريق بينه وبين المصريين ومنعتهم من الوصول اليه وهم في خلق
كثير ونحن في قله ما نبلغ خمسين رجلا وغلمان عباس ومماليكه في الف ومايتي غلام بالخيول
الجياد والسلاح التام وثماني مايه فارس من الاتراك خرجوا كلهم من باب النصر ووقفوا في
الفضا الذي بينه وبين راس الطابيه فرارا من القتال فشرع المصريون في نهب الخيل والجمال
والبغال فلما فتحوا طريقهم اليه خرج عباس من باب القصر وجاوا في اثره حتى اقفلوا الباب وعادوا
الى نهب دوره وكان عباس قد احضر من العرب نحوا من ثلثه الف فارس تقويهم على المصريين
واستحلفهم ووهبهم هبات عظيمه فلما خرج من باب مصر غدروا به وقاتلوه اشد قتال سنه ايام
نقاتلهم من الفجر الى الليل فاذا نزل امهلوه الى نصف الليل ثم يركبون ويهدون خيلهم على جانب الناس

بينها

ويصيحون صيحة واحدة فتجفل الخيل وتنقطع ويخرج اليهم منها ما فيه منه وقوة فياخذونه
فكان ذلك سبب هلاك خيله وتمكن الفرنج منه واشتغاله عن سلوك طريق لا يقصد الفرنج
اليه قال ودامت الحرب بينه وبينهم من يوم الجمعة ضحى نهارا الى اخر يوم الخميس ثم جاووا
اليه واخذوا امنه حسبا على اموالهم وانفسهم وبيوتهم ظنا منهم ان له عودة اليهم وانصرفوا عنه
وهم اكثر من ثلثة الف فارس ويوم الاحد صبحتهم الفرنج وقد هلك الناس من الجوع والعطش
ومانت خيلهم فقتلوا عباسا وابنه الاوسط واسروا ابنه الاكبر وقتلوا خلقا كثيرا واخذوا اثاث
عباس وخزانته واسروا اولاده صغارا وانصرفوا قلت عباس هذا هو عباس بن ابي
الفتوح بن تميم بن المعز بن باديس الحميري ويلقب بالافضل ركن الدين ويكنى بابي الفضل
ورايت علامته في الكتب ايام وزارته الحمد لله وبه اثق وفيه يقول اسامه بن منقذ ۝
لقد عم جود الافضل السيد الورى واغنى غناء الغيث حيث يصوب
ومن ابيات لابن اسعد فيه لما قتل الظافر ۝
وانفق من ابقاهم في هلاكهم واظهر ما قد كان عنه تنافق
ومد يدا طولها اليهم وحلت باهل القصر منه البوايق
سقى ربه كاس المنايا وما انقضى له الشهر الا وهو للكاس ذايق
وكان عباس قد تخيل من اسامه عند خروجه من مصر لما يعلمه بينه وبين الملك الصالح من المودة
والمصافاة فاحضره واستحلفه انه لا ينفصل عنه ثم لم يقنعه ذلك حتى نفذ من اسادي دار
من يدخل على حرمه الى الدار فاخذ اهله واولاده فتركهم عنده اهله واولاده وقال له قد حملت
نقلهم عنك لم اشعر بوالدة ناصر الدين يعني ولد ناصر الدين وباخوانه فلما خرجوا ونهبت دورهم
ودوابهم عجز عن حمل من تخصه فاعادهم اسامه من بلبيس ونفذ الى الملك الصالح يقول له
قد نفذت اهلي واولادي اليك وانت ولي ما تراه فيهم فانزلهم في دار واجرى عليهم الجاري الواسع
واحسن اليهم غاية الاحسان وكان يكاتبه في الرجوع الى مصر وهو يتلطف الامر معه قصدا
لخلاص اهله واولاده فلما عرف ذلك منه نسبه الى وحشة قلبه من القصور ونفوره من المصريين
فنفذ اليه يقول انك تصل الى مكة في الموسم والقاك رسولي اليها تسلم البلد بنيه اسوان وانفذ
اليك

اليك اهلك واملك بالاموال وهي كما علمت الثغر بيننا وبين السودان وما يسد ذلك
الثغر مثلك واكثر من الوعد وذكر رغبته في قربه ودعايته وما بينه وبينه من قديم
الصحبة فاستاذن اسامه في ذلك الملك العادل نور الدين وكان في خدمته فقال يا
فلان ما تساوي الحياة الشتات والرجوع الى الاخطار والبعد عن الاوطان ومنعه من
ذلك باحسانه ووعده ان يستخلص اهله فكتب اسامه الى الملك الصالح يعتذر ويسال له
تسيير اهله وترددت بينهما مكاتبات واشعار متصلات الى ان سيرهم وهم نيف وخمسون
نسمه في الاكرام والاحترام الى اخر ولايته وذكر ان اهل القصور والامرا انكروا تسييرهم
وقالوا انكون اهله رهاين عندنا ناامن ما يكون منه ووصله بعض اصحابه من دمشق وهو في
العسكر النوري بحلب فاخبره ان من كان له بمصر من الاهل والاولاد والاصحاب وصلوا وان المركب
انكسر بهم في ساحل عكا ونهب الفرنج كل ما فيه ولم يصلوا الى دمشق الا بانفسهم وان متملك
الفرنج اعطاهم خمس مائة دينار اصلحوا منها حالهم واكتروا ظهرا الى دمشق ۝ فقال اسامه
الى الله اشكو فرقة دميت لها جفوني واذكت بالهموم ضميري
تمادت الى ان لاذت النفس بالمنى وطارت بها الاشواق كل مطير
فلما قضى الله اللقا تعرضت مساءة دهري في طريق سروري

فصل قال ابو يعلى وفي اخر ربيع الاول وصل الامير مجد الدين ابو بكر محمد نايب
نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عوده من الحج واقام اياما وعاد الى منصبه في حلب وتدبير
اعمالها قلت هذا هو ابن الداية وكان نور الدين كثير الاعتماد عليه وعلى اخوته وسيتكرر
ذكرهم في هذا الكتاب ومجد الدين اكبر اخوته وقد مدحه الشعرا قال القيسراني من بعض
ما قاله فيه ۝ دعوا ما مضى من قبل هذا لما بعد فاقسم لولا المجد ما عرف المجد
كريم سمت اوصافه لعفاته فتراين كل اثنين بينهما عقد
محياه والبشرى ويمناه والندى ونجواه والدنيا وتقواه والزهد
فتى قربه الزلفى وفي وعده الغنى وفي نيله الحسنى وفي رايه الرشد
اذا واجه نور الدين قابل مجده فقل في كمال البدر قابله السعد

وفي موسم هذه السنه توفي امير الحرمين هاشم بن فليته وولي الحرمين ابنه قاسم بن هاشم
وهو الذي ارسل عمارة اليمني الفقيه الشاعر الى الديار المصريه وسياتي ذكره قال ابو يعلى
وفي ثامن جمادى الاولى ورد الخبر من ناحيه مصر بان عدة وافره من مراكب الفرنج من صقليه
وصلت الى مدينه تنيس على حين غفله من اهلها فهجمت عليها وقتلت واسرت ونهبت
وعادت بالغنايم بعد ثلثه ايام وتركتها صفرا وبعد ذلك عاد من كان هرب منها
في البحر بعد الحادثه ومن سلم واختفى وضاقت الصدور عند استماع هذا الخبر المكروه
قال وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين ابي منصور
محمد بن عبد الصمد بن الطرسوسي وكان ذا همة ماضيه ويقظه ومروه ظاهره في ذويه وولده
ومن يلم به من غريب ووافد وقد تقلد امر ونصرفه في اعمال حلب في الايام النوريه واثر في
الوقوف اثرا حسنا توفر به ارتفاعها ثم اعتزل عن ذلك اجمل اعتزال ۝ ثم دخلت
سنه خمسين وخمسميه ففيها تسلم نور الدين بعلبك من واليها ضحاك وذكر ابن الاثير ان
ذلك كان في سنه اثنتين وخمسين وقال كان ضحاك البقاعي ينوب بعلبك عن صاحب
دمشق فلما ملك نور الدين دمشق امتنع ضحاك بها ولم يمكن نور الدين محاصرتها لقربه من
الفرنج فتلطف الحال معه الى ذلك الوقت فملكها واستولى عليها وقال ابن ابي
طي لما فتح نور الدين دمشق اتصل ذلك بنجم الدين ايوب فكاتب نور الدين في تسليم بعلبك
فانفذ اليها وتسلمها منه والحقه باصحابه قال ورايت بعض المورخين قد ذكر ان مجير الدين
صاحب دمشق انزل نجم الدين من القلعه وجعله في البلد وولى القلعه رجلا يقال له ضحاك
فلما ملك نور الدين دمشق خرج الى بعلبك واستنزل منها ضحاكا وتوسط اسد الدين امر اخيه
نجم الدين مع نور الدين فاقطعه اقطاعا وسيره الى دمشق فاقام فيها ورد نظر دمشق اليه وولي
ولده تورانشاه شحنكيه دمشق فساسها احسن سياسه ولم يزل بها الى ان توفي فولي صلاح
الدين شحنكيه دمشق قلت هذا وهم تورانشاه هو الملك المعظم شمس الدوله الذي
فتح اليمن في ايام اخيه صلاح الدين فكيف يقول انه مات قبل ان يلي صلاح الدين شحنكيه دمشق
واما كونه ولي الشحنكيه بدمشق قبل صلاح الدين فهذا قريب وقد رايت ما يؤكده فقرات في ديوان

العرقلة

العرقلة وقال يهنيه بالشحنكيه بدمشق وهو في دار عمه اسد الدين شيركوه بن شاذي ۝

قلت لحسادك زيدوا في الحسد   قد سكن الدار وقد حاز البلد
لا تعجبوا ان حل دار عمه   اما تحل الشمس في برج الاسد

وقال في صلاح الدين لما ولي الشحنكيه ۝

لصوص الشام توبوا من ذنوب   تكفرها العقوبه والصفاد
لئن كان الفساد لكم صلاحا   فمولاي الصلاح لكم فساد

وله فيه ايضا

رويدكم يا لصوص الشام فاني   لكم ناصح في مقالي
واياكم وسمي النبي يوسف   رب الحجى والجمال
فذاك مقطع ايدي النسا   وهذا مقطع ايدي الرجال

قال ابن ابي طي وولي صلاح الدين شحنكيه دمشق والديوان فاقام فيه اياما ثم تركه وصار الى حلب
لاجل واقعه جرت بينه وبين صاحب الديوان ابي سالم همام فانفذ نور الدين واخذ ابن همام
وحلق لحيته وطيف به في دمشق قلت وابن همام هذا هو الذي ذكره الشيباني في قصيدته
واشار الى حلق لحيته بقوله ۝

كابي سالم بن همام لما   قام للنصح عاد يمشي ملثما

ثم قال ابن ابي طي واختص نور الدين صلاح الدين والحقه بخواصه فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر
وكان يفوق الناس جميعا في لعب الكره وكان نور الدين يحب لعب الكره قال ابو يعلى ونزل نور
الدين بعسكره بالاعمال المختصه بالملك قليج ارسلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قتلمش
ملك قونيه وما والاها فملك عده من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك قليج
ارسلان واخواه ذو النون ودولات مشتغلين بمحاربه اولاد الدانشمند ونصروا عليهم في وقعه
كانت باقصرا في شعبان فلما عاد قليج ارسلان وعرف ما كان من نور الدين في بلاده عظم عليه
هذا الامر واستبشعه مع ما بينهما من الموادعه والمهادنه والصهر وراسله بالمكاتبه والانكار
والوعيد والتهديد فاجابه نور الدين بحسن الاعتذار وجميل المقال وبقي الامر بينهما مستمرا على

هذه الحال وعاد نور الدين من حلب الى دمشق قال وولي الاسطول المصري مقدم شديد البأس
بصير باشغال البحر فاختار جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الفرنج والبسهم ثيابهم ونهض
بهم في عدة من المراكب الاسطولية واقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب
الروم وتعرف احوالهم فقصد بيناصور وقد ذكر له ان فيه يشحنون دومية كبيرة فيها رجال كثير
ومال وافر فهجم عليها وملكها وقتل من فيها واستولى على ما حوته واقام ثلثة ايام ثم احرقها
وعاد عنها في البحر فظفر بمركب حجاج الفرنج فقتل واسر وانتهب وعاد الى مصر بالغنائم والاسرى
قلت وفي هذه السنة ورد امر الخليفة ببغداد وهو المقتفي الى امير الحرمين قاسم بن هاشم
يامره ان يركب على باب الكعبة المكرمة باب ساج جديدا قد البس جميع خشبه فضة وطلي بذهب
وان ياخذ امير الحرمين حلية الباب القديم لنفسه ويسير اليه خشب الباب القديم مجردا ليجعله
تابوتا يدفن فيه عند موته ذكر ذلك الفقيه عمارة الشاعر وقال سالني امير الحرمين ان ابيع له الفضة
التي اخذها من الباب في اليمن وبلغ وزنها خمسة عشر الف درهم فتوجهت الى زبيد وعدت من
مكة في صفر سنة احدى وخمسين وحججت في الموسم منها فدفعت لامير الحرمين ماله والرسم
الرسل عند المصري يعني مرة ثانية بسبب جناية جناها اخذ منه على حاج مصر والشام ۞

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة قال ابن الاثير فيها حاصر
نور الدين قلعة حارم وهي حصن غربي حلب بالقرب من انطاكية وضيق على اهلها وهي من امنع الحصون
واحصنها في نحور المسلمين فاجتمعت الفرنج من قرب منها ومن بعد وساروا نحوه ليمنعه وكان
بالحصن شيطان من شياطين الفرنج يرجعون الى رايه فارسل اليهم يعرفهم قوتهم وانهم قادرون
على حفظ الحصن والذب عنه لما عندهم من العدد والعدد وحصانة القلعة ويشير عليهم بالمطاولة
وترك اللقاء وقال لهم ان لقيتموه هزمكم واخذ حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منه اطقنا
الامتناع عليه ففعلوا ما اشار به عليهم وراسلوا نور الدين في الصلح على ان يعطوه حصة من اعمال
حارم فابى ان يجيبهم الا على مناصفة الولاية فاجابوه الى ذلك فصالحهم وعاد وفي ذلك يقول بعض
الشعراء قصيدة قد ذكرنا ابياتا من قصيدة لابن منير وقد سبق ان ابن منير توفي سنة ثمان واربعين
فاما ان يكون ابن منير قال هذا الشعر في غير هذه الغزاة واما ان تكون هذه الغزاة في غير هذه السنة

وقد

وقد قرأت في ديوان ابن منير وقال يمدحه ويهنيه بالعود من غزاة حارم ۞
ما فوق شأوك في العلى مزداد فعلام يقلق عزمك الاجهاد
همم ضربن على السما سرادقا فالشهب اطناب لها وعماد
انت الذي حطت له حساده والفضل ما اعترفت به الحساد
قام الدليل وسلم الخصم الملدد وانجلا للاثر الاسناد
زهرت لدولتك البلاد فروحها ارج المهب ودوحها مياد
احيا ربيع العدل ميت ربوعها فالبرض غمر والمشيم مراد
فالعيش الا في جنابك مينة والنوم الا في حماك سهاد
واذا العدى زرعوا النفاق وحصدوا واكلها فعزمك ناقض حصاد
بالمقربات كان فوق متونها جن الملا وكانها اطواد
تنزاء ومن وحي الكماة صفورها فالزجر قيد والنداء قياد
سحب اذا سحبت بارض ذيلها فالحزن سهل والهضاب وهاد
يهدي النواظر في دجنة نقعها بدر يحيط به نبور وقاد
البيت دين محمد بانوره عز لا فوق السهاء شاد
مازلت تمسكه بمباد القنا حتى شفف عوده المياد
لم يبق مذ ارهفت عزمك دونه عدو يراع به ولا استعداد
ان المنابر لو نطوق تكلما حمدتك عن خطبائها الاعواد
ولئن جمت منك الاعادي مهلة فلهم الى المرعى الوبي معاد
ولكم لكم في ارضهم من مشهد قامت به لظبائك الاشهاد
ملق باطراف الفرنجة كلكلا طرفاه ضرب طادق وجلاد
حاموا فلما عاينوا احواض الردى حاموا برايش كيدهم اوكادوا
ودجا البرنس وقد ثبرنش ذله حرما لحارم والمصاد مصاد
ضجت ثعالبه فاخرس جرسها بيض بنا سنبت في الحديد حداد
وسواعد ضربت لهن وبالقنا من دون مله احمد الاسداد
يا من اذا عصفت زعازع باسه خمدت جحيم الشرك فهي رماد
وراوا لواء النصر فوقك خافقا فاقام منهم في الضلوع فؤاد
اوان تعبد الشمس كاسفه السنا نارا لها ذاك الشهاب زناد
ملك تقيد خوفه ورجاؤه ولقلما تتطامن الاضداد
بركوزن في حلب ومن اعنابها حتى فواكه امنها بغداد
عجبا لقوم حاولوك وحاولوا عودا فواتا هم اليه سداد
من منكران يسف الشبل الربا وابوه ذاك العارض المداد ۞
لا ينفع الابا ما سمكوا من العليا حتى ترفع الا ولاد
وقال يهنيه بالنصر يوم حارم قصيدة اولها

للملك ماتشا من الدوام يقول فيها
حظيت من المعالي بالمعاني ولاذ الناس بعدك بالاسامي
عزيز المنتمى عالي المراقي بعيد المرتمى غال المسامي
فما احد الى العلياء يدلي بمحتدك القسيمي القسامي
ابوك المعتلي قمم الاعادي اذا اسنعرت مداسرة العمام
زكا عرق العراق وقد تكنا به واطال من شمم الشام
وجل لجد حتى مال قوم على الفلك ابتنى عمد الخيام
فخرت ففت اباعظاما اذا فخر المنافر بالعظام
وقفنا والنواظر مسجلات ودوح العز داري الخيام
اساطر كالزبور مفصلات كانا من صلوة في نظام
لدى ملك سجاياه سجال يعاقب بين عفو وانتقام
فاهللنا لنا الفتى هلال وكفرنا الضاحكتى حسام
ذهلنا والسماط نخال سمطا وقد سجد المقاول للسلام
كريم اكثرت به ايادي العفاه وقللت عدد الكرام
هل الدست استقل بليث غاب ام الفلك ارتدى بدر التمام
يطرب الى العليا نفس غروب عن ملامه الملام
وخير سماعه ضرب مدام اذا طرب الملوك الى المدام
سقى الله العوامل من جبال سقص البقع عن نقع الاوام
فكم انتجت من امل عقيم بها وحسمت من داء عقام
بابنب والرعال كان لولا تطاوح تحت عير من ايام
مقام كنت قطب رجاه ارجا مقام بين زمزم والمقام
رميتهم بارعن مرجحن ابادهم وكنت ابر رامي
حماه وقتنا عن كل زاغ وقام وقد نقاس كل حام

وطالت قبه الاسلام حتى استوت بين الفوارس والنعام
تطابق لاسمه لفظ ومعنى اجلاه الطباق على الا نام
جرى قدامه بن سبكتكين وقبل الويل هيبته الرهام
وكان من النجوم بحيث تومى اليه من عنايات النكامى
وجئت فصار اشمخ مابناه لما شيدت الطامن رغام
اطاعك اذا طعت الله جد ركبت به الزمان بلا زمام

فصل قال الرئيس ابو يعلى توجه نور الدين الى ناحيه حلب في بعض عسكره في الرابع والعشرين من صفر عند انتهاء خبر الفرنج اليه بعيثهم في اعمال حلب وافسادهم وصادفه في طريقه المبشر بظفر عسكره الحلبي بالفرنج المفسدين على حازم وقتل جماعة منهم واسرهم ووصل مع المبشر عدة وافره من رؤوس الفرنج المذكورين وطيف بها في دمشق قال وعاد نور الدين الى دمشق في رمضان سالما بعد تهذيب حلب واعمالها وتفقد احوالها واستقر الموادعه بينه وبين ولد السلطان مسعود صاحب قونيه وزال ما كان حدث بينهما وفي شوال تقررت الموادعه والمهادنه بينه وبين ملك الفرنج مدة سنه كامله اولها شعبان وان المقاطعه المحموله اليهم من دمشق ثمانيه الف دينار صوريه وكتبت المواصفه بذلك بعد تاكيدها بالايمان والمواثيق المسدده قال وفي العشر الاخر من ذي الحجه غدر الفرنج ونقضوا ما كان استقر من الموادعه والمهادنه بحكم وصول عدة وكثره من الفرنج في البحر وقوه شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحيه الشعرا المجاوره لبانياس وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكر والرعيه وعوامل فلاحي الضياع ومواشي الحلابين والعرب والفلاحين الشي الكثير الذي لا يحصى به فيذكر للحاجه الى الرعي بها والسكون الى الهدنه المستقره ووقع للمندوبين لحفظها تقصير فانتهزوا الفرصه واستاقوا جميع ما وجدوه وافقروا اهله منه مع من اسروه من تركمان وغيرهم وعادوا غانمين ظافرين امنين والله عادل في حكمه يتولى المكافاه لهم والاداله منهم وقد فعل سبحانه ذلك على ماسياتي في حوادث السنه الاتيه ۝ وفيها توفي القاضي ابو الفتح محمود ابن اسمعيل بن قادوس كاتب الانشا بالحضره المصريه واصله من دمياط ذكره العماد الكاتب في

الخريدة واثنى عليه ومن شعره في رجل كان يكثر التكبير في اخر الصلوه ٥
وفاتر النيه عنينها مع كثره الرعده والهمزه
مكبر سبعين في مره كانه صلى على حمزه ٥ وله في وصف حاجب
مداده في الطرس لما بدا قبله الصب ومن يزهده
كانما قد حل فيه اللما او داب فيه الحجر الاسود وبلغني ان القاضي الفاضل
كان يعظمه كثيرا ويسميه ذا البلاغتين وهو احد من اشتغل الفاضل عليه وكان لا يتمكن
من اقتباس فوايده غالبا الا في ركوبه من القصر الى منزله بمصر ومن منزله الى القصر فيسايره
الفاضل ويجاريه في فنون الكتابه والادب والشعر وغيرها وفيها في يوم الثلثا الثالث
من ربيع الاول من هذه السنه توفي الفقيه الزاهد ابو البيان نبا بن محمد المعروف بابن الحوراني
وكان حسن الطريقه منذ نشا صبيا الى ان قضى نحبه نقيا عفيفا سخيا محبا للعلم والادب
والمطالعه للغه العرب وكان له عند خروج سريره لقبره في مقابر باب الصغير المجاوره لقبور
الصحابه من الشهدا رضي الله عنهم يوم مشهود من كثره الماسفين له والمثنين عليه ٥
قلت وفي هذه السنه والتي بعدها كانت الزلازل بالشام قال ابو يعلى في ليلة
الثاني والعشرين من ربيع الاول وافت زلزله هايله وجات قبلها وبعدها مثلها في النهار
وفي الليل ثم جا بعد ذلك ثلث دونهن بحيث احصين ست مرات وفي ليله الخامس
والعشرين منه جات زلزله ارتاع الناس منها في اول النهار واخره وتواصلت الاخبار
من ناحيه حلب وحماه بانهدام مواضع كثيره وانهدام برج من ابراج افاميه بهذه الزلازل
المتتابعه وذكر ان الذي احصي عدده منها تقدير الاربعين وما عرف مثل ذلك في السنين
الماضيه والاعصار الخاليه وفي التاسع والعشرين من الشهر بعينه وافت زلزله اخر
النهار وبالليل ثانيه في اخره وفي اول شهر رمضان زلزله مروعه وثانيه وثالثه وفي ثالث
رمضان ثلاث زلازل واخرى وقت الظهر واخرى هايله ايقظت النيام وروعت القلوب انتصاف
الليل وفي ليله نصف رمضان زلزله هايله اعظم مما سبق وعند الصباح اخرى وفي الليله
التي يليها زلزلتان اولها واخرها وفي اليوم الذي بعد يومها وفي ليله الثالث والعشرين زلزله

من عجبه وفي ثاني شوال زلزله اعظم مما تقدم وفي سابعه وسادس عشره وفي اليوم الذي
جا بعده اربع زلازل وليلة الثاني والعشرين منه ودفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها
ما خاف اهلها من توالي ذلك وتتابعه برافته بهم ورحمته لهم فلله الحمد والشكر ولقد وردت
الاخبار من ناحيه حلب بكثره ذلك فيها وانهدام مساكنها واما شيزر فان الكثير
من مساكنها انهدم على سكانه بحيث قتل منهم العدد الكثير واما كفرطاب فهرب اهلها
منها خوفا على ارواحهم واما حماه فكانت كذلك واما باقي الاعمال الشاميه فما عرف ما حدث
فيها من هذه القدره الباهره والله اعلم ٥ ثم دخلت
سنه اثنتين وخمسين ففي ليله تاسع عشر صفر وافت زلزله عظيمه وتلاها اخرى
وكذا في ليلة العشرين واليوم بعدها وتواصلت الاخبار من ناحيه الشام بعظيم تاثير هذه
الزلازل وفي ليلة الخامس والعشرين من جمدى الاول وافت اربع زلازل وضج الناس
بالتهليل والتسبيح والتقديس وفي ليله رابع جمدى الاخره وافت زلزلتان وتوافت
الاخبار من ناحيه الشمال بان هذه الزلازل اثرت في حلب تاثيرا ازعج اهلها واقلقهم
وكذلك في حمص وهدمت مواضع فيها وفي حماه وكفرطاب وافاميه وهدمت ما كان
بني من مهدوم الزلازل وحكي ان تيما اثرت فيها هذه الزلازل تاثيرا مهولا وفي رابع
رجب نهارا وافت بدمشق عظيمه لم ير مثلها فيما تقدم ودامت رجفاتها حتى خاف الناس
على انفسهم ومنازلهم وهربوا من الدور والحوانيت والسقايف وانزعجوا واثرت في مواضع
كثيره ورمت من فص الجامع الشي الكثير الذي يعجز عن اعادته ثم وافت عقيبها زلزله في
الحال ثم سكنتا بقدره من حركهما ثم تبع ذلك في اول ليله اليوم المذكور زلزله وفي وسطه
زلزله وفي اخره زلزله وفي ليله الجمعه ثامن رجب زلزله مهوله ازعجت الناس وتلاها في
النصف منها ثانيه وعند انبلاج الصبح ثالثه وكذلك في ليله السبت وليله الاحد وليله الاثنين
وتتابعت بعد ذلك بما يطول به الشرح ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يؤوس سماعه ويرعب
النفوس ذكره بحيث انهدمت حماه وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان
والاطفال والنسوان وهم العدد الكثير والجم الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير واما

شيزر فان ابضها سلم الاماكن خرب اولا واما حصنها المشهور فانه انهدم على والبها
تاج الدولة بن ابي العساكر بن منقذ ومن تبعه الا اليسير ممن كان خارجا واما حمص فان
اهلها كانوا قد اجتلفوا منها الى ظاهرها فسلموا وتلفت مساكنهم وتلفت قلعتها
واما حلب فهدمت بعض دورها وخرج اهلها منها الى ظاهر البلد وكفرطاب وافاميه
وما والاها ودنا منها وبعد عنها من الحصون والمعاقل الى جبله وجبيل واتلفت سلميه وما
اتصل بها الى ناحية الرحبه وما جاورها ولو لم يدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى
ولطفه ورافته لكان الخطب افظع وقد نظم في ذلك من قال

روعتنا الزلازل حادثات بقضاء قضاه رب السماء
هدمت حصن شيزر وحماه اهلكت اهله بسوء القضاء
وبلادا كثيرة وحصونا وثغورا موثقات البناء
واذا ما رنت عيون اليها اجرت الدمع عندها بالدماء
واذا ما قضى من الله امر سابق في عباده بالمضاء

حار قلب اللبيب فيه ومن كان له فطنة وحسن ذكاء
وتراه مسبحا باكي العين مروعا من سخطة وبلاء
جل ربي في ملكه وتعالى عن مقال الجهال والسفهاء

قال ولما اهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة في ليلة الاثنين التاسع والعشرين من رجب
ارتاع الناس من هولها واجفلوا من منازلهم والمسقف الى الجامع والاماكن الخالية من البنيان
خوفا على انفسهم ووافت بعد ذلك اخرى ففتح البلد وخرج الناس الى ظاهره والبساتين والصحرا
واقاموا اعدة ليال واياما على الخوف والجزع يسبحون ويهللون ويرغبون الى خالقهم ورازقهم في
اللطف بهم والعفو عنهم قال وفي الرابع والعشرين من رمضان وافت دمشق زلزلة عظيمة روعت
الناس وازعجتهم لما وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من تتابع الزلازل فيها ووافت الاخبار
من ناحية حلب بان هذه الزلزلة جاءت فيها هايلة فقلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير
وانها كانت بحماه اعظم مما كانت في غيرها وانها هدمت ما كان عمر فيها من بيوت يلتجى اليها
وانها دامت فيها اياما كثيرة في كل يوم عدة وافر من الرجفات الهايلة يتبعها صيحات مختلفات
توفي على اصوات الرعود القاصفة المزعجة فسبحان من له الحكم والامر وتلا ذلك زلازلات
متواليه اخف من غيرها فلما كان ليلة السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هايله بعد صلاة

عشا الآخرة ازعجت واقلقت وتلاها في اثرها هزة خفيفة وكذا في ليلة العاشر من ذي
القعدة وفي غدها زلازل وليلة الثالث والعشرين والخامس والعشرين منه ايضا زلازل نفر
الناس من هولها الى الجامع والاماكن المنكشفة وضجوا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعا
والتضرع الى الله تعالى وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة وافت زلزلة رجفت لها الارض
وانزعج لها الناس وقال ابن الاثير في سنة اثنتين وخمسين كان بالشام زلازل شديدة ذات
رجفات عظيمة متتابعة اخربت البلاد واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماه وحصن
شيزر فانهما خربا بمرة وكذا ما جاورهما كحصن بارين والمعرة وغيرهما من البلاد والقرايا
وهلك تحت الهدم من الخلق ما لا يحصيه الا الله تعالى وتهدمت الاسوار والدور والقلاع ولولا
ان الله تعالى من على المسلمين بنور الدين جمع وحفظ البلاد والقرايا وهلك تحت الهدم من الخلق
والاكان دخلها الفرنج بغير حصار ولا قتال قال ولقد بلغني من كثرة الهلكى ان بعض المعلمين
بحماه ذكر انه فارق المكتب لمهم له فجاءت الزلزلة فاخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان
جميعهم قال المعلم فلم يات احد يسال عن صبي كان له في المكتب قلت ورايت في ديوان
الامير الفاضل مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن منقذ وقال في الزلازل التي اهلكت كثيرا
من اهل الشام وكان ابتداؤها في شهر الله رجب سنة احدى وخمسين وخمسمايه وهلك بها
من هلك من الخلق وكان نحوا من عشرة الاف نسمة قال وكتب هذا المكتوب والزلازل
الى الان تشغل اهل البلاد ○

نمنا عن الموت والمعاد واصبحنا نظن اليقين احلاما
حركتنا هذي الزلازل كي تيقظوا كم نيام من ناما

وقال ايضا

ايها الغافلون عن سكرة الموت واذ لا يسوغ في الحلق ريق
ثم لكم هذا التشاغل والغفلة حار الساري وضل الطريق
انما هزت الزلازل هذي الارض بالغافلين كي يستفيقوا

وقال في الزلازل ايضا وقد سكن الناس بعد الدور والنزهة في اكواخ عملوها بالاخشاب
ليلا تهدها الزلازل ○ يا ارحم الراحمين ارحم عبادك من هذي الزلازل فهي المهالك العطب

ماجت بهم ارضهم حتى كانهم ركاب بحر مع الانفاس يضطرب
فتصفهم هلكوا فيها وتصفهم لصرع السلف الماضين ترتقب
تعوضوا من مشيدات المنازل بالاكواخ فهي قبور سقفها خشب
كانها سفن قد اقبلت وهم فيها فلا ملجا منها ولا هرب ⊙ وقال يرثي
اهله الذين هلكوا بالزلازل العصن شيزر قصبة منها ⊙
ما استدرج الموت قومي في هلاكهم ولا تحرم مثنى ووحدانا
فكنت اضبر عنهم صبر محتسب واحمل الخطب فيهم عز او هانا
واقتدي بالورى قبلي فكم فقدوا اخا وكم فارقوا اهلا وجيرانا
لكن سقت المنايا وسط جمعهم رغا فخروا على الاذقان اذعانا
وفاجاتهم من الايام قارعة سقتهم بكووس الموت ذيفانا
ماتوا جميعا كرجع الطرف وانقرضوا اهل ماثري نارك للعين انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبر على الحفيظة ان ذلوته لانا
لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم قلبا اجشمه صبرا وسلوانا
فلو رانى لقا لوامات اسعدنا وعاش للهم والاحزان اشقانا
لم يترك الموت منهم من يخبرني عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا
بادوا جميعا وماشادوا فوا عجبا للخطب اهلك عمارا وعمرانا
هذي قصورهم امست قبورهم كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل افنوا معشري فاذا ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا
لا التقي الدهر من بعد الزلازل ما حييت الا كسير القلب حيرانا
اخنت على معشري الادنين فاصطلمت منهم كهولا وشبانا وولدانا
لم يحمهم حصنهم منها ولا رهبت باسا تبادره الاقران اذ ما نا
ان افقرت شيزر منهم فهم جعلوا منيع اسوارها بيضا وخرصانا
هم حموها فلو شاهدتهم وهم بها لشاهدت اسادا وخفانا
تراهم في الورى اسدا ويوم ندي غيثا مغيثا وفي الظلما رهبانا ⊙ بنوابي وبنو عمي دمي دمهم وان اروني
مناواه وشنانا ⊙ بطيب النفس عنهم انهم رحلوا وخلفوني على الاثار عجلانا ⊙ فكتب اليه ⊙
الصالح بن رزيك فصيك يعزيه عن اهلها منها ⊙ باي شخصك الذي لا يغيب عن عياني فهو البعيد القريب
يا اخلاي بالشام لئن غبتم فشوقي اليكم لا يغيب ⊙ غصبتنا الايام قربكم منا ولا بد ان ترد الغصوب ⊙ وقال يرثي

كن الشام اهله فهو محقوق بان لا يقيم فيه لبيب
ان تجلت عنه الحروب قليلا اطفتها زلازل وخطوب
رقصت ارضه عشية غنى الرعد في الجو والكريم طروب
وثنت حيطانه اذا ما لها شمال بزمرها وجنوب
لا هبوب لنايم من امانيه وللعاصفات فيها هبوب
واري البرق شامتا ضاحك السن والجو بالغمام قطوب
ذكروا انه يذوب به السحب فما للصخور ايضا تذوب
ابذنب اصابها قدر الله فللارض كالانام ذنوب
ان ظني والظن مثل سهام الري منها المخطي ومنها المصيب
ان هذا الان غدت ساحة القدس وما للاسلام فيها نصيب
منزل الوحي قبل بعثة رسول الله فهو المحجوج والمحجوب
نزلت وسطه الخنازير والخمر وباري الناقوس فيه الصليب
لو راه المسيح لم يرض فعلا ذكروا انه له منسوب
لهف نفسي على ديار من السكان اقوت فليس فيها غريب
ان تخصيصكم نوايب ما زالت لكم دون من سواكم تنوب
ابعد الناس من عبادة رب الناس قوم الاههم مصلوب
فاحتسب ما اصاب قومك بجلال البين واصبر فالحادثات ضروب
فكذاك القناة تكسر يوم الروع منها صدر وتبقى الكعوب
وقرات في ديوان العرقله ان المولى صلاح الدين يوسف بن ايوب مع عبيد غلام المولى
وكان عبيد هذا موصوفا بالثقل في بيت بمدينة حماه يوم الزلزله فوقعت المدينه
باسرها سوى ذلك البيت الذي هما فيه فقال العرقله
قل لصلاح الدين رب الندى يبلغ عبيدا كل ما امله
بثقله لما انضا جسما سلمك الله من الزلزله
وقرات في بعض كتب
ابي الحسين الرازي عن شيوخه انه وقع بدمشق في ذي القعدة سنة خمس واربعين ومائتين
فصل
زلازل عظيمه حكي عنها نحو ما مضى ذكره واكثر نسال الله تعالى تمام العافيه
قال الرئيس ابو يعلى في ثالث عشر ربيع الاول توجه نور الدين الى ناحيه بعلبك لتفقد احوالها
وتقرير امر المستحفظين لها وتواصلت الاخبار من ناحيه حمص وحماه باغارة الفرنج الملاعين
على تلك الاعمال وفي خامس عشر ربيع الاول ورد المبشر من العسكر المنصور بانه لما بان ما

الدين امير ميران لما انتهى اليه خبر الفرنج انهم قد انهضوا سرية وافرة العدد الى ناحية
بانياس لتقويتها اسرع النهضة اليهم وعدتهم سبعمائة فارس سوى الرجالة فادركهم
قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من حماتها فاوقع بهم وقد كمن لهم
في مواضع كمناء من شجعان الاتراك واندفع المسلمون بين ايديهم في اول المجال وظهر عليهم
الكمناء فانزل الله نصره على المسلمين بحيث لم ينج منهم الا القليل وصاروا باجمعهم بين
قتيل وجريح ومسلوب واسير وحصل في ايدي المسلمين من خيولهم وسلاحهم واموالهم
واسراهم ورؤوس قتلاهم ما لا يحد كثرة ومحقت السيوف عامة رجالتهم من الفرنج ومسلمي
جبل عاملة المضافين اليهم ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى والعدد الى دمشق وطيف بهم
وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق وكان يوما مشهودا وانفذ الى نور الدين الى بعلبك جماعة من
اسرى المشركين فامر بضرب اعناقهم صبرا قال وتبع هذا الفتح ورود البشرى الثانية
من اسد الدين باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان وانه قد ظفر من المشركين بسرية
وافرة ظهرت من معاقلهم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطف التركمان منهم من ظفروا به
قال ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر من مقدمي التركمان وابطالهم للجهاد وهم في
العدد الكثير والجم الغفير واجتمعوا بنور الدين وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين
لتدويخها والابتداء بالنزول على بانياس وقدم نور الدين دمشق في اخراج الات الحرب وتجهيزها
الى العسكر بحيث يقيم اياما يسيرة ويتوجه وامر بالنداء بدمشق في الغزاة والمجاهدين فتبعه
من الاحداث والمطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين خلق كثير وخرج يوم السبت انسلاخ
شهر ربيع الاول وفي سابع ربيع الاخر عقيب نزول نور الدين على بانياس ومضايقته لها بالمجانيق
والحرب سقط بدمشق الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضمن كتابه الاعلام
بورود المبشر من معسكر اسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب بان الفرنج خذلهم
الله تعالى انهضوا سرية من اعيان مقدميهم وابطالهم تزيد على مائة فارس سوى اتباعهم لكبس
المذكورين ظنا منهم بانهم في قل ولم يعلموا انهم في الوف فلما دنوا منهم وثبوا اليهم كالليوث الى
فرائسها فاطبقوا عليهم بالقتل والاسر والسلب ولم يبق منهم الا اليسير ووصلت الاسرى

ورؤوس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة والطوارق والقنطاريات الى دمشق وطيف بهم
فيه يوم الاثنين تالي اليوم المذكور قال وتلا هذه الموهبة المتجددة سقوط الطائر من
المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلثا تلو المذكور بذكر افتتاح مدينة بانياس في
بالسيف قهرا على مضي اربع ساعات من يوم الثلثا المذكور عند تناهي النقب واطلاق النار
فيه وسقوط البرج المنقوب وهجوم الرجال فيه وبذل السيف في قتل من فيه ونهب ما حواه
وانهزام من سلم الى القلعة وانحصارهم بها وان اخذهم بمشية الله تعالى لا يبطئ والله يسهله
ويعجله قال واتفق بعد ذلك ان الفرنج تجمعوا من معاقلهم عازمين على استنقاذ
الهنفري صاحب بانياس ومن معه من اصحابه المحصورين بقلعة بانياس وقد اشرفوا على الهلاك
وبادروا بالعوا في السؤال لنور الدين الامان ويسلمون ما في ايديهم من القلعة وما حوته لينجوا
سالمين فلم يجبهم الى ما سالوا ورغبوا فيه فلما وصل ملك الفرنج في جمعه من الفارس والراجل
من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازل على بانياس لحصارها والنازل على الطريق
لمنع الواصل اليها اقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستخلصوا من كان
فيها وحين شاهدوا ما عم بانياس من اخراب سورها ومنازل سكانها يئسوا من عمارتها بعد خرابها
قال وفي تاسع جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من العسكر النوري يتضمن الاعلام بان الملك
العادل نور الدين اعز الله نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الفرنج على الملاحة بين طبرية وبانياس
نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب وجد في السير فلما شارفهم وهم غارون وشاهدوا
راياته قد اظلتهم بادروا بلبس السلاح والركوب وافترقوا اربع فرق وحملوا على المسلمين فعند
ذلك ترجل الملك العادل نور الدين فترجلت معه الابطال وارهقوهم بالسهام وخرصان الرماح
حتى تزلزلت بهم الاقدام ودهمهم البوار والحمام فانزل الله نصره على المسلمين وتمكنوا من فرسانهم
قتلا واسرا واستاصلت السيوف الرجالة وهم العدد الكثير فلم يفلت منهم غير عشرة نفر
وقيل ان ملكهم لعنه الله فيهم وقيل انه في جملة القتلى ولم يعرف له خبر ولم يفقد من عسكر الاسلام
سوى رجلين احدهما من الابطال المذكورين قتل اربعة من شجعان الكفرة وقتل عند حضور اجله الى
رحمة الله والاخر غريب لا يعرف وكل منهما مضى شهيدا مثابا ماجورا رحمهما الله وامتلأت ايدي

العساكر من خيولهم وعددهم وكراعهم واثاث سوادهم وحصلت كنيستهم في يد الملك نور
الدين بآلاتها المشهورة وكان فتحا مبينا ونصرا عزيزا ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى الى
دمشق يوم الاحد ثاني يوم الفتح وقد رتبوا على كل جمل فارسين من ابطالهم ومعهما رايه
من راياتهم منشورة وفيها من جلود رؤوسهم بشعورها عدة والمقدمون منهم وولاة المعاقل
والاعمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزرديه والخوذه وفي يده رايه والرجالة كل ثلثه او اربعه
واقل واكثر في حبل وخرج من اهل البلد الخلق الذي لا يحصى لهم عدد من الشيوخ والشبان والنسا
والصبيان لمشاهدة ما منح الله تعالى ذكره كافه المسلمين من هذا النصر المبين واكثروا الله شكر
تعالى والدعا لنور الدين الحامي عنهم المرامي دونهم والثنا على مكارمه والوصف لمحاسنه ونظم في
ذلك ابيات في هذا المعنى ۝

مثل ما رايناه فيما تقدم يوما كامل الحسن غايه في البهاء
مثل يوم الفرنج حين علتهم ذله الاسر والبلا والعناء
وبراياتهم على العيس زفوا بين ذل وحسرة وعناء
بعد عز وهيبة ذكرها في مصاف الحروب والهيجاء
هكذا هكذا هلاك الاعادي عند شن الاغارة الشعواء
شوم اخذ الجشار كان وبالا عمهم في صباحهم والمساء
نقضوا هدنة الصلاح بجهل بعد تاكيدها بحسن الوفاء

قال وشرع نور الدين في قصد اعمالهم لتملكها وتدويخها والله المعين والموفق وقال ابن
ابي طي في سنة اثنتين وخمسين غارت الفرنج على بلد حمص وحماه وافسدوا واكثروا العيث واتصل
ذلك بنور الدين فانفذ اليهم عسكرا كثيفا فاوقع بهم وهزمهم الى الارض بانياس وخرج نور الدين
حتى نزل على بانياس وحاصرها اشد حصار حتى افتتحها في الثامن والعشرين من ربيع الاول واحتاط جميع
ما كان للفرنج فيها وانفذ الغنيمه والاسارى مع اسد الدين الى دمشق وانقذ معه مقدار الف
راس واتصل ذلك بالفرنج فانهضت الى معارضه اسد الدين قطعه من خيالتها واتصل هذا باسد
الدين وقد دهمته الفرنج فلبس لامته وتقدم في جماعة من مماليكه بين يدي العسكر وامر الرجال

بلقا

بلقا الفرنج وناجزهم الحرب فلم يتماسكوا بين يديه ورجعوا على ادبارهم وتبعهم مقدار
فرسخين يقتل وياسر وغنم منهم غنيمة حسنه وعاد الى اصحابه ظافرا وتوجه في وجهته مويدا
فصل قال الرئيس ابو يعلى وفي العشر الثاني من جمدى الاخرى تواصلت
الاخبار بوصول ولد السلطان مسعود في خلق كثير للنزول على انطاكيه واوجبت الصوره
تقرير المهادنه بين نور الدين وملك الفرنج وتكررت المراسلات بينهما والاقتراحات والمشا جرات
بحيث فسد الامر ولم يستقر على مصلحه ووصل نور الدين الى مقر عزه في بعض عسكره واقر
باقيه ومقدميه مع العرب بازا اعمال المشركين قال وفي ثالث رجب توجه نور الدين الى
ناحيه حلب واعمالها لتجديد مشاهدتها والنظر في حمايتها عندما عاث المشركون فيها وقربت
عساكر الملك بن مسعود منها ثم قال بعد ذلك قد تقدم من ذكر نور الدين ونهوضه في عساكره
من دمشق الى بلاد الشام عند انتها الخبر اليه بتجمع احزاب الفرنج خذلهم الله وقصدهم لها
وطمعهم بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعه لها وما هدمت من الحصون والقلاع
والمنازل في اعمالها وثغورها لحمايتها والذب عنها وايناس من سلم من اهل حمص وشيزر
وكفرطاب وحماه وغيرها بحيث اجتمع اليهم العدد الكثير والجم الغفير من رجال المعاقل
والاعمال والتركمان وخيم بها بازا جمع الفرنج بالقرب من انطاكيه وحصرهم بحيث لم يقدم فارس
منهم على الاقدام على الفساد فلما مضت ايام من شهر رمضان عرض لنور الدين ابتدا مرض حاد
فلما اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى اخاه نصرة الدين امير اميران واسد الدين شيركوه
واعيان الامرا والمقدمين واوصى اليهم ما اقتضاه رايه واستصوبه وقرر معهم كون اخيه نصرة
الدين القايم في منصبه من بعده والسادّ لثلمه فقده لاشتهاره بالشهامه وشدة الباس
يكون مقيما بحلب ويكون اسد الدين في دمشق في نيابه نصرة الدين واستحلف الجماعة على هذه
القاعده فلما تقررت اشتد به المرض فتوجه في محفه الى حلب وحصل في قلعتها وتوجه اسد
الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الفرنج وتواصلت الاراجيف بنور الدين فقلقت النفوس
وانزعجت القلوب فتفرقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال وطمع الفرنج فقصدوا مدينة شيزر
وهجموها وحصلوا فيها فقتلوا واسروا ونهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيليه

وغيرهم وظهروا عليهم فقتلوهم واخرجوهم من شيزر وانفق وصول نصرة الدين الى حلب
فاغلق والى القلعه مجد الدين في وجهه الابواب وعصى عليه فثارت احداث حلب وقالوا هذا
صاحبنا وملكنا بعد اخيه فزحفوا في السلاح الى باب البلد وكسروا الاغلاقه ودخل نصرة الدين
في اصحابه وحصل في البلد وقامت الاحداث على والي القلعه باللوم والانكار والوعيد واقترحوا
على نصرة الدين اقتراحات من جملتها اعادة رسمهم في التاذين بحي على خير العمل محمد وعلي خير البشر
فاجابهم الى ما رغبوا فيه واحسن القول لهم والوعد ونزل في داره وانفذ والي القلعه اليه
والى الحلبيين يقول مولانا نور الدين حي في نفسه وما كان الى ما فعل حاجه فقيل الذنب في
ذلك للوالي وصعد الى القلعه من شاهد نور الدين حيا يفهم ما يقول وما يقال له فانكر ما جرى
وقال انا اصفح للاحداث عن هذا الخطل ولا اواخذهم بالزلل وما طلبوا الاصلاح حال اخي
وولي عهدي من بعدي وشاعت الاخبار وانتشرت البشاير في الاقطار بعافيته فانست القلوب
بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والانزعاج وتزايدت العافيه وصرفت الهمم الى
مكاتبات المقدمين بالعود الى جهاد الملاعين وكان نصرة الدين قد ولي مدينة حران وما اضيف
اليها وتوجه نحوها ولما تناصرت الاخبار بالبشاير الى اسد الدين بدمشق بعافية نور الدين
واعتزامه على استدعا العساكر الاسلاميه للجهاد شارع بالنهوض من دمشق الى حلب ووصل
اليها في خيله فاجتمع بنور الدين فاكرم لقياه وشكر مسعاه وشرعوا في حمايه الاعمال من
شر عصب الكفر والضلال قال ونظمت هذه الابيات في هذا المعنى

لقد حسنت صفاتك يا زماني ... وفزت بما رجوت من الاماني
فكم اضحت مراتعا الخوف ... بدلت المخافه بالامان
وجاتنا الاراجيف بملك ... عظيم الشان مسعود الزمان
فروعت القلوب من البرايا ... وصار شجاعها مثل الجبان
وثارت فتنة تخشى اذاها ... على الاسلام في قاص ودان
ووافى بعد ذاك بشير صدق ... بعافية المليك مع التهاني
فولى الخوف منهدم المباني ... وعاد الامن معمور المغاني

قال ابن طي وفي هذه

السنه

السنه كانت الزلزله التي هدمت شيزر فخرج نور الدين واخذها من بني منقذ وسلمها
الى مجد الدين ابن الدايه وسار الى شيزر لانه بلغه حركة الفرنج فاعترضه هناك مرض اشفى
منه فاحضر شيركوه واوصاه بالعساكر وان يكون الامر بعده لنصرة الدين امير اميران فسار
اسد الدين الى دمشق واقام بمرج الصفر خوفا ان تحرك الفرنج الى جهة دمشق او غيرها
ولم يزل هناك حتى تعافى نور الدين فعاد الى خدمته مهنيا له بالعافيه وكان اخوه نصرة الدين
قد حاصر قلعه حلب في مدة مرض نور الدين فلما افاق نور الدين من مرضه سيره الى حران
وجعل ولي عهده اخاه قطب الدين صاحب الموصل قال وكان مجد الدين طمع في الملك لنفسه
فحزم الامن وتقرب الى الناس وجعل له اصحاب اخبار وشحن الطرقات والسبل بالرجال
بتفتيش الخارجين من حلب وغيرها والداخلين اليها قلت ولابن منير تهنيه لنور
الدين بالعافيه من مرض غير هذا

يا شمس لا كسف ولا اكدار ... ولا حلت من نورك الانوار
البدر منقوص وانت كامل ... لك السرايا وله السرار
بزول للاسلام من ادوايه ... بر وفي اعدايه بوار
ما انت الا السيف صد صدا ... عن متنه مضربه البتار
لو كان مجهولا اذى عن منفس ... لحملته دونك الابصار
ولو فدت ارض سماء ساقت ... الملوك في فداك الامصار
انت غياث محلم ان اجدبوا ... وخيرهم ان ذكر الخيار
وفي سرير الملك منهما ملك ... لله في سرايه اسرار
خير ملوك الارض جدا وابا ... ان هز عطفي ماجد نجار
مد على الدين رواق دولة ... تنازعت اسمارها السمار
علت بناه وحلت يد ... فهي عليه السور والسوار
محمود المحمود عصر ملكه ... فالحيا من مزنه اعتصار
يا نور دين اظلمت افاقه ... لو لم تبلج هذه الآثار

لله ايام ملك ما خطه بالمسك من اسفارها السفار
سلمت للاسلام ترعى سرحه اذ اوثار عانه وجا ذوا
شكوى فلى الدنيا على اسكانها قران جانبها الهدار
كادت تموت الارض من اشفاقها لولا استفادتها تمار
زرقت عليك الترك حيب نسب بحسدها برنه سرار

لاعدمت منك الاماني ربها معطي من الاقبال ما اختار
ماسح الدهر ان يبقى لنا فكل جرح مسنا جبار

وله من قصيده اخرى

لا تؤدى لا نعم الله شكرا بك يا اعظم البريه قدرا
روز عشر وانما قلاع ذا جعلا المنه المناه عشرا
ام مغناك ضامنا ان ايابك نفي الاحقاب عصرا فعصرا
في محله السماكان سمك وجد ودها الجن مجرا
ايها العادل المظفر لا قصب شبا الدهر من شبابك ظفرا
جعل الله ما استهل من الاشهر يهل في مغازيك نصرا
ابدا يبشر التهاني على ساحاتك الزهر في المواسم نشرا
انت اسرا الملوك نفسا ومعنا والسرم من الطيف اسرا
ملك عنده المشارب تستمر واخلاق الجود تمرا فتمرا
فلك الله من مثمر يبدي يصطفي صالحا ويحصد اجرا
عش لملك اضحت في الدست منه فوق كسرى علا وشجعا وكسرا
يفطر الطيبات للفطر فطرا وتعم الاعدا في النحر نحرا
يفتني من كسائك انفس ملبوس ويغنيك منه الطول عمرا
انت تملي ونحن ننظم ما تنثر العز من مساعيك نثرا
صرف الله عنك عين زمان بك صارت بعد الاصابه عبرا
وتوالت لك الفتوح الى ان غلا الخافقين نهبا واسرا
كلما انجبت ملابس نعمي وتمليتهن جددت اخرا

وقال ابن القيسراني من قصيده

اشرق الهو يا جبين الهلال فخلاه لوجهك المتلالي
عن ليال حجبن عنا سناها انما غيبه الهلال ليالي

لا ولا كان ان ابرأ من سقام انما كان طايفا من خيال
اوما هذه السما سترا البلاد فيها على طريق الكمال
ولباس من المثوبة والغفران البست ضافي الاذيال
والتقى والندى ومعربه الخيل وبيض الظبى وسمر العوالي
ان وقتك النفوس ما تنوفي تحقيق فلي الموالي

لم يكن ما الم بالنجم شكوى فتهنا لوافد الاقبال
وعله اقلعت وانت صحيح ويصح النسيم بالاعتلال
نعمة الله لا يخص بها الخالق الا من كان منه ببال
فهنيا لك البقا وان كان هناء تخص فيه المعالي
والخلال التي اذا ما تحلت صدرت منك عن كريم الخلال

اوتحصنت في شعار من التقوي فما زلت منه في سربال
فشفى الله من اجل دوابه صريح الدعا والا بتهال
ملك ابدل المخافه بالامن واضحى يعد في الابدال
وهو تاج الملوك فالملك العاطل حال به على كل حال
واذا النيران غابا فنور الدين شمس تجرته الاصال
قد ادارت وجهك العلى ما ابر بها وهي مراة صالح الاعمال

فصل

في ذكر حصن شيزر وولايه بني منقذ قال ابن الاثير وهو حصن قريب من حماه بينهما نحو من نصف نهار وهو من امنع القلاع واحصنها على حجر عال له طريق منقور في طرف الجبل وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر من خشب فاذا قطع ذلك الجسر تعذر الصعود اليه وكان لال منقذ الكنانيين يتوارثونه من ايام صالح بن مرداس الى ان انتهى الامر الى الامير ابي المرهف نصر بن علي بن المقلد بن نصر بن منقذ بن نصر بن هاشم بعد ابيه ابي الحسن علي فبقي به مده طويله الى ان مات بشيزر سنه احدى وتسعين واربعمايه وكان شجاعا كريما صواما قواما فلما حضره الموت استخلف اخاه الامير ابا سلامه مرشد بن علي وهو والد اسامه فقال والله لا وليتها ولاخرجن من الدنيا كما دخلتها وكان عالما بالقران والادب كثير الصلاح فولاها اخاه ابا العساكر سلطان بن علي وكان اصغر منه فاصطحبا اجمل صحبه مده من الزمان فولد لابو سلامه مرشد عده اولاد ذكور فكبروا وسادوا ومنهم عز الدوله ابو الحسن علي ومويد الدوله اسامه بن مرشد وغيرهما ولم يولد لاخيه سلطان ولد ذكر الى ان كبر فجاه اولاد فحسد اخاه على ذلك فكان كلما راى صغر اولاده وكبر اولاد اخيه وسيادتهم ساه ذلك وخافهم على اولاده وسعى المفسدون بينهما فغيروا كلا منهما على اخيه فكتب الامير سلطان الى اخيه شعرا يعاتبه على اشيا بلغته عنه فاجابه بابيات جيده في معناه وكلهم كان اديبا شاعرا فمنها ⊙

ظلوم ابت في الظلم الا تماديا وفي الصد والهجران الا تناهيا
شكت هجرنا في ذاك والذنب ذنبها فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا

وقضى الله ان نجمك في الانجم سار
وانجدك عالي
كل يوم هذا المحيا محيا بالتهاني
على يد الاقبال

وطاوعت الواشين فيّ وطالما عصيت عذولاً في هواها وواشيا
ومال بها تيه الجمال الى القلى وهيهات ان امسى لها الدهر قاليا
ولا ناسيا ما اودعت من عهودها وان هي ابدت جفوةً وتناسيا
ولما اتاني من قريضك جوهر جمعت المعالي فيه لي والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حيناً لانه تولّى برغمي حين ولّى شبابيا
واين من الستين لفظ مفوّف اذا رمت ادنى القول منه عصانيا
وقلت اخي يرعى بنيّ واسرتي ويحفظ عهدي فيهم وذماميا
ويجزيهم ما لم اكلفه فعله لنفسي فقد اعددته من تراثيا
فما لك لما ان جنى الدهر صعدتي وثلم مني صارماً كان ماضيا
تنكرت حتى صار برّك قسوةً وقربك مني جفوةً وتنائيا
فاصبحت صفر الكف مما رجوته لذا الياس قد عفى سبيل رجائيا
على انني ما حلت عما عهدته ولا غيرت هذي السنون ودادِيا

قال وكان الامر فيه في حياة الامير بعض الستر فلما مات سنه احدى وثلثين وخمسمايه قلب لخوته لاولاده ظهر المجن وبادأهم بما يسوءهم وتمادت الايام بينهم الى ان قوي عليهم فاخرجهم من شيزر وكان اعظم الاسباب في اخراجهم ما حدثت به عن مويد الدوله اسامه بن مرشد قال كنت من الشجاعه والاقدام على ما علمه الناس فبينا انا بشيزر واذا اتاني انسان واخبرني ان بمحله يقاربها اسداً ضارياً فركبت فرسي واخذت سيفي وسرت اليه لاقتله ولم اعلم احداً من الناس لئلا امنع من ذلك فلما قربت من الاسد نزلت عن فرسي وربطته ومشيت نحوه فلما راني قصدني ووثب فضربته بالسيف على راسه فانفلق ثم اجهزت عليه واخذت راسه في مخلاه وركبت فرسي وعدت الى شيزر ودخلت على والدتي والقيت الراس بين يديها وحدثتها الحال فقالت يا بني تجهز للخروج من شيزر فوالله لا يمكنك عمك من المقام ولا احداً من اخوتك وانتم على هذه الحال من الاقدام والجراه فلما كان الغد امر عمي باخراجنا من عنده والزمنا به الزاماً لا امهله فيه فتفرقنا

فلا غرو وعند الحادثات فاقتي اراك بعيني والانام سما ليا
تهز بها عز الوقرنت بالنجوم سما لم تعدد دراريا
تحلت بدر من صفاتك زانها كما زان منظوم اللآلي الغوانيا
وعش ما نبا للجود دما كان واهيا مستبدلا من الاحسان ما كان واهيا

في

في البلاد فقصدوا الملك العادل نور الدين وشكوا اليه ما القوا منهم فلم يمكنه قصده ولا الاخذ بثارهم واعادتهم الى اوطانهم لاشتغاله بجهاد الفرنج والخوف من ان تسلم شيزر الى الفرنج وبقي في نفسه وتوفي الامير سلطان وولي بعده اولاده فبلغ نور الدين عنهم مراسله الفرنج فاشتد ما في نفسه وهو ينتظر الفرصه فلما خربت القلعه بالزلزله ولم يسلم منها احد كان بالحصن فبادر اليها وملكها واضافها الى بلاده وعمرها واسوارها واعادها كان لم تخرب وكذلك ايضاً فعل بمدينه حماه وكل ما خرب بالشام بهذه الزلزله فعادت البلاد كاحسن ما كانت قلت وسياتي ذكر اسامه ابن مرشد في اخبار سنه اثنتين وسبعين وهي السنه التي قدم فيها دمشق من بلاد الشرق وذلك انه لما خرج من شيزر استوطن دمشق ثم فارقها الى الديار المصريه وكتب الى معين الدين انر اتابك صاحب دمشق يعاتبه في اسباب المفارقه قصيده اولها

تولوا فلما رجونا عدلهم ظلموا فليتهم حكموا فينا بما علموا
ما مر يوماً بفكري ما يريبهم ولا سعت بي الى ما ساءهم قدم
ولا اضعت لهم عهداً ولا اطلعت على ودائعهم في صدري التهم
فليت شعري بما استوجبت هجرهم ملوا فصلهم عن وصلي السام
حفظت ما ضيعوا اغضيت حين جنوا وفيت اذ غدروا واصلت اذ صرموا
حرمت ما كنت ارجو من ودادهم ما الرزق الا الذي تجري به القسم
وبعد لو قيل لي ماذا تحب وما تختار من زينه الدنيا لقلت هم
هم مجال الكرى من مقلتي ومن قلبي محل المنى جاروا او اجترموا
تبدلوا بي ولا ابغي بهم بدلاً حسبي هم انصفوا في الحكم او ظلموا
بلغ اميري معين الدين مالكه من نازح الدار لكن وده امم
وقل له انت خير الترك فضلك الحيا والدين والاقدام والكرم
هلا انفت حياءً او محافظه من فعل ما انكرته العرب والعجم

اسلمتنا وسيوف الهند مغمده ولم يرق بسنان السمهري دم
وكنت احسب من والاك في حرم لا يعتريه به شيب ولا هرم
وما ظننا ناوي من اسامه بالوفا لكن جرى بالكاين القلم
هبنا جنينا ذنوباً لا يكفرها عذر فما ذنب الاطفال والحرم

القيتهم في رضى الافرنج متبعًا رضى عدًا بسخط الرحمن فعلهم
جرتهم مثل تجريبي لجوهرهم فللرجال اذا ما جربوا قيم — وهي طويله وطاف
المذكور خادم تركي كان لاتابك ملك الامرا زنكي بن اق سنقر هرب من خدمته الى دمشق
ولج فيه فاشتمل عليه معين الدين الجنشيه وحماه فلما خ فيه سيّرِ للعرب واقام له بما يحتاج
الى زرده تخدمته بدمشق وبقي اسامه بمصر الى ان خرج منها مع عباس كما سبق ذكره واسر
الفرنج اخاه نجم الدوله محمد بن مرشد وطلب من بن عمه ناصر الدين محمد بن سلطان صاحب شيزر
الاعانه في فكاكه قال وادخر الله سبحانه اجر خلاصه وحسن ذكره للملك العادل نور الدين
رحمه الله فوهبه فارسًا من مقدمي الداويه يقال له المشطوب قد بذل للافرنج فيه عشر
الاف دينار فاستخلص به اخاه من الاسر وبلغ اسامه ان القاضي كمال الدين بن الشهرزوري
انشد نور الدين — ملك بني فقد تولى وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا سبحان من لا يزول ملكه
والمعروف ملك بني بزمك فغيّر المنشد لما تمثل به في غرضه فاجازها اسامه بهذه
الابيات — وكل ملك الى زوال لا يعتري ذا اليقين شكه
ان لم يزل بانتقال حالٍ ازال ذا الملك عنه هلكه
والله رب العباد باقٍ وهو المليك الذي لا شريك له
فقل لمن يظلم البرايا اغرك امهاله وتركه
تنسى ذنوبًا عليك تحصى يحصرها نقده وحكه
ثم ناسك تنسكه ريا وبقه في المعاد نسكه
فاحذر فما تختفي عليه من عبده صدقه وافكه
وما احسن ما قال اسامه في كبر سنه
مع الثمانين عاث الضعف في جلدي وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي جد مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلمًا من بعد حطم القنا في لبه الاسد
وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كاني اخوض الوحل في الجلد
فقل لمن يتمنى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد
في بواقي حوادث سنه اثنتين وخمسين
قال الرئيس ابو يعلى تناصرت الاخبار بظهور امير المؤمنين المقتفي
على عسكر السلطان المخالف لامره ومن انضم اليه من عسكر الموصل
وغيره بحيث قتل منهم العدد الكثير ورحلوا عن بغداد [illegible]

خاسرين بعد المضايقه والتناهي في المحاصره والمضايقه قال وورد الاخبار في اوايل
رجب بوفاه السلطان غياث الدين ابي الحرث سنجر بن ابي الفتح بن الب ارسلان سلطان
خراسان عقيب خلاصه من الشده التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيه وكان يحب العدل والانصاف
للرعايا وحسن السيره جميل الفعل وقد علت سنه وطال عمره وكان قد وزد دمابه في اواخر هذه
السنه الى نور الدين بالمشوق اليه والاحماد لخلاله وما ينتهي اليه من جميل افعاله واعلامه ما
من الله عليه به من خلاصه من الشده التي وقع فيها والاسر الذي بلي به في ايدي الاعدا الكفره
من ملوك التركمان بحيله دبرها وسياسة احكمها وقررها بحيث عاد الى منصبه من السلطنه
المشهوره واجتماع العساكر المتفرقه عنه اليه قال — وفيها في شهر رمضان ورد الخبر
من ناحيه حلب بوفاه الشيخ مخلص الدين ابي البركات عبد القاهر بن علي بن ابي جراده الحلبي
وهو الامين على خزاين مال نور الدين وكان كاتبًا بليغًا حسن البلاغه نظمًا ونثرًا مستحسن الفنون
من التذهيب البديع وحسن الخط المحرر على الاصول القديمه المستظرفه مع صفا الذهن
وتوقد الفطنه مع الذكا قال — وفيها في رابع شوال ورد الخبر من ناحيه بصرى بان
واليها فخر الدين سرخاك قتل غيله بموافقه من اعيان خاصته وكان فيه افراط في التحرز
واستعمال التيقظ ولكن القضا لا يغالب ولا يدافع قال — وفيها في اوايل ذي القعده
ورد الخبر من حمص بوفاه واليها الامير الملقب بصلاح الدين وكان في ايام شبيبته قد
حظي في خدمه عماد الدين زنكي وتقدم عنده بالمناصحه وسداد التدبير وحسن السفاره
وصواب الراي ولما علت سنه ضعف عن ركوب الخيل وانجاه الضرورة الى الحمل في المحفه
لتقرير الاحوال والنظر في الاعمال ولم ينقص من حسته وفهمه ما ينكر عليه العجز وفاته
وخلفه من بعده اولاده في منصبه وولايته قال — وورد الحكوال دمشق امام من ائمه
فقها بلخ في عنفوان شبابه وعصاه عوده ما رايت افصح من لسانه ببلاغته العربيه والفارسيه
والاسراع من جوابه ببراعته ولا اطيش قلمًا في كتابته ابو الحسن محمد بن ابي القسم بن عمر السلمي وعظ
في جامع دمشق عده ايام والناس يستحسنون وعظه ويستظرفون فنه وسلاطه لسانه
وسرعه جوابه وحده خاطره وصفاحته قال — ابن الاثير وفيها في ذي الحجه

توفى الامير عز الدين ابو بكر الدبيسي صاحب جزيرة ابن عمر وكان من اكابر الامرا ياخذ
نفسه ماخذ الملوك وكان عاقلا حازما ذا راى وكيد ومكر وملك الجزيرة قطب
الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل اخو نور الدين ثم دخلت
سنه ثلث وخمسين وخمسمايه قال الرييس ابو يعلى في اوايل المحرم تناصرت
الاخبار من ناحيه الفرنج المقيمين بالشام خذلهم الله تعالى بمضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم
على رميه بمجانيق الى ان ضعف وملك بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات
في الاعمال الشاميه واطلاق الايدي في العيث والفساد في معاقلها وضياعها بحكم
تفرق العساكر الاسلاميه والخلف الواقع بينهم باشتغال نور الدين بعقابيل المرض
العارض له ولله المشيه التي لا تدافع والاقضيه التي لا تمانع قال وفي صفر ورد
الخبر والمبشر بنزول نور الدين من حلب للتوجه الى دمشق والتقوى للكف الملاعين
تواتر الطمع في شن الغارات على اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدي الفساد والعيث والاحراق
والاخراب في الضياع والنهب والسبي والاسر وقصد داريا والنزول عليها في انسلاخ صفر
واحراق منازلها وجامعها والتناهي في اخرابها وظهر العسكريه والاحداث وهموا بقصدهم
والاسراع الى القايم وكفهم فمنعوا من ذلك بعد ان قربوا منهم وحين شاهدوا الكفار خذلهم الله
تعالى كثرة العدد الظاهر اليهم رحلوا في اخر النهار المذكور الى ناحيه الاقليم ووصل نور الدين
الى دمشق وحصل في قلعته سادس ربيع الاول سالما في نفسه وجملته ولقي باحسن زي
وترتيب وتجمل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالغوا في شكر الله تعالى على
سلامته وعافيته والدعاء له بدوام ايامه وشرع في تدبير امر الاجناد والتاهب للجهاد
قال وفي اوايل ربيع الاول ورد الخبر من ناحيه مصر بخروج فريق وافر من عسكرها
الى غزه وعسقلان واغاروا على اعمالها وخرج اليهم من كان بهما من الفرنج الملاعين فاظهر الله
تعالى المسلمين عليهم قتلا واسرا بحيث لم يفلت منهم الا اليسير وغنموا ما ظفروا به وعادوا
سالمين ظافرين وقيل ان مقدم الغزاه في البحر ظفر بعده من مراكب المشركين وهي مشحونه
بالفرنج فقتل واسر منهم العدد الكثير وحاز من اموالهم وعددهم واثاثهم ما لا يكاد يحصى وعاد

ظافرا غانما قلت وارسل الى مويد الدوله اسامه بن منقذ من مصر وزيرها الملك
الصالح ابو الغارات طلايع بن رزيك قصيده يشرح فيها حال هذه الغزاه ويحرض فيها نور
الدين على قتال المشركين ويذكر بما من الله تعالى عليه به من العافيه والسلامه من تلك المرضه
المقدم ذكرها وكان كثيرا ما يكاتبه طالبا منه اعلام نور الدين بالغزاه بحثه عليها واول
هذه القصيده الا هكذا في الله تمضي العزايم وتنضى لدى الحرب السيوف الصوارم
وتستنزل الاعلام من طود عزهم وليس سوى سمر الرماح سلالم
ويغزى جيوش الكفر في عقر دارها ويوطا حماها والانوف رواغم
ويوفي الكرام الناذرون بنذرهم وان بذلت فيها النفوس الكرايم
نذرنا مسير الجيش في صفر فما انثنى نصفه حتى انثنى وهو غانم
بعثناه من مصر الى الشام قاطعا مفاوز ضلا العيش فيهن دايم
فما هاله بعد الديار ولا ثنى عزيمته جهد الظما والسمايم
يهجر والعصفور في قعر وكره ويسرى الى الاعداء والليل نايم
يبارى خيولا ما تزال كانها اذا ما هي انقضت نسور قشاعم
يسير بها ضرغام في كل مارق وما يصحب الضرغام الا الضراغم
ورفقته عين الزمان وحاتم ويحيى وان لاقى المنيه حاتم
وواجههم جمع الفرنج بجحفل يصول على الشجعان فيها الهزايم
فلقوهم زرق الاسنه وانطووا عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم
وما زالت الحرب العوان اشدها اذا ما تلاقى العسكر المتضاجم
يشبههم من لاح جمعهم له بلجه بحر موجها متلاطم
وعادوا الى حز السيوف فقطعت رووس وحزت للفرنج غلاصم
فلم ينج منهم يوم ذلك مخبر ولا فل هذا واحد اليوم سالم
نقلهم بالراى طورا وتاره ندوسهم منا المذاكي الصلادم
فقولوا لنور الدين لا فل جده ولا حكمت فيه الليالي الغواشم
تجهز الى ارض العدو ولا تهن وتظهر فتورا ان مضت منك حارم
فما مثلها بندى لحقا لابه ولا يعض عليها للملوك الاباهم
فعندك من الطاف ربك ما به علمنا يقينا انه بك راحم
اعاد لحيا بعد ان زعم الورى بانك قد لاقيت ما الله حاتم
بوقت اصاب الارض ما قد اصابها وحلت بها تلك الدواهي العظايم
وخيم جيش الكفر في ارض شيزر فشيقت سبايا واستحلت محارم

وقد كان نايخ الشام وهلكه ومن يحتويه انه لك عادم
فقم واشكر الله الكريم بنهضة اليهم فشكر الله للخلق لازم
فنحن على ما قد عهدت سروعهم وظلف جهدا ان تالا نسالم
وغاراتنا ليست تفتر عنهم وليس ينجي القوم منا الهزايم
فاسطولنا اضعاف ما كان سابرا اليهم فلا حصن لهم منه عاصم
ونرجو ان نجتاح باقيهم به وتحوي الاسارى منهم والغنايم

وكتب اليه ايضا

يا سيدا يسمو بهمته الى الرتب العليه — فينال منها حين يحرم غيره اوفى مزيه
انت الصديق وان بعدت وصاحب الشيم الرضيه — ينبيك ان جيوشنا فعلت فعال الجاهليه
سارت الى الافرنج ابطالها ما بين سريه — فتغير هذي بكرة وتعاود الاخرى عشيه
فالويل منها للفرنج فقد لقوا جهد البليه — جات رووسهم تلوح على روس السمهريه
وقلايع قد قسمت بين الجنود على السويه — وخلايق شتى من الاسرى تقاد الى المنيه
فانهض فقد انبيت مجد الدين بالحال الجليه — والمم بنور الدين واعلمه بها تيك القضيه
فهو الذي ما زال يخلص منه افعالا ونيه — ويبيد جمع الكفر بالبيض الرقاق المشرفيه
فعساه ينهض نهضة يفني بها تلك البقيه — اما النصر دينه او ملكه او للحميه

وكتب اليه ايضا يقول

ايها المنقذي انت على البعد صديق لنا ونعم الصديق
ليس فيما تاتيه من برافعالك للطالب الحقوق عقوق
فلهذا نرى مواصلة الكتب تباعا اليك مما يليق
وتناجيك بالمهمات اذ انت بالقايها اليك خليق
واهم المهم امر جهاد الكفر فاسمع فعندنا التحقيق
واصلتهم منا السرايا فانحاهم بكور منا لهم وطروق
واباحت ديارهم فاباد القوم قتل ملازم وحريق
وانظر بان حقنا بن نور الدين علما منا بان شفيق
وهو الان في امان من الله وما يعتريه امر يعوق
ما لهذا المهم مثلك مجد الدين فانهض به فانت حقيق
قل له الاعداء راي ولا زال لديه لكل خير طريق
انت في حسم داء طاغيه الكفار ذاك المرجو والمرموق

فاغتنم بالجهاد اجرك كي تلقى رفيقا له ونعم الرفيق ۝

فاجابه اسامه بقصيدة منها

يا امير الجيوش ما زال للاسلام والدين منك ركن وثيق
اسمعت دعوة الجهاد فلباها مليك بالمكرمات خليق
ملك عادل اناربه الدين فعم الاسلام منه الشروق
ما له عن جهاده الكفر والعدل وفعل الخيرات شغل يعوق
هو مثل الحسام صد وصقيل لين مسه وحد دليق
ذو اناة تخالها الغر اهمالا وفيها حتف الاعادي المحيق
فاسلما للاسلام تحفظان طرد نوب الظلام برق خفوق

وكتب اليه ايضا

قل لابن منقذ الذي حاز في الفضل الكمالا — فلذاك قد اضحى جميع الانام على مكارمه عيالا
كم قد بعثنا نحوك الاشعار مسرعة عجالا — وصددت عنها حين رامت من محاسنك الوصالا
هلا بذلت لنا مقالا حين لم تبذل فعالا — مع اننا نوليك صبرا في المودة واحتمالا
وبنبتك الاخبار ان قد اصبحت فصارا وطوالا — سارت سرايانا تقصد الشام تعتسف الرمالا
ترجي الى الاعداء جرد الخيل اتباعا توالا — تمضي خفافا للمغار بها وتاتينا ثقالا
حتى لقد رام الاعادي عن ديارهم ارتحالا — وعلى الوعيرة معشر لم يعهدوا بينها القتالا
لما اتاك عمن يحف بها يمينا او شمالا — نهضت اليها خيلنا من مصر تحمل الرجالا
والبيض لامعه وبيض الهند والاسل النهالا — فغدت كان لم تعهدوا في ارضها حلا حلالا
هذا وفي نيل البحال ملان بالقتل التلالا — اذ مر سري ليس يلوي نحو رفقته اشتغالا
واسناق عسكرنا له اهلا بحيهم ومالا — وسرية ابن فرنج الطاي طال بها وصالا
سارت الى الارض الخليل فلم تدع فيها حلالا — فلو ان نور الدين يحمل فعلنا فيهم مثالا
وبتبير الاجناد جهرا كي ينازلهم نزالا — ووفى لاهل دولة بما قد كان قالا
لرايت للافرنج طرا في معاقلها اعتقالا — وتجهزوا للسير نحو الغرب اوقصدوا الشمالا
واذا ابي الا اطراحا للنصيحة واعتزالا — عنا بتسليم الامور لحكم خالقنا تعالى

فاجابه ابن منقذ بقصيدة منها

يا اشرف الوزرا اخلاقا واكرمهم فعالا — نبهت عبدا طالما بنهته قدرا وحالا

وعتبته فانلته فخرًا ومجدًا لن ينالا | لكن ذاك العتب يشعل في جوانحه اشتعالا
اسفًا لجهله عنه الى مسانه وسالا | اما السرايا حين ترجع بعد خفتها ثقالا
فلذاك عاد وفود بابك مثقلين ثنا ومالا | ومسيرها في كل ارض تبتغي فيها المجالا
فكذاك فضلك مثل عدلك في الدنيا سار الجلالا | فاسلم لنا حتى نرى للخلق في بني الدنيا مثالا
واشدد يديك بنور الدين والزم به الرحالا | فهو الحامي عن بلاد الشام جمعًا ان يذالا
وميد لملاك الفرنج وجمعهم حالا فحالا | ملك يتيه الدهر والدنيا به وله اختيالا
جمع اطلال الصالحات فلم يدع منها خلالا | فاذا بدا للناظرين رات عيونهم الكمالا
فبقيتما للمسلمين رحمًا وللدنيا جمالا | وكتب اليه الصالح من قصيده تقدم

ذكرها في الزلازل ⊙ ولعمري ان الناصح في الدين على الله اجره محسوب
جهاد العدو بالفعل والقول على مسلم مكتوب
ولك الرتبه العليه في الامرين مذ كنت اذ تشب الحروب
انت فيها الشجاع ما لك في الطعن ولا في الضرب يومًا ضريب
واذا ما حرصت فالشاعر المفلق فيما يقوله والخطيب
واذا ما اشرت فالحزم لا ينكر ان الذي يريه منك مصيب
لك راي يقظان ان ضعف الراي على حامل الصليب صليب
فانهض الان مسرعًا فبامثالك ما زال يدرك المطلوب
الف منا رساله عند نور الدين ما في الفاظها ما يريب
قل له دام ملكه وعليه من لباس الاقبال برد قشيب
ايها العادل الذي هو للدين شباب وللحروب شبيب
والذي لم يزل قديمًا عن الاسلام بالعزم منه يجلى الكروب
وعدا منه للفرنج اذا لاقوه يوم من الزمان عصيب
ان يوم ترف حقدهم فلا شطان قناه وفي كل قلب قليب
غيرنا من يقول ما ليس يمضيه بفعل وغيرك المكذوب

قد كتبنا اليك ما وضح الان بماذا عن الكتاب نجيب
قصدنا ان يكون منا ومنكم اجل في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضاق باد ناهم الفضا الرحيب
وعلينا ان نستهل على الشام مكان الغيوث مال مصيب

اوتراها مثل العروس تراها كله من دم العدا مخضوب
لطنين السيوف في فلق الصبح على اهلها هام تطير
ولجمع الحشود من كل حصن سلب مهمل لهم ونهوب
وبحول الاله ذاك ومن غالب ربي فانه مغلوب

وكتب اليه ايضا

ايها السائر المجد الى الشام بادي ركابه والخيول
خذ على بلده بها دار مجد الدين لا ربع ربعها الماهول
وتعرف اخباره واقر منا سلامًا فيه العتاب يجول
قل له انت نعم ذخر الصديق اليوم لكنك الصديق الملول
ما ظننا بان حالك في القرب ولا البعد بالملال يحول
لا كتاب ولا جواب ولا قول به لليقين منا حصول
غير انا نواصل الكتب اذ قصر منك البر الكريم الوصول
ذاكرين الفتح الذي فتح الله علينا فالفضل منه جميل
جانا بعد ما ذكرناه في كتب اتاكم بهن منا رسول
ان بعض الاسطول نال من الافرنج ما لا ينال له التاميل
سار في قله وما زال بالله وصدق النيات ينمي القليل
وبقايا الاسطول ليس له بعد الى جانب الشام وصول
نحوى من عكا وانطرسوس على لم يحط بها التحصيل
جمع دبوبيه بهم كانت الافرنج تسطوا على الورى وتصول
قيد في وسطهم مقدمهم يهدى الينا وجيده مغلول
بعد مثوى جماعه هلكوا بالسيف منها العزيز والمفلول
هذه نعمه الاله وتعديد ايادي الاله شي يطول
ابلغن قولنا الى الملك العادل فهو المرجو والمامول

قل لهم كم تماطل الدين في الكفار فاحذر ان تعضب المطلوب ⊙ سر الى القدس واحسب ذاك نصرًا من الله فما السير منك بشي القليل
واذا ما ابطا مسيرك فالله اذا احسبنا ونعم الوكيل ⊙

فاجابه اسامه بقصيده منها

يا امير الجيوش يا اعدل الحكام في فعله وفيما يقول ⊙ انت حليت بالمكارم اهل العصر حتى تعرف المجهول
وصيمت الفرنج بالغزو شطرين فهذا عان وهذا قتيل ⊙ بالغ العبد في النيابه والتحريض وهو المفوه المقبول
فراى من عزيمه الغزو ما كادت له الارض والجبال تميل ⊙ واذا عاقت المقادير فالله اذا حسبنا ونعم الوكيل

وكتب الصالح اليه جوابا قصيدته الطائيه التي اولها

هي البدر لكن الثريا لها قرط ومن انجم الجوزا في نحرها سمط
ذخرنا سطاها للفرنج لانها بصمر دون اهل الارض اجدان تسطو
وقد كاتبوا في الصلح لكن جوابهم بحضرتنا ما تنبت الخط لا الخط
سطور خيول لا تعب دبارهم لها بالمواضي والقنا الشكل والنقط
اذا ارسلت فرعا من النقع فاحما اثيثا فاسنان الرماح لها مشط
زردنا به ابن العفش عنا وانما نثبته في شرحه الشد والربط
فقولوا لنور الدين ليس يخايف الجراحات الا الكي في الطب والبط
وحسم اصول الداء اولى بعاقل لبيب اذا استولى على المدنف الخلط

قال العماد في كتاب الخريده الصالح ابو الغارات طلايع بن رزيك سلطان مصر في زمان الفايز واول زمان العاضد ملك مصر واستولى على امر صاحب القصر ونفق في زمانه النظم والنثر وقرب الفضلا واتخذهم جلسا ورحل اليه ذوي الرجا وافاض على الداني والقاصي العطا وله قصايد كثيره مستحسنه نفذها الى الشام يذكر فيها قيامه بنصر الاسلام وما نصدق ان ذلك شعره لجودته واحكام مباني حكمته واتسام معاني بلاغته فيقال ان المهذب بن الزبير كان ينظم له وان الجليس بن الحباب كان يعينه وله ديوان كبير واحسان كثير ولما جلس في دست الوزاره نظم هذه الابيات بديهه

انظر الى الدار كم حل بساحتها وزير
ولكم تبختر امنا وسط الصفوف لها امير
ذهبوا فلا والله ما بقي الصغير ولا الكبير
ولمثل ما صاروا اليه من الفنا غدا نصير

فصل قال ابو يعلى وورد الخبر في خامس عشر ربيع الاول من ناحيه حلب بحدوث زلزله هايله روعت اهلها وازعجتهم وزعزعت مواضع من مساكنهم ثم سكنت بقدره محركها سبحانه وتعالى وفي ليله الخامس والعشرين من ربيع الاول وافت زلزله في دمشق روعت واقلقت ثم سكنت

وفي التاسع من ربيع الاخر برز نور الدين من دمشق الى الجسر الخشب في العسكر المنصور بالات الحرب لجهاد الكفره وقد كان اسد الدين قبل ذلك عند وصوله فيمن جمعه من فرسان التركمان اغار بهم على اعمال صيدا وما قرب منها فغنموا احسن غنيمه واوفرها وخرج اليهم من كان بها من خياله الفرنج ورجالتها وقد كمنوا لهم فغنموهم وقتل اكثرهم واسر الباقون وفيهم المقدم المتولي حصن حارم وعادوا سالمين بالاسرى ورووس القتلى والغنيمه ولم يصب منهم غير فارس واحد قال وفي اوايل شهر تموز الموافق لاول جمدى الاخره من السنه وافى في البقاع مطر هطال بحيث حدث منه سيل احمر كما جرت به العاده في نزول الشتا ووصل الى بردى ووصل الى دمشق وكثر التعجب من اثار قدره الله تعالى بحدوث مثل ذلك في هذا الوقت قال وفي الليله الثالثه والعشرين من رجب وافت زلزله عند تاذين الغداه ثم اخرى في الليله بعدها وقت صلاه الغداه وورد الخبر من العسكر المنصور بان الفرنج تجمعوا وزحفوا الى العسكر وان المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر والتقى الجمعان واتفق ان عسكر الاسلام حصل فيه فشل لبعض المقدمين فاندفعوا ونفروا بعد الاجتماع وبقي نور الدين ثابتا مكانه في عدد يسير من شجعان غلمانه وابطال خواصه في وجوه الفرنج واطلقوا فيهم السهام فقتلوا منهم ومن خيولهم العدد الكثير ثم ولوا منهزمين خوفا من كمين يظهر عليهم من عسكر الاسلام ونجا الله وله الحمد نور الدين من باسهم بمعونه الله تعالى وشده باسه وثبات جاشه ومشهور شجاعته وعاد الى مخيمه سالما في جماعته ولام من كان السبب في اندفاعه بين يدي الفرنج وتفرق جمع الفرنج الى اعمالهم وراسل ملكهم لنور الدين في طلب الصلح والمهادنه وحرص على ذلك وترددت بين الفريقين مراسلات ولم يستقر بينهما حال وعاد نور الدين الى دمشق سالما قلت وذكر ابو الفتح يحيى بن ابي الحسن بن يحيى الاشتري المعيد كان بالمدرسه النظاميه في سيره مختصره جمعها لنور الدين وقد تقدم شي منها رحمهما الله قال وبلغنا ان نور الدين خرج الى الجهاد في سنه ست وخمسين وخمس مايه فقضى الله بانهزام عسكر المسلمين وبقي الملك العادل مع شرذمه قليله وطايفه يسيره واقفا على تل يقال له تل جبيش وقد قرب عسكر الكفار بحيث اختلط رجاله المسلمين مع رجاله الكفار فوقف الملك العادل بحذايهم موليا وجهه الى القبله

الدعا حاضرًا بجميع قلبه مناجيًا ربه يقول يا رب العباد انا العبد الضعيف ملكتني هذه
الولايه واعطيتني هذه النيابه عمرت بلادك ونصحت عبادك وامرتهم بما امرتني به
ونهيتهم عما نهيتني عنه فرفعت المنكرات من بينهم واظهرت شعار دينك في بلادهم وقد
انهزم المسلمون وانا لا اقدر على دفع هولاء الكفار اعدا دينك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم
ولا املك الا نفسي هذه وقد سلمتها اليهم ذابًا عن دينك وناصرًا لنبيك فاستجاب الله تعالى دعاه
واوقع في قلوبهم الرعب وارسل عليهم الخذلان فوقفوا مواضعهم وما جسروا على الاقدام عليه
وظنوا ان الملك العادل عمل عليهم الحيله وان عسكر المسلمين في الكمين فان اقدموا عليه تخرج
عساكر المسلمين من الكمين فلا ينفلت منهم احد فوقفوا وما اقدموا عليه وقال ولولا ذلك
الهام من الله تعالى لكانوا اسروا المسلمين وما كان ينفلت واحد من المسلمين فوقف
عسكر الكفار وبرز اثنان منهم يجولان بين الصفين يطلبان البراز من المسلمين فامر الملك
العادل الخلخ الزاهد مولى الشهيد بالخروج اليهما فخرج وجال بينهما ساعه وحمل على واحد منهما
فقتله ثم جال ساعه وعمل حيله وخدعه ورجع الى قريب صف الكفار وحمل على الاخر فقتله
ورجع الى الصف قال وحدثنا الشيخ داود المقدسي خادم قبر شعيب على نبينا
وعليه السلام قال كان اعطاني ملك القدس بغله كنت راكبًا يعني في ذلك اليوم واقفًا مع
الملك العادل فلما وصل الكفار وقربوا منا شمت بغلتي رايحه خيل الكفار فصهلت
تطلب خيلهم فسمعوا صهيل بغلتي فقالوا هذا داود راكب على البغله مع نور الدين واقف ولولا
الحيله والكمين من المسلمين لما وقفوا مع هذه الشرذمه القليله والطايفه اليسيره فتحقق ذلك
في قلوبهم فوقفوا وما جسروا على الاقدام عليه قال فترجل كل من كان مع الملك العادل وتشفعوا
اليه وباسوا الارض بين يديه وقالوا ايها الملك انت بجميع المسلمين في هذا الاقليم وفي هذا
الموضع فان جرى والعياذ بالله وهن وضعف من استيلا الكفار على المسلمين من الذي يقدر
على تداركه قال وحلف هذا الشيخ داود انهم اخذوا بعنان فرسه كرهًا ورحلوا من ذلك
الموضع وما كان في عزم الملك العادل ان يرحل من ذلك الموضع فلما عرف الكفار ذلك وانه ما
كان عليهم حيله ولا كمين ندموا على ذلك ندامة عظيمه قال وكان قبل هذه الوقعه بسنه

كسر الملك العادل الكفار وقتل منهم مقتله عظيمة واسر منهم خلقًا كثيرًا على ما حكى عن
صلاح الدين صاحب حمص انه قال قد جاز التركمان علينا فحصل في اجريابه الف اسير مع التركمان
هذا ما جاز على بلد حمص وحده وكان قد انفلت ملك القدس ودخل الى قليعه فلما جن عليه
الليل خرج من القلعه ومضى

فصل

قال ابو يعلى وفي رجب تجمع قوم من السفها
العوام وعزموا على التحريض لنور الدين على ابطال ما شاع به اهل دمشق من رسوم دار البطيخ
وعرصه البقل والانهار وضمانهم من اعنات شرار الضمان وحواله الاجناد وكدروا بالسخف
عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشره الف دينار بيض وكتبوا ابدالها حتى اجيبوا الى ما
راموا واسرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدمين والاعيان والرعايا فما اهتدوا الى
صواب ولا نجح لهم قصد في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تالموا واكثروا
الضجيج والاستغاثه الى نور الدين فصرف همته الى النظر في هذا الامر فلحجب له السعاده وايثار
العدل في الرعيه الاعاده الى ما كان عليه فامر في عاشر رمضان باعاده الرسوم المعاده الى
ما كانت عليه من اماناتها وتعفيه اثر ضمانها واضاف الى ذلك تبرعًا من نفسه ابطال ضمان
الهريسه والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرا على كافه الناس بابطال هذه الرسوم جميعها
وتعفيه لمحاسنه قال وفي الحادي والعشرين من رمضان وصل الحاجب محمود
المسترشدي من ناحيه مصر بجواب ما تحمله من المراسلات من الملك الصالح متولي امرها
ومعه رسول من مقدمي امرايها ومعه المال المنفذ برسم الخزانه النوريه وانواع الثياب المصريه
والجياد العربيه وكانت فرقه من الفرنج خذلهم الله قد ضربوا لهم في المعابر فاظفر الله بهم
فلم يفلت منهم الا القليل النزر ثم تلا ذلك ورود الخبر من العسكر المصري بظفره بحمله
وافره من الفرنج تناهز اربعمايه فارس وتزيد على ذلك في ناحيه العريش من الجفار بحيث استولى
عليهم القتل والاسر والسلب قال وقد كانت الاخبار تناصرت من ناحيه القسطنطينيه
في ذي الحجه ببروز ملك الروم منها في العدد الكثير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلاميه ووصوله الى
مروج الديباج وتخييمه فيها وبث سراياه للاغاره على اعمال انطاكيه وما والاها وان قومًا
من التركمان ظفروا بجماعه منهم هذا بعد ان افتتح من اعمال ابن لاون ملك الارمن عدة من حصونه ومعاقله

اعاده ماد

ولما عرف نور الدين هذا شرع في مكاتبة الولاة بالاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من الروم
وبعثهم على استعمال التيقظ والتاهب للجهاد فيهم والاستعداد للنكاية بمن يظهر منهم
قال ابن الاثير وفي سنة ثلاث وخمسين سار الملك محمد بن السلطان محمود فحصر
بغداد وبها الخليفة المقتفي لامر الله ومعه وزيره عون الدين بن هبيرة فكاتب اصحاب
الاطراف فتحركوا ووصل الخبر الى الملك محمد بان اخاه ملك شاه قصد همذان ودخلها
في عسكر كثير ونهبها واخذ نساء الامراء الذين معه واولادهم فاختلط العسكر وتفرقوا
وعاد محمد نحو همذان وخرج اهل بغداد فنهبوا اواخر العسكر المنقطعين وشعثوا دار
السلطان قلت وفي هذه السنة توفي ابو الوقت عبد الاول المحدث المنفرد بعلو رواية
كتاب الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله تعالى ○ **ثم دخلت**
سنة اربع وخمسين قال ابو يعلى في اول يوم منها وافت زلزلة عظيمة ضحى نهاره
وتلاها ثنتان دونها وكان قد عرض لنور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع
الارجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت الرعايا واعيان الاجناد
وضاقت صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه واشفاقا من سوء يصل اليه لا سيما مع
اخبار الروم والفرنج ولما احس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص اصحابه وقال لهم انني قد
عزمت على وصية اليكم بما وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطها عاملين اني
مشفق على الرعايا وكافة المسلمين ممن يكون بعدي من الولاة الجاهلين والظلمة الجائرين
وان اخي نصرة الدين اعرف من اخلاقه وسوء افعاله ما لا ارتضي معه بتوليته امرا من امور
المسلمين وقد وقع اختياري على اخي قطب الدين مودود متولي الموصل لما يرجع اليه من عقل
وسداد ودين وصحة اعتقاد فتحلفوا له وانفذ رسله الى اخيه باعلامه صورة الحال ليكون
لها مستعدا ثم تفضل الله تعالى بابلاله من المرض وتزايد القوة في النفس والحس وجلس للدخول
اليه والسلام عليه وكان الامير مجد الدين النايب في حلب قد بث في الطرقات من يحفظ
السالكين فيها فظفر المقيم في منبج برجل جمال من اهل دمشق ومعه كتب فانفذ بها الى مجد
الدين متولي حلب فلما وقف عليها امر بصلب متحملها وانفذها في الحال الى نور الدين فوجدها من

امين

امين الدين زين الحاج ابي القسم متولي ديوانه ومن عز الدين والي القلعة مملوكه ومن محمد
ابن جفري احد حجابه الى اخيه نصرة الدين امير اميران صاحب حران باعلامه بوقوع
الياس من اخيه ويحضونه على المبادرة والاسراع الى دمشق لتسلم اليه فلما عرف نور
الدين ذلك عرض الكتب على اربابها فاعترفوا بها فامر باعتقالهم وكان رابعهم سعد الدين عثمان
وكان قد خاف فهرب قبل ذلك بيومين وورد في الحال الكتاب صاحب قلعة جعبر
بخبر بقطع نصرة الدين الفراه مجدا الى دمشق فانهض اسد الدين في العسكر المنصور لرده
ومنعه من الوصول فاتصل به خبر عوده الى مقره عند معرفته بعافية اخيه فعاد اسد الدين
الى دمشق ووصلت رسل الملك العادل من ناحية الموصل بجواب ما تحملوه الى اخيه قطب
الدين وفارقوه وقد برز في عسكره متوجها الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتصل به
خبر عافيته فاقام بحيث هو وانفذ وزيره جمال الدين ابا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل
الى دمشق يوم السبت الثامن من صفر في احسن زي وابهى تجمل وخرج الى لقائه الخلق
الكثير قال وهذا الوزير قد الهمه الله تعالى من جميل الافعال وحميد الخلال وكرم النفس وانفاق
امواله في ابواب البر والصدقات والصلات ومستحسن الاثار في مدينة الرسول عليه
السلام ومكة ذات الحرم والبيت المعظم شرفه الله تعالى ما قد شاع ذكره وتضاعف عليه حمده
وشكره واجتمع مع نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى الى عوده
الى جهته بعد الاكرام له وتوفيته حقه من الاحترام واصحبه برسم قطب الدين اخيه
وخواصه من الملاطفة ما اقتضته الحال الحاضرة وتوجه معه الامير اسد الدين وقال
ابن ابي طي لما وصل الوزير جمال الدين الى حلب تلقاه موكب نور الدين وفيه وجوه الدولة
وكبراء المدينة وانزل في دار ابن الصوفي واكرم غاية الاكرام واعيد الى صاحبه شاكرا عن
نور الدين وسير معه الامير اسد الدين شيركوه رسولا الى قطب الدين بالشكر له والثناء عليه
وانفذت معه هدايا سنية فسار وعاد الى حلب مكرما فوجد نور الدين عازما على الخروج
الى دمشق فامر الناس بالتجهز لقتال الفرنج ثم انهض اسد الدين في قطعة من العسكر للاغارة
على بلد صيدا فسار وسار معه اخوه نجم الدين ايوب واولاده ولم يشعر الفرنج الا وهو قد غار في

بلد ضيدا وقتل واسر عالمًا عظيمًا وغنم غنيمه جليله وعاد فاجتمع بنور الدين على جسر
الخشب قلت ــــــ وهذا هو ما تقدم ذكره بعد المرضه الاولى وكان ابن الاطي
جعل المرضتين واحده بحلب وابو يعلى ذكر ان الاولى بحلب والثانيه بدمشق وهو اصح والله
اعلم **فصل** قال ابو يعلى وكان قد وصل من ملك الروم رسول من معسكره
ومعه هديه اتحف بها الملك العادل من ثواب دبياج وغير ذلك وجميل خطاب وفعال
وقوبل بمثل ذلك ـ وحكى عن ملك الفرنج خذله الله ان المصالحه بينه وبين ملك
الروم تقررت والمهادنه انعقدت والله رد باس كل واحد منهما الى نحره وبذيقه
عاقبه غدره ومكره قال ــــــ ووردت اخبار من ناحيه ملك الروم باعتزامه على
انطاكيه وقصد المعاقل الاسلاميه فبادر نور الدين بالتوجه الى البلاد الشاميه لايناس
اهلها من استيحاشهم من شر الروم والفرنج خذلهم الله تعالى فسار في العسكر صوب حمص
وحماه وشيزر قال ــــــ وفي ثالث ربيع الاول وافت زلزله هايله ماجت اربع موجات
وايقظت النيام وازعجت اليقظا وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه
قال ــــــ وفي تاسع جمدى الاول هبت ريح عاصف شديده اقامت يومها وليلتها
فاتلفت اكثر الثمار صيفيها وشتويها واقصفت بعض الاشجار ثم وافت اخر الليل زلزله هايله
ماجت موجتين ازعجت واقلقت قال وتجددت المهادنه الموكده لنور الدين مع ملك الروم
بعد تكرر المراسلات والاقتراحات في التقريرات واجيب ملك الروم الى ما التمسه
من اطلاق مقدمي الفرنج المقيمين في حبس نور الدين فانفذهم باسرهم وقابل ملك الروم هذا
الفضل بما يضاهيه من الاتحاف باثواب الدبياج الفاخره المختلفه الاجناس الوافره
العدد ومن الجوهر النفيس وخيمه من الدبياج لها قيمه وافره وما استحسن من الخيول
الجبليه عقيب ذلك في عساكره من منزله عايدًا الى بلاده مشكورًا محمودًا ولم يوذ احدًا
من المسلمين في العشر الاوسط من جمدى الاول فاطمانت القلوب بعد انزعاجها وقلقها ○
قال ــــــ وورد بعد ذلك الخبر بان نور الدين صنع لاخيه قطب الدين ولعسكره ولمن
ورد معه من المقدمين والولاه واصحابهم الواردين لجهاد الروم والفرنج سماطًا عظيمًا هايلًا

تناهى

تناهى فيه وفرق من الحصن العربيه والخيول والبغال العدد الكثير ومن الخلع
من انواع الدبياج المختلفه وغيره والسخوت الذهب الشي الكثير الزايد على الكثير
وكان يومًا مشهودًا في الحسن والتجمل واتفق ان جماعه من غربا التركمان وجدوا من الناس
غفله باشتغالهم بالسماط وانتهابه فغاروا على العرب من بني سامه وغيرهم فاستاقوا
مواشيهم فلما ورد الخبر بذلك انهض نور الدين في اثرهم فريقًا وافرًا من العسكر فادركوهم
ثم انهم استخلصوا منهم جميع ما اخذوه واعيد الى اربابه قال وتقرر الراي النوري على التوجه
الى مدينه حران لمنازلتها واستعادتها من يد اخيه نصره الدين حسبما راه في ذلك من الصلاح
فرحل في عسكره اول جمدى الاخره فلما نزل عليها واحاط بها وقعت المراسلات على ان
تقرر الحال على امان من بها وسلمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمدى الاخره
وقررت احوالها واحسن النظر في احوال اهلها وسلمها للامير زين الدين على سبيل الاقطاع
وفوض اليه تدبير امورها ثم دخلت سنه خمس وخمسين
قال ــــــ الرييس ابو يعلى في صفر توفي الامير مجاهد الدين بزان بن مامين احد مقدمي
امرا الاكراد وهو من ذوي الوجاهه في الدوله موصوف بالشجاعه والبساله والسماحه
مواظب على بث الصلات والصدقات في المساكين والضعفا والفقرا مع الزمان في
كل عصر ينقضي واوان جميل المحيا حسن البشر في اللقا وحمل من داره بباب الفراديس
الى الجامع للصلاه عليه ثم الى المدرسه المشهوره باسمه فدفن فيها في اليوم ولم يخل من
باك عليه ومؤبن له ومتاسف على فقده لجميل افعاله وحميد خلاله قلت ــــــ وله
اوقاف على ابواب البر منه المدرستان المنسوبتان اليه احديهما التي دفن فيها وهي
لزيق باب الفراديس الجديد والاخرى قباله باب دار سيف العربي في صفه مدرسه نور
الدين رحمه الله وله وقف على من يقرا السبع كل يوم بمقصوره الخضر بجامع دمشق
وغير ذلك وقد مدحه العرقله وغيره قال ــــــ ابو يعلى وفي مستهل صفر رفع
القاضي زكي الدين ابو الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي القرشي قاضي دمشق الى الملك
العادل نور الدين رقعه يساله فيها الاعفا من القضا والاستبدال به فاجاب سواله

وولي قضا دمشق القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وهو المشهور بالتقدم ووفور العلم
وصفا الفهم والمعرفه بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والنزاهه
وتجنب الهوى والظلم واستقام له الامر على ما يهواه ويوثره ويرضاه على ان القضا من بعض
ادواته واستقر ان يكون النايب عنه عند اشتغاله ولده قلت ــــــ ولكمال الدين
رحمه الله تعالى الصدقه الجاريه بعده على الفقرا كل جمعه واليه ينسب الشباك الكمالي
بجامع دمشق من الغرب وهو الذي حكمت فيه القضاه مده ويصلون فيه الجمعه في زماننا
والى هاهنا انتهى ما نقلناه من كتاب الرييس ابو يعلى التميمي فانه اخر كتابه وفي هذه السنه
توفي رحمه الله قال ــــــ ابن الاثير وفيها توفي امير المومنين المقتفي لامر الله بن المستظهر
بامر الله ومولده سنه تسع وثمانين واربع مايه وكانت خلافته اربعا وعشرين سنه وشهرين
وبويع ولده ابو المظفر يوسف ولقب بالمستنجد بالله فاقر ابن هبيره على وزارته قال ــــــ
وفيها حج زين الدين علي واحسن الى الناس في طريق مكه واكثر الصدقات فلما وصل بغداد
اكرمه المستنجد بالله فلما لبس الخلعه كانت طويله وكان قصيرا جدا فمد يده الى كمرانه واخرج ما
شد به وسطه وقصر الجبه فنظر المستنجد اليه واستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا
يكون الامير والجندي لا مثلكم قلت ــــــ وفيها توفي المستخلف بمصر الملقب بالفايز بن الظافر
ابن الحافظ وولي بعده ابن عمه العاضد بن يوسف بن الحافظ وهو اخر خلفا مصر ووصل من
الصالح بن رزيك كتاب الى ابن منقذ اسامه بذلك فكتب اليه ۝

هنايا بنعمى قل عن قدرها الشكر وصبرا لرزء لا يقوم به الصبر
مضى الفايز الطهر الامام وقام بالامامة فينا بعده العاضد الطهر
اماما هدى لله في نقل ذا الى كرامته وفي اقامه ذا سر
فعش ابدا واسلم لهم يا كفيلهم تدافع عنهم كل حادثه تعروا

ثم دخلت سنه ست وخمسين وخمسمايه قال ابن ابي
طي في هذه السنه حج اسد الدين من الشام وخرج في تجمل عظيم وشاره رايعه واستصحب معه من
الازواد والكسى اشيا عظيمه ويقال انه كان معه الف نفس يجري عليهم الطعام والشراب وحج

على

على كوجك المعروف بزين الدين من العراق وحج معهم اخو ضرغام وزير مصر فكان الموسم بهولا
الثلاثه كثير الخير واستغنى بسببهم اهل الحجاز وعاد اسد الدين سالما وخرج نور الدين الى
لقايه وكان يوم وروده يوما عظيما وقال ــــــ ايضا وفيها قتل الصالح بن رزيك بمصر
وكان سبب قتله ان عمة العاضد عملت على قتله وانفذت الاموال الى الامرا فبلغ ذلك الصالح
فاستعاد الاموال واحتاط على عمة العاضد قال وانما كرهته عمة العاضد لاستيلايه على
الامور والدوله وحفظه للاموال وقتل الصالح بسببها جماعه من الامرا ونكبهم وتمكن من
الدوله تمكنا حسنا ثم ان عمة العاضد عادت واحكمت الحيله عليه وبذلت لقوم من
السودان مالا جزيلا حتى اوقعوا به الفعل جلسوا له في بيت في دهليز القصر مختفين فيه
فلما كان يوم تاسع عشر رمضان ركب الى القصر ودخله وسلم على العاضد وخرج من عنده فخرج
عليه الجماعه ووقعت الصيحه فعثر الصالح باذياله فطعنه احدهم بالسيف في ظاهر رقبته
فقطع احد عمودي الرقبه وحمل الى باب القصر واصيب ولده رزيك في كتفه ولما حصل
الصالح في داره اوصى ولده رزيك ومات بعد ساعه من ذلك اليوم قال ــــــ العماد
وانكسفت شمس الفضايل ورخص سعر الشعر وانخفض علم العلم وضاق فضا الفضل وعمر زمان ابن
رزيك وملك صرف الدهر ذلك المليك فلم تزل مصر بعده منحوسه الحظ منحوسه الجد
منكوسه الرايه معكوسه الايه الى ان ملكها يوسفها الثاني وجعلها معان المعاني وانشر ديمها
وعطر نسيمها وتسلم قصرها والتزم حصرها قال ــــــ زين الدين الواعظ عمل فارس المسلمين
اخو الصالح دعوه في شعبان من السنه التي قتل فيها فعمل هذه الابيات وسلمها الي ۝

انست بكم دهرا فلما ظعنتم استقربت بقلبي وحشه التفرق
واعجب شي اني يوم بينكم بقيت وقلبي بين جنبي ما بقي
ارى البعد ما بيني وبين احبتي كبعد المدا ما بين غرب ومشرق
الا جد يا نفس وجدا وحسرة فهذا فراق بعده ليس نلتقي ۝ قال فلم يتق بعدها لم

اجتماع في مسره وقتل في شهر رمضان قلت ولعماره اليمني ولغيره مدايح في الصالح ومراث جليله
وقد اثنى عليه كثيرا في كتاب الوزرا المصريه وقال لم يكن مجلس انسه ينقطع الا بالمذاكره في

انواع العلوم الشرعيه والادبيه وفي مذاكره وقايع الحروب مع امرآء دولته قال وكان مرتاضا
قد شم اطراف المعارف وتميز عن اخلاق الملوك وكان شاعرا يحب الادب واهله يكرم جليسه
ويبسط انيسه ولكنه كان مفرط العصبيه في مذهب الاماميه وكان مرتاضا حصيفا
قد لقي في ولايته فقهآ السنه وسمع كلامهم قال ودخلت عليه قبل ان يموت بثلاث ليال
وفي يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعر عملهما في تلك الساعه ۞

نحن في غفله ونوم وللموت عيون يقظانه لا تنام
قد رحلنا الى الحمام سنينا ليت شعري متى يكون الحمام

قال ومن عجيب الاتفاق اني انشدت ابنه مجد الاسلام في دار سعيد السعدا ليله
السادس عشر من شهر رمضان او السابع عشر قصيده اولها

ابوك الذي تسطو الليالي بحده وانت يمين ان سطا وشمال
لرتبته العظمى وان طال عمره اليك مصير واجب ومآل
تخالسك اللحظ المصون ودونها حجاب شريف لا انقضى وحجال ۞

قال فانتقل الملك بعد ثلاث قال ومما رثيته به قولي ۞

افي اهل ذا النادي عليم اسايله فاني لما بي ذاهب اللب ذاهله
سمعت حديثا احسد الصم عنده ويذهل واعيه ويخرس قايله
فقد رابني من شاهد الحال انني ارى الدست مصونا وما فيه كافله
واني ارى فوق الوجوه كآبه تدل على ان الوجوه ثواكله
دعوني فما هذا بوقت بكايه سيأتيكم طل البكا ووابله
ولم لا نبكيه ونندب فقده واولادنا ايتامه وارامله
فيا ليت شعري بعد حسن فعاله وقد غاب عنا ما بنا الدهر فاعله
ايكرم مثوى ضيفكم وغريبكم فيمكث ام يطوى بين مراحله

وله من اخرى يرثيه ويذكر ولايه ابنه

طمع المرء في الحيوه غرور وطويل الامال فيها قصير

ولكم فيكم الفتى وانقضوب كفيصل عطا الفضل لا يعدله
فمن حكم ... على ... لا ... ادرى ... بستبسل
... الاجلال ... الاعلى ... عليكم
بالسير الاكرم ... على ... علينا

ان قبرا حللته لغني ان دهرا فارقته لفقير ۞ انطوى ذلك البساط وعهدي هو
بالعلم والندى معمور ۞ لا يظن الانام انك ميت لم يمت من ثناؤه منشور ۞ ان مضى كامل
فهذا كفيل او وزير يعقب فهذا وزير ۞ دوله صالحيه خلفتها دوله عادليه لا تجور ۞
ما سكونا كثر النوايب حتى قيل في الحال الكثير كم مجبور ۞ نصر الناصر العلي بالعوالي ونعم المولى
ونعم النصير ۞ وقال ايضا يرثيه ويذكر الظفر بقاتليه ويصف نقل تابوته
الى المشهد بالقرافه قصيده طويله منها ۞

قد كان اشرف من تمادى مدامعي اسفا فكيف وقد طمى التيار
عم الورى يوم الخميس وخصني خطب بانف الدهر منه صغار
ما اوحش الدنيا غداة فارقت فطيا رحا الدنيا عليه تدار
خرب ربوع المكرمات لواحد عمرت به الاجداث وهي قفار
نعش الجدود العاثرات مشيع عشيت برؤيه نعشه الابصار
نعشن بنوه بنات نعش لو غدت ونظامها اسفا عليه نثار
شخص الانام اليه تحت جنانه خفضت لرفعه قدره الاقدار
سار الامام امامها فعلمت ان قد شيعتها الخمسه الابرار
ومشى الملوك بها حفاة بعد ما حفت ملايكه بها اطهار
فكانها تابوت موسى اودعت في جانبيه سكينه ووقار
لكنه ماض غير بقيه الاسلام وهو الصالح المختار
اوطنته دار الوزاره ريثما بنيت لنقلته الكريمه دار
وتغاير الهرمان والحرمان في تابوته وعلى الكريم يغار
اثر مصر امنه بالشرف المنيف حسبت فرا منها له الامصار
وجعلتها امنا به ومثابه ترجوا مثابه قصدها الزوار
قد قلت ان تقلوه نقله ظاعن نزحت به دار وشط مزار
ما كان الا السيف جرد غمده بسواه وهو الصادم البتار

والدين فارق جده منه الابر بحابه يتشعشع الانوار ۞ والعتب دون طلعه عمه اخي فتى بعطايه بلد ...
بامين سيل الابنا ارد دون ... ما ذا الذي ... لا الادرى الاستيار
غضب الاله علي ... لا يخفا الفدا ناقه صالح ... ووقار
... ولحمى ... الاحرار
واجعلنا ... ما كان ... الاخطار
... الاخطار

ولقد ثبت ثبات مقتدر على خلاتهم لو ساعد المقدارُ
وتعثرت اقدامهم بك هيبةً لو لم يكن لك بالذبول عثارُ
احللت دار كرامة لا تنقضي ابدا وحل بقاتليك بوارُ
ياليت عينك شاهدت احوالهم من بعدها ورات الى ما صاروا
وقع القصاص بهم وليسوا مقنعا برضى واين من السما غبارُ
ضاقت بهم سعة الفجاج وربما نام العدو ولا ينام الثارُ
وتوهموا ان القرامطة تنجي واين من القضا فرارُ
طاروا فمد ابو الشجاع لصيدهم شرك الردى فكانهم ما طاروا
فتهن بالاجر الجزيل وميتة درجت عليها قبلك الاخيارُ
مات الوصي بها وحمزة عمه وابن البتول وجعفر الطيارُ
نلت السعادة والشهادة والعلى حيا وميتا ان ذا لفخارُ
ولقد اقر العين بعدك اروع لولاه لم يك للعلى استقرارُ
الناصر الهادي الذي حسناته عن سيئات زماننا اعذارُ
ولما استقام لحفظ امة احمد عمرت به الاوطان والاوطارُ

ثم دخلت سنه سبع وخمسين وخمسمايه قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين العساكر وسار الى قلعه حارم وحصرها وجد في قتالها فامتنعت عليه لحصانتها وكثره من بها من فرسان الفرنج وشجعانهم واجتمع الفرنج من ساير البلاد وساروا نحوه ليرحلوه عنها فلما قاربوه طلب منهم المصاف فلم يجيبوه الى ذلك وراسلوه وتلطفوا الحال معه فعاد الى بلاده وممن كان معه في هذه الغزاه الامير مويد الدوله اسامه بن مرشد بن منقذ وكان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها فلما عاد الى حلب دخل الى مسجد شيزر وكان قد دخله في العام الماضي سايرا الى الحج فلما دخله عامئذ كتب على حايطه

لك الحمد يا مولاي كم لك منة علي وفضل لا يحيط به شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلا من الغزو موفور النصيب من الاجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذي مضى نحو بيت الله ذي الركن والحجر
فاديت مفروضي واسقطت ثقل ما تحملت من وزر الشبيبه عن ظهري

قلت ـــ اذكرني هذا ما كتبه اسامه ايضا بمدينه صور وقد دخل دار ابن ابي عقيل فراها وقد تهدمت وتغيرت زخرفها فكتب على لوح من رخام هذه الابيات

احذر من الدنيا ولا تغتر بالعمر القصير
وانظر الى اثار من صرعته منا بالغرور
عمروا وشادوا ما تراه من المنازل والقصور
وتحولوا من بعد سكناها الى سكنى القبور

قلت ـــ بنو ابي عقيل هذا هو ابو الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن ابي عقيل صاحب صور ويلقب عين الدوله مات سنه خمس وستين واربعمايه واستولى على صور ابنه النفيس والله اعلم ۝

ثم دخلت سنه ثمان وخمسين وخمسمايه

قال ابن الاثير فيها جمع نور الدين عساكره ودخل بلاد الفرنج فنزل بالبقيعه تحت حصن الاكراد وهو للفرنج عازما على دخول بلادهم ومنازله طرابلس فبينما الناس في بعض الايام في خيامهم في وسط النهار لم يرعهم الا ظهور صلبان الفرنج من ورا الجبل الذي عليه الحصن فكبسوهم فاراد المسلمون دفعهم فلم يطيقوا وانهزموا ووضع الفرنج السيف واكثروا القتل والاسر وقصدوا خيمه الملك العادل فخرج من ظهر خيمته عجلا بغير قبا فركب فرسا هناك للنوبه ولسرعته ركبه وفي رجليه شبحه فنزل انسان من الاكراد فقطعها فنجا نور الدين وقتل الكردي فنال نور الدين من مخلفي ذلك الكردي فاحسن اليهم جزا لفعله وكان اكثر القتل في السوقه والغلمان وسار نور الدين الى مدينه حمص فاقام بظاهرها واحضر منها ما فيها من الخيام ونصبها على بحيره قدس على فرسخ من حمص وبينها وبين مكان الوقعه اربعة فراسخ وكان الناس يظنون انه لا يقف دون حلب وكان رحمه الله اشجع من ذلك واقوى عزما ولما نزل على بحيره قدس اجتمع اليه كل من نجا من المعركه فقال له بعض اصحابه ليس من الراى ان تقيم هنا فان الفرنج ربما حملهم الطمع على المجي الينا ونحن على هذه الحال فوبخه واسكته وقال اذا كان معي الف فارس فلا ابالي بهم قلوا او كثروا ووالله لا استظل بجدار حتى اخذ بثار الاسلام وثاري ثم انه ارسل الى حلب ودمشق واحضر الاموال والدواب والاسلحه والخيام وساير ما يحتاج اليه الجند فاكثر وفرق ذلك جميعه على من سلم واما من قتل فانه اقر اقطاعه على اولاده فان لم يكن له ولد فعلى بعض اهله فعاد العسكر كانه لم يفقد منه احد واما الفرنج فكانهم كانوا عازمين على قصد حمص بعد الهزيمه لانها اقرب البلاد اليهم فلما بلغهم مقام نور الدين عندها قالوا انه لم يفعل هذا الا وعنده من القوه ان يمنعنا وكان نور الدين رحمه الله قد اكثر الخرج الى ان قسم في يوم واحد مايتي الف دينار سوى غيرها من الدواب والخيام والسلاح وغير ذلك وتقدم الى ديوانه ان يحضروا الجند ويسال كل واحد منهم عن الذي اخذ منه فكل من ذكر شيا اعطوه عوضه فحضر بعض الجند وادعى شيا كثيرا علم بعض النواب كذبه فيما ادعاه

لمعرفتهم بحاله فارسلوا الى نور الدين ينهون اليه القضيه ويستاذنونه في تحليف الجندي
على ما ادعاه فاعاد الجواب لا تكدروا اعطانا فاني ارجوا الثواب والاجر على قليله وكثيره
وقال له اصحابه ان لك في البلاد ادرارات كثيره وصلات عظيمه للفقها والفقرا والصوفيه
والقرا فلو استعنت بها الان لكان امثل فغضب من هذا وقال والله اني لا ارجوا بأوليك النصر
فانما ترزقون وتنصرون بضعفايكم كيف اقطع صلات قوم يقاتلون عني وانا نايم في فراشي بسهام
لا تخطي واصرفها الى من يقاتل عني اذا راني بسهام قد تخطي وتصيب ثم هولا القوم لهم نصيب في
بيت المال اصرفه اليهم كيف اعطيه غيرهم فسكتوا ثم ان الفرنج ارسلوا الى نور الدين في المهادنه
فلم يجبهم اليها فتركوا عند الحصن من يحميه وعادوا الى بلادهم وتفرقوا قلت وفي هذه
الحادثه تحت حصن [illegible]كراد يقول ابو الفرج عبيد الله بن سعد الموصلي نزيل حمص من جمله قصيده
فايقه يمدح بها نور الدين رحمه الله اولها ○

طبي [illegible] واطراف ال[illegible] بل ضوامن لك ما حازوه من نفل
وكافل لك كاف ما [illegible] وباس غير منتحل
وما يعيبك ما حازوه [illegible] بالختل قد توسر الاساد بالحيل
وانما اخلدوا جبنا الى الخدع اذ لم يكن لهم بالحيش من قبل
واستيقظوا واراد الله غفلتكم لينفذ القدر المحتوم في الازل
حتى اتوكم ولا الماذي من امم ولا الظبي كثب من مرهق عجل
فنا العنا وقنا غير موتر والخيل عازبه ترعى مع الهمل
ما يصنع الليث لا ناب ولا ظفر بما حواليه من عفر ومن وعل
هلا وقد ركب الاسد الصقور وقد سلوا الظبى تحت غابات من الاسل
وانما هم اضاعوا حزمهم ثقه بجمعهم ولكم من واثق خجل
بني الاصافر ما نلتم بمكركم والمكر في كل انسان اخو الفشل
وما رجعتم باسرى خاب سعيكم غير الاراذل والاتباع والسفل
نلتم الجرد معراه بلا لجم والسمر من كونه والبيض في الخلل

ملك بعيد من الادناس ذو كلف بالصدق في القول والاخلاص في العمل
فالشمس ما اصبحت والشمس ما افلت والسيف ما فل والاطواد لم تزل
كم قد تجلت بنور الدين من ظلم وانجاب للاضلال من ظلل
قل للمولين كفوا الطرف من جبن عند اللقا وغضوا الطرف من خجل
طلبتم السهل تبغون النجاه ولو لذتم بملككم لذتم بالجبل
اسلمتموه ووليتم فاسلمكم بثبته لو بغاها الطود لم ينل
فقام فردا وقد ولت جحافله فكان من نفسه في جحفل زجل
في مشهد لو ليوث الغيل تشهده خرت لاذقانها من شده الوهل
وسط العدي وحده ثبت الجنان وقد طارت قلوب على بعد من الوجل
يعود عنهم رويدا غير مكترث بهم وقد كر فيهم غير محتفل
يزداد قدما اليهم من تيقنه ان التاخر لا يحمي من الاجل
ما كان اقربهم من اسره بعدكم لو انهم لم يكونوا [illegible]
ثباته في صدور الخيل انقذكم لا تحسبوا ثبات النصر [illegible]
ما كل حين تصاب الاسد غافله ولا يصيب الشديد البطش ذو الشلل

قلت حاول ابن سعد في هذه القصيده ما حاوله المتنبي في قوله غيري باكثر هذا الناس
ينخدع القصيده فان كل واحد منهما اعتذر عن اصحابه ومدحهم وهم المنهزمون وقد احسنا معا
عفى الله عنهما وعبيد الله بن سعد هذا فقيه فاضل وشاعر مفلق كان مدرسا بحمص يعرف
بابن الدهان وله ترجمه في تاريخ دمشق وقد ذكره العماد الكاتب في خريدته فاحسن ذكره واكثر
الثنا على علمه وشعره وسياتي ذكره ايضا في هذا الكتاب في سنه اخبار سبعين وست
وسبعين وثمان وسبعين ان شا الله تعالى وفي هذه السنه اعني سنه ثمان وخمسين وخمسمايه
توفي عبد المومن بن علي خليفه المهدي محمد بن تومرت صاحب المغرب وولي بعده ابنه يوسف

ثم دخلت سنه تسع وخمسين وخمسمايه ففيها سار اسد الدين
شيركوه ابن شاذي الى مصر المره الاولى وهو من اكابر الامرا الذين في الخدمه النوريه عازما على

ملك الديار المصرية واستضافتها الى المملكة النورية وكان اسد الدين واخوه نجم الدين
ايوب وهو الاكبر ابنا شاذي من بلد دوين وهي بلدة من اخر بلاد اذربيجان مما يلي الروم
واصلهما من الاكراد الروادية وهذا القبيل هو اشرف الاكراد وقدما العراق وخدما مجاهد
الدين بهروز الخادم وهو شحنة العراق فراى من نجم الدين عقلا ورايا وحسن سيرة فجعله
دزدارا بتكريت وهي له فسارا اليها ومعه اخوه اسد الدين فلما انهزم اتابك زنكي والد نور
الدين بالعراق من قراجا الساقي وهو اتابك داود بن السلطان محمود وذلك زمن المسترشد
بالله سنة ست وعشرين وخمسمائة وصل الى تكريت فخدمه نجم الدين ايوب واقام له
السفن فعبر دجلة وتبعه اصحابه فاحسن نجم الدين صحبتهم وسيرهم ثم ان اسد الدين قتل
انسانا نصرانيا بتكريت لملاحاة جرت بينهما فارسل مجاهد الدين اليه والى اخيه نجم
الدين فاخرجهما من تكريت وقيل ان ايوب كان يحسن الرماية فرمى شخصا من مماليك بهروز
بسهم فقتله فخشي على نفسه فتوجه نحو الشام وخدم مع زنكي وقيل لما قتل اسد الدين شيركوه
النصراني وكان عزيزا عند بهروز هرب الى الموصل والتحق ايوب به وسنوضح هذه القضية
ان شاء الله تعالى عند ذكر وفاة ايوب في اخبار سنة ثمان وستين ثم ان ايوب وشيركوه قصدا
اتابك الشهيد فاحسن اليهما وعرف لهما خدمتهما واقطعهما اقطاعا حسنا وصارا من جملة
جنده فلما فتح حصن بعلبك جعل نجم الدين دزدارا فيه فلما قتل الشهيد حصر عسكر دمشق
نجم الدين فارسل الى سيف الدين غازي وقد قام بالملك بعد والده ينهي الحال اليه فلم يتفرغ
لبعلبك وضاق الامر على من بها وخاف نجم الدين ان يؤخذ عنوة وينال له اذى فارسل في
تسليم القلعة وطلب اقطاعا ذكره فاجيب الى ذلك وحلف له صاحب دمشق عليه وتسلم
القلعة ووفا له بما حلف عليه من الاقطاع والتقدم وصار عنده من اكابر الامرا واتصل
اخوه اسد الدين شيركوه بالخدمة النورية بعد قتل الشهيد وكان يخدمه في ايام والده فقربه
نور الدين واقطعه وراى منه في حروبه ومشاهده اثارا يعجز عنها غيره لشجاعته وجراته
فزاده اقطاعا وقربا حتى صارت له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم عسكره فلما
تعلقت الهمة النورية بملك دمشق امر اسد الدين فراسل اخاه نجم الدين وهو بها في ذلك

فطلب منه المساعدة على فتحها فاجاب الى ما يراد منه وطلب هو واسد الدين من نور الدين
كثيرا من الاقطاع والاملاك ببلد دمشق وغيرها فبذل لهما ما طلباه وحلف لهما عليه
ووفى لهما لما ملكها وصارا عنده في اعلا المنازل لا سيما نجم الدين فان جميع الامرا كانوا لا
يقعدون عند نور الدين الا ان يامرهم او احدهم بذلك الا نجم الدين فانه كان اذا دخل اليه
قعد من غير ان يؤمر بذلك فلما كانت سنة تسع وخمسين عزم نور الدين على ارسال العساكر
الى مصر ولم ير لهذا الامر الكبير اقوم ولا اشجع من اسد الدين فسيره وكان سبب ذلك ان
شاور بن مجير ابا شجاع السعدي وهو الملقب امير الجيوش الذي يقول فيه عمارة من قصيدة

ضجر الحديد من الحديد وشاور في نصر آل محمد لم يضجر
حلف الزمان لياتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

وهو وزير الملقب بالعاضد لدين الله اخر المستخلفين بمصر كان قد وصل الى دمشق في سنة
ثمان وخمسين سادس ربيع الاول الى نور الدين مستنجدا به على من اخذ منه منصبه قهرا
وكانت عادة المصريين انه اذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز صاحب المنصب عن دفعه
وعرفوا عجزه وقعوا للقاهر منهم ورتبوه ومكنوه فان قوتهم انما كانت تكون بعسكر وزيرهم
وهو الملقب عندهم بالسلطان وما كانوا يرون المكاشفة واغراضهم مستتبة وقواعدهم
مستقرة من اول زمانهم على هذا المثال وكان شاور قد غلب على الوزارة وانتزعها من بني رزيك
وقتل العادل بن الصالح بن رزيك الذي وزر بعد ابيه واسمه رزيك ويلقب بالناصر ايضا
وهو الذي استحضر القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي من الاسكندرية واستخدمه بحضرته
وبين يديه في ديوان الجيش على ما ذكره عمارة اليمني في كتاب الوزراء المصرية وقال غرس منه
للدولة بل للملة شجرة مباركة متزايدة النما اصلها ثابت وفرعها في السما ثم خرج على شاور نايب
الباب وهو امير يقال له ضرغام بن سوار ويلقب بالمنصور فجمع له جموعا كثيرة لم يكن له بها
قبل فغلبه واخرجه من القاهرة وقتل ولده طيا واستولى على الوزارة فرحل شاور الى الشام قاصدا
خدمة نور الدين مستصرخا به ومستنصرا فاحسن لقاه واكرم مثواه فطلب منه ارسال
العساكر الى مصر ليعود اليها ويكون له فيها حصة ذكرها له ويتصرف على امره ونهيه واختياره

ونور الدين يقدم في ذلك رجلا ويوخر اخرى تارة تحمله رعايه قصد شاور وطلب الزيادة
في الملك والتقوي على الفرنج وتارة يمنعه خطر الطريق وكون الفرنج فيه الا ان يوغلوا
في البر فيتعرضوا لخطر اخر مع الخوف من الفرنج ايضا ثم استخار الله تعالى وامر اسد
الدين بالتجهز للمسير معه قضاً لحق الوافد المستصرخ وجسًّا للبلاد وتطلعا على احوالها
وكان هوى اسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعه وقوة النفس ما لا يبالي بمخافه فتجهز
وسار مع شاور في جمدى الاخره من سنه تسع وخمسين هكذا ذكر ابن الاثير والعماد الكاتب
وقال القاضي ابن شداد كان ذلك سنه ثمان وخمسين والقول في ذلك قولهما
فقد بينا ان قدوم شاور الى الشام كان في سنه ثمان وخمسين وارسال نور الدين العسكر
كان في جمدى سنه تسع وخمسين قالوا وامر نور الدين اسد الدين باعاده شاور الى منصبه
والانتقام ممن نازعه في الوزاره وساروا جميعا وسار معهم نور الدين الى اطراف بلاد
الاسلام مما يلي الفرنج بعساكره ليشغلهم عن التعرض لاسد الدين فكان قصارى الفرنج
حفظ بلادهم من نور الدين ووصل اسد الدين سالما الى مصر هو ومن معه فهرب المنازع
لشاور في الوزاره وقتل وطيف براسه وعاد شاور وزيرا وتمكن من منصبه وكان
عماره قد مدح ضرغاما بقصيده منها ۞

واحق من وزر الخلافه من نشا في حضره الاكرام والاجلال
واختص بالخلفا وانكشفت له اسرارها بقراين الاحوال
وتصرف الوزرا عن افعاله (اراءه) كتصرف الاسما بالافعال ۞ قال عماره ولما جازوا
براسه على الخليج وكنت اسكن صف الخليج بالقاهره قلت ارتجالا ۞

ارى حنك الوزاره صار سيفا يجذ بحده صيد الرقاب
كانك رايد البلوى والابشير بالمنيه والمصاب ۞ ولعماره اليمني من قصيده
مدح بها شاور وذكر وزارته ۞

نصرت في الاولى بضرب زلزل الاقدام وهي شديده الاقدام
ونصرت في الاخرى بضرب صادق اضحى يطير به غراب الهام

ادركت ثارا وارتجعت وزاره نزعا بسيفك من بني ضرغام ۞
وكان ضرغام اولا من اصحاب شاور واتباعه وقد اشار الى ذلك عماره في قوله من قصيده له
كانت وزارتك القديمه مشرعا صفوا ولكن كُدّرت غدرا انها
غصبت رجال ناجه وشربه من بعد ما سجلت له بنجابها
وله من قصيده اخرى في شاور

وزير نمته الوزاره اولا وثانيه عفوا بغير طلاب
فخانته في الاولى بطانه وده ورب حبيب في قميص حباب
وجاءته تبغي الصلح ثاني مره فلم يرض الا بعد ضرب رقاب
وهي من الحمل نص عماره على ذلك وقال قتل والله طي يوم الجمعه الثامن والعشرين من رمضان
وجاز راسه على رمح تحت الطيقان والنسا يولولن بالصراخ وكان فيهن واحده تحفظ
قولي في الصالح ۞ اتنسى وفي العينين صوره وجهه الكريم وعهد الانتقال قريب
فما زالت تكرره حتى رات راس ضرغام قال وادرك شاور ثاره في يوم الجمعه
الثامن والعشرين من جمدى الاخره فيكون بينهما تسعه اشهر قال وقلت في ذلك
ونزعت ملكك من رجال نازعوا فيه وكنت به احق وافعلا
جذبوا رداك غاصبين فلم تزل حتى كسوت القوم اردية الردى
وبردت قلبك من حراره حرقه امرت نسيم الليل الا يبردا
تاريخ هذا نلته في مثله يوما بيوم عبره لمن اهتدى
حملت به الايام تسعه اشهر حتى جعلن له جمدى مولدا

وله فيه ايضا

لله درك موتورا اقض به دست وسرج واجفان ومضطجع
ما غبت الا يسيرا ثم جئت لنا والناس مستدرك والملك مرتجع
قضيه لم ينل منها ابن ذي يزن الا بما نلت والاثار تتبع
قال ابن الاثير واقام اسد الدين بظاهر القاهره وغدر به شاور

وكان بين ضرغام وبين شاور [illegible]
[illegible] ضرغام العذاب منه [illegible]
[illegible] ما ذنب اليه تسعه
[illegible] اشهر

وعاد كان في ربيع [illegible] الدين [illegible] وارسل
الدين [illegible] العسكر [illegible] غام [illegible]
[illegible] الدين [illegible] طلب [illegible] كان
استنجد شاور [illegible] ارسل [illegible] به

فتسلموا مدينه بلبيس وحكم على البلاد الشرقيه فارسل شاور الى الفرنج يستمدهم
ويخوفهم من نور الدين ان ملك مصر وكان الفرنج قد ايقنوا بالهلاك ان ملكها نور
الدين فهم خايفون فلما ارسل شاور اليهم يستنجدهم ويطلب منهم ان يساعدوه على
اخراج اسد الدين من البلاد جاهم فرج لم يحتسبوه وساروا الى تلبيه دعوته والمبادره
الى نصرته وطمعوا في ملك ديار مصر وكان قد بذل لهم مالا على المسير اليه فتجهزوا
وساروا فلما بلغ نور الدين خبر تجهزهم للمسير سار بعساكره في اطراف بلاد مما يلي الفرنج
ليمتنعوا من المسير فلم يمتنعوا لعلمهم ان الخطر في مقامهم اذا ملك اسد الدين مصر
اشد من الخطر في مسيرهم فتركوا في بلادهم من يحفظها وسار ملك القدس في الباقين
الى مصر وكان قد وصل الى الساحل جمع كبير من الفرنج في البحر لزياره البيت المقدس فاستعان
بهم ملك الفرنج فاعانوه وسار بعضهم معه واقام بعض في البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج
مصر فارقها اسد الدين وقصد مدينه بلبيس واقام بها هو وعسكره وجعلها ظهرا يتحصن
به فاجتمعت العساكر المصريه والفرنجيه ونازلوا اسد الدين بمدينه بلبيس وحصروه بها
ثلثه اشهر وقد امتنع اسد الدين بها وسورها من طين قصير جدا وليس له خندق ولا فصيل
يحميها وهو يغاديهم القتال ويراوحهم فلم يبلغوا منه غرضا ولا نالوا منه شيا فبيناهم
كذلك اذ اتاهم الخبر بهزيمة الفرنج بحارم وملك نور الدين الحصن ومسيره الى بانياس
فحينيذ سقط في ايديهم وارادوا العود الى البلاد ليحفظوها ولعلهم يدركون بانياس
قبل اخذها فلم يدركوها الا وقد ملكها على ما سياتي بيانه ان شا الله تعالى وراسلوا اسد
الدين في الصلح والعود الى الشام ومفارقه مصر وتسليم ما بيده منها الى المصريين فاجابهم
الى ذلك لانه لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنج في الساحل قال ابن الاثير فحدثني من
راى اسد الدين حين خرج من بلبيس قال رايته وقد اخرج اصحابه بين يديه وبقي في اخرهم
وبيده لت من حديد يحمي ساقتهم والمسلمون والفرنج ينظرون قال فاتاه فرنجي من الفرنج الغربا
فقال له اما تخاف ان يغدر بك هولا المسلمون والفرنج قد احاطوا بك وباصحابك فلا
يبقى لك معهم بقيه فقال شيركوه يا ليتهم فعلوا حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت والله اضع

السيف فلا اقتل حتى اقتل رجالا وحينيذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد
ضعفوا وفني ابطالهم فيملك بلادهم ويفني من بقي منهم والله لو اطاعني هولا يعني
اصحابه لخرجت اليكم اول يوم لكنهم امتنعوا فصلب الفرنجي على وجهه وقال كنا
نعجب من فرنج هذه الديار ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والان فقد عذرناهم
ثم رجع عنه وسار شيركوه الى الشام وعاد سالما وقال العماد الكاتب وصل شاور الى نور الدين
ملتجيا فالفاه على عدوه معديا مشكيا وسير معه اسد الدين على قراعينه وامر بتبنه
وبغيه يدركها وخطه يملكها ومحجه واضحة في الملك يسلكها فمضى معه ونصره
واصفى له مشرعه واسترد له موضعه واظهره بعلوه واظفره بعدوه فلما باد خصمه
بدا وصمه وغدر بعهده واخلف في وعده وكان قد راسل الفرنج وهداهم في حرب الاسلام
فوصلوا فتحصن شيركوه ومن معه بمدينه بلبيس فحاصره شاور بجنود مصر والفرنج
ثلثه اشهر من مستهل رمضان الى ذي الحجه فبذلوا له قطيعه فانصرف عنهم وعاد الى الشام
وفي قلبه من شر شاور الاحن وكيف تمت بغدره تلك المحن قلت وقد اشار
الى ذلك عماره في قوله في مدح شاور وذكر الفرنج فقال

وانفذت من مصر عدوا بمثله فلله من ظفر فللت وناب
صدمت جموع الكفر والشام صدمه اقمت بها للقوم سوق ضراب
وقد جردت اجناد مصر عزايما مضاربها في الصخر غير نوابي
تولوا عن الافرنج فادح ثقلها ودارت رحاها منهم بهضاب
اقامت دروع الجند تسعين ليله ثيابا لهم ما بدلت بثياب
وهم بين مطروح هنالك وطارح وبين مصيب خصمه ومصاب

وقال القاضي
ابن شداد سار اسد الدين الى مصر واستصحب معه ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب
وجعله مقدم عسكره وصاحب رايه وكان لا يفصل امرا ولا يقرر حالا الا بمشورته ورايه
لما لاح له منه من اثار الاقبال والسعاده والفكره الصحيحه واقتران النصر بحركاته
وسكناته فساروا حتى وصلوا مصر وشاور معهم وكان لوصولهم الى مصر وقع عظيم

وخافه اهل مصر ونصر شاورًا على خصمه واعاده الى منصبه ومرتبته وقرر قواعده
وشاهد البلاد وعرف احوالها وعلم انها بلاد بغير رجال تمشى الامور فيها بمجرد الايهام
والمحال وكان ابتدا رحيله عنها متوجهًا الى الشام فى السابع من ذى الحجة فاقام بالشام
مدبرًا الامر مفكرًا فى كيفيه رجوعه الى البلاد المصريه محدثًا بذلك نفسه مقررًا
لقواعد ذلك مع نور الدين الى سنه اثنتين وستين قلت ولفعل شاور ما فعل مع
اسد الدين وصفه الشعرا بالغدر ووقعوا فيه قبل قتله وبعده على ما سنذكره وبقى متخوفا
من اسد الدين فقال عرقله الكلبى من جمله قصيده له

وهل هو يومًا شيركوه بجلق الى الصيد الا ارتاع فى مصر شاور
هو الملك المنصور والاسد الذى شذا ذكره فى الشرق والغرب ساير

وفيها فى ذى الحجه احترقت جيرون بعد رجوع اسد الدين الى دمشق فقال العرقله
يمدحه ويذكر ذلك جار صرف الردا على جيرون وسقى اهلها كوس المنون

اصبحت جنة وامست جحيمًا تتلظى بكل قلب حزين
كيف لا تذرف الدموع عليها وهى فى الشام نزهه للعيون
جنة حسنها الحصين لقد كان جمالا لكل حصن حصين
اى سيف سطا على دار سيف وزبون اتى بحرب زبون
خلت نيرانها وكل ظلام نار ليلى تلوح للمجنون
كم غنى اليمين امسى فقيرا وفقير امسى غنى اليمين
كل حين لها حريق جديد ليت شعري ما ذا لها بعد حين
كل هذا البلا عاقبة الفسق وشرب الخمور والتلحين

[illegible]

فصل فى فتح حارم قال العماد الكاتب وفى تلك السنه يعنى سنه تسع وخمسين
اغتنم نور الدين خلو الشام من الفرنج وقصدهم واجتمعوا على حارم فضرب معهم المصاف فرزقه
الله تعالى الانتقام منهم فاسرهم وقتلهم ووقع فى الاسار ابرنس انطاكيه وقومص طرابلس وابن
جوسلين ودوك الروم وذلك فى رمضان وقال فى الخريده كانت نوبه البقيعه نوبه عظيمه

على المسلمين واقلت نور الدين فى اقل من عسكره ثم كسر الفرنج بعد ثلثه اشهر على حارم
وقتل فى معركه واحده منهم عشرون الفا واسر من نجا واخذ القومص والابرنس والدوقس
وجميع ملوكهم وكان فتحا عظيما وفتحا مبينا قال ابن الاثير والسبب فى هذا الفتح
ان نور الدين لما عاد منهزمًا على ما سبق من غزوه ناحيه حصن الاكراد اقبل على الجد والاجتهاد
والاستعداد للجهاد والاخذ بثاره وغزو العدو فى عقر داره وليرتق ذلك الفتق ويمحو اسمه
الوهن ويعيد رونق الملك فراسل اخاه قطب الدين بالموصل وفخر الدين قرا ارسلان بالحصن
ونجم الدين البى بماردين وغيرهم من اصحاب الاطراف اما قطب الدين اتابك فانه جمع عساكره
وسار مجدًا وعلى مقدمه عسكره زين الدين نايبه واما فخر الدين قرا ارسلان فانه بلغنى عنه انه
قال له خواصه على اى شى عزمت فقال على القعود فان نور الدين قد تحشف من كثره الصوم
والصلاه فهو يلقى نفسه والناس معه فى المهالك وكلهم وافقه على ذلك فلما كان الغد امر بالنداء
فى العسكر بالتجهز للغزاه فقال له اوليك ما عدا مما بدا فارقناك بالامس على حال ونرى الان
ضدها فقال ان نور الدين قد سلك معى طريقًا ان لم انجده خرج اهل بلادى عن طاعتى واخرجوا
البلاد عن يدى فانه كاتب زهادها وعبادها والمنقطعين عن الدنيا يذكر لهم ما لقى المسلمون
من الفرنج وما نالهم من القتل والاسر والنهب ويستمد منهم الدعا ويطلب منهم ان يحثوا
المسلمين على الغزاه فقد قعد كل واحد من اوليك ومعه اتباعه واصحابه وهم يقرؤن كتب
نور الدين ويبكون ويلعنوني ويدعون على فلا بد من اجابة دعوته ثم تجهز ايضا وسار الى نور
الدين بنفسه واما نجم الدين البى فانه سير اعسكرا فلما اجتمعت العساكر سار نحو حارم فنزل
عليها وحصرها وبلغ الخبر الى من بقى من الفرنج بالساحل لم يسر الى مصر فحشدوا وجاؤا ومقدم
الفرنج البرنس صاحب انطاكيه والقمص صاحب طرابلس واعمالها وابن جوسلين وهو من مشاهير
الفرنج وابطالها والدوك وهو رييس الروم ومقدمها وجمعوا معهم من الراجل ما لا يقع عليه
الاحصا قد ملؤا الارض وحجبوا بقسطلهم السما فحرض نور الدين اصحابه وفرق نفايس الاموال على
شجعان الرجال فلما قاربه الفرنج رحل عن حارم الى ارتاح وهو الى لقايهم مرتاح وانما رحل طمعا ان
يتبعوه ويتمكن منهم اذا لقيهم فساروا حتى نزلوا على عم وهو على الحقيقه تصحيف القوم من الغم

ثم تيقنوا انه لا طاقة لهم بقتاله ولا قدرة لهم على نزاله فعادوا الى حارم وقد حرمتهم كل خير
وتبعهم نور الدين فلما تقاربوا اصطفوا للقتال وبدات الفرنج بالحملة على ميمنة المسلمين وبها
عسكر حلب فخر الدين فبددوا نظامهم وزلزلوا اقدامهم وولوا الادبار وتبعهم الفرنج
وكانت تلك الفرة من الميمنة عن اتفاق وراي دبروه ومكر بالعدو مكروه وهو ان يبعدوا
عن راجلهم فيميل عليهم من بقي من المسلمين ويضعوا فيهم السيوف ويرغموا منهم الانوف فاذا
عاد فرسانهم من اثر المنهزمين لم يلقوا راجلا يلجون اليه ويعود المنهزمون في اثارهم وتاخذهم
سيوف الله من بين ايديهم ومن خلفهم فكان الامر على ما دبروا فان الفرنج لما تبعوا المنهزمين
عطف زين الدين في عسكر الموصل على راجلهم فافناهم قتلا واسرا وعادت خيالتهم ولم
يمعنوا في الطلب خوفا على راجلهم من العطب فصادفوا راجلهم على الصعيد معفرين
وبدمائهم مضرجين فسقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا وخضعت رقابهم وذلوا فلما
رجعوا عطف المنهزمون اعنتهم وعادوا فبقي العدو في الوسط وقد احدق بهم المسلمون
من كل جانب فحينئذ حمي الوطيس وباشر الحرب المرؤوس والرئيس وقاتل الفرنج قتال من يرجوا
باقدامه النجاه وحاربوا حرب من ايس من الحيوة وانقضت العساكر الاسلامية عليهم انقضاض
الصقور على بغاث الطيور فمزقوهم بددا وجعلوهم قددا فالقى الفرنج بايديهم الى الاسار وعجزوا
عن الهزيمة والفرار واكثروا فيهم القتل وزادت عدة القتلى على عشرة الاف واما الاسرى فلم
يحصوا كثرة ويكفيك دليلا على كثرتهم ان ملوكهم اسروا وهم الذين من قبل ذكروا
وسار نور الدين بعد الكسرة الى حارم فملكها في الحادي والعشرين من شهر رمضان واشار اصحابه
عليه بالمسير الى انطاكية ليملكها لخلوها ممن يحميها ويدفع عنها فلم يفعل وقال اما المدينة
فامرها سهل واما القلعة التي لها فهي منيعة لا توخذ الا بعد طول حصار واذا ضيقنا عليهم ارسلوا
الى صاحب القسطنطينية وسلموها اليه ومجاورة بيمند احب الي من مجاورة ملك الروم وبث
سراياه في تلك الاعمال والولايات فنهبوا وسبوا واوغلوا في البلاد حتى بلغوا اللاذقية والسويدية
وغير ذلك وعادوا سالمين ثم ان نور الدين اطلق بيمند صاحب انطاكية بمال جزيل اخذه منه
واسرى كثيرين من المسلمين اطلقهم وقال الحافظ ابو القسم لكسر نور الدين الروم

والارمن

والارمن والفرنج على حارم وكان عدتهم ثلثين الفا قال ووقع بيمند في اسره في نوبة حارم
وباعه نفسه بمال عظيم انفقه في الجهاد قلت وبلغني ان نور الدين رحمه الله لما التقى
الجمعان او قبيله انفرد تحت تل حارم وسجد لربه عز وجل ومرغ وجهه وتضرع وقال يا رب هولا
عبيدك وهم اولياوك وهولا عبيدك وهم اعداوك فانصر اولياك على اعدائك ايش فضول محمود
في الوسط يشير الى انك يا رب ان نصرت المسلمين فدينك نصرت فلا تمنعهم النصر بسبب محمود
ان كان غير مستحق للنصر وبلغني انه قال اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا من هو محمود الكلب
حتى ينصر وجرى بسبب ذلك منام حسن نذكره في اخبار سنة خمس وستين عند نزول الفرنج
على دمياط بعد نزولهم عليها وهذا فتح عظيم ونصر عزيز انعم الله به على نور الدين والمسلمين مع ان
جيشه عامئذ كان منه طايفة كبيرة بمصر مع شيركوه كما سبق وهذا من عجيب ما وقع واتفق

فصل في ذكر وزير الموصل جمال الدين الجواد الممدح ووفاته في هذه السنة رحمه
الله وقد ذكره العماد الكاتب في مواضع من مصنفاته واثنى عليه ثنا عظيما حسنا فمما ذكره في
كتابه الموسوم بنصرة الفترة وعصرة الفطرة في اخبار الوزرا السلجوقية ان قال ذكر جمال الدين ابي
جعفر محمد بن علي بن ابي منصور كان والده من اصفهان يدعى الكامل علي وهو صاحب الوزير شمس الملك
ابن نظام الملك وكان ابوه ابو منصور فهادا في عهد السلطان ملكشاه بن الب ارسلان وابنه
الكامل اديب لبيب وزادت ايامه في السمو وايام ابنه في النمو حتى تنافس في استخدامه الملوك
والوزرا واستضيئت برايه في الحوادث الارآء وقد كان زوج بنتا له بعض اولاد اخوال العزيز
يعني عم العماد الكاتب قال فاشتمل لذلك العزيز رحمه الله على ولده جمال الدين ابي جعفر محمد وخرجه
في الادب ودرجه في الرتب فاول ما رتبه في ديوان العرض السلطاني المحمودي وغلب في تحليته
ذكر الابلج فنعته الاتراك بالابلج واستقام في نجابته على المنهج واتفق انه لما تولى زنكي بن
اق سنقر الشام تزوج بامراة الامير كندغدي وولدها خاص بك بن كندغدي من امرا الدولة وابنا
المملكة وهو يسير معها فرتبه العزيز لخاص بك وزيرا فسار في الصحبة وكان مقبل الوجاهة
مقبول الفكاهة شهي الهشاشة بهي البشاشة فتوفرت منى زنكي على منادمته وقصر صاحبه
ومشاه على مساهمته وعول عليه في اخر عمره في اشراف ديوانه وزاد المال وزان الحال بتمكينه

ومكانه فلم يظهر لجمال الدين في زمان زنكي جود ولا عرف له موجود فانه كان يقتنع باقواته
وترجيه اوقاته ويرفع جميع ما يحصل له الى خزانه زنكي استبقا لجاهه واستعلايه على اشباهه
فمكنه زنكي من اصحاب ديوانه فمنهم من استنصر باسايه ومنهم من انتفع باحسانه ولما
قتل زنكي صار للدوله الاتابكيه ملاذا وللبيت الاق سنقري معاذا واستوزره الامير غازي
ابن زنكي وازره على كوجك على وزارته وحلف له على مظاهرته ومظافرته وجرى بين جمال
الدين الوزير وبين زين الدين على كوجك وبين سيف الدين غازي التعاقد على التعاضد والتعاهد
على التساعد وتولى جمال الدين وزارة الموصل واستولى فعاش بنداه الجود وعشا الى ناديه
الوفود وعادت به الموصل قبله الاقبال وكعبه الامال فانارت مطالع سعوده وسارت
في الافاق صنايع جوده وعمر الحرمين الشريفين وشمل بالبر اهلهما وجمع بالامن شملهما واجرى بحر
السماح ونادى حي على الفلاح فصاحت بافضاله الفاظ الفصاح واتوا اليه من كل فج
عميق وقصد من كل بلد سحيق وقصده العظما ومدحه الشعرا وممن وفد اليه ابو الفوارس
سعد بن محمد الصفي المعروف بحيص بيص قال وانشدني لنفسه فيه قصيده اولها

بالصوارم والرماح الذبل نصرا ومن الجد تماما لم يخذل
لو شيتما ومشيته بمشيه جاد الزمان وبالعلى لم يبخل
فاقني فخارك يا مجاشع واعلمي اني لكم من همتي في جحفل
انا فارس اليومين يوم مقاله ووغى اصول بصارمي وبمقولي
ظلمت فضايلي المقاول مثل ما ظلمت جمال الدين ماوى العيل
ممدوح كي يحووا مناقب نفسه فطمت فسالت بالمدايح من علي
فاثبت ابذل ما استطعت ومن يرد نقل الخضم الى المزاده يجهل
شمس من الاحسان عم ضياوها بل ايه جات بحجه مرسل
يعطي الجزيل النايلي معروفه ويجود بالنعمى اذا لم يسال
وتزيل سوس الخطوب طلاقه فيكون ابسم ما يرى في المعضل
ثقلت به الاعناق من مين الندا فالهام مطرقه لذاك المثقل

ونفر عن محمد بن محمد محيي دريسي علمه والمنزل
معمار مرقده وحافظ دينه ومعين امته بجود مسبل
جعل المدينه مصر بعد اهلا نشوان يمرح بالنعيم المحصل
فكانما بالخصب من قرباته بلد على شط الفرات السلسل
فلو انه في عصره نزلت له في مدحه سور الكتاب المنزل
عبد لاخ في ضيفه ووداده لا يستحيل وسيد في المحفل
خرق نياط قميصه وذواده بعباب زخار وهضبه يذبل
جمال الدين بالجامع في جمعتين وتكلمت عنده مع الفقها في مسالتين ومما مدحته به قصيده
اولها ⊙ اظنهم وقد عزموا ارتحالا شواعنا جمالا لا جمالا
سروا والصبح مبيض الحواشي فلما حال عهد الوصل حالا
هم اعتادوا الملال فكيف ملوا وصالهم وما ملوا الملالا
احادي عيسهم بالله رفقا فان السير اودتها الكلالا
وعج نحو الاراك لها فاني اراه لاجتماع الشمل فالا
سقى صوب الحيا تلعات نجد وحيا بالحمى تلك التلالا
اخلايي وهل في الناس خل به اخلي من الاحزان بالا
لين لم اشف صدري من حسودي ولم اذق العدى داعضالا
فلا ادركت من ادنى مرادا ولا صادفت من حي منالا
ولا وجدت اليكم بي جمال ولا واليت مولانا الجمالا
هو المغني اذا ما المرا قوي هو المنجي اذا ما الخطب هالا
وقايله اتى الدنيا كثير سواه فقلت لا وابي العلا لا
اطلت على العلى كرما وفخرا كذاك من حوى حسنين طالا
وحزت المجد عن حسب وارث فيا صدر الورى حزت الكمالا
خصصت بكل منقبه وفضل تعالا من حباك به تعالا

وفيه يقول احمد بن منير من قصيده ٥

كسى الحرمين لبنيه عبد شمس وهاشم غرتي نسل الخليل

وللبلد الامين اجدّ امنا تكنف مثله جدث الرسول

عشيتم بأولاد الامر عمّا اتيح له من الاثر الجميل

وطار لها واشفقتم فشد اليدين على عرى المجد الاثيل

بيوت بالحجاز مقدسات رماها الدهر بالخطب الجليل

وكان اذا الهن يضاب صوبا لمن اواه من ولد البتول

مآثر باقيات يوم يحيى المقال ويحتثي طيب المقيل

وكم للموصل الحدبا مما تنيل يداه من ريف ونيل

برود الصفح ملتهب الحواشي مهيب البطش فراس الدخول

يلقاك وراحه راح يبل الجود مكف طاهر بل الانس والاشن

باسم العين اذا القصيد بمدحه بان الكهف عين القابل اللبس

اذا ما حكم ان يستطب عزيته وجال حيث مال العين والاذان

كاخذ الليث منه حين يغطش من ... الطاهر العن

ولابي المجد قسيم الحموي فيه من قصيده ٥

اغر تبصر منه الناس في رجل والليث في بشر والبدر في غصن

سما بهمته في المكرمات الى علياً يقصر عنها همة الزمن

قال ابن الاثير وفيها في شعبان من هذه السنه وهي سنه تسع وخمسين وخمسمايه

توفي الوزير جمال الدين محمد بن علي بن ابي منصور الاصفهاني كان قد خدم الشهيد فولاه نصيبين

فظهرت كفايته فاضاف اليه الرحبه فابان عن كفايه وعفه وكان من خواصه فجعله

مشرف مملكته كلها وحكمه تحكما لا مزيد عليه حتى كان وزير الشهيد والحاكم في بلاده

ضيا الدين ابن الكفرتوثي يحكي عن جمال الدين قال كان يبخل الي اتابك قبل وبخرج

بعده ولم يزل كذلك الى ان قتل الشهيد ثم وزر لولدي الشهيد سيف الدين ثم قطب

الدين وكان بينه وبين زين الدين علي كوجك عهود ومواثيق على المصافاه والاتفاق وكان

اصحاب زين الدين يكرهونه ويقعون فيه عند زين الدين فينهاهم وكانت الموصل في ايامه

محط الكل ملهوف ومامنا لكل خايف فسعى به الحساد الى قطب الدين حتى اوغروا

صدره عليه وقالوا له انه ياخذ اموالك فيتصدق بها فلم يمكنه ان يغير عليه شيا

بسبب

بسبب اتفاقه مع زين الدين فوضع على زين الدين من غيره عن مصافاته ومواخاته

فقبض عليه قطب الدين وحبسه بقلعه الموصل ثم ندم زين الدين على الموافقه على قبضه

لان خواص قطب الدين واصحابه كانوا يخافون جمال الدين فلما قبض تبسطوا في الامر والنهي

على خلاف غرض زين الدين فبقي جمال الدين في الحبس نحوا من سنه ثم مرض ومضى لسبيله

عظيم القدر والخطر كريم الود والصد عديم النظير في سعة نفس لم ير في كتب الاوليين

ان احدا من الوزرا اتسعت نفسه ومروته ولما اتسعت له نفس جمال الدين فلقد كان

عظيم الفتوه كامل المروه قال ابن الاثير حكى لي جماعه عن الشيخ ابي القسم الصوفي وهو

رجل من الصالحين كان يتولى خدمه جمال الدين في محبسه قال لم يزل الجمال مشغولا بامر اخرته

مدة حبسه وكان يقول كنت اخشى ان انقل من الدست الى القبر قال فلما مرض قال لي

بعض الايام يا ابا القسم اذا جا طاير ابيض الى الدار فعرفني فقلت في نفسي قد اختلط

الرجل فلما كان الغد اكثر السوال عن ذلك الطاير واذا طاير ابيض لم ير مثله قد سقط

فقلت له فيجا الطاير فاستبشر ثم قال جا الحق واقبل على الشهاده وذكر الله تعالى

وتوفي فلما طار ذلك الطاير قال فعلمت انه راى شيا في معناه ودفن بالموصل نحو سنه

وكان قد قال للشيخ ابي القسم ان بيني وبين اسد الدين شيركوه عهدا من مات منا قبل صاحبه

حمله الحي الى المدينه النبويه على ساكنها افضل الصلاه والسلام فدفنه بها في التربة التي عملها

فان انا مت فامض اليه وذكره فلما توفي سار الشيخ ابو القسم الى اسد الدين في هذا المعنى فاعطاه

مالا صالحا ليحمله به الى مكه والمدينه وامر ان يحج معه جماعه من الصوفيه ومن يقرا بين يديه

تابوته عند النزول والرحيل وقدوم مدينه تكون في الطريق وينادون في البلاد الصلاه

على فلان ففعلوا ذلك فكان يصلي عليه في كل مدينه خلق كثير فلما كان في الحله اجتمع

الناس للصلاه عليه فاذا شاب قد ارتفع على موضع عال ونادى باعلى صوته

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما سرى بره فوق الركاب ونايله

يمر على الوادي فتثني رماله عليه وبالنادي فتبكي اراملة

فلم ير باكيا اكثر من ذلك اليوم ثم وصلوا به الى مكه فطافوا به حول الكعبه وصلوا عليه

بالحرم وحملوه الى المدينة فصلوا عليه ايضا ودفنوه بالرباط الذي انشاه بها وبينه
وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم خمسة ذراعا قلت ـــ كذا قال ابن الاثير ولقد رايت عشر
المكان ولعله اراد الحايط الشرقي من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا نفس القبر الشريف
زاده الله شرفا وصلى على ساكنه ثم قال كان جمال الدين رحمه الله اسخا الناس واكثرهم عطا
وبذلا للمال رحيما بالناس متعطفا عليهم عادلا فيهم فمن اعماله الحسنه انه جدد بنا مسجد الخيف
بمنى وغرم عليه اموالا عظيمة وبنى الحجر بجانب الكعبه ورايت اسمه عليه ثم غير وبنى غير
سنه ست وسبعين وخمسميه وزخرف الكعبه بالذهب والنقره فكل ما فيهما من ذلك
فهو عمله الى سنه تسع وستمايه ولما اراد ذلك ارسل الى الامام المقتفي لامر الله هديه جليله
حتى اذن فيه وارسل الى امير مكه عيسى بن هاشم خلعا سنيه وهديه كثيره حتى مكنه
منه وعمر ايضا المسجد الذي على جبل عرفات وعمل الدرج التي يصعد فيها اليه وكان
الناس يلقون شده في صعودهم وعمل بعرفات مصانع للما واجرى الما اليها من نعمان في
طريق معموله تحت الجبل مبنيه بالكلس فغرم على ذلك مالا كثيرا وكان يعطي اهل
نعمان كل سنه مالا كثيرا ليتركوا الما يجري الى المصانع ايام مقام الحجاج بعرفات فكان
الناس يحصلون به راحة عظيمة قال ـــ ومن اعظم الاعمال التي عملها نفعا انه بنى
سورا على مدينه النبي صلى الله عليه وسلم فانه كانت بغير سور ينهبها الاعراب وكان
اهلها في ضنك وضر معهم رايت بالمدينه انسانا يصلي الجمعه فلما ترحم على جمال ودعا له فسالناه الدين سلم
عن سبب ذلك فقال يجب على كل من بالمدينه ان يدعوا له لانا كنا في ضر وضيق
ونكد عيش مع العرب لا يتركون لاحد منا ما يواريه ويشبع جوعته فبنى علينا سورا احتمينا
به ممن يريدنا بسو فاستغنينا فكيف لا ندعوا له قال وكان الخطيب بالمدينه يقول في
خطبته اللهم صن حريم من صان حرم نبيك بالسور محمد بن علي بن ابي منصور قال فلو لم يكن
له الا هذه المكرمه لكفاه فخرا فكيف وقد كانت صدقاته تجوب شرق الارض وغربها
وسمعت عن متولي ديوان صدقاته التي يخرجها على باب داره للفقرا سوى الادرارات
والتعهدات قال كان له كل يوم مايه دينار اميريه يتصدق بها على باب داره قال ومن

ابنيته

ابنيته العجيبه التي لم ير الناس مثلها الجسر الذي بناه على دجله عند جزيره ابن عمر بالحجر
المنحوت والحديد والرصاص والكلس الا انه لم يفرغ لانه قبض قبل فراغه وبنى ايضا جسرا
على نهر الاربار عند الجزيره ايضا وبنى الربط بالموصل وسنجار ونصيبين وغيرها وقصده
الناس من اقطار الارض ويكفيه ان صدر الدين الخجندي رييس اصحاب الشافعي رضي
الله عنه باصبهان وابن الكافي قاضي قضاه همذان قصداه فاخرج عليهما مالا جزيلا
وكذلك غيرهما من الصدور والعلما ومشايخ الصوفيه وصارت الموصل في ايامه مقصدا
وملجا وكان احب الاشيا اليه اخراج المال في الصدقات وكان يضيق على نفسه وبيته
ليتصدق حكى لي والدي قال كنت يوما عنده وقد احضر بين يديه قندز ليعمل على وبر
لبليسه بخمسه دنانير فقال هذا الثمن كثير اشتروا الى قندزا بدينارين وتصدقوا بثلثه
دنانير قال فراجعناه غير مره فلم يفعل قال ـــ وحكى لي من اثق اليه من العدول بالموصل
ان الاقوات تعذرت في بعض السنين بها وغلت الاسعار وكان بالموصل رجل من الصالحين
يقال له الشيخ عمر الملا فاحضر جمال الدين وسلم اليه مالا وقال له تخرج هذا على مستحقيه
وكلما فرغ ارسل الي لانفذ غيره فلم يمض الا اياما يسيره حتى فرغ ذلك المال لكثره المحتاجين
فانفذ له شيا اخر ففني ثم ارسل ثانيا يطلب يخرجه فقال جمال الدين للرسول والله ما عندي
شي ولكن خذ هذه المحافر التي في داري فبيعوها وتصدقوا بثمنها الى ان ياتيني شي اخر فنرسله
الى الشيخ عمر فبيعت المحافر وتصدقوا بثمنها وعرفوه ذلك فلم يكن عنده ما يرسله الى الشيخ
فاعطاه ثيابه التي كان يلبسها مع العمامه التي كانت على راسه وارسل الجميع وقال للرسول
قل للشيخ لا يمتنع من الطلب فهذه ايام مواساه فلما وصلت الثياب الى الشيخ عمر بكا وباعها
وتصدق بثمنها قال ـــ وحكى لي بعض الصوفيه ممن كان يصحب الشيخ عمر النسابي
شيخ الشيوخ بالموصل قال احضرني الشيخ فقال لي انطلق الى مسجد الزبير وهو بظاهر الموصل
واقعد هناك فاذا اتاك شي فاحفظه الى ان احضر عندك ففعلت واذا قد اقبل جمع
من الحمالين يحملون احمالا من الصافي والخام واذا قد جا نايب جمال الدين مع الشيخ ومعهما قماش
كثير وثمانيه عشر الف دينار وعده كثيره من الجمال فقال لي ان خذ هذه الاحمال وتسير الى

الرجبه فتوصل هذه الرزمه وهذا الكتاب الى متوليها فلان فاذا احضر لك فلانا العربي
فتوصل اليه هذه الرزمه الاخرى وهذا الكتاب وتسير معه فاذا اوصلك الى فلان العربي
فتوصل اليه هذه الرزمه وهذا الكتاب وهكذا الى المدينه على ساكنها افضل الصلاة والسلام
ثم توصل الى وكيلي فلان هذه الاحمال وهذه الكسوات والمال الذي عليه اسم المدينه ليخرجها
بمقتضى هذه الجريده ثم ياخذ الباقي الذي عليه اسم مكه ويسير اليها فيتصدق به وكيلي بها
بمقتضى الجريدة الاخرى قال فسرنا كذلك الى وادي القرى فراينا به نحو مايه جمل تحمل الطعام
الى المدينه وقد منعهم خوف الطريق فلما راونا ساروا معنا اليها فوصلناها والحنطه بها كل
صاعين بدينار مصري والصاع خمسة عشر رطلا بالبغدادي فلما راوا المال والطعام اشتروا
كل سبعة اصع بدينار فانقلبت المدينه بالدعا له ثم سرنا الى مكه ففعلنا ما امرنا قال
وحكى لي والدي قال رايت جمال الدين وقد حضر عنده رجل فقيه قبل ان يصير وزيرا فطلب
منه شيا وتردد اليه عدة ايام ثم انقطع فسال عنه فقيل انه سافر فشق ذلك عليه ثم قال
هكذا تنصرف الاحرار عن دورنا الكلاب وردد ذلك غير مره ثم سال عنه فقيل انه سار
نحو ماردين فارسل اليه خلعه ونفقه الى ماردين قلت ـــ ولو رمت شرح مفردات اعماله
لاطلت واضجرت وهي ظاهره لا تحتاج الى بيان فلهذا تركنا اكثرها وقد ذكر الامير مويد
الدوله اسامه بن منقذ في كتاب الاعتبار قال اجتمعت بجمال الدين الموصلي سنه خمس وخمسين
وخمسمايه وانا متوجه الى الحج وكانت بيني وبينه موده قديمه وعشره ومؤانسه فعرض
علي الدخول الى داره في الموصل فامتنعت ونزلت بخيمتي على الشط فكان مده مقامي كل
يوم يركب يجوز على الجسر نحو نينوى والاتابك قد ركب الى الميدان وينفذ الي يقول الركوب فانا
واقف انتظرك فاركب فاسير انا وهو فنتحدث فوجدت يوما منه خلوه من اصحابي فقلت
له في نفسي شي يتردد من حيث اجتمعنا اشتهي ان اقوله لك وما يتفق لي خلوه وقد خلونا
الساعه قال قل قلت اقول كما قال الشريف الرضي ٥

مالي تمحك خفايا الود من احد ما لم يصبك بمكروه من العذل
مودتي لك تاباني تسامحني بان اراك على شي من الزلل

وقد

وقد بسطت يدك في انفاق المال في الصدقات ووجوه البر والمعروف والسلاطين
ما يحتملون اخراج المال ولا تصبر نفوسهم عليه ولو ان الانسان يخرجه من ميراثه وهذا
الذي اهلك البرامكه فانظر لنفسك كيف المخرج مما قد دخلت فيه فاطرق ساعه وقال
جزاك الله خيرا لكن الامر قد عبر عما تخافه ففارقته وسرت الى الحجاز وعدت من مكه
على طريق الشام ونكب جمال الدين ومات في الحبس قلت ـــ ولعلم الدين الحسن
ابن سعيد الشاتاني في هذا الوزير الجواد لما نكب ٥

ما حط قدرك من اوج العلى القدر كلا ولا غيرت افعالك الغير
انت الذي عم اهل الارض نايله ولم يبل شاوه في سودد بشر
سارت صفاتك في الافاق واضحت وصدق السمع عنها ما راى البصر
فاصبر لصرف زمان قد منيت به فاخر الصبر يا طود النهى الظفر
فما ترى احدا في الخلق يسلم من صروف دهر له في اهله غير
سعوا لفضلك سرا واستتب لهم ولو سعوا نحوه جهرا لما قدروا
لولا الاماني التي تحيي النفوس لها لمت من لوعة في القلب تستعر
واصدق الناس في حفظ العهود اذا ميزت بالفكر احوال الورى عمر

ومنها في ذكر الشيخ عمر الملا

الزاهد العابد البر التقي ومن يرونه ويقوى انه الخضر ٥ وقال العرقله
يرثي جمال الدين الوزير والصالح بن رزيك ٥

لا خير في الدنيا ولا اهلها بعد جمال الدين والصالح
بحران لولا دمع باكيهما ما كان ما البحر بالمالح ٥

قال ابن الاثير قال والدي
كنت ارى من الوزير جمال الدين في الايام الشهيد به من الكفايه والنظر في صغير الامور
وكبيرها والمحافظه فيهما ما يدل على تمكنه من الكفاه فلما وصل الامر الى الملك قطب الدين
مودود بن اتابك الشهيد وجمال الدين وزيره حينئذ وقد تمكن زين الدين علي بن بكتكين
في الدوله تمكنا عظيما وتقدم عند قطب الدين جماعه من اصحابه فكان جمال الدين مع

تمكنه وعلو محله يهمل بعض الامور قال فقلت له يوما اين تلك الكفايه التى كنا نراها
منك فى الايام الشهيديه ما ارى الان منها شيا فقال لى والان ما عندى كفايه فقلت
ما هذا العمل من ذلك بشى فقال انت صبى ليست الكفايه عباره عن فعل واحد فى كل زمان
انما الكفايه ان يسلك الانسان ما يناسبه ذلك الوقت كان لنا صاحب متمكن قوى العزم
لا يتجاسر احد على الاعتراض عليه ولا يتلون باقوال اصحابه فحفظناه فكان ما افعله هو الكفايه
واما الان فلنا سلطان غير متمكن وهو محكوم عليه فهذا الذى افعله هو الكفايه ٥

ثم دخلت سنه ستين وخمسمايه قال ابن الاثير فيها فتح نور
الدين قلعه بانياس من الفرنج وكان قد سار اليها بعد عوده من فتح حارم واذن لعسكر الموصل
وديار بكر بالعود الى بلادهم واظهر انه يريد طبريه فجعل من بقى من الفرنج همتهم حفظها
وتقويتها فسار نور الدين مجدا الى بانياس لعلمه بقله من فيها من الحماه المانعين عنها ونازلها
وضيق عليها وقاتلها وكان فى جمله عسكره اخوه نصره الدين امير اميران فاصابه سهم اذهب
احدى عينيه فلما راه نور الدين قال له لو كشف لك عن الاجر الذى اعد لك لتمنيت ان تذهب الاخرى
وجد فى حصارها وسمع الفرنج بذلك فجمعوا فلم تتكامل عدتهم حتى فتحها الله تعالى على ان الفرنج
كانوا قد ضعفوا بقتل رجالهم بحارم واسرهم فملك القلعه وملاها ذخاير وعده ورجالا عده
وعاد نور الدين الى دمشق وفى يده خاتم بفص ياقوت من احسن الجوهر فسقط من يده فى شعرا
بانياس وهى كثيره الاشجار ملتفه الاغصان فلما ابعد عن المكان الذى ضاع فيه الفص علم به
فاعاد بعض اصحابه فى طلبه ودلهم على مكانه وقال اظنه هناك ضاع فعادوا اليه فوجدوه
فقال بعض الشعرا الشاميين واظنه احمد بن منير من جمله قصيده يمدحه بها ويهنيه بهذه
الغزاه وعود الفص الياقوت ٥

ان يمتر الشكاك فيك فانك المهدى مطفى جمره الدجال
فلعوده الجبل الذى اظللته بالامس بين عناطل وجبال
مسترجعا لك بالسعاده ايه ردت مطال الفال غير مطال
لم يعطها الاسلمن وقد نلت الرضا بموشك الاعجال

[illegible]

قلت هذه الابيات لابن منير بلا شك ولكن فى غير هذه الغزاه فان ابن منير قد
سبق انه توفى سنه ثمان واربعين وفتح بانياس كان تراه فى سنه ستين وقد قرات فى ديوان
ابن منير وقال يمدحه يعنى نور الدين ويهنيه بالعود من غزاه وضياع فص ياقوت جبل
من يده لاشتغاله بالصيد شراه الف ومايه دينار وفى نسخه ووجدان خاتم ضاع منه فى
الصيد قيمته الف ومايه دينار وانشده اياها بقلعه حمص فذكر القصيده واولها
يوماك يوم ندى ويوم نزال يقول فيها

اخرست شقشقه الضلال وقدته قود الذلول الطاع بعد صيال
ورميت دار المشركين بصيلم الفحت فيها الحرب بعد حيال
وسعرت بين تربهم وترابهم ذعرا يشيب نواصى الاطفال
فوق الخطيم وقد خطمت زعيمهم ضربا سوابقه بغير توالى
ضربا ملات فرنجه من حره رهبا به سيف الصقالب صالى
وبفتح حارم احرمت لقراعهم هيم احلن النوم غير حلال
عجموا على جسر الحديد حديدها نبعا يعاذمه ادبر دصال
زلزلت ارضهم بوقع صواعق اعطيتنا امنا من الزلزال
فى مازق شمرت ذيلك تحته والنصر فوقك مسبل الاذيال
فى دوله غرا محموديه سحبت ردا الحمد غير مذال
تنشى الفتوح بها الفتوح وتجتنى زهر المقال بناهر الافعال
لبست بنور الدين نور حدايق ثمر الهن غرايب الافضال
ملك تحجب فى السرير بزاره زرت حواشيها على دسال
تنجاب عن ذى لبدتين شذاته فى بردتى بدل من الابدال
رفع الرواق بروق انطاكيه فرمى الخليج بزهو البلبال
بلد لاربع عشر اقتنص السنا من خمس عشره سوره الاقبال
موز المال اخاضه ما الطلى وسواه يقعده احتيان المال

[illegible]

ومما يناسب هذه السعادة في وجدان الخاتم بعد وقوعه في مضنة الهلاك والضياع
ما بلغني ان موسى الهادي لما ولي الخلافة سال عن خاتم عظيم القيمة كان لابيه المهدي فبلغه
ان اخاه الرشيد اخذه فطلبه منه فامتنع فالح عليه فيه فخنق الرشيد ومر على جسر
بغداد فرماه في دجلة فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة اتى ذلك المكان بعينه ومعه
خاتم من رصاص فرماه ثم امر الغطاسين ان يلتمسوه ففعلوه فاستخرجوا الخاتم الاول
فعد ذلك من سعادة الرشيد وبقا ملكه قال ابن الاثير ولما فتح نور الدين حصن
بانياس كان ولد معين الدين انر الذي سلم بانياس الى الفرنج قايما على راسه فالتفت اليه وقال
له للناس بهذا الفتح فرحة واحدة ولك فرحتان فقال كيف ذلك قال لان الله تعالى
اليوم برد جلد والدك من جهنم وقد تقدم انه كان صانع بها عن دمشق لما نزل الفرنج
عليها وفيها توفي وزير بغداد عون الدين ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني
من بني ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن الحصن وكان عالما دينا مدبرا حنبلي المذهب وزر
للمقتفي ثم للمستنجد بعده وله عدة مصنفات منها الافصاح في شرح الاحاديث الصحاح
وكان يجمع في مجلسه افاضل الوقت من اعيان المذاهب الاربعة والنحاة وغيرهم ويجري بحضرتهم
فوايد كثيرة ثم توفي وهو ساجد في صلاة الصبح من يوم الاحد ثالث عشر جمادى الاول
سنة ستين وخمسمية ورويت له منامات حسنة وملحه جماعة من الفضلاء ومولده
في ربيع الاخر سنة سبع وتسعين واربع مايه بقريه من اعمال دجيل تعرف بالدور وهو الذي
محا رسوم سلاطين العجم من العراق واجلاهم عن خطتها بحسن تدبيره ومن كلامه لبعض من
كان يامر بالمعروف اجتهد ان تستر العصاة فان ظهور معاصيهم عيب في الاسلام
واولى الامور ستر العيوب ○ ثم دخلت سنه احدى وستين
وخمسميه فيها توفي فتح الدين ابن اسد الدين شيركوه اخو ناصر الدين وقبر بالمقبرة النجمية
الجانب قبر ابن عمه شاهنشاه بن ايوب في قبة فيها اربع قبور هما الاوسطان منها وفي
هذين الاخوين ناصر الدين وفتح الدين يقول العرقلة حسان
لله شبلا اسد خادر ما فيهما جبن ولا شح
ما اقبلا الا وقال الورى قد جا نصر الله والفتح
وفيها سار نور الدين ايضا الى حصن المنيطرة وهو للفرنج ولم يحشد له ولا جمع عساكر
انما سار اليه على غرة من الفرنج وعلم انه ان جمع العساكر حذروا وجمعوا فانتهز الفرصة
وسار الى المنيطرة وحصرها وجد في قتالها واخذها عنوة وقهرا وقتل من بها وسبى
وغنم غنيمة كثيرة لامن من به فاخذهم خذلهم الله بغتة وهم لا يشعرون ولم يقدر الفرنج
على ان يجتمعوا للدفعة الا وقد ملكه ولو علموا انه جريدة لاسرعوا وانما ظنوا ان نور الدين
في جمع كثير فلما ملكه تفرقوا وايسوا منه هذا قول ابن الاثير وذكر القاضي ابن شداد
ان ذلك كان في سنه اثنتين وستين كما سياتي والله اعلم وفيها توفي الجليس ابن
الحباب بمصر قال العماد في الخريدة القاضي الجليس ابو المعالي عبد العزيز بن الحسين
ابن الحباب الاغلبي السعدي التميمي جليس صاحب مصر فضله مشهور وشعره ماثور وكان
اوحد عصره في مصر نظما ونثرا وترسلا وشعرا ومات بها في سنه احدى وستين وقد اناف
على السبعين انشدني له الامير نجم الدين بن مصال من قصيدة يقول
ومن عجب ان السيوف لديهم تحيض دما والسيوف ذكور
واعجب من ذا انها في اكفهم تاجج نارا والاكف بحور
قال وانشدني له الشريف ادريس الادريسي قصيدة سيرها الى الصالح بن رزيك
قبل وزارته يحرضه على ادراك ثار الظافر وكان عباس وزيرهم قتله وقتل اخويه يوسف
وجبريل يقول فيها
اصادهم قولا وغيبا ومشهدا يحوهم على عمد بفعل اعادي
فاين بنو رزيك عنها ونصرهم وما لهم من منعة وذياد
فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقاد
فمزق جموع المارقين فانها بقايا زروع اذنت بحصاد
ولما انثنى البربري بجهله الى فتكه ما ذا مها قط رايم
ركبت اليه متن عزمتك التي باسالها تلقى الخطوب العظايم

[illegible]

اعلت اليهم ملكهم بعدما لوى به غاصب حق الامامه ظالم
وانفذ اليه في المعني يقول

اعدت الى جسم الوزاره روحها وما كان يرجى بعثها ونشورها
اقامت زمانًا عند غيرك طامثًا فهذا الاوان قروها وظهورها
من العدل ان يحتابها مستحقها ويخلعها مردودة مستعيرها
اذا ملك الحسنا من ليس كفوها اشار عليه بالطلاق مشيرها

وله يشكو طبيبًا

واصل بليتي من قد غزاني من السقم الملح بعسكرين
طبيب طبه كغراب بين يفرق بين عافيتي وبيني
اتى الحمى وقد شاخت وباخت فردّ لها الشباب بنسختين
ودبرها بتدبير لطيف حكاه عن سنان او حنين
وكانت نوبة في كل يوم فصيرها بحذق نوبتين

الخليفه ببغداد فخر الدوله ابا نصر محمد بن محمد بن جهير ويهنيه بعوده الى الوزاره اولها

لجاجه قلب ما يفيق غرورها وحاجة نفس ليس تقضى يسيرها
وقفنا صفوفًا في الديار كانها صحايف ملقاه ونحن سطورها
يقول خليلي والظبا سوانح اهذي التي تهوى فقلت نظيرها
وقد قلتما لي ليس في الارض جنه اما هذه فوق الركايب حورها
اراك الحمى قل لي بأي وسيلة وصلت الى ان صادفتك ثغورها
ومالي بها علم فهل انت عالم أافواهها اولى بها ام نحورها
على رسلكم في الهجر انا عصابه اذا ظفرت في الحب عف ضميرها
فقل لليالي كيف شئت تقلبي ففي يد عبد الله امورها
اماني في نفس الوزاره بلغت به كنهها حتى استخفت نذورها
لو ان وجهها عن كل طالب منعه الحاجب حل عليه سفورها

يا بن الاديان الرايه تمثل بها الحلابيس
وهي لعمرو لا تغز انقطاعها يعرانه
وهي قصيده يمدح بها وزير

انا مثل الاقوام دون عين ... تنادي بفقده طليقها
انا مثل البيت ... ويحكيه ... اليل الاوس
طيورها

ثم دخلت

سنه اثنتين وستين وخمسمايه ففيها عاد
اسد الدين الى مصر تاسع ربيع الاخر وقد كان بعد رجوعه من مصر لا يزال يحدث نفسه
بقصدها ومعاودتها حريصًا على الدخول اليها يتحدث به مع كل من شق اليه وكان مما
يهيجه على العود زياده حقده على شاور وما عمل معه فلما كان هذه السنه تجهز وسار
اليها وسير نور الدين معه جماعة من الامرا وابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب
وفي ذلك يقول العرقله

اقول والاتراك قد ازمعت مصر الى حرب الاعاريب
رب كما ملكتها يوسف الصديق من اولاد يعقوب
يملكها في عصرنا يوسف الصادق من اولاد ايوب
من لم يزل ضراب هام العدى حقًا وضراب العراقيب

خ ملكها

ثم ان اسد الدين جد في السير على البر وترك بلاد الفرنج عن يمينه فوصل الى الديار المصريه
وقصد اطفيح وعبر النيل عندها الى الجانب الغربي ونزل بالجيزه مقابل مصر وتصرف
في البلاد الغربيه واقام بها نيفًا وخمسين يومًا وكان شاور لما بلغه مجي اسد الدين قد ارسل
الفرنج يستغيث بهم ويستنصرهم فاتوه على الصعب والذلول فنار بحثهم طمعهم
في ملك مصر على الجد والتشمير وتارة يحدوهم خوفهم من ان يملكها العسكر النوري
على الاسراع في المسير فالرجا يقودهم والخوف يسوقهم فلما وصلوا الى مصر عبروا الى الجانب
الغربي وكان اسد الدين والعسكر النوري قد ساروا الى الصعيد فبلغوا مكانًا يعرف
بالبابين وسارت العساكر المصريه والفرنج من وراهم فادركوهم به في الخامس والعشرين
من جمدى الاولى وكان قد ارسل اليهم جواسيس فعادوا واخبروه بكثره عددهم
وعددهم وجدهم في طلبه فعزم على قتالهم ولقايهم وان يحكم السيوف بينه وبينهم الا انه
خاف من اصحابه ان تضعف نفوسهم عن الثبات في هذا المقام الخطير الذي عطبهم فيه
اقرب من السلامه لقله عددهم وبعدهم عن بلادهم فاستشارهم فكلهم اشار عليه بعبور النيل
الى الجانب الشرقي والعود الى الشام وقالوا له ان نحن انهزمنا وهو الذي لا شك فيه فالى اين

نلتجي ومن نحتمي وكل من في هذه الديار من جندي وعامي وفلاح عدو لنا ويودون لو شربوا
دمانا وحق لعسكر عدتهم الفا فارس قد بعدوا عن ديارهم وقل ناصرهم ان يرتاع من لقا
عشرات الوف مع ان كل اهل البلاد عدو لهم فلما قالوا ذلك قام انسان من المماليك
النوريه يقال له شرف الدين بزغش وكان من الشجاعه بالمكان المشهور وقال من يخاف
القتل والجراح والاسر فلا يخدم الملوك بل يكون فلاحا او مع النسا في بيته والله لين عدتم
الى الملك العادل من غير غلبه وبلا تعذرون فيه ليأخذن اقطاعاتكم وليعودن عليكم بجميع
ما اخذتموه الى يومنا هذا ويقول لكم اناتاخذون اموال المسلمين وتفرون عن عدوهم وتسلمون
مثل هذه الديار المصريه يتصرف فيها الكفار فقال اسد الدين هذا راي وبه اعمل
ووافقهما صلاح الدين يوسف بن ايوب ثم كثر الموافقون لهم على القتال فاجتمعت الكلمة
على اللقا فاقام بمكانه حتى ادركه المصريون والفرنج وهو على تعبيه وقد جعل الاثقال
في القلب يتكثر بها ولانه لم يمكنه ان يتركها بمكان اخر فينهبها اهل البلاد ثم انه جعل
صلاح الدين ابن اخيه في القلب وقال له ولمن معه ان الفرنج والمصريين يظنون انني في القلب
فهم يجعلون حملتهم بازايه وحملتهم عليه فاذا حملوا عليكم فلا تصدقوهم القتال ولا
تهلكوا نفوسكم واندفعوا بين ايديهم فاذا عادوا عنكم فارجعوا في اعقابهم واختار من
شجعان اصحابه جمعا يثق اليهم ويعرف صبرهم وشجاعتهم ووقف بهم في الميمنه فلما تقابل
الطايفتان فعل الفرنج ما ذكره اسد الدين وحملوا على القلب ظنا منهم انه فيه فقاتلهم
من به قتالا يسيرا ثم انهزموا بين ايديهم فتبعوهم فحينيذ حمل اسد الدين فيمن معه على من
تخلف عن الفرنج الذين حملوا على القلب من المسلمين فهزموهم ووضع السيف فيهم فاثخن
واكثر القتل والاسر وانهزم الباقون فلما عاد الفرنج من اثر المنهزمين الذين كانوا في القلب
راوا مكان المعركه من اصحابهم بلقعا ليس بها منهم ديار فانهزموا ايضا وكان هذا من
اعجب ما يورخ ان الفي فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل ثم سار اسد الدين الى ثغر
الاسكندريه وجبى ما في طريقها من القرايا والسواد من الاموال ووصل الى الاسكندريه
فتسلمها من غير قتال سلمها اليه اهلها فاستناب بها صلاح الدين ابن اخيه وعاد الى

الصعيد وتملكه وجبى امواله واقام بها حتى صام رمضان واما المصريون والفرنج
فانهم عادوا الى القاهره وجمعوا اصحابهم واقاموا عوض من قتل منهم واستكثروا واحتشدوا
وساروا الى الاسكندريه وبها صلاح الدين في عسكر يمنعها منهم وقد اعانهم اهلها
خوفا من الفرنج فاشتد الحصار وقل الطعام بالبلد فصبر اهله على ذلك ثم ان اسد الدين
سار من الصعيد نحوهم وكان شاور قد افسد بعض من معه من التركمان ووصله رسول
المصريين والفرنج يطلبون الصلح وبذلوا له خمسين الف دينار سوى ما اخذه من البلاد فاجابهم
الى ذلك وشرط ان الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون منها قريه واحده وان الاسكندريه
تعاد الى المصريين فاجابوا الى ذلك واصطلحوا وعاد الى الشام فوصل دمشق ثامن عشر ذي
القعده وتسلم المصريون الاسكندريه في النصف من شوال واما الفرنج فانهم استقر
بينهم وبين المصريين ان يكون لهم بالقاهره شحنه ويكون ابوابها بيد فرسانهم ليمتنع الملك
العادل من انفاذ عسكر اليهم ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنه مايه الف دينار هذا
كله يجري بين الفرنج وشاور واما العاضد صاحب مصر فليس اليه من الامر شي ولا يعلم
بشي من ذلك فقد حكم عليه شاور وحجبه وعاد الفرنج الى بلادهم وتركوا جماعه من فرسانهم
ومشاهيرهم واعيانهم بمصر والقاهره على القاعده المذكوره ثم ان الكامل شجاع بن شاور
راسل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارمي وهو من اكابر امرا الملك العادل وهو
خال صلاح الدين يوسف ينهي محبته وولاه ويساله ان يامره باصلاح الحال وجمع الكلمه
بمصر على طاعته ويجمع كلمه الاسلام وبذل مالا يحمله كل سنه فاجابه الى ذلك وحملوا الى
نور الدين مالا جزيلا فبقي الامر على ذلك الى ان قصد الفرنج مصر ليتملكها فكان ما نذكره
ان شا الله تعالى في اخبار سنه اربع وستين قال القاضي ابو المحاسن ذكر عود اسد
الدين الى مصر في المره الثانيه وهي المعروفه بوقعه البابين لم يزل اسد الدين يتحدث
بذلك بين الناس حتى بلغ شاور ذلك وداخله الخوف على البلاد من الاتراك وعلم ان اسد
الدين قد طمع في البلاد وانه لا بد له من قصدها فكاتب الفرنج وقرر معهم انهم يجيون الى البلاد
ويمكنونه فيها تمكينا كليا ويعينونه على استيصال اعاديه بحيث يستقر قدمه فيها

وبلغ ذلك نور الدين واسد الدين فاشتد خوفهما على البلاد ان يملكها الكفار
فيستولون على البلاد كلها فتجهز اسد الدين وانفذ معه نور الدين العسكر والزم صلاح
الدين رحمه الله بالمسير معه على كراهة منه لذلك وذلك في ايثار ربيع الاول وكان
وصولهم الى البلاد المصرية مقارنا لوصول الفرنج اليها واتفق شاور مع الفرنج على اسد
الدين والمصريون باسرهم وجرى بينهم حروب كثيرة ووقعات شديدة وانفصل الفرنج
عن الديار المصرية وانفصل اسد الدين وكان سبب عود الفرنج ان نور الدين قدس الله روحه
جرد العساكر الى بلاد الفرنج واخذ المنيطرة وعلم الفرنج ذلك فخافوا على بلادهم وعادوا
وكان سبب عود اسد الدين ضعف عسكره بسبب مواقعة الفرنج والمصريين ولما عاينوه
من الشدايد وعاينوه من الاهوال وما عاد حتى صالح الفرنج على ان ينصرفوا كلهم عن مصر
وعاد الى الشام في بقية السنة وقد انضم الى قوة الطمع في البلاد شدة الخوف عليها من
الفرنج لعلمه بانهم قد كشفوها كما كشفها وعرفوها من الوجه الذي عرفها فاقام بالشام
على مضض وقلبه مقلقل والقضا يجره الى شي قد قدر لغيره وهو لا يشعر بذلك قال وفي اثنا
سنة اثنتين وستين ملك نور الدين قلعة المنيطرة بعد مسير اسد الدين في رجب وخرب
قلعة اللاف بالبرية وفي رمضان منها اجتمع نور الدين واخوه قطب الدين وزين الدين بحماه
للغزاه وساروا الى بلاد الفرنج فخربوا هونين في شوال منها وفي ذي القعدة منها كان عود
اسد الدين الى مصر وفيه مات قرا ارسلان بديار بكر

فصل

وفي شعبان
من هذه السنة قدم دمشق عماد الدين الكاتب ابو حامد محمد بن محمد الاصفهاني مصنف كتابي
الفتح والبرق فانزله قاضي القضاه كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله بن القسم ابن
الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية عند حمام القصير بباب الفرج المنسوبة الان
الى العماد وانما نسبت اليه لان نور الدين رحمه الله ولاه اياها في رجب سنة سبع وستين
بعد الشيخ الفقيه ابن عبدو كان العماد له معرفة بنجم الدين ايوب واسد الدين شيركوه ابني شاذي
من تكريت بسبب ان عمه العزيز احمد بن حامد اعتقله السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
بقلعة تكريت ونجم الدين ايوب اذ ذاك واليها فانتسجت المودة بينهم من هناك فلما
سمع

سمع الدين بوصوله بكر الى منزله لتبجيله وكان صلاح الدين وشيركوه حينئذ بمصر
فمدح العماد نجم الدين ايوب بقصيدة اولها

بوم النوى ليس من عمري بمحسوب ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان اتى كرها بما ليس بالمحبوب محبوبي
ارجوا ايادي الكم ظافرا عجلا فقد ظفرت بنجم الدين ايوب
موفق الراي ماضي العزم من نفع على الاعاجم مجدا والاعاريب
احبك الله اذ لا زمت خدمته على جبين بتاج الملك معصوب
اخوك وابنك صدقا منهما اعتصما بالله والنصر وعد غير مكذوب
هما همامان في يومي وغى وقرى تعودا ضرب هام او عراقيب
غدا بشبان في الكفار نار وغى يلفحها بصبح الشبان كالشيب
بملك مصر ونصر المومنين غدا تحظى النفوس بتانيس وتطييب
ويستقر بمصر يوسف وبه تقر بعد التناي عين يعقوب
ويلتقي يوسف فيها باخوته والله يجمعهم من غير تثريب

وكان انشاده هذه القصيدة في اخر شوال سنة اثنتين وستين وخمسمايه وتم ملكهم
مصر بعد سنتين قال فنظمت ما في الغيب تقديره قال وكان اسد الدين قد جمع وسار الى
مصر في الرمل في اوايل النصف من ربيع الاول ووصل في سادس ربيع الاخر الى اطفيح
وعبر منها الى الجانب الغربي واناخ بالجيزة محاذاه مصر فاقام عليها نيفا وخمسين يوما
واستعان شاور بالفرنج ودبروا لهم سوقا بالقاهرة وعبروا بهم من البلاد الشرقية الى الغربية
وعلم اسد الدين فسار امامهم فالتقوا بموضع يعرف بالبابين فكسرهم اسد الدين واصحابه
وقتلوا من الفرنج وممن تبعهم من المصريين الوفا وحصل منهم في الاسار سبعون فارسا من
بارونيتهم فلما تمت لهم هذه الكسرة رحلوا الى الاسكندرية فوجد واستاعده اهلها فدخلوها
ثم قال اسد الدين انا لا يمكنني ان احصر نفسي فاخذ العسكر وسار به الى بلاد الصعيد فاستولى
عليها وجبى خراجها واقام صلاح الدين بالاسكندرية فسار اليه شاور والفرنج فحاصروه

اربعة اشهر وصدق اهل الاسكندرية القتال مع صلاح الدين وقوي اسد الدين
بقوص واستنهض لقصد القوم العموم والخصوص فسمع الفرنج انه جا بقصدهم فرحلوا
عن الحصار وكان شاور قد استمال جماعه من التركمان الذين مع اسد الدين بالذهب فلما
راسلوه في المهادنه اجاب وطلب منهم عوض ما غرمه فبذلوا له خمسين الف دينار فخرجوا
من الاسكندريه في النصف من شوال ووصلوا الى دمشق ثامن عشر ذي القعده وعاد
الى الخدمه النوريه فاجتمع العماد باسد الدين وانشده هذه القصيده

بلغت بالجد ما لا يبلغ البشر ونلت ما عجزت عن نيله القدر
من يهتدي للتي انت اهتديت له ومن له مثل ما اثرته اثر
اسرت ام بسراك الارض قد طويت فانت اسكندر في السير ام خضر
اوردت خيلا باقصى الصين صادرة عن الفرات نقاضي وردها الصدر
تناقلت ذكرك الدنيا فليس لها الا حديثك ما بين الورى سمر
فانت من زانت الايام سيرته وزاد فوق الذي جات به السير
لو في زمان رسول الله كنت اتت في هذه السير المحموده السور
اصبحت بالعدل والاقدام منفردا فقل لنا اعلي انت ام عمر
اسكندر ذكروا اخبار حكمته ونحن فيك راينا كلما ذكروا
ورستم خبرونا عن شجاعته وصار فيك عيانا ذلك الخبر
الخبر ان ملوك الارض اذهلهم ما قد فعلت فكل فيك مفتكر
سهرت اذ رقدوا ابل هجت اذ سكنوا وصلت اذ جبنوا ابل طلت اذ
قصروا
يستعظمون الذي ادركته عجبا وذاك في جنب ما ترجوه محتقر
قضى القضا بما ترجوه عن كثب حتما ووافقك التوفيق والقدر
شكت خيولك ادمان السرى وشكت من فلها البيض بل من خطمها السمر
يسرت فتح بلاد كان ايسرها الغير زايك قفلا فتحه عسر

وسال بحر نجيع في مقام وغى به الحديد غمام والدم المطر
انهزت منهم دما بالصعيد جرى منها الى النيل في واديهم نهر
راوا النيل عبور النيل اذ عدموا انصارا فما عبروا حتى قد اعتبروا
تحت الصوارم هام المشركين كما تحت الصوالج يوما خفت الاكر
افنت سيوفك من لاقت فان تركت قوما فهم نفر من قبلها نفروا
لم ينج الا الذي عافته من خبث وحش الفلا وهو للمحذور منتظر
والساكنون القصور القاهرية قد نادى القصور عليهم انهم قهروا
وشاور شاورا في مكايدهم فكاده الكيد لما خانه الحذر
كانوا من الرعب موتى في جلودهم وحين امنتهم من خوفهم نشروا
وان من شيركوه الشرك منخزل والكفر منخذل والدين منتصر
عول على فية عند اللقا وفت وعد عن تركمان قبله غدروا
وكيف تخذل جيشا انت مالكه والقايدان له التاييد والظفر
اجاب فيك اله الخلق دعوة من يطيب بالليل من انفاسه السحر

وقال العماد اتصلت بيني وبين صلاح الدين يوسف
ابن اخيه موده تمت لي بها على الزمان عده ولم يزل يستهديني
نظمي ونثري ويشعرني انه يميل الى شعري فاول ما خدمته به
هذه الكلمه ٥

كيف قلتم بمقلتيه فتور واراها بلا فتور تجور
مستجير جودي واني منه بابن ايوب يوسف مستجير
فضله في يد الزمان سوار مثل ما رايه على الملك سور
كرم شايع وجود عميم وندى سابغ وفضل غزير
انت من لم يزل يحن اليه وهو في المهد سرجه والسرير
من دم الغادرين غادرت بالامس صعيد الصعيد وهو غدير

لم تبقوا سوى الاصاغر للسبى فود والوان الكبير صغير
وحميت الاسكندرية عنهم ورجا من بهم عليهم تدور
حاصروها وما الذي يان من ذلك عنها وحفظها محصور
كحصار الاحزاب طيبة قدمًا ونبي الهدى بها منصور
فاشكر الله حين ولاك نصرًا فهو نعم المولى ونعم النصير
وكم ارجف الاعادي فقلنا ما لما تذكرونه تاثير
ورمينا كالعيد عودك فاليوم به للانام عيد كبير
عاد من مصر يوسف والى يعقوب بالتهنيات جا البشير
فلايوب من ابا صلاح الدين يوم به توفى النذور
ولكم عودة الى مصر بالنصر على ذكرها تمر العصور
فاستردوا حق الامامة ممن خان فيها فانه مستعير
واقتربها بكرًا الها الدهر واخ في مدحكم وبكور
انا سيرت طالع العزم مني ولما قصدك انتهى التسيير
وارى خاطري يحك الفا اسمًا بالف الخطير الخطير
وهي التي قبلها طويلة جدا فانتظمت معرفة العماد بصلاح الدين
وكان له مساعدًا عند نور الدين وقرات في ديوان العرقلة وقال
يمدح اسد الدين شيركوه وقد اخذ الشقيف ورحل طالبًا حصنًا
يقال له العراق
رحلت من الشقيف الى العراق بعزم كالمهند السراق
ونكست الاعادي منه قهرًا وصلت في ذرا الجوزاء باقي
بحاشك لا بجيشك نلت هذا وبالتوفيق لا بالاتفاق
تداوك من مضى بالحصن قبلي الى دار الخلود من الرفاق
وما تخشى على الاسلام بوسًا اذا اهلك الجميع وانت باقي
اشاوركم بشاور كل خب ونفو عند مثلك بالنفاق
انصبر ان رايت بحار خيل وقدمًا ما صبرت على السواقي
متى رفعت لك السودان راسًا وقد خلاهم مثل الزقاق
وعيشك ماله من مضربٍ ومن عندي ثلثًا بالطلاق
هو الاسد الذي ما زال حتى بنا مجدًا على السبع الطباق

فصل قال ابن الاثير وفي هذه السنة ارسل
نور الدين الى اخيه قطب الدين يطلب ان يعبر الفراة اليه بعساكره فتجهز وسار هو وزين الدين في العساكر الكثيرة فاجتمعوا

بنور الدين على حمص فدخلوا بالعساكر الاسلامية بلاد الفرنج واجتازوا على حصن الاكراد
فاغاروا ونهبوا واسروا وقصدوا عرقه ونزلوا عليها وحصروا اجلها واخربوها وتوجهت
عساكر المسلمين يمينا وشمالا تغير وتخرب البلاد وفتح العريمة وصافيثا وعادوا الى
حمص فصاموا بها شهر رمضان ثم ساروا الى بانياس وقصدوا قلعة هونين وهي للفرنج ايضا من
قلاعهم المنيعة فانهزم الفرنج عنها واحرقوها فقصدها نور الدين من الغد
وخرب سورها جميعه واراد الدخول الى بيروت فتجدد في العسكر خلف اوجب التفرق
فعادوا وسار قطب الدين الى الموصل واقطعه مدينة الرقة فاخذها في طريقه وفي
هذه السنة عصى الامير غازي بن حسان المنبجي صاحب منبج على نور الدين وهو كان اقطعه
اياها فارسل اليه نور الدين عسكرًا احصره بها واخذها منه واقطعها اخاه قطب الدين
ينال بن حسان وكان عادلا خيرا احسن الى الناس فبقي بها الى ان اخذها منه صلاح الدين
سنة اثنتين وسبعين كما سياتي وفيها توفي القاضي الرشيد احمد بن علي بن الزبير صاحب
كتاب الجنان قال العماد في الخريدة كان ذا علم غزير وفضل كثير قتله شاور
صبرًا في سنة اثنتين وستين ونسب اليه انه شارك اسد الدين شيركوه في قصده واخوه
المهذب ابو علي الحسن ابن علي بن الزبير اشعر منه وتوفي قبله بسنة ثم لم يكن في زمانه
اشعر منه وله شعر كثير منه قصيدة غراء في مدح الصالح بن رزيك وذكر فيها نور الدين اولها
اعلمت حين تجاور الحيان ان القلوب مواقد النيران
يا كاسر الاصنام قم فانهض بنا حتى تصير مكسر الصلبان
فالشام ملكك قد ورثت بلاده عن قومك الماضين من غسان
واذا اشتكت بانها اوطانهم قدمًا فسل عن حارث الجولان
اورمت ان تتلو المحاسن ذكرهم فاسند رواياتها الى حسان
ما زلت ارض العدى بك انما بقلوب اهليها من الخفقان
واقول ان حصونهم شحيت لما اوتيت من ملك ومن سلطان
ولقد بعثت الى الفرنج كتائبًا كالاسد حين تصول في خفان
لبسوا الدروع ولم تخل من قبلهم ان البحار تحل في غدران
عجلت في تل العجول قراهم وهم للان الضيفان بالنيفان

وثلّت في يوم العريش عروشهم بشبا ضراب صادق وطعان
الجاتهم للبحر لما ان جرى منه ومن دمهم معًا بحران
ولقد اتى الاسطول حين غزا بما لم يات في حين من الاحيان
واعدّ رسل ابن القسيم اليه في شعبان كي يتلاكم الشعبان
والفال يشهد في اسمه ان سوف يغدوا الشام وهو عليكما قسمان
واراك من بعد الشهيد بآله وجعلته من اقرب الاخوان
وهو الذي ما زال يفعل في العدى ما لم يكن ليعد في الامكان
قتل البرنس ومن عساه اعانه لما عسا في البغي والعدوان
واري البريه حين عاد براسه من الجنابيد واعلى المرّان
وتعجبوا من رزقه في طرفه وكان فوق الرمح نصلا ثاني
عجبًا لجود ديه اذ بني العلا والسيل يهدم ثابت الاركان
فلتسا عناق البريه كلها منًا تحمل ثقلها الثقلان
حتى تساوى الناس فيك واصبح القاضي بمنزله القريب الداني
وفي هذه السنه ذكر القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري للسلطان
نور الدين رحمه الله تعالى حال العماد الكاتب وعرفه به وعرض عليه
قصيده له في مدحه مطلعها ⊙
لو حفظت يوم النوى عهودها ما مطلت بوصلكم وعودها
وانما يحمد عيش سلفه ما لكما بعد له محمودها
مويدًا موره بعزمة من السموات العلى تاييدها
اثاره حميدة وانما للمرء من اثاره حميدها
ان الورى يحبه وبغضه يعرف من شقيها سعيدها
قد جاكم نور من الله فمن به اهتدى فانه رشيدها
جلا ظلام الظلم نور الدين عن ارض الشام فله تحميدها

ان الرعايا منه في رعايه ونعمة مستوجب مزيدها
لو انها يشهر بل لا منها تخاف بل يحسبها بجودها ⊙ بالدين والملك له قيامه وللملوك عنها قعودها ⊙ ودابه ثلم ثغور الكفر لا لثم ثغور نافع برودها
قد اسبغ الله لنا بعده له ظلال امن وازف مديدها ⊙ غدا ملوك الروم في دولته وهم على رغمهم عبيدها
لما ابتها ما نهم بجودها الله اضحى للظبى سجودها ⊙ ان فارقت سيوفه غمودها فان هاما تهم غمودها
ثم معلقات من حصون عزمه مفتاحها وسيفه اقليدها ⊙ قد ودت الفرنج لو فرقت نحت منك ولكن دونها ...

تهز لها حتى لو دحتها من ذلك انه فقيدها
اما لها دعيك في حصونها كانما حصونها لحودها
وان مضر لك تعنوا بعدها السيف الصعب عنا صعيدها
والملة الغراخال بالها على سناها بك حال جيدها
مفترة ثغورها ممنوعه ثغورها محفوظه حدودها
والبغي جا لو نها ضلالة فانت في اهلاكه داودها
يا ابن قسيم الدوله الملك الذي خرت له من الملوك صيدها
دع العدى بغيظها فانما بذيب اكباد العدى حقودها
فرتبه نور الدين في ديوانه منشيًا لاستقبال سنه ثلاث وستين قال ووجدت على الايام
منه الاعزاز والتمكين قلت ــــ وذلك بعد ان استعفى ابو البشر شاكر بن عبد الله
من الخدمه في كتابه الانشا وقعد في بيته كذا ذكر العماد في الخريده وقال تولى ديوان
الانشا بالشام سنين كثيرة وله مقاصد حسنه في الكتب وهو جميل السير جميل السريرة
وفيها توفى الحافظ ابو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي رحمه الله تعالى ⊙
ثم دخلت سنه ثلاث وستين وخمسمئة فذكر العماد ان نور
الدين رحل الى حمص ثم مضى الى حماه ثم شتا بقلعه حلب ومعه الاسد والصلاح ونزل العماد
بمدرسه ابن العجمي وكتب الى صلاح الدين يوسف بن ايوب وقد عثر فرسه في الميدان وهو
يلعب بالكره مع نور الدين رحمه الله تعالى ⊙
لا تنكرن لسابح عثرت به قدم وقد حمل الخضم الزاخرا
الفى على السلطان طرفك طرفه فهوى هنالك للسلام مبادرا
تسبق الرياح بجريه وكففته عنها فليس على خلافك قادرا
ضعفت قواه اذ تذكر انه في السرج منك يقل ليثا خادرا
ومتى تطيق الريح طودا شامخا او يستطيع البرق جونا ماطرا
فاعذر سقوط البرق عند مسيره فالبرق يسقط حين يخطف سايرا

يا دوله نوريه امن الورى وخصبها وجودها وجودها
ما مثل الدنيا لمن يحبها بالحرص الا فتنة ودودها
انت التي برفضها عن قدرة فلا يشوب زهدك زهيدها
فابق لنا يا ملكًا بقاؤه في كل عام للرعايا عيدها
في نعمة جديدة سعودها ودولة سعيدة جدودها
وهي طويله

واقل جوادك عثرة لله ان الجواد
لمن يقيل العاثرا
وتوق من عين الحسود وشرها الا كان
ناظرها بسوء ناظرا

وانئلم لنور الدين سلطان الورى في الحادثات معاضدا وموازرا
فاذا صلاح الدين دام لاهله لم يحذروا للدهر صرفا ضا برا
وجرت بين العماد وبين الامام شرف الدين ابي سعد عبد الله
ابن ابي عصرون مكاتبات كتب اليه العماد ٥
ايا شرف الدين ان الشتا بما فاته كف افاته
فكفك من كرم كافها لقد كفلت لي بكا فاته
وانك من عرفه شكرنا غدا عاجزا عن مكافاته
قال فكتب الي شرف الدين في جوابها ٥
اذا ما الشتا وامطاره عن الخير حابسه رادعه
فكف المهابه والاحتشام لكفي عن مد مانعه
فكافاته الشتا اعطيتها وحوشيت من كافه الشابعه
وهمة كل كريم الجدار بميسور اجابه قانعه
ونفسي في بسط عذري اليه جعلت الفدا كذا طامعه
وشوقي الي قربه زايد ومعذرتي ان جفا واسعه
قال فكتب اليه جوابها
ايا من له همة في العلى لذروتها ابدا فارعه
من كفه ديمة ما تزال بالعرف هامية هامعه
وللفضل في سوق افضاله بضايع نافقه نافعه
وهل كابن عصرون في عصرنا امام ادلته قاطعه
بحور فوايده جمة وبحر موارده واسعه
ايا شرف الدين شرفتني باهداء رايقة رايعه
المعنى اوامر الشاميات ومابرحت همتي طابعه
اري كل جارحة لي تود لوانها اذن سامعه

واما الشنا وكفانه وكفك عن كافه الرابعه
فنفسى منزهه بالعفاف عنها وفي غيرها طامعه
وماذا انطق اذا لم تكن بميسور سيبتنا قانعه
وهي اكثر من هذا قال وكان ابن حسان صاحب منبج قد
شان اغاله فبعث اليه نور الدين من حاصره وانتزعها منه ثم توجه نور الدين اليها لتهذيب احوالها ومدحه العماد بقصيده منها يقول
بشرى الممالك فتح قلعه منبج فليهن هذا النصر كل متوج
اعطيت هذا الفتح مفتاحا به في الملك يفتح كل باب مرتج
وافى بشير بالفتوح وراه فانهض اليها بالجيوش وعرج
ابشر فبيت القدس يتلو منبجا والمنبج لسواه كالانموذج

ما اعجزتك الشهب في ابراجها طلبا فكيف خوارج في ابرج
ولقد من بعصيك احقر ان يرى اثر العبوس بوجهك المتبلج
لكن تهذب من عصاك سياسة في ضمنها تقويم كل معوج
فانهض الى البيت المقدس غازيا وعلى طرابلس ونابلس عرج
قد سرت في الاسلام احسن سيرة ماثورة وسلكت اوضح منهج
وجميع ما استقريت من سنن الهدى جددت منه كل رسم منهج
قال العماد وسار نور الدين من منبج الى قلعه نجم وعبر الفراه
الى الرها وكان بها نايب صاحب منبج وهو شديد الراي رشيد
المنهج فنقله اليها مقطعا واليا واقام نور الدين بقلعة الرها ما
فمدحه العماد بقصيده ويجب له صلاح الدين في عرضها وهي
ادركت من امر الزمان المشتهى وبلغت من نيل الاماني المنتهى
وبقيت من كنف السلامه امنا متكرما بالطبع لا متكرها
لا زلت نور الدين في فلك الهدى ذا غرة للعالمين بها البها
يا محيي العدل الذي في ظله من عدله رعت الاسود مع المها
محمود المحمود من ايامه لبهايها ضحك الزمان وقهقها
مولى الورى مولى الندا مسلى الهدى مردى العدا مسدى الجدا معطى اللها
ارا وبضوابها مقرونه وبمقتضاها داير فلك النها
متلبس بعفافه وحصانه متقدس عن شوب مكر او دها
يا من اطاع الله في خلواته متاوبا من خوفه متاوها
ابدا يقدم في المعاش لوجهه عملا يبيض في المعاد الاوجها
كل الامور دوها وامرك مبرم مستحكم لا نقض فيه ولا وها
ماصين عند الصين لو حاولتها والمشرقان فكيف منبج والرها
ما للملوك لدى ظهورك رونق واذا بدت شمس الضحى خفي السها

ان الملوك لهوا والملك من غدا وبماله والملك منه ماالها
شرهت نفوسهم الى دنياهم وابي لنفسك زهدها ان تشرها
ما انتعم عن خير ولم يك نايما من لا يزال على الجميل ينبها
اخملت ذكر الجاهلين ولم تزل ملكا بذكر العالمين منوها
ورايت ارعا الرعايا واجبا تغني فقيرا او تجبر مدلها
لرضاهم متحفظا ولحاهم متفقدا ولدينهم متفقها
وعنايه امر الاله امرتهم من طاعه ونهيتهم عما لها
عن رحمة لصغيرهم لم تشتغل عن رافة لكبيرهم لن تشدها

باليأس عندك امل لم يمتحن بالرد دونك سايل لن يحبها
اتعبت نفسك كي تنال رفاهة من ليس يتعب لن يعيش مرفها
فقت الملوك سماحة وحماسة حتى عدمنا فيهم لك مشبها
ولك الفخار على الجميع فدونهم اصبحت عن كل العيوب منزها
واراك تحلم حين تصبح ساخطًا ويكاد غيرك ساخطًا ان يسفها

قلت رحم الله العماد قد نظم اوصاف نور الدين الجليله باحسن لفظ وارقه وهذا البيت الاخير موكد لما نقلناه في اول الكتاب من قول الحافظ ابي القسم رحمه الله في وصف نور الدين رحمه الله انه لم يسمع منه كلمه فحش في رضاه ولا في ضجره وقل من الملوك من له حظ من هذه الاوصاف الفاضله والنعوت الكامله قال العماد عاد نور الدين الى حلب في شهر رجب وضربت خيمته في راس الميدان الاخضر قال وكان مولعًا بضرب الكره وربما دخل الظلام فلعب بها بالشموع في الليله المسفره وبركب صلاح الدين مذكرا كل بكره وهو عارف بادابها في الخدمه وشروطها المعتبره قال واقطعه في تلك السنه ضيعتين احداهما من ضياع حلب والاخرى من ضياع كفرطاب قال وكتبت اليه في طلب كنبوش ○

اصبحت بغلتي تشكي من العرى واسراجها بلا كنبوش
قلت كفى فخير بوسك عندي ان تقوتي بالتبن او بالحشيش
وافرحي ليلة الشعير كما يفرح قوم بليله الماشوش
لو تبصرت حالتي لصبرت فاياك عندها ان تطيشي
او ما مات في الشتا من البرد ومن فرط جوعه اكديشي
فتقي واسكني بجود صلاح الدين غرس الملك ملك الجيوش
فهو يجلوك للعيون بكنبوش جديد مستحسن منقوش

قال واقطع اسد الدين حمص واعمالها فسار اليها فسد ثغورها وضبط امورها وحمى جمهورها وكان نور الدين قد جدد سورها وحصن دورها وبلي الفرنج منه بالمغاور المراوغ ذي الباس اللائع

وساله نور الدين في السلو عن حب مصر وقال قد تعبت مرتين واجتهدت ولم يحصل لك ما طلبت وقد اذعنوا بالطاعه وشفعوا السوال بالشفاعه وسمحوا بكل ما يدخل تحت الاستطاعه قلت وانشد العماد اسد الدين في رجب من هذه السنه ○

دمت في الملك امرًا ذا نفاذ اسد الدين شيركوه بن شاذي
يا كريمًا عن كل شر بطيًا والى الخير دايم الاغذاذ
وملاذ الاسلام انت فلا زلت لاهل الاسلام خير ملاذ
في نفوس الكفار رعبك قد حل يصدع الاكباد والافلاذ
لم تدع بالظبى روسًا واصنامًا من المشركين غير جذاذ
انت من نازل الدعيين في مصر لنصر الامام في بغداذ
وبلاد الاسلام انقذتها انت من الشرك ايما انقاذ

زين الدين علي بن بكتكين نايب اتابك قطب الدين عن الموصل الى اربل وسلم جميع ما كان بيده من البلاد والقلاع الى قطب الدين ما عدا اربل فانها كانت له من اتابك زنكي رحمه الله فمن ذلك سنجار وحران وقلعه عقر الحميديه وقلاع الهكاريه جميعها وكان نايبه بتكريت ولا بد له من نايب فيها وانا اكون ذلك النايب فليس له مثلي فما امكن محاققته لاجل مجاوره بغداد واما شهرزور فكان بها الامير بوزان فقال له مثله ايضا فاقرت بيده فكان في طاعه قطب الدين وسبب فراق زين الدين انه اصابه عمى وصمم واقام باربل الى ان توفي بها في ذي الحجه من هذه السنه وكان قد استولى عليه الهرم وضعفت قوته وكان خيرًا عادلًا حسن السيره جوادًا محافظًا على حسن العهد واداء الامانه قليل الغدر بل عديمه وكان اذا وعد بشي لا بد له من ان يفعله وان كان فعله خطيرا وكان حاله من اعجب الاحوال بينما يبدو امنه ما يدل على سلامه صدره وغفلته حتى يبدو امنه ما يدل على افراط الذكا وغلبه الدها بلغني انه اتاه بعض اصحابه بذنب فرس ذكر انه نفق له فامر له بفرس وتداول ذلك الذنب اثنا عشر رجلًا كلهم ياخذ فرسًا فلما احضره اخرهم قال لهم اما تستحيون مني كما استحيي انا منكم قد احضر هنا عندي اثنا عشر رجلًا وانا اتغافل لئلا تخجل احدكم اتظنون انني لا اعرفه بلى والله وانما

اردت ان تصلكم عطاي بغير من ولا نكد ثم فلم تتركوني

ليس الغني بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغاني

قال وكان يعطي كثيرا ويخلع عظيما وكان له البلاد الكثيرة فلم يخلف شيا بل انفقه جميعه في العطايا والانعام على الناس وكان يلبس الغليظ ويشد على وسطه كل ما يحتاج اليه من سكين ودفش ومطرقه ومسله وخيوط ودستر ك وغير ذلك وكان اشجع الناس ميمون النقيبة لم تنهزم له رايه وكان يقوم المقام الخطير فيسلم منه بحسن نيته وكان تركيا اسمر اللون خفيف العارضين قصيرا جدا وبنى مدارس وربطا بالموصل وغيرها وبلغني انه مدحه الحيص بيص فلما اراد الانشاد قال له انا لا ادري ما تقول لكن اعلم انك تريد شيا فامر له بخمسمايه دينار واعطاه فرسا وخلعا وثيابا يكون مجموع ذلك الف دينار قال ومكارمه كثيره ولما توفي باربل كان الحاكم بها خادمه مجاهد الدين قايماز وهو المتولي لامورها وولي بعد زين الدين ولده مظفر الدين كوكبري مده ثم فارقها لخلف كان بينه وبين مجاهد الدين قايماز وجرت امور يطول ذكرها ولما فارق زين الدين الموصل استناب اتابك قطب الدين بقلعه الموصل بعده مملوكه فخر الدين عبد المسيح فسلك غير طريق زين الدين فكرهه الناس وذموه فلم تطل ايامه وسيجي ذكر عزله في اخبار سنه ست وستين ان شا الله تعالى

ثم دخلت

سنه اربع وستين وخمسمايه فتح اولها ملك نور الدين رحمه الله قلعه جعبر واخذها من صاحبها شهاب الدين ملك بن علي بن مالك العقيلي من آل عقيل من بني المسيب وكانت بيده وبيد ابايه من قبله من ايام السلطان ملكشاه وقد تقدم ذكر ذلك وهي من امنع الحصون واحسنها مطله على الفرات لا يطمع فيها بحصار وقد عجز جماعه من الملوك اخذها منه وقتل عليها عماد الدين زنكي والد نور الدين ثم اتفق ان خرج صاحبها منها يوما يتصيد فصاده بنو كلب فاخذوه اسيرا واعتقلوه وحملوه الى نور الدين فتقربوا به اليه وذلك في رجب من سنه ثلث وستين فحبسه بحلب واحسن اليه ورغبه في الاقطاع والمال ليسلم اليه القلعه فلم يفعل فعدل به نور الدين الى الشده والعنف وتهدده فلم يفعل ايضا فسير اليها

عسكرا مقدمه الامير فخر الدين مسعود بن ابي علي الزعفراني فحصرها مده فلم يظفر منها بشي فامدهم بعسكر اخر وجعل على الجميع الامير مجد الدين ابا بكر بن الدايه وهو اكبر امرا نور الدين ورضيعه ووالي معاقله فاقام عليها وطاف حواليها فلم ير له في فتحها مجالا وراي اخذها بالحصر متعذرا فسلك مع صاحبها طريق اللين واشار عليه باخذ العوض من نور الدين ولم يزل يتوسط معه حتى اذعن على ان يعطى سروج واعمالها والملاحه التي في عمل حلب والباب وبزاعه وعشرين الف دينار معجله فاخذ جميع ما شرطه مكرها في صوره مختار

قال ابن الاثير وهذا اقطاع عظيم جدا لكنه لا حظ فيه وتسلم مجد الدين قلعه جعبر وصعد اليها منتصف المحرم ووصل صاحبها الى نور الدين بحارم فسار اليها وصعد القلعه في العشرين من المحرم ثم سلمها نور الدين الى مجد الدين ابن الدايه فولاها اخاه شمس الدين علي وكان هذا اخر امر بني ملك ولكل امر احد ولكل ولايه نهايه يوتي الله الملك من يشا وينزعه ممن يشا قال ابن الاثير بلغني انه قيل لشهاب الدين ايما احب اليك والحسن مقاما السروج والشام ام القلعه فقال هذا اكثر مالا والعز بالقلعه فارقناه قال العماد وانشد نور الدين بقلعه جعبر قصيده اولها

اسلم لنكر الفتوح مفترعا ودم لملك البلاد منتزعا

فان اولي الورى بها ملك غدا بعيب الخطوب مضطلعا

ان ضاق امر فغير همته لكشف ضيق الامور لن يسعا

يا محيي العدل بعد ميتته ورافع الحق بعد ما انضعا

ونور دين الهدى الذي قمع الشرك وعفا الضلال والبدعا

انت سليمن في العفاف وفي الملك وتحكي بزهدك اليسعا

حزت الحيا والتقى والكرم المحض وحسن اليقين والورعا

اسقطت اقساطها وجدت من المكس بعدل والقاسط ارتدعا

ولم تدع في ابتغا مصلحة الدين لنا باقيا ان يدعا

وكل ما في الملك مفترق من المعالي لملكك اجتمعا

ابابكر المعروف

وما الك حين رمت قلعته غدا مطيعا للامر متبعا
عنا خشوعا لرب مملكة لغير رب السماء ما خشعا
كان مقيما منها على الفلك الأعلى سنها بانبوبه سطعا
لكنما الشهب ما تثير اذا لاح عمود الصباح فانصدعا
يدفعها طايعا اليك وكم عنها اباء بجهده دفعا
هي التي في علوها زحل كر على وردها وما كرعا
وهي التي قاربت عطارد في الافق فلاحا والفرقدين معا
كان منها السها اذا استرق السمع اتاها في خفية ودعا
هضبة عز لولاك ما ارتقيت وطود ملك لولاك ما فرعا
ما قبلت في ارتقاء دونها من ملك لا رقى ولا خدعا
عزت على المالك الشهيد واعطتك قيادا ما زال ممتنعا

العماد الكاتب من قصيدة ○

انتم المحمود كال محمد متصادقي الأفعال والاسماء
يتلوا ابا بكر على حسناته عمر المهج في سنا وسناء
ويليه عثمن المرجا للعلا وعلى المامول في اللاواء
وتقل الحسن المجيد مجدهم فهم ذووا الاحسان والنعماء
فرعت لمجد الدين اخوته الذي دون الورى في المجد والعلياء
من سابق كرما وشمس سادة شرفا وبدر دجنة وبهاء
سرح الهدى سيف الذي شهب القنا اسد الحروب ضراغم الهيجاء

فصل وفي هذه السنة فتحت الديار المصرية سار اليها اسد الدين مرة ثالثة فهزم العدو وقتل شاور وولي الوزارة مكانه ثم مات فوليها صلاح الدين وسبب ذلك ان الفرنج كانوا في النوبتين الاولتين اللتين استعان بهم شاور فيهما على اسد الدين شيركوه قد خبروا الديار المصرية واطلعوا على عوراتها فطمعوا فيها ونقضوا ما كان استقر

بينهم وبين المصريين واسد الدين من القواعد فجمعوا وحشدوا وقالوا ما بمصر من يصدنا واذا اردناها فمن يردنا ثم قالوا نور الدين في البلاد الشمالية وانجمه الفراتية وعسكر الشام متفرق وكل منهم في بلده حافظا لما في يده ونحن ننهض الى مصر ولا نطيل بها الحصر فانه ليس لها معقل ولا لاهلها منا موئل والى ان تجتمع عساكر الشام قد حصلنا على المرام وقوينا بتملك الديار المصرية على ساير بلاد الاسلام فتوجهوا اليها سايرين ونحوها ثابرين واظهروا انهم على قصد حمص وشايعهم على قصد مصر جماعة من اهلها كابن الخياط وابن قرجله وغيرهما من اعداء شاور وكان الفرنج قد جعلوا لهم شحنة بمصر والقاهرة وسكرها فرسانهم ابواب البلدين والمفاتيح معهم على ما سبق ذكره وتحكموا تحكما كبيرا فطمعوا في البلاد وارسلوا الى ملكهم مرى ولم يكن ملك الفرنج منذ خرجوا الى الشام مثله شجاعة ومكرا ودهاء يستدعونه لتملك البلاد ويعلمونه خلوها من مانع عنها وسهلوا امرها عليه فلم يجبهم الى المسير واجتمع فرسان الفرنج وذووا الراي والتقدم واشاروا عليه بالمسير اليها والاستيلاء عليها فقال لهم الراي عندي ان لا نقصدها فانها طعمة لنا واموالها تساق الينا نتقوى بها على نور الدين وان نحن قصدناها لنملكها فان صاحبها وعساكره وعامة اهل بلاده وفلاحيه لا يسلمونها الينا ويقاتلونا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها الى نور الدين وان اخذها وصار له فيها مثل اسد الدين فهو هلاك الفرنج واجلاهم من ارض الشام فلم يصغوا الى قوله وقالوا ان مصر لا مانع لها ولا حافظ والى ان يصل الخبر الى نور الدين ويجهز العساكر ويسيرهم الينا نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من امرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة فلا يقدر عليها وكانوا قد عرفوا البلاد وانكشف لهم امرها فاجابهم الى ذلك على كره شديد وتجهزوا واظهروا انهم على قصد الشام وخاصة مدينة حمص وتوجهوا من عسقلان في النصف من المحرم ووصلوا اول يوم من صفر الى بلبيس ونازلوها وحصروها فملكوها قهرا ونهبوها وسبوا اهلها واقاموا بها خمسة ايام ثم اتوا الى القاهرة وحصروها عاشر صفر فخاف الناس منهم ان يفعلوا بهم مثل فعلهم باهل بلبيس فحملهم الخوف منهم على الامتناع فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم في حفظه ولو ان الفرنج احسنوا السيرة مع اهل بلبيس لملكوا مصر والقاهرة سرعة

ولكن الله تعالى احسن لهم ذلك ليقضي الله امرا كان مفعولا وكان شاور امر باحراق
مدينة مصر تاسع صفر قبل نزول الفرنج عليهم بيوم واحد خوفا عليها من الفرنج فبقيت النار
فيها تحرقها اربعا وخمسين يوما الى خامس ربيع الاخر ثم ضاق الحصار وخيف البوار وعرف
شاور انه يضعف عن الحماية فشرع في تحل الحيل وارسل الى ملك الفرنج يذكر له مودته ومحبته
القديمة وان هواه معه ويخوفه من نور الدين والعاضد وانما المسلمون لا يوافقونه على
التسليم اليه ويشير بالصلح واخذ مال ليلا يسلم البلاد الى نور الدين فاجابه الى الصلح على
اخذ الف الف دينار مصرية يعجل البعض ويوخر البعض واستقرت القاعدة على ذلك وراى
الفرنج ان البلاد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين فاجابوا كارهين وقالوا ناخذ المال
نتقوى به ونكثر من الرجال ثم نعود الى البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين ولا غيره
ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فعجل لهم شاور ماية الف دينار وسالهم الرحيل
عن البلد ليجمع لهم المال فرحلوا قريبا وكان خليفة مصر العاضد عقيب حريق مصر ارسل الى
نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن الفرنج وارسل في الكتب شعور النساء
وقال هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج على ذلك المال عاود
العاضد مراسلة نور الدين واعلامه بما لقي المسلمون من الفرنج وبذل له ثلث البلاد من مصر
وان يكون اسد الدين شيركوه مقيما عنده في عسكر واقطاعهم عليه خارجا عن الثلث الذي
لنور الدين هذا قول ابن الاثير وقال ——— العماد عجل شاور لملك الفرنج بماية الف دينار
جبلة وخداعا وارغاما له واطماعا وواصل بكتبه الى نور الدين مستصرخا مستنفرا وبما
نال الاسلام من الكفر مخبرا ويقول ان لم تبادر ذهبت البلاد وسير الكتب مسودة برادها
كاسية لباس حدادها وفي طيها ذوايب مجزوزة وعصايب محزوزة اظن انها شعور اهل
القصر للاستعداء بها راهم من بليه الحصر وارسلها تباعا واردف بها جنايب سراعا واقام منتظرا
ودام متحيرا وعامل الفرنج بالمطال يعدهم في كل حين مالا ويطلب منهم امهالا ومازال
يعطيهم ويستمهلهم حتى اتى الغوث بعساكر نور الدين رحمه الله **فصل** فيما فعله نور
الدين لما اتاه الرسل والامر العاضد تدارك البلاد ارسل الى اسد الدين يستدعيه من حمص وهي اقطاعه

فلما خرج القاصد من حلب لقى اسد الدين قد وصلها وكان سبب وصوله ان كتب المصريين
ايضا وصلته في هذا الامر فبقي مسلوب القرار مغلوب الاصطبار لانه كان قد طمع في بلاد
مصر فخاف خروجها من يده وان يستولي عليها الكفر فساق في ليلة واحدة من حمص الى
حلب واجتمع بنور الدين ساعة وصوله فتعجب نور الدين من ذلك وتفال به وسره وامر
بالتجهيز الى مصر والسرعة في ذلك واعطاه مايتي الف دينار سوى الثياب والدواب
والالات والاسلحة وحكمه في العساكر والخزاين فاختار من العسكر الفي فارس واخذ المال
وجمع من التركمان ستة الف فارس وكان في مدة حشد التركمان سار نور الدين ليتسلم قلعة
جعبر ثم سار هو ونور الدين الى دمشق ورحلا في جميع العساكر الى راس الماء واعطى نور
الدين كل فارس من العسكر الذي مع اسد الدين عشرين دينارا معونة له على الطريق غير
محسوبة من القرار الذي له واضاف الى اسد الدين جماعة من الامرا والمماليك منهم مملوكه
عز الدين جرديك وغرس الدين قليج وشرف الدين برغش وناصح الدين خمارتكين وعين
الدولة بن الياروقي وقطب الدين ينال بن حسان المنبجي وغيرهم ورحلوا على قصد مصر
مستنصرين من الله تعالى النصر وذلك منتصف ربيع الاول واقام نور الدين فيمن اقام معه
براس الماء واقام ينتظر ورود المبشرات فوصل المبشر برحيل الفرنج عن القاهرة عايدين الى
بلادهم لما سمعوا بوصول عسكر نور الدين وسبب ذلك كل من اشار عليه بقصد مصر
وامر نور الدين بضرب البشاير في ساير بلاده وبث رسله الى الافاق بذلك وقال
القاضي ابو المحاسن لقد قال لي السلطان صلاح الدين كنت اكره الناس للخروج في هذه
الدفعة وما خرجت مع عمي باختياري قال وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى وعسى ان تكرهوا شيا
وهو خير لكم وقال ——— ابن الاثير احب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب
بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته وملكه حكي عنه انه قال لما وردت الكتب
من مصر الى الملك العادل نور الدين رضي الله عنه مستصرخين مستنجدين احضرني واعلمني
الحال وقال تمضي الى عمك اسد الدين بحمص مع رسولي اليه يامره بالحضور وتحثه انت على
الاسراع فما يحتمل الامر التاخير قال ففعلت فلما فارقنا حلب على ميل منها لقيناه قادما في

هذا المعنى فقال له نور الدين تجهز للمسير فامتنع من غدهم اولًا وعدم ما ينفقه في
العساكر ثانيا فاعطاه نور الدين الاموال والرجال وقال له ان تاخرت انت عن المسير
الى مصر فالمصلحه تقتضي ان اسير انا بنفسي اليها فانا ان اهملنا امرها ملكها الفرنج ولا
يبقى معهم مقام بالشام وغيره قال فالتفت الى عمي اسد الدين وقال تجهز يا يوسف قال
فكانما ضرب قلبي بسكين فقلت والله لو اعطيت ملك مصر ما سرت اليها فلقد قاسيت
بالاسكندريه من المشاق ما لا انساه ابدا فقال عمي لنور الدين لا بد من مسيره معي فتقدم
له فامر نور الدين وانا استقيله ثم انقضى المجلس ثم رجع اسد الدين العساكر من التركمان
وغيرهم ولم يبق غير المسير فقال لي نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكوت اليه
الضايقه وقله الدواب وما احتاج اليه فاعطاني ما تجهزت به وكانما اساق الى
الموت وكان نور الدين مهيبا مخوفا مع لينه ورحمته فسرت معه فلما استقر امره وتوفي
اعطاني الله من ملكها ما لا كنت اتوقعه قلت وحرضه ايضا حسان العرقله
بابيات من شعره من جمله قصيده مدحه بها قال ○

وهل اخشى من الانواء محلا … اذا ما يوسف بالمال جادا
فتى للدين لم يبرح صلاحا … وللاعداء لم يبرح فسادا
لئن اعطاه نور الدين حصنا … فان الله يعطيه البلادا
الى كم ذا التواني في دمشق … وقد جاءتكم مصر تهادي
عروس بعلها اسد هزبر … بصيد العاندين ولن يصادا
الا يا معشر الاجناد سيروا … وراء لوايه تلقوا رشادا
فما كل المرسل مع الناس مامونا … كمن ضل فرادا

فلما سار صلاح الدين الى مصر عبر العرقله على دار
فوجدها مغلقه فقال
عبرت على دار الصلاح وقد خلت … من القمر الوضاح والمنهل العذب
فوالله لولا سرعه مثل عزمه … لغرقها طرفي واحرقها قلبي

ودار صلاح الدين هي التي وقفها رباطا للصوفيه بحاره قطامش جوار قيساريه القصاع واليها
يجري الماء من حمام نور الدين رحمه الله فقضى الله ما قضى من رحيل الفرنج وتملك صلاح الدين
على ما سياتي وللامير الفاضل اسامه بن منقذ في صلاح الدين من قصيده اولها
سلم على مصر لا ربع بذي سلم … يقول فيها ○

الناصر الملك الموفي بذمته … ومن اذا كفه يغني عن الديم
ومن اذا جرد البيض الصوارم في الهيجا اغمدها … في البيض والقمم
ومن حوى الملك من بعد الطاعه في انتزاعه … بشبا الهنديه الخذم
وذد طاغيه الافرنج بحسب ما … دجاه من ملك مصر كان في الحلم
ولى وراحته صفر وقد علمت … بعد الطاعه من باس ومن ندم
يصعدون على ما فاتهم نفسا … لولا لفح البحر اضحى الموج في الاجم
وفي السلامه لولا جهلهم ظفر … لمن اراد نزال الاسد في الاجم

وله من قصيده اخرى
افنت عمود الدين حين اتاه له … طاغي الفرنج الغشم طاغي بني سعد
وجاهدت حزب الكفر حتى رددتهم … خزايا عليهم خيبه الذل والرد
افدت بما قدمت ملكا مخلدا … وذكرا مدى الايام يقرن بالحمد
وذكرا في الافاق يسري كانه … الصباح له نشر الالوه والند
ولابي الحسن بن الذروي فيه من قصيده يذكر فيها ملك الفرنج مري
ولكم اسمت الروم اسام بارق … اضحت مياه نفوسها من قطره
وافاك يحرد دروعا عن مده … ومضى وقد حكمت ظباك بجزره
ولقيت مرا ما وطعم جونه … حلوا وقد له القتال بمتن
فاعقد اليه الراي في عقب القنا … واحلل بها عالا معاقد ملكه
واطرد من وكر الشام فانه … قد طار منك بخافق من ذعره

فصل في القبض على شاور وقتله ووصل اسد الدين القاهره سابع ربيع الاخر
واجتمع العاضد خليفه مصر فخلع عليه واكرمه واجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيره
والاقامات الوافره ولم يمكن شاور المنع من ذلك راى العساكر كثيره بظاهر البلد وراى هوى العاضد
معهم من داخله فلم يتجاسر على اظهار ما في نفسه فكتمه وهو يماطل اسد الدين في تقرير ما كان بذل له
من المال والاقطاع للعساكر وافراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم الى اسد الدين
ويسير معه ويعده ويمنيه وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم انه عزم على ان يعمل دعوه لاسد الدين
ومن معه من الامرا ويقبض عليهم فنهاه ابنه الكامل وقال له والله لئن عزمت على هذا الامر
لاعرفن اسد الدين فقال له ابوه والله لئن لم افعل هذا لنقتلن جميعا فقال صدقت ولان نقتل
ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من ان نقتل وقد ملكها الفرنج فليس بينك وبين عود

الفرنج الان يسمعوا بالقبض على شيركوه وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل
فارسا واحدا ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه فلما راى العسكر النوري المطل من
شاور اتفق صلاح الدين وعز الدين جرديك وغيرهما على قتل شاور واعلموا اسد الدين بذلك
فنهاهم فقالوا انا ليس لنا في البلاد شي مهما هذا على حاله فانكر ذلك واتفق ان اسد الدين
سار بعض الايام الى زيارة قبر الشافعي رضي الله عنه وقصد شاور عسكره على عادته للاجتماع
به فلقيه صلاح الدين وعز الدين جرديك ومعهما جمع من العسكر فخدموه واعلموه ان
اسد الدين في الزيارة فقال نمضي اليه فساروا وهما معه قليلا ثم ساوروه والقوه عن فرسه فهرب
اصحابه واخذ اسيرا ولم يمكنهم قتله بغير اذن اسد الدين فسجنوه في خيمه وتوكلوا
بحفظه فعلم اسد الدين الحال فعاد مسرعا ولم يمكنه الا اتمام ما عملوه وارسل العاضد لدين
الله صاحب مصر في الوقت الى اسد الدين يطلب منه راس شاور ويحثه على قتله وتابع الرسل
بذلك فقتل شاور في يومه وهو سابع عشر ربيع الاخر وحمل راسه الى القصر ودخل اسد
الدين القاهرة فراى من كثرة الخلق واجتماعهم ما خافه على نفسه فقال لهم امير المومنين
قد امركم بنهب دار شاور فقصدها الناس ينهبوها فتفرقوا عنه هذا قول ابن الاثير وقال
ابن شداد اقام اسد الدين بها يتردد اليه شاور في الاحيان وكان وعدهم بمال في مقابله
ما خسروه من النفقة فلم يوصل اليهم شيا وعلقت مخاليب الاسد في البلاد وعلم ان الفرنج متى
وجدوا فرصة اخذوا البلاد وان ترددهم اليها في كل وقت لا يفيد وان شاورا يلعب بهم
تارة وبالفرنج اخرى وملاكها كانوا على البدعة المشهورة عنهم وعلموا انه لا سبيل على
الاستيلاء على البلاد مع بقا شاور فاجمعوا امرهم على قبضه اذا خرج اليهم وكانوا هم
يترددون الى خدمته دون اسد الدين وهو يخرج في الاحيان الى اسد الدين يجتمع به وكان يركب
على قاعدة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم فلم يتجاسر على قبضه منهم الا السلطان نفسه يعني
صلاح الدين وذلك انه لما سار اليهم تلقاه راكبا وسار الى جانبه واخذ بتلابيبه وامر العسكر
ان ياخذوا اصحابه ففروا ونهبهم العسكر وقبض شاور وانزل الى خيمه مفرده وفي الحال
جا التوقيع من المصريين على يد خادم خاص يقول لا بد من راسه جريا على عادتهم في وزرائهم

في تقرير

ثم انفذ

في تقرير قاعدة من قوي منهم على صاحبه فحزت راسه اليهم قال العماد ودخل
اسد الدين في الرابع من شهر ربيع الاخر الايوان وخلع عليه ولقي الاحسان وتردد شاور
الى اسد الدين وتودد وتجدد بينهما من الوداد ما تاكد واقام للعسكر الضيافات
الكثيرة والاطعمة الواسعة والحلاوات والمبرة فقال صلاح الدين هذا امر يطول وسله
فرضها يعول ومعنا هذا العسكر الثقيل واقامته بالاقامة يقصر عنها الامد الطويل ولا
امن لنا مع بقا شاور لا سيما اذا راوغ وغادر فنفذ اسد الدين الفقيه عيسى الى شاور يشير
عليه بالاحتراس وقال له اخشى عليك من عندي من الناس فلم يكترث بمقاله وركب على سبيل
انبساطه واسترساله فاعترضه صلاح الدين في الامرا النورية وهو راكب على عادته في
هيبته الوزيرية فبغته وسحبه وقبضه واثبته ووكل به في خيمة ضربها له وحاول امهاله
فجا من القصر من يطلب راسه ويعجل من العمر ياسه وجا الرسول بعد الرسول وابوا ان يرجعوا
الا بنجح السول فجز حسامه وحمل الى القصر هامه قلت وبلغني ان الذي جز رقبة شاور
وهو عز الدين جرديك وكان صلاح الدين لما لقيه في اصحابه سار بجنبه واراد افراده عن
العسكر فالتمس منه المسابقة بفرسيهما فاجابه ووافقهما في ذلك جرديك وكان
ذلك عن امر قد تقرر فحركوا خيلهم فلما بعدوا عن العسكر ووقفوا قبض صلاح الدين
وجرديك على شاور وادخل الخيمة وقد كثر هجا شاور وبغدره ومكره حتى قال عرقله

لقد فاز بالملك العقيم خليفة ... له شيركوه العاضدي وزير
كان بن شاذي والصلاح وسيفه ... علي لديه شبر وشبير
هو الاسد الضاري الذي جل خطبه ... وشاور كلب للرجال عقور
بغا وطغا حتى لقد قال قايل ... على مثلها كان اللعين يدور
فلا رحم الرحمن تربة قبره ... ولا زال فيها منكر ونكير ۝ وقال ايضا
قل للامير المومنين الذي ... مصر حماه وعلي ابوه ۝ نصرت على شاور فرعونها ... ونصر موساها على شيركوه

وقد وصف الفقيه الشاعر ابو حمزة عمارة اليمني في كتاب الوزرا المصرية الذي صنفه حال
شاور في وزارته الاولى ثم قال وزارة شاور الثانية فيها تكشف صفحاته واحرف لحانه

واعرفت بمخانه وعضه الدهر وعضه واوجعه الثكل وامضه وبان عمرو وثماده
وجمره ورماده ولم يخف من الانكاد لبله ولاصفا من الاقذا وورده وماهو الا ان تسلمها
بالراحه وسلمت له الهموم عوضا عن الراحه وفي اول ليله دخل القاهره ارتحل اسد
الدين طالبا بلبيس فاقام بها ثم عاد الى القاهره فكسر الناس يوم التاج واسر اخوه
صبح واصيب على باب القنطره بحجر كاد يموت منه وتعقب ذلك نقل القتال الى
القاهره حتى دخلت من الثغره ثم تبع هذا مجي الفرنج وعمل البرج وحصار بلبيس ثم تلا
ذلك قيام يحيى بن الخياط طالبا للوزاره ثم تلا ذلك نفاق لواته ومن ضامها من قيس
وخروج اخيه نجم وابنه سليمان وجماعه من غلمانهم لحربهم ثم خروج ابنه الكامل في
بقيه العسكر وفي اثنا هذه المده قبضه على الاثير بن طلب راغب وقتله واسر معالي
ابن فريح ثم قتله واتصل اليه الخبر من قدوم اسد الدين الى اطفيح بام النوايب الكبر وواتفق
مجي الغز وقدوم الفرنج ناصرين للدوله وتوجهوا من مصر في البر الشرقي تابعين للغز ثم
لاحت الفرصه للفرنج فعادوا الى مصر وافتتحوا من المال ما انقطع دونه الامال وخيموا
على ساحل المقسم واظهروا رجوعهم الى الشام فتجهز الكامل للمسير صحبه الفرنج حدثني
القاضي الاجل الفاضل عبد الرحمن بن علي البيساني قال لنا اذكر وقد خلونا في خيمه وليس
معنا احد انما هو شاور وابنه الكامل واخوه نجم فعزم الكامل على النهوض مع الفرنج
وعزم نجم على التعزيب الى سليم وما وراها وقال شاور لكن لا ابرح انا ان صفا معي حتى
اموت فنحن في ذلك حتى وصل الينا الداعي بن عبد القوي وصنيعه الملك جوهر
وعز وقد التزموا المال وتفرع على هذا الاصل مقام الغز بالجيزه ونوبه البابين وحصار
الاسكندريه وانصراف الغز راجعين والفرنج بعدهم فما هو الا ان توهم شاور ان الدهر قد
نام وغفا وصفح عن عادته وعفا واذا الايام لا تخطب الا زواله وقوته ولا تريد الا انتقاله
وعونه فكان من قدوم الفرنج الى بلبيس وقتل من فيها واسرهم باسرهم ما اوجب حريق مصر
ومكاتبه الاجل نور الدين بن القسيم وانجاده كلمه الاسلام باسد الدين ومن معه من المسلمين
الذين قلت فيهم وقد ربط الفرنج الطريق عليهم ٥

اخذتم

اخذتم على الافرنج كل ثنيه وقلتم لايدي الخيل مري على مري
لين نصبوا في البر جسرا فانكم عبرتم ببحر من حديد على الجسر

قلت وهذان البيتان من قصيده ستاتي ومري هو اسم ملك الفرنج قال عمارة
فقضى قدوم الغز برحيل الفرنج عن الديار المصريه ولم يلبث شاور ان مات قتيلا بعد
قدوم الغز بثمانيه عشر يوما وهذه السنوات التي وزر فيها شاور وزارته الثانيه
كثيره الوقايع والنوازل وفيها ما هو عليه اكثر مما هو له قال ولم يرب احد رجال
الدوله مثل ما رباهم الصالح بن رزيك ولا افنى اعيانهم مثل ضرغام وكانت وزارته تسعه
اشهر مده حمل الجنين ولا اتلف اموالهم مثل شاور وشاور هو الذي اطمع الغز والفرنج في
الدوله حتى انتقلت عن اهلها ولما عاد من حصار الاسكندريه اكثر من سفك الدما
بغير حق كان يامر بضرب الرقاب بين يديه في قاعه البستان من دار الوزاره ثم يسحب
القتلى الى خارج الدار وقال الحافظ ابو القسم لما خيف من شر شاور ومكره
لما عرف من غدره وختره واتضح الامر في ذلك واستبان ثمار ض الاسد لتقنص الثعلبان
فجاه قاصدا للعياده جاريا في خدمته على عادته فوثب جرديك وبزغش موليا نور
الدين فقتلا شاورا واراحا العباد والبلاد من شره وما شاورا وكان ذلك براي صلاح
الدين فانه اول من تولى القبض عليه ومد يده الكريمه بالمكروه اليه وصفا الامر لاسد
الدين وملك وخلع عليه الخلع وحنك واستولى اصحابه على البلاد وجرت امورهم على السداد
وطهر منه جبل السين وظهرت كلمه السنه **فصل** في وزاره اسد الدين وذلك
عقيب قتل شاور وتنفيذ راسه الى القصر انفذ الى اسد الدين خلعه الوزاره فلبسها وسار
ودخل القصر وترتب وزيرا ولقب بالملك المنصور امير الجيوش وقصد دار الوزاره فنزلها
وهي التي كان بها شاور ومن قبله من الوزراء فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الامر
ولم يبق له فيه منازع ولا منا وولى الاعمال من يثق اليه واستبد بالولايه واقطع البلاد
العساكر التي قدمت معه وصلاح الدين مباشر للامور مقررها وزمام الامر والنهي مفوض
اليه لمكان كفايته ودرايته وحسن تانيه وسياسته قال العماد وكتب لاسد

الدين منشور من القصر بسيط الشرح طويل الطي والنشر كتب العاضد في طرته
بخطه لا شك انه بالملا كتابه هذا عهد لا عهد لوزير بمثله وتقلد امانه رآك
امير المومنين اهلا لحمله والحجة عليك عند الله بما اوضحه لك من مراشد سبله فخذ
كتاب امير المومنين بقوة واسحب ذيل الفخار بان اعتزت خدمتك الى بنوة النبوة
واتخذه للفوز سبيلا ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ٥
نسخة المنشور من عبد الله ووليه ابي محمد العاضد لدين الله امير المومنين الى
السيد الاجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولي الايمه مجير الامه اسد الدين كافل
قضاة المسلمين وهادي دعاة المومنين ابي الحارث شيركوه العاضدي عضد الله به
الدين وامتع بطول بقايه امير المومنين وادام قدرته واعلا كلمته سلام عليك فانه يحمد
اليك الله الذي لا اله الا هو ويساله ان يصلي على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى
اله الطاهرين والايمه المهديين وسلم تسليما ثم ذكر باقي المنشور وهو مشتمل على كلام طويل
وحشو غير قليل على عادة الكتاب المتاخرين الذين نراهم بالالفاظ الكثيرة عن المعنى
اليسير معتبرين والبلاغة عكس ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع
الكلم واختصر الي الكلام اختصارا ٥ ولما استقل اسد الدين بالوزارة طلب من القصر
كاتبا انشا فارسل اليه بالقاضي الفاضل عبد الرحيم بن البيساني وكان ابوه من اهل بيسان
الشام ثم ولي قضا عسقلان وخرج الفاضل الى الديار المصرية فولا كتابا بالاسكندرية
على باب السلطان ثم انه اتصل بالكامل بن شاور فاستكتبه وزاحم به كتاب القصر فثقل
عليهم امره فلما طلب اسد الدين كاتبا ارسل اليه وظن رؤسا ديوان المكاتبات ان هذا امر لا
يتم وان اسد الدين سيقتل كما قتل من كان قبله فارسلوا الفاضل اليه وقالوا لعله يقتل معه
فنتخلص من مزاحمته لنا فكان من امره ما كان واستمر في الدولة ولم يزدد في كل يوم
الا تقدما لصدقه ودينه وحسن رايه رحمه الله وانفذ العماد قصيدة طويلة تهنية
لاسد الدين شيركوه اولها ٥
بالجد ادركت ما ادركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة التعب

يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة من نادى فعرف خيرا ابن لخير اب
جرى الملوك وما حازوا بركضهم من المدى في العلى ما حزت بالخبب
تمل من ملك مصر رتبة قصرت عنها الملوك فطالت سائر الرتب
فتحت مصر وارجوا ان تصير بها ميسرا فتح بيت القدس عن كثب
قد امكنت اسد الدين الفريسة من فتح البلاد فبادر نحوها وثب
انت الذي هو فرد من بسالته والدين من عزمه في جحفل لجب
في حلق ذي الشرك من عدوى سطاك شجا والقلب في شجن والنفس في شجب
زارت بني الاصفر البيض التي لقيت حمر المنايا بها من فوقه الحجب
وانها نقلة من خلفها اسد اري سلامتهما من اعجب العجب
لقد رفعنا الى الرحمن ايدينا في شكر ما به الاسلام منك حبي
شكا اليك بنو الاسلام يتمهم فقمت فيهم مقام الوالد الحدب
في كل دار من الافرنج بادية بما دهاهم فقد باتوا على ندب
من شر شاور انقذت العباد فكم وكم قضيت لحزب الله من ارب
هو الذي اطمع الافرنج في بلد الاسلام حتى سعوا للقصد في الطلب
وان ذلك عند الله محتسب في الحشر من افضل الطاعات والقرب
اذاله الملك المنصور منتصرا لما دعا الشرك هذا قد نعز زبي
وما غضبت لدين الله منتقما الا لنيل رضى الرحمن بالغضب
وانت من وقعه في الكفر هيبته وفي دويه وقوع النار في الحطب
وحين سرت الى الكفار فانهزموا نصرت نصر رسول الله بالرعب
يا محيي الامة الهادي بدعوته للرشد كل غوي منهم وغبي
لما سعيت لوجه الله مرتقبا ثوابه نلت عفوا كل مرتقب
اعدت نعمة مصر نعمة فغدت تقول كم نكت لله في النكب
اركبت راس سنان رائط المهاعد لا وكنت لولا غيرة من تكب

ردا الخلافة عباسية ودع الدعي فيها يصادف شرا منقلب
لا تقطعن ذنب الافعى وترسله والحزم عند قطع الراس كالذنب
وقال العماد في الخريدة انشدني الحافظ ابو القسم لنفسه وقد اعفى الملك العادل نور الدين قدس الله روحه اهل دمشق من المطالبه

بالخشب فورد الخبر باستيلا عسكره على مصر فكتب اليه يهنيه
لما سمحت لاهل الشام بالخشب عوضت مصر بما فيها من النشب
وان بذلت لفتح القدس محتسبا للاجر جوزيت اجرا غير محتسب
والاجر في ذاك عند الله مرتقب فيما يثيب عليه خير مرتقب
والذكر بالخير بين الناس تكسبه خير من الفضة البيضا والذهب
ولست تعذر في ترك الجهاد وقد اصبحت تملك من مصر الى حلب
وصاحب الموصل الفيحا ممتثلا لما تريد فبادر نجاة النوب
فاحزم الناس من قوى عزيمته حتى ينال بها العالى من الرتب
فالجد والجد مقرونان في قرن والحزم في العزم والادراك بالطلب

فصل في وفاة اسد الدين شيركوه وولاية ابن اخيه صلاح الدين مكانه توفي
اسد الدين فجاه يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الاخرة من هذه السنه فكانت
وزارته شهرين وخمسة ايام قال ابن شداد كان اسد الدين كثير الاكل شديد
المواظبه على تناول اللحوم الغليظه تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد معاناه
شده عظيمه فاخذه مرض شديد واعتراه خانوق عظيم فقتله رحمه الله وفوض الامر بعده
الى صلاح الدين واستقرت القواعد واستتبت الاحوال على احسن نظام وبذل الاموال
وملك الرجال وهانت عنده الدنيا فملكها وشكر نعمه الله عليه فتاب عن الخمر واعرض
عن اسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد وما عاد عنه ولا ازداد الا جدا الى ان
توفاه الله تعالى الى رحمته ولقد سمعت عنه رحمه الله يقول لما يسر الله لي البلاد المصريه علمت
انه اراد فتح الساحل لانه اوقع ذلك في نفسي وحين استتبت له الامر ما زال يشن الغارات
على الفرنج الى الكرك والشوبك وبلادهما وغشي الناس من سحايب الافضال والنعم ما لم
يورخ عن غير تلك الايام هذا كله وهو وزير متابع للقوم لكنه مقوم مذهب السنه
غارس في البلاد اهل العلم والفقه والتصوف والدين والناس يهرعون اليه من كل صوب
ويفدون اليه من كل جانب وهو رحمه الله لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا ولما عرف نور

الدين

الدين استقرار امر صلاح الدين بمصر اخذ حمص من نواب اسد الدين وذلك في رجب
من هذه السنه وقال ابن الاثير اما كيفيه ولايه صلاح الدين فان جماعه من
الامرا النوريه الذين كانوا بمصر طلبوا التقدم على العساكر وولايه الوزاره منهم الامير
عين الدوله الياروقي وقطب الدين خسرو بن تليل وهو ابن اخي ابي الهيجا الهذباني الذي كان
صاحب اربل ومنهم سيف الدين علي بن احمد الهكاري وجده كان صاحب قلاع الهكاريه
ومنهم شهاب الدين محمود الحارمي وهو خال صلاح الدين فامره بالحضور في قصره
ليخلع عليه خلع الوزاره ويوليه الامر بعد عمه وكان الذي حمل العاضد على ذلك ضعف
صلاح الدين فانه ظن انه اذا ولي صلاح الدين وليس له عسكر ولا رجال كان في ولايته
بحكمه ولا يجسر على المخالفه وانه يضع على العسكر الشامي من يستميلهم اليه فاذا صار معه
البعض اخرج الباقين وتعود البلاد اليه وعنده من العساكر الشاميه من يحميها من الفرنج
ونور الدين فامتنع صلاح الدين وضعفت نفسه عن هذا المقام فالزم به واخذ كارها
ان الله ليعجب من قوم يقادون الى الجنه بالسلاسل فلما حضر في القصر خلع عليه خلعه
الوزاره الجبه والعمامه وغيرهما ولقب الملك الناصر وعاد الى دار اسد الدين فاقام بها ولم
يلتفت اليه احد من اولئك الامراء الذين يريدون الامر لانفسهم ولا يخدمونه وكان الفقيه
ضيا الدين عيسى الهكاري معه فسعى مع سيف الدين علي بن احمد حتى اماله اليه وقال له ان هذا
الامر لا يصل اليك مع وجود عين الدوله والحارمي وابن تليل فمال الى صلاح الدين ثم قصد
شهاب الدين الحارمي وقال له ان هذا صلاح الدين هو ابن اختك وملكه لك وقد استقام
الامر له فلا تكن اول من سعى في اخراجه عنه فلا يصل اليك ولم يزل به حتى احضره
ايضا عنده وحلفه له ثم عدل الى قطب الدين وقال له ان صلاح الدين قد اطاعه الناس ولم يبق
غيرك وغير الياروقي فعلى كل حال يجمع بينك وبين صلاح الدين ان اصله من الاكراد فلا يخرج
الامر عنه الى الاتراك ووعده وزاده في اقطاعه فاطاع صلاح الدين ايضا وعدل الى عين
الدوله الياروقي وكان اكبر الجماعه واكثرهم جمعا فلم تنفعه رقاه ولا نفذ فيه سحره وقال
انا لا اخدم يوسف ابدا وعاد الى نور الدين ومعه غيره فانكر عليهم فراقه وقد فات الامر ليقضي

الله امرا كان مفعولا وثبت قدم صلاح الدين ورسخ ملكه وهو نايب عن الملك
العادل نور الدين والخطبة لنور الدين في البلاد كلها ولا يتصرفون الا عن امره وكان
نور الدين يكاتب صلاح الدين بالامير الاسفهسلار صلاح الدين وكافة الامرا بالبلاد
المصرية يفعلون كذا وكذا واستمال صلاح الدين قلوب الناس وبذل لهم الاموال مما كان
اسد الدين قد جمعه وطلب من العاضد شيا يخرجه فلم يمكنه منعه فمال الناس اليه
واحبوه وقوي نفسه على القيام بهذا الامر والثبات فيه وضعف امر العاضد وكان
كالباحث عن حتفه بظلفه وارسل صلاح الدين يطلب من نور الدين ان يرسل اليه اخوته
فلم يجبه الى ذلك وقال اخاف ان يخالف احد منهم عليك فتفسد البلاد ثم ان الفرنج
اجتمعوا ليسيروا الى مصر فسير نور الدين العساكر وفيهم اخوة صلاح الدين منهم شمس الدولة
توران شاه بن ايوب وهو اكبر من صلاح الدين فلما اراد ان يسير قال له ان كنت تسير الى مصر
وتنظر اخيك انه يوسف الذي كان يقوم في خدمتك وانت قاعد فلا تسر فانك تفسد
البلاد واحضرك حينئذ واعاقبك بما تستحقه وان كنت تنظر اليه انه صاحب مصر وقايم
فيها مقامي وتخدمه بنفسك كما تخدمني فسر اليه واشدد ازره وساعده على ما هو بصدده
فقال افعل معه من الخدمة والطاعة ما يصل اليك ان شا الله تعالى فكان كما قال وقال
العماد لما فرغ بعد ثلثة ايام من التعزية باسد الدين اختلفت اراوهم واختلطت اهواهم وكاد
الشمل لا ينتظم والخلل لا يلتيم فاجتمع الامرا النورية على كلمة واحدة وابدوا متساعده وعقدوا
لصلاح الدين الراي والراية واخلصوا له الولا والولاية وقالوا هذا مقام عمه ونحن بحكمه
والزموا صاحب القصر بتوليته ونادت السعادة بتلبيته وشرع في ترتيب الملك وترتيبه
وفض ختوم الخزاين وابتز رسوم المداين وسلط الجود على الموجود وبسط الوفود للوفود دون
ما جمعه اسد الدين في حياته وانارت على منار العلى اناة اياته وراى اولياه تحت الويته
ورايامه والجو … وما زالت محبته غالبة على مهابته وهو يبالغ في تقريبهم كانهم ذوو قرابته وما
زاده الملك ترفعا وما افاده الا تواضعا في السماح وتبرع … من امرا الملكة ما كان منشورا
وكتب له العاضد صاحب القصر منشورا وهو بالمنال الكريم الفاضلي الذي هو السحر الحلال والعذب

الزلال

الزلال ثم اودعه العماد وهو شبيه بمنشور اسد الدين عمه وجرى القلم فيه بما خط له القلم
في الازل من وصف جماده وشمله فمن ذلك المنشور والجهاد انت رضيع دره وناشية
حجره وظهور الخيل مواطنك وظلال الخيام مساكنك وفي ظلمات قسطل الله تحيا سنا
وفي اعقاب نوازله تتلى مناقبك فشمر له عن ساق من القنا وخض فيه بحرا من الظبا واحلل في
عقد كلمه الله وشقاق الحيا واشل الوهاد بدم العدى وارفع برووسهم الروابي حتى ياتي الله
بالفتح الذي يرجو امير المومنين ان يكون منحه الايام وشهود ذلك اليوم مقاما في طرازه
باخط العاضدي ولم يذكر العماد في كتابه هذا فلما امير المومنين اليك وحجته عند الله سبحانه
عليك فاوف بعهدك وبيمينك وخذ كتاب امير المومنين بيمينك ولمن مضى بجدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم احسن اسوة ولمن سبق بثقته بنا اعظم سلوة تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين يعني بمن مضى اسد الدين وبمن
بقي صلاح الدين ثم قال العماد وهذا اخر منشور طوت به تلك الدولة وختمت وبددت
عقودها وما انتظمت ووصلت كتب صلاح الدين الينا الى الشام بما تسنى له من المرام
ولمن يقصده بالاستدعا والاستبطا ولمن تاخر عنه بالخلع والعطا وترددت الكتب
الصلاحية بذكر الاشواق وشكوى الفراق وشرح الاستيحاش وبرح القلوب العطاش
فان اصحابنا وان ملكوا ونالوا مقاصدهم وادركوا وحصلوا بين امة لا يعرفونها ولا ينكرونها
ولا يالفونها وراوا وجوها هنالك لهم عابسة واعينا للمكايد منتفضة وعن الود ناعسة
فان اجناد مصر كانوا في الدين مخالفين وعلى عقيدتهم معاندين وكتب صلاح
الدين الى بعض اصدقايه كتابا اوله

ايها الغايبون وان كنتم لقلبي بتذكركم حضرانا
انني مذ فقدتكم لا اراكم بالضمير يعوزن عندي عيانا

فسالني المكتوب اليه ان اكتب جوابه فقلت

ايها الظاعنون عني وقلبي معهم لا يفارق الاضعانا
ملكوا مصر مثل قلبي وفي هذا وذلك اصبحوا سلطانا

لا تروعوا بالهجر قلب محب او رثته روعاته الخفقانا
حبذا معهد قضينا به العيش فكنا بربعه جيرانا
اذ وجدنا من الحوادث امنًا واخذنا من الخطوب امانا
ورتعنا من المنى في رياض وسكنا من المغانى جنانا ۝ وبعد فان وفود الهنا وامداد
الدعا متواصله على الولا صادرة عن محض الولا الى عالى جنابه المانوس ومنبع كنفه المحروس
فليهنه الظفران بالملك وبالعدو وفرع هضاب المجد والعلو وكيف لا يكون النصر
مساوقا للدين هو صلاحه والتاييد مرافقا لعزمه به نجاحه وفلاحه ۝
فالشام يغبط مصر مذ حللت بها كما الفرات عليكم تحسد النيلا
نلتم من الملك عفوا ما الملوك به عنوا قديما وراموه فما نيلا ۝ قال العماد ورثيت
اسد الدين بقصيدة خدمت بها نور الدين وعزيت بها اخاه نجم الدين منها ۝
تضعضع في هذا المصاب المباغت من الدين لولا نوره كل ثابت
فايام نور الدين دامت منيرة لنا خلف من كل مود وفايت
فما بالنا نبدي التصامم غفلة وداعي المنايا ناطق غير صامت
نومل في دار الفنا بقانا ونرجوا من الدنيا صداقة ما قت
وما الناس الا كالغصون يد الردي تقرب منها كل عود لناحت
لقد بلغت رسل المنايا واسمعت ولكنها لم تحظ منا بناصت
فلهفي على تلك الشمايل انها لقد كرمت في الحسن عن نعت ناعت
وله من اخرى عزى بها اخاه نجم الدين ايوب وولده ناصر الدين محمد يقول
ما بعد يومك للمعنى المدنف غير العويل وحسرة المتاسف
ما اجرا الحدثان كيف سطا على الاسد المخوف سطا ولم يتخوف
من ذا راي الاسد المصور فريسه ام ابصر الصبح المنير وقد خفي
من ثابت دون الكماة سواه ان زلت بهم اقدامهم في الموقف
ماكان اشني البدر لولم يستتر ماكان ابهى الشمس لولم تكسف
بالملك فزت وجزته عن قدرة ومضيت عنه بشين المتعفف
ووصفت يا اسد الدين محمد ملحا بما ملك به لم يوصف
وقفوت اثار الشريعة كلها وقد اهتدى من للشريعة يقتفي
انفت من دنياك حين عرفتها فلويت وجه العارف المتكلف
يا ناصر الدين استعذ بتصبر مدن الى مرضاة رب مزلف
وتعز نجم الدين عنه مهنا ابدا الزمان بملك مصر ويوسف
لا نستطيع سوى الدعا فكلنا الا بما في الوسع غير مكلف
وللعماد اليمني في صلاح الدين مدايح منها قوله ۝
لك الحسب الباقي على عقب الدهر بل الشرف الراقي الى قمة النسر
كذا فليكن سعي الملوك اذا سعت بها الهمم العليا الى شرف الذكر
نهضتم باعبا الوزارة نهضة اقلتم بها الاقدام من زلة العثر
كشفتم عن الاقليم غمته كما كشفتم بانوار الغنى ظلمة الفقر
حميتم من الافرنج سرب خلافة جزيتم لها مجرى الامان من الذعر
ولما استغاث ابن النبي بنصركم ودابة الانصار اضيق من شبر
جلبتم اليه النصر اوسا وخزرجا وما اشفق الانصار الا من النصر
كماة في جيرون منها واخروا ولها بالنيل من شاطي مصر
طلعتم فاطلعتم كواكب نصرة اضات وكان الدين ليلا بلا فجر
وانت اليكم يا ابن ايوب دولة تراسلكم في كل يوم مع السفر
حمى الله فيكم عزمة اسدية فككتم بها الاسلام من ربقة الاسر
اخذتم على الافرنج كل ثنية وقلتم لايدي الخيل مري على مري
لين نصبوا في البر جسرا فانكم عبرتم بحر من حديد على الجسر
طريق تقارعتم عليها مع العدي فقد زم لها والصخر يقرع بالصخر
وازعجه من مصر خوف بلده كما لزمهزوم من الليل بالفجر

وتخلفه حربًا وسلمًا خلافة تولف اضدادًا من الماء والجمر
وكم ثمت في بابن وجود ورتبة بما سرّ في الخطب والدست والثغر
ولو انطق الله الجمادات لم تقم لنعمتكم بالمستحق من الشكر
بذلا يقوم المسلمون بشكرها لكمال ايوب الى اخر الدهر
بكم امن الرحمن اعظم يثرب وامن اركان البنيه والحجر
ولو رجعت مصر الى الكفر لانطوى بساط الهدى من ساحة البر والبحر
ولكن شددتم ازره بوزارة غدا لعظمها يشتق من شدّه الازر
تهنيتم فتحا تقدم جله وبشرى ان الكل يتلوا على الاثر
وما بقيت في الشرك الا بقية تتمتنها في ذمة البيض والسمر
وعند تمام الملك اتى مهنيًا وملتمسًا اجر الكهانة والزجر
ولولا اعتقادي ان مدحك قربة ارجى بها نيل المثوبة والاجر
لما قلت شعرًا بعدما عفا خاطري ولى سنوات منذ نبت عن الشعر
فاوصني الايام خيرًا فانها مصرفة بالنهي منك وبالامر
وجايزتي تسهيل اذني عليكم وملقاكم لي بالطلاقة والبشر

وقال ايضا من قصيده

يا شبيه الصديق عدلا وحسنا وسميا حكاه معنا ومغنا
هذه مصر يوسف حل فيها يوسف ما الكا وما حل سجنا
انت حرمت ان يثلث فيها بسوى الله وحده او يثنا

وقال ايضا من قصيده

ملك صلاح الدين لا قوض المنابه ملك التقى والصلاح
شيق عدل حسنت عندنا ما كان من وجه الليالي القباح
سافر في الدنيا وانظارها ذكر غدا عنه جميلا وراح
قل لابن ايوب وكم ناصح انفع ممن هو شاكي السلاح

ضارب على مصر فكم من الفا ملك مضى عليه اصطلاح
فولا لمن بلوغ عزمه فتح ارجع الاكرد وحل السلاح
فالقدس قد اذن الغلافه على يدي يوسف بالافتتاح
وقال ايضا من قصيده
ومن مصر عن سبيل يوسف كانا عن سبيل الكلما والفسك
حدود عليا على بلاد وهبه وان لبث لا يحين عن الاقداح

ووافقته في الصفح عن كل مذنب فما منك تثريب وان عظم الخطب
وللحكيم عبد المنعم الجلياني من قصيده طويله ۞
ابو المظفر ماوى كل مضطهد بحكمه ونداه يضرب المثل
مهما يمل جايرًا وعايث عمه فعند عدل صلاح الدين يعتدل
احيا به الله مصرًا فهي ناشرة وافتكها من عدو ما به قبل
كم للفرنج بها وردًا ومنتجعًا ونار هم حولها تذكوا وتشتعل
فاطفا الناصر المنصور جذوتهم وادبروا بقلوب شبهها وجل
ملك تقلد سلك الملك منتظمًا وقال للمال هذا منك لي بدل
ففرق المال جمعًا للقلوب به وحسبه فيهم ادراك ما سالوا

ابن الملوك الذين ليس لهم ... الا وهم الاقيال
كذا النسا شهنشاه ... على الملوك

فصل وهذا الذي ذكرناه من قصة شاور وما جرى بسببه في الديار
المصريه الى ان تمت وزارة صلاح الدين قد وجدته مبسوطًا مشتملًا على زيادات وفوايد
في كتاب ليحيى بن ابي طي الحلبي في السيرة الصلاحيه فاحببت ذكره مختصرًا ذكر ان الملك
الصالح طلايع بن رزيك وزير الديار المصريه لما قتل في رمضان سنه ست وخمسين
بتدبير عمة العاضد عليه اوصى عند موته ابنه رزيك بشاور وقال له لا تزل له عن ولايته
فانه اسلم لك ويقال انه انشد ابياتا منها ۞

فاذا انبدد شمل عقدكما الا نامن شاور السعدي

وكان شاور متولي قوص والصعيد الاعلى فلما دفن الصالح استوزر ابنه رزيك ولقب
بالعادل ولما استقرت احواله ارسل الى عمة العاضد فخنقها واجتمع الى رزيك اولاد
عمته ومن جملتهم عز الدين حسام واشاروا عليه بعزل شاور فامتنع ثم الحوا عليه فاجاب
وبلغ شاورا فجاهر بالعصيان وجمع العربان واهل الصعيد وسار الى القاهرة وخرج
اليه جماعة من امرايها كانوا كاتبوه فخرج رزيك تحت الليل فظل الطريق وتاه فوقع عند
اطفيح وثم بيوت عرب فقبضوا عليه وحمل الى شاور وقد دخل القاهرة وتسلمها واخرجت
اليه خلع الوزارة وتم امره ولما حصل رزيك عند شاور اكرمه وصلب الذي اتى به ونادى

عليه هذا جزى من لا يرعى الجميل وكان للصالح اليه احسان وتفرق ال رزيك في البلاد
ونجا حسام الذى كان سبب هلاك بنى رزيك باموال وصار الى حماه فاقام بها واشترى
القرى ولم يزل بها الى ان مات وكان في خروجه اودع عند الفرنج سبعين الف دينار فوفوا
له وردوها عليه ثم اراد تقى الدين اخذها منه فقال من العجب ان الفرنج تفي لي بردها
وتاخذها انت منى وكف عنه قال ــــ وتمكن شاور وكان له ثلاثة اولاد طى والكامل
وسليمن فتبسطوا على الناس وتعاظموا في انفسهم وكان ملهم واخوه ضرغام من صنايع
الصالح بن رزيك فلما شاهد وامبل الناس عن شاور بسبب اولاده اخذوا في مراسله
رزيك بن الصالح وهو في السجن والعملة في اعادته الى الوزاره واتصل ذلك بطى بن شاور
فدخل على ابيه وقال له انت غافل وملهم وضرغام يفسدان امرك وقد شرعا في امر رزيك
واستحلفا له جماعه من الامرا ولا يمكن تلافي حالك الا بقتل رزيك فقال له شاور
ان الصالح اولاني جميلا وبسببه حللت هذا المحل فتركه ولده طى ودخل على رزيك
فقتله في سجنه وسمع شاور ذلك فقامت قيامته ونمى الخبر الى ضرغام واخيه ملهم
فثاروا واثاروا من استحلفاه من الامرا وزحفا بالعساكر الى شاور فانهزم وخرج من باب
القاهره وهرب الى الشام وادرك ضرغام ولديه طيا وسليمن فقتلهما واسر الكامل
فاخذه ملهم واعتقله عنده واراد ضرغام قتله فمنعه منه ملهم وحفظ له جميلا كان
قد فعله معه واستقر امر ضرغام في الوزاره وخلع عليه ولقب بالملك المنصور ولما
استقر به الامر بلغه ان جماعه من الامرا حسدوه واستصغروه وكاتبوا شاورا
وكان صار الى الشام فاخذ في اعمال الحيله عليهم واحضرهم الى دار الوزاره ليلا فقتلهم
جميعا ولم يتعرض لاموالهم ولا لمنازلهم وقيل انه قتل منهم سبعين اميرا ويقال انه جعلهم
في توابيت وكتب على كل تابوت اسم صاحبه فكان ذلك اكبر الاسباب في هلاكه
وخروج دولة المصريين لانه اضعف عسكر مصر بقتل الامرا واما شاور فانه لما خرج
من القاهره سار على وجهه حتى وصل الى دمشق بعد تحققه قتل ولديه ولما وصل الى
بصرى اتصل خبره بنور الدين فندب جماعه الى تلقيه وانزله في جوسق الميدان الاخضر

واحسن ضيافته واكرامه ثم بعد سبعه ايام من مقدمه احضر نور الدين لابن الصوفي
وجماعه من وجوه الدمشقيين وقال لهم اخرجوا الى هذا الرجل وسلموا عليه وعرفوه
اعذارنا في التقصير في حقه وسلوه فيما قدم وما حاجته فان كان ورد علينا للاقامه
افردنا له من جهاتنا ما يكفيه ويقوم باربه واوده ونكون عونا له على زمانه وان
كان ورد لغير ذلك فيفصح عن حاجته فخرج الجماعه اليه بالرساله فشكر احسان
نور الدين وسكت عما وراء ذلك فسال له القوم الجواب فقال الذى لم يبيت الراي جا
فطيرا فعاد القوم الى نور الدين وعرفوه ما دار بينهم وبينه فامرهم بالعود اليه من
غد ذلك اليوم فعادوا وطلبوا الجواب فسكت ايضا واطال ثم قال ان راي
نور الدين اطال الله بقاه الاجتماع بي فله علو الراى فعرفوا نور الدين بمقالته فاجاب نور
الدين ان يكون الاجتماع على ظهر بالميدان الاخضر وركب نور الدين من الغد في وجوه
دولته وخواص مملكته في احسن زى واكمل شان فلما دخل الميدان ركب شاور من
الجوسق والتقيا في وسط الميدان بالتحيه فقط ولم يترجل احد منهما لصاحبه ثم
سارا من موضع اجتماعهما وهو نصف الميدان الى اخره ثم انفصلا من هناك وعاد نور
الدين الى قلعه دمشق واخذ من وقته في جمع العساكر واما ضرغام فانه حين استقر به الامر
انشا كتابا الى نور الدين على يد علم الملك بن النحاس يظهر فيه الطاعه ويعرض بخذلان
شاور فاظهر نور الدين لعلم الملك القبول في الظاهر وهو مع شاور في الباطن واجاب عن
الكتاب وانفصل علم الملك عن دمشق فلما كان بظاهر الكرك اخذه فليب بن الرفيق
الفرنجي وحصل على جميع ما كان معه وانهزم علم الملك بنفسه وتوجه الى الساحل وسار
الى مصر وفي هذه الايام انفذ نور الدين واستحضر اسد الدين شيركوه من اقطاعه من الرحبه
وكان نور الدين قد تيمن باسد الدين وتبرك بميمون نقيبته لانه لم يرسله في امر الا نجح ولم
يولجه في مضيق الا انفتح ولما حضر اسد الدين الى دمشق اخلاه نور الدين وتحدث معه
باسيا في امر مصر وامره بالاستعداد وكان نور الدين قد ازاح عله العسكر الذى يريد
تسييره الى مصر فخرج من يومه وكان شاور قد اطمع نور الدين في اموال ورغبه في ملكها

مختار

وانه اذا ملكها كان من قبله فيها ولما بلغ شاور استيثاب امرا العسكر سال عن
المقدم عليه فقيل له اسد الدين شيركوه فلم يطب له ذلك لانه ظن ان التقدمه تكون
له فلما زوحم بهذا العود سقط في يده وفت في عضده ولم يجد بدا من المسير فخرج
واجتمع باسد الدين وسارا جميعا حتى وصلوا اطراف البلاد المصريه ونزلوا على تل
في الحوف قريب من بلبيس يعرف بتل بسطه وضربوا خيامهم هناك ولما اتصل
بضرغام خبر ورود شاور واسد الدين بالعساكر الشاميه جمع امرا مصر واستشارهم
فاشار شمس الخلافه محمد بن مختار بان تجمع العساكر وتخرج جريده وتلقى العساكر
الشاميه بصدر وهو على يومين من القاهره فانهم لا يثبتون لكونهم خرجوا من البريه
ضعفا ولمكان قلة الما عليهم لان المسافر الى مصر يحمل الما من ايله مسيره ثلثه ايام
فلم يروا ذلك واختاروا ان يلتقوهم على بلبيس فامر ضرغام الامرا بالخروج فخرجوا في احسن
زي واكمل عده والمقدم عليهم ناصر الدين ملهم اخو ضرغام وجاوا حتى احاطوا بالتل الذي
كان اسد الدين نازلا عليه ولما عاين اسد الدين كثرة العساكر وانهم قد ملكوا عليهم الجهات
وسدوا منافذ الطرقات قال لشاور يا هذا لقد رهقتنا وغررتنا وقلت انه ليس بمصر
عساكر فجيتنا في هذه الشرذمه فقال له شاور لا يهولنك ما تشاهد من كثرة الجموع
فاكثرها الحاكه والفلاحون الذين يجمعهم الطبل ويفرقهم العصا فما ظنك بهم اذا
حمي الوطيس وطبت الحرب واما الامرا فان كتبهم عندي وعهودهم معي وستري
ذلك اذا التقينا ثم قال الراي ان تامر العساكر بالاستعداد والركوب ففعل ونهاهم شاور
عن القتال ووقف الفريقان مصطفين من غير حرب الى ان حمي النهار والتهب الحديد
على اجساد الرجال فضرب اكثر اهل مصر الخيم الصغار وخلعوا السلاح ونزلوا عن الخيول
وجلسوا في الظل فامر شاور الناس بالحمله فكان اسعد اهل مصر من ركب فرسه واطلق عنانه
وولى منهزما وتركوا خيمهم واموالهم ليس بها حافظ فاحتوى عليها اصحاب اسد الدين واسر
شمس الخلافه وجماعه من الامرا المصريين ولم يمكن شاور من تقييدهم والاحتياط عليهم
فهربوا وساق اسد الدين وشاور في اثر الناس ونزلوا على القاهره وقاتلوها اياما وارسل

شاور العاضد في اصلاح الحال وان ياذن له في الدخول الى القاهره فاذن له وكان ضرغام
صار الى تحت القصر وقال لامير المومنين يكلمني لاسأله عما افعل فلم يجبه احد فذهب
على وجهه منهزما وخرج من باب زويله والعامه تلعنه وتصيح عليه فالتحقه رجل
من اهل الشام ليقتله فقال له ضرغام اوصلني الى اسد الدين ولك مناك فلم يقبل منه
وحمل عليه فطعنه فارداه ونزل اليه واحتز راسه وحمله الى اسد الدين واعلمه بما جرى
بينهما فصعب على اسد الدين واوجعه ضربا واراد قتله فشفع فيه شاور ودخل شاور
القاهره وقتل ملهما اخا ضرغام عند بركة الفيل وخرج ابنه الكامل من دار ملهم
وكان معتقلا فيها وخرج معه القاضي الفاضل وكان ايضا معتقلا فيها معه واستقام
امر شاور في الوزاره واقام اسد الدين على المقس ينتظر امر شاور فيما ضمن لنور الدين
وارسل اليه يقول له قد طال مقامنا في الخيم وقد ضجر العسكر من الحر والغبار فارسل
اليه شاور ثلثين الف دينار وقال ترحل الان في امان الله وفي دعته فلما سمع اسد
الدين ذلك ارسل اليه ان نور الدين اوصاني عند انفصالي عنه اذا ملك شاور تكون مقيما
عنده ويكون لك ثلث مغل البلاد والثلث الاخر لشاور والثلث الاخر لصاحب القصر
يصرفه في مصالحه فقال شاور انا ما قررت شيا مما تقول انا طلبت نجده من نور الدين
فاذا انقضى شغلي عادوا الى الشام وقد سيرت اليكم نفقه فخذوها وانصرفوا وانا انفصل مع
نور الدين فقال اسد الدين انا لا يمكني مخالفه نور الدين ولا اقدر على الانصراف الا بامضا
امره فامر شاور باغلاق باب القاهره واخذ في الاستعداد للحصار واستعد اسد الدين
ايضا وسير صلاح الدين في قطعه من الجيش الى بلبيس ذخيره واخذ في قتال القاهره
وكاتب شاور ملك الفرنج مري يستنجده ويقول له ان شيركوه طلع معي نجده على ضرغام
فلما حصلوا في البلاد طمعوا فيها ومتى ملكوها مضافه الى بلاد الشام لم يكن لكم معهم
عيش ولا قرار وضمن له في كل مرحله يرحلها الى ديار مصر الف دينار وقرر شيا لقضيم
دوابهم وشيا للاسبتاريه فخرج مري من عسقلان في جموعه الى فاقوس في سبع وعشرين
مرحله وقبض عنها سبعه وعشرين الف دينار ولما تحقق اسد الدين قرب الفرنج من القاهره

اجفل عنها الى بلبيس وانضاف اليه من اهلها الكنانية وخرج شاور في عساكر
مصر واجتمع بالفرنج وجا حتى خيم على بلبيس واحاط بها محاصرًا لاسد الدين باكر الحروب
ويراوحها واقاموا على ذلك مدة ثمانية اشهر وانقطعت اخباره ومن بها عن نور الدين
وكان اتصل بنور الدين وهو بدمشق مسير الفرنج الى ديار مصر وغدر شاور فكاتب
الاطراف بقدوم العساكر فقدم عليه عساكر الشرق جميعها واجتمعوا بارض حلب
فنزل بهم مجد الدين بن الداية وكان نايب نور الدين بحلب الى جهة حارم ونزل على ارتاح
وخرج نور الدين من دمشق وشن الغارة على الساحل وقتل واسر عالمًا عظيمًا ثم قصد
جهة حلب وجعل طريقه حصن الاكراد فلما حصل بارضه شن الغارة فيها وغنم
غنيمة عظيمة ونزل في مرجه فخرج اليه الفرنج الاخوة من حصن الاكراد وهجموا عسكره
وقتلوا جماعة من المسلمين وكان عسكر نور الدين غافلًا فلم يتماسك الناس وساروا
على وجوههم وسار نور الدين الى ان اجتمع بعساكره على ارتاح وكان اخوه نصر الدين مع
الفرنج فلما عاين اعلام نور الدين لم يتماسك ان حمل بجميع اصحابه قاصدًا اخاه نور الدين فلما
قرب منه نزل وقبل الارض بين يديه فلم يلتفت اليه ثم على وجهه واصطف الناس
للحرب فحملت الفرنج فكسرت الميسرة ثم عادت فوجدت راجلها جميعه قد قتل والخيل
قد اطبقت عليهم فنزلوا عن الخيل والقوا اسلحتهم وادعوا بالامان فاخذوا جميعًا قبضًا
بالايدي وسار الى حارم ففتحها واراد النزول على انطاكية فلم يتمكن لشغل قلبه بمن
في مصر من المسلمين فانحرف قاصدًا لدمشق ونزل على بانياس ففتحها واغار على بلد
طبرية وجمع اعلام الفرنج وشعافهم وجعلها في عيبة وسلمها الى نجاب وقال له اريد
ان تعمل الحيلة في الدخول الى بلبيس وتخبر اسد الدين بما فتح الله على المسلمين وتعطيه هذه
الاعلام والشعاف وتامره بنشرها على اسوار بلبيس فان ذلك مما يفت في اعضاد
الكفار ويدخل الوهن عليهم ففعل ذلك فلما راى الفرنج الاعلام والشعاف قلقوا لذلك
وخافوا على بلادهم وسالوا شاور الاذن في الانفصال فانزعج شاور لذلك وخاف من
عاقبة الامر وسالهم التمهل اياما وجمع امراوه للمشورة فاشاروا عليه بمصالحة اسد الدين

وتكفل له اتمام الصلح الامير شمس الخلافة فانفذه اليه فتم الصلح على يديه على ان يحمل
شاور الى اسد الدين ثلثين الف دينار اخرى وحكى ان شاور ارسل الى اسد الدين وهو
محصور ببلبيس يقول له اعلم اني ابقيت عليك ولم امكن الفرنج منك لانهم كانوا
قادرين عليك وانما فعلت ذلك لامرين احدهما اني ما اخترت كسر جاه المسلمين واقوي
الفرنج عليهم والثاني اني خفت ان الفرنج اذا فتحوا بلبيس طمعوا فيها وقالوا هذه لنا
لانا فتحناها باسيوفنا وما من يوم كان يمضي الا وانا انفذ الى كبار الفرنج من المال
واسالهم ان يكسروا همة الملك عن الزحف قال واقام اسد الدين بظاهر بلبيس ثلثة
ايام ورحلت الفرنج الى جهة الساحل وسار اسد الدين قاصدًا الشام وجعل مسيره على
البرية واتفق ان البرنس ارناط صاحب الكرك والشوبك ناول يمينه التي حلفها
لاسد الدين وقال انا حلفت اني ما الحق اسد الدين ولا عسكره في البر وانا اريد الحقه
في البحر وصار في يوم واحد الى عسقلان وخرج منها الى الكرك والشوبك وجمع
عسكره المقيم هناك وقعد مترقبًا خروج اسد الدين من البرية ليوقع به وعلم اسد
الدين بمكيدة ارناط بالحدس والتخمين فسلك طريقًا من خلف المكان الذي كان فيه
ارناط شرقي الى الغور وخرج من البلقا وسلمه الله تعالى منه ودخل دمشق واجتمع
بنور الدين واخبره بالاحوال واعلمه بضعف ديار مصر ورغبه فيها وشوقه الى
ملكها فرغب نور الدين وامره بتجنيد الاجناد واستخدام الرجال واما شاور فانه
بعد رحيل اسد الدين والفرنج الى بلادهم عاد الى القاهرة ولم يكن له همة الا تتبع من
علم ان بينه وبين اسد الدين معرفة او صحبة وكان استفسد جماعة من عسكر اسد
الدين منهم خشترين الكردي واقطعه سطنوف وقتل شاور جماعة من اهل مصر وشرد
اخرين ثم توجه اسد الدين في ربيع الاول سنة اثنتين وستين قاصدًا للديار المصرية وكتم
اخباره فما راع شاور الا ورود كتاب مري ملك الفرنج يعرفه فيه ان اسد الدين قد فصل
عن دمشق بعساكره قاصدًا ديار مصر فطلب شاور منه اعادة النجدة والمقرر من المال
يصل اليه على ما كان في العام الماضي فسار مري في عساكر الفرنج الى مصر على جانب البحر

وكان اسد الدين سايرًا في البرية فسبقه الفرنج ونزلوا على ظاهر بلبيس وخرج شاور بعساكر مصر واجتمع بالملك وقعدوا جميعًا في انتظار شاور اسد الدين وعلم اسد الدين باجتماع الفرنج بشاور على بلبيس فنكب عن طريقهم وام الجبل وخرج على اطفيح وهي في الجنوب من مصر وشن الغارة هناك واتصل بشاور خبره فسار في عساكره والفرنج في صحبته يقفوا اثره واتصل باسد الدين ذلك فاندفع بين ايديهم حتى بلغ شرونه من صعيد مصر ونجل في مراكب ركبها وعدى الى البر الغربي ولما استكمل تعديته ادرك شاور بعض ساقته ومنقطعي عسكريته فاوقع بهم واحضر شاور ايضا مراكب وقطع النيل في اثر اسد الدين بجميع جيوشه وجيوش الفرنج وسار اسد الدين الى الجيزة وخيم بها مقدار خمسين يومًا واستمال قومًا يقال لهم الاشراف الجعفريين والطلحيين والقرشيين فانفذ اسد الدين الى شاور يقول له انا احلف لك بالله الذي لا اله الا هو وبكل يمين يثق بها المسلم من اخيه انني لا اقيم ببلاد مصر ولا اعاود اليها ابدًا ولا امكن احدًا من التعرض اليها ومن عارضك فيها كنت معك البًا عليه وما اومل منك الا نصر الاسلام فقط وهو ان العدو قد حصل بهذه البلاد والنجدة عنه بعيدة وخلاصه عسر واريد منك ان نجتمع انا وانت عليه وننتهز فيه الفرصة التي قد امكنت والغنيمة التي قد اكثبت فنستاصل شافته ونحسم نابرته وما اظن انه يعود يتفق للاسلام مثل هذه الغنيمة ابدًا فلما صار الرسول الى شاور وادى الرسالة امر به فقتل وقال ما هولاء الفرنج هولاء الفرج ثم اعلم الفرنج بما ارسل اليه به اسد الدين واعلمهم بما اجابه وجدد لهم ايمانًا وثقوا بها وبلغ ذلك اسد الدين فاكل يديه اسفًا على مخالفة شاور له في هذا الراي وقال لعنه الله لو اطاعني لم يبق بالشام احد من هولاء الفرنج ونزل شاور في اللوق والمقس وامر بعمل الجسر بين الجيزة والجزيرة وامر بالمراكب فشحنت بالرجال وامرهم ان يجيبوا من خلف عسكر اسد الدين ولما راى اسد الدين ذلك كتب الى اهل الاسكندرية يستنجد بهم على شاور لاجل ادخاله الفرنج الى دار الاسلام وتضييعه اموال بيت مال المسلمين فيهم فقاموا معه وامروا عليهم نجم الدين بن مصال وهو ابن احد وزراء المصريين وكان لجا الى الاسكندرية مستخفيًا فظهر في هذه الفتنة ○ حدثني الادريسي

الشريف

الشريف نزيل حلب قال كنت بالاسكندرية يومئذ فكتب معي ابن مصال كتابًا الى اسد الدين وقال قل له انى اخبرك ان السلاح واصل وكان انفذ لاسد الدين خزانة من السلاح قال فسبقتها بيومين وحضرت بين يدي اسد الدين واعطيته الكتب وشافهته برسالة ابن مصال في معنى السلاح والالات ثم وصلت الخزانة بعد يومين مع ابن اخت الفقيه ابن عوف قال وبقينا على الجيزة يومين فوصل اليه رسول ابن مدافع يخبر اسد الدين بقرب شاور منه ويامره بالنجاة فترك اسد الدين الخيام والمطابخ وما يثقل حمله وسار سيرًا حثيثًا حتى قارب دلجه فامر اسد الدين بنهبها فنهبت ونزل الناس لتعشية الدواب فلم نستتم عليقها حتى امر اسد الدين الناس بالرحيل واوقدت المشاعل ليلًا وسرنا فاذا الجاووش ينادي في الناس بالرجوع وعاد اسد الدين الى دلجه فنزل عليها ونزل شاور على الاشمونين وامر الناس ان يقفوا على تعبية فاصبحوا على ذلك والتقوا فقتل من اصحاب اسد الدين جماعة كثيرة وانهزموا وكان اسد الدين قد فرق اصحابه فريقين فريقًا معه وفريقًا جعله مع صلاح الدين وانفذه ليأتي من خلف عسكر شاور فدخل الضعف من هذا الطريق ثم ان اصحاب اسد الدين تجمعوا وتماسكوا وعلموا انه لا منجا لهم الا الصبر فتحالفوا على الموت وحملوا وطلع صلاح الدين من ورايهم فلم تزل الحرب قايمة الى الليل فولت عساكر الفرنج والمصريين الادبار وكان مري ملك الفرنج يوسر وصار شاور ومن معه الى منية ابن خصيب وسار اسد الدين على الفيوم الى الاسكندرية فدخلها ونزل القصر وجعل فيه محبس الفرنج الذين اسرهم وكان فيها ابن الزبير متوليًا لديوانها فحمل الى اسد الدين الاموال وقواه بالسلاح وخاف اسد الدين ان يقصده شاور والفرنج فيحصروه فربما تاذى بالحصار فامر صلاح الدين بالمقام بالاسكندرية وترك عنده جماعة من العسكر ومن به مرض او جراح او ضعف واستحلف له وجوه الاسكندرية واوصاهم به ورحل في اقوى عسكره قاصدًا الى الصعيد ونزل الفرنج وشاور على الاسكندرية وحاصروها مدة ثلاثة اشهر فاشتد القتال وبذل اهلها في نصرة الملك الناصر اموالهم وانفسهم وقتل منهم جماعة عظيمة ولما صار اسد الدين بالصعيد حصل من تلك البلاد اموالًا عظيمة ولم يزل هناك حتى صام شهر

اسد الدين

رمضان واتصل به اشتداد الامر على الاسكندرية فرحل من قوص الى جهتها واتبعه
جماعة كبيرة من العربان واهل تلك البلاد وبلغ ذلك شاورا فرحل هو والفرنج
واضطر الى الصلح وضجرت الفرنج ايضا فتوسط ملك الفرنج في ذلك فتقرر امر الصلح على
ان شاورا يحمل الى اسد الدين جميع ما غرمه في هذه السفرة ثم يعطي الفرنج ثلثين الف دينار
ويعود كل منهم الى بلاده وطلب صلاح الدين من ملك الفرنج مراكب يحمل فيها الضعفا
من اصحابه فانفذ له عدة مراكب قال الادريسي كنت في جملة من خرج في المراكب
فلما وصلنا الى ميناء عكا اخذنا واعتقلنا في معصرة القصب الى ان وصل الملك مري
فاطلقنا فخرجنا الى دمشق وخرج صلاح الدين من الاسكندرية بعد ان استحلف شاورا
لاهلها وان لا يتعرض لهم بسوء واجتمع بعمه اسد الدين ثم انفذ شاور وقبض على ابن مصال
وجماعة ممن اعان صلاح الدين وضيق عليهم وتتبع اهل الاسكندرية واتصل ذلك بصلاح
الدين فاجتمع بملك الفرنج وقال له ان شاورا نقض الايمان قال وكيف ذلك قال لانه قبض
على من لجا الينا فقال ليس له ذلك وانفذ الى شاور وقال له ان الايمان جرت على ان لا
تعرض لاحد من اهل مصر ولا الاسكندرية والزمه يمينا اخرى في ان لا يعرض لاحد ممن
لجا الى اسد الدين او صلاح الدين ولما شاهد من لجا الى الاسد والصلاح فساد تلك الاحوال
خافوا من شاور فاخذوا في الرحيل الى الشام واتصل ذلك بشاور فخرج بنفسه وجمع جميع
من عزم على الرحلة الى الشام وحلف لهم على الاحسان اليهم وحماية انفسهم واموالهم فمنهم
من سكن الى ايمانه ومنهم من لم يسكن ورحل والهم الله تعالى اسد الدين ان الفرنج ربما
خطر لهم في مصر خاطر فقصدتها فراسل الملك مري وقال له قد سال اهل مصر من الملك
ان لا يدخل اليهم ولا يعرض لهم فامتنع الملك ثم اجاب خوفا ان يتحقق اسد الدين وشاور انه ربما
قصد ديار مصر فربما اجتمعا عليه فلم يجد بدا من اليمين فحلف وحلف اصحابه وخرج اسد
الدين من مصر وفي قلبه الداء الدوي منها لانه شاهدها وشاهد مغلاتها فوجدها امرا
عظيما فاخذ نور الدين في تهوين امر مصر عليه واقطعه حمص واعمالها ○ وحدثني ابي رحمه الله
قال حدثني غير واحد ان شاورا كاتب نور الدين في ذلك وضمن له ان يحمل في كل سنة عن

ديار

ديار مصر مالا مضاعفا ولما بلغ شاور ان نور الدين صرف همة اسد الدين عن ذكر مصر
والتعرض لها انفذ رسولا بهدية سنية وصحبه كتابا حسنا اوله ورد كتاب استدعى
شكري وحمدي واستخلص من الصفا ما عندي واشتملت على حقايق قصدي وسرت
للاسلام واهله والدين الذي وعد الله ان يظهره على الدين كله بان يكون مثله ملكا من
ملوكه يرجع اليه في عقده وحله وتشير الاصابع وتعقد الخناصر على علو محله والله
يزيده بمكانه تثبيتا وقوة ويحقق على يديه مخايل النصر المرجو فما اسعده اسادا في
نصرة الكلمة ودعا الى سبيل الفيه المسلمة ووفر على مصالح الامة قلوب رعاياها
المنقسمة وانا متمم من هذا الامر ما صدر مني وباق منه على ما نقل عني لا نعير عن المصلحة
فيه ولا انحالف ما اظهره منه لما اخفيه ولا استكثر كبيرا اصل اليه واتوصل به الى ما سبق
للملك العادل من حقوق استوجب شكرها قولا وفعلا ونصرة كانت في هجير الخطوب
بردا وظلا وانعم لا تزال الى اياتها بالسن الحمد تثنى وتملى ولعمري لقد بنا بها فخرا وارتفع على الا ملاك
مدا وذكرا ووجب ان يستتمها فلا يصل الى مواردها الكدر ويحوطها فلا ينظر
الى جوانبها الغير وورا هذه المكاتبة من اهتمامي ما لا يعوقه عايق الا انتظام العقد
على الامور المالوفة وتمام التوثقة باليمين المنصوصة الموصوفة مع ان قوله يمينه وكتابه
كصفحة يمينه والثقة به واقعة على كل حال والمحبة له توجب الاحتراس على الوداد
من تطرق اسباب الاختلال قال وفي سنة اربع وستين طمع مري ملك الفرنج
في مصر وعول على الدخول اليها والاستيلا عليها وذلك لما انكشف له من عوارها وظهر له
من ضعف من بقي فيها فجمع اليه ملوك الفرنج وكبرا الدولة والاسبتارية وتشاوروا
فجرت بينهم في ذلك خطوب ثم اجابوه الى الخروج معه الى الديار المصرية فاحضر وزيره
وامره باقطاع بلاد مصر لخيالته وفرق قراها على اجناده وكان لعنه الله لما دخل ديار مصر
قد اقام من اصحابه من كتب له اسما قرى مصر جميعها وتعرف له خبر ارتفاعها ثم سار حتى نزل
الداروم فقامت قيامة شاور لما بلغه الخبر وانتخب اميرا من امرائه يقال له بدران
وسيره الى الفا مري يساله عن السبب في قصده فاجتمع به وساله فتلكا عليه ثم استلان

جانبه وضمن له ضيعة على ان يؤدي عنهم ولا يكشف لشاور حالهم ويقال ان الملك
اقطعه ثلثة عشر قرية على ان يتم على المصريين الحيلة ويعلم شاور انه انما قصد مصر
للخدمة ففعل ذلك بدران ولما سمع ذلك شاور اشفق منه واحضر الامير شمس الخلافة
محمد بن مختار وقال له كان بدران قد غشني ولم ينصحني وانا فواثق بك فاريد تخرج وتكشف
لي حال الفرنج فسار شمس الخلافة الى مري وكان بينهما موانسة فلما دخل على الملك قال له
مرحبا بشمس الخلافة فقال مرحبا بالملك الغدار والا ما الذي اقدمك الينا قال اتصل
لي ان الفقيه عيسى تزوج اخت الكامل بن شاور من صلاح الدين يوسف بن ايوب وتزوج
الكامل اخت صلاح الدين فقلنا هذا عمل علينا فقال له شمس الخلافة ليس لهذا صحة
ولو فعل ذلك لم يكن فيه نقض للعهد فقال له الصحيح ان قوما من ورا البحر انتهوا الينا
وغلبونا على ارائنا وخرجوا طامعين في بلادكم فخفنا من ذلك فخرجنا لنتوسط الامر
بينكم وبينهم فقال شمس الخلافة فاي شي طلبوا قال الفي الف دينار فقال مكانكم حتى اصل
الى شاور وابلغه مقالكم واعود بالجواب فقال له ملك الفرنج فنحن ننزل على بلبيس الى
ان تعود قال ـــ وحكي ان ملك الفرنج لما وصل الى الداروم كتب الى شاور يقول له
اني قد قصدت الخدمة على ما قررته لي من العطا في كل عام فاجابه شاور ان الذي قررته لك
انما جعلته متى احتجت اليك او اذا اقدم علي عدو فاما مع خلو بالي من الاعدا فلا حاجة لي اليك
ولا لك عندي مقرر فاجابه مري انه لا بد من حضوري واخذ المقرر فعلم شاور انه قد غدر
بالعهد ونقض الايمان وانه قد طمع في البلاد فاخذ في تجنيد الاجناد وحشد العساكر الى
القاهرة وانفذ الى بلبيس قطعة من الجيش ومير وعدد ثم ان ملك الفرنج سار خلف رسول
شاور لا يلوي على قول حتى خيم على بلبيس في صفر وكان معه جماعة من المصريين منهم علم الملك
ابن النحاس وابن الخياط يحيى وابن قرجلة وارسل الى ابن طي بن شاور وكان ببلبيس وقال له
اين تنزل قال على اسنة الرماح وقال له اتحسب ان بلبيس جبنة تاكلها فارسل اليه مري
نعم هي جبنة والقاهرة زبدة ثم قاتل بلبيس ليلا ونهارا حتى افتتحها بالسيف وقتل من اهلها
خلقا عظيما وخرب اكثرها واحرق جل الدور ثم اخرج الاسارى الى ظاهر البلد وحشروا

في مكان

140

في مكان واحد وحمل في وسطهم برمحه ففرقهم فرقتين فاخذ الفرقة التي كانت عن يمينه
لنفسه واطلق الفرقة التي كانت عن يساره لعسكره وقال لفرقته قد اطلقتكم لله
تعالى على ما اولاني من فتح بلاد مصر فاني قد ملكتها بلا شك ووقف الى ان عدى اكثرهم
النيل الى جهة منية حمل واخذ العسكر نصيبهم من الاسارى فاقتسموهم وبقي اهل بلبيس
الذين اسروا اكثر من اربعين سنة في اسر الفرنج وهلك اكثرهم في ايديهم وافلت منهم
اليسير لان الملك الناصر رحمه الله لما ملك ديار مصر وقف مغل بلبيس على كثرته على فكاك
الاسرى منهم وسامح اهل بلبيس بخراجهم الى اخر ايامه ولما اتصل بشاور ما جرى على اهل بلبيس
من القتل والاسر وان الفرنج شحنوها بالرجال والعدد وجعلوها لهم ظهرا اشفق من ذلك
وطلب الاذن على العاضد فلما اجتمع به بكى بين يديه وقال اعلم ان البلاد قد ملكت علينا
ولم يبق الا ان نكتب الى نور الدين ونشرح له ما جري ونطلب نصرته ومعونته فكتب جميع
ذلك وارسل شاور طي تلك الكتب كبا وسخم اعاليها بالمداد قال ـــ وحدثني
شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار قال انما كتب هذا الكتاب براي ابي
شمس الخلافة لانه لما رجع من عند مري لعنه الله بعد اخذ بلبيس اجتمع بالكامل بن
شاور وقال له عندي امر لا يمكنني ان افضي به اليك الا بعد ان تحلف لي انك لا تطلع اباك
عليه فلما حلف له قال له ان اباك قد وطن نفسه على المصابرة واخر امره يسلم البلاد الى الفرنج
ولا يكاتب نور الدين وهذا عين الفساد فاصعد انت الى العاضد والزمه ان يكتب الى
نور الدين فليس لهذا الامر غيره فصعد الكامل وكتب الكتاب فلما وصل الى نور الدين انزعج
انزعاجا عظيما وانفذ اسد الدين وكان ذلك من مناه وارسل الفقيه عيسى الهكاري الى مصر
برسالة ظاهرة الى شاور يعلمه ان العساكر واصلة وبرسالة سرية الى العاضد وامره ان
يستحلفه على اشيا عينها وان يكتم ذلك من شاور واما الفرنج فساروا الى جهة مصر وامر شاور
باحراق مصر وانذر اهلها فخرج الناس منها على وجوههم وهجوا في بلاد مصر وبلغ اجرة الجمل
الى القاهرة ثلثين دينارا وترك الناس اكثر اموالهم فنهبت واحرقت مصر في تاسع صفر
واقامت النار تعمل فيها اربعة وخمسين يوما ثم ان الفرنج لعنهم الله نزلوا في بركة الحبش

بشكرانه

شمس الخلافة

وانبثت خيولهم في الاطراف وتخطفوا من ظفروا به فانفذ شاور الى مري لعنه الله فلما دخل
عليه ساله ان يخرج معه الى باب الخيمة ففعل فاراه شمس الخلافة جهة مصر وقال له اترى دخانا
في السما قال نعم قال هذا دخان مصر ما اتيتك الا وقد احرقت بعشرين الف قارورة نفط
وفرقت فيها عشرة الاف مشعل وما بقي فيها من يومل بقاوه ونفعه فخل الان عنك مغالطتي هذه
ومخايلتي وكوني كلما قلت لك اترك في مكان تقدمت الى غيره وما بقي الا ان تترك اما الفا
هو كما تقول ولا بد من نزول القاهرة ومعي فرنج من ورا البحر قد طمعوا في اخذها ثم رحل
فنزل على القاهرة مما يلي باب البرقية نزولا قارب به البلد حتى صارت سهام الفرنج تقع في
خيمه فقاتلوا البلد اياما فلما تيقن شاور الضعف عدل الى طريق المخادعة والمخاتلة والمعاودة
والمدافعة الى ان تصل عساكر الشام فانفذ شمس الخلافة الى مري لعنه الله تعالى برسالة
طويلة فتل بها في غاربه ودار من حواليه وفي ضمنها ان هذا بلد عظيم وفيه خلق كثير ولا يمكن
تسليمه اليك ولا اخذه الا بعد ان يقتل من الفريقين عالم عظيم وما نعلم انت ولا انا لمن الامر
والراي ان تحقن دما اصحابك ودما اصحابي وتحصل شيا ادفعه لك فيحصل لك عفوا فاستقر
المصانعة على اربع مائة الف دينار وقيل الفي الف دينار يعجل له منها مائة الف دينار
فاجاب مري الى ذلك وانعقدت الهدنة وحلف مري ورحل الى بركة الحبش وحمل شاور
اليه مائة الف دينار في عدة دفعات سوف فيها الاوقات ثم اخذ يمطله بالباقي انتظارا
لقدوم العساكر ويوهم انه يجمع لهم الاموال فلم يشعر الفرنج الا بهجوم عسكر الشام عليهم
فلما راوهم رحلوا الى بلبيس وترك اسد الدين بالمقس ثم رحل ملك الفرنج ونزل على فاقوس واتبعه
اسد الدين ونزل على بلبيس وكان لما اتصل بشاور وصول اسد الدين الى صدد انفذ شمس الخلافة
الى ملك الفرنج يستطلق له منه بعض المال فصار اليه واجتمع به وقال قد ثقل علينا المال
فقال ملك الفرنج اطلب منه شيا قال اشتهي ان تهب لي النصف قال قد فعلت فقال
شمس الخلافة ما بلغني ان ملكا في مثل حالك وقدرتك علينا وهب مثل هذه الهبة لقوم هم
في مثل حالنا فقال ملك الفرنج انا اعلم انك رجل عاقل وان شاور واملك وانكما سالتماني
ان اهبكما هذا المال الا لامر حدث فقال له صدقت هذا اسد الدين قد وصل الى صدر نصر

لنا وما بقي لك مقام وشاور يقول لك ارى ان ترحل ونحن باقون على الهدنة فانه اوفق لك
ولنا واذا حصل هذا الرجل عندنا ارضيناه من هذا المال بشي وحملنا الباقي اليك متى قدرنا
وان نحن احرجنا في رضاهم اكثر من هذا المال عدنا عليك بما يبقى علينا من المقدار فقال ملك
الفرنج انا راض بذلك وان بقي علي شي حملته اليكم وعول على الرحيل فقال له بعد ان تطلق
ابن طي بن شاور وجميع من في عسكرك من الاسارى ولا تاخذ من بلبيس بعد انصرافك شيا فاجاب
الى جميع ذلك ولما رحلت الفرنج عن القاهرة نزل اسد الدين بارض يقال لها اللوق واخرج اليه
شاور الاقامات الحسنة والخدم الكثيرة ولما اجتمعا قال شاور لاسد الدين قد رايت
من الراي ان اخرج انا وانت وان ندرك الفرنج ونوقع بهم فقال اسد الدين هذا كان رايي والفرنج
على البر الغربي وليس لهم وزر واما الان فلا لانهم على البر المتصل ببلادهم ونحن قد خرجنا من البر
في اسوا حال من الضعف والتعب وقد كفانا الله شرهم ونحن الى الراحة والاستجمام احوج
ولما نزل اسد الدين باللوق ارسل له العاضد هدية عظيمة وخلعا كثيرة واخرج الخدمة
الى اكابر اصحابه ثم انه خرج اليه في الليل سرا متنكرا واجتمع به في خيمته وافضى اليه بامور
كثيرة منها قتل شاور ثم عاد الى قصره وكان شاور قد راى ليلة نزل اسد الدين على القاهرة
كانه دخل الى دار الوزارة فوجد على سرير ملكه رجلا وبين يديه دواة الوزارة وهو
يوقع منها باقلامه فسال عنه فقيل هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما حصل اسد
الدين بالديار المصرية وانفصل عنها الفرنج امنت البلاد وتراجع الناس الى بيوتهم واخذوا
في اصلاح ما شعثه الفرنج وافسدوه وتعاطر الناس الى خدمة اسد الدين فلقاهم بالرحب
والسعة واحسن اليهم واما شاور فانه اخذ في التودد الى اسد الدين والتقرب الى قلبه
بجميع ما وجد السبيل اليه واقام له ولعسكره الميرة الكثيرة والنفقات الغزيرة حتى
استحوذ على قلبه ونوى تبقيته في ملكه وصفا له قلبه حتى انفذ اليه سرا احرس نفسك من
عساكر الشام واما عسكر الشام فانهم لما راوا طيب بلاد مصر وكثرة خيرها وسعة اموالها
تاقت انفسهم الى الاقامة بها واختاروا سكناها ورغبوا فيها رغبة عظيمة فقوي طمع اسد
الدين في الاستيلاء عليها والاستبداد بملكها ثم علم انه لا يتم له ذلك وشاور باق فيها فاخذ

في اعمال الحيله عليه وكان العاضد قد تقدم اليه بقتله فجمع اصحابه وشاورهم في امر
شاور وقال لهم قد علمتم رغبتي في هذه البلاد ومحبتي لها وحرصي عليها لا سيما وقد تحققت
ان عند الفرنج منها ما عندي وعلمت انهم قد كشفوا عورتها وعلموا مسالك رقعتها وتيقنت
اني متى خرجت منها عادوا اليها واحتووا عليها وهي معظم دار الاسلام وحلوبة بيت مالهم
وقد قوي ان اثب عليها قبل وثوبهم واملكها قبل تملكهم واتخلص من شاور الذي يلعب عزمي
بنا وبهم ويغرنا ويغرهم ويضرب بيننا وبينهم وقد ضيع اموال هذه البلاد في غير وجهها
وقوى بها الفرنج علينا وما كل وقت ندرك الفرنج ونسبقهم الى هذه البلاد التي قد قل
رجالها وهلكت ابطالها فسمحت الارا بين الامرا انه لا يتم لهم امر الا بعد القبض على شاور
وتفرقوا على ايقاع القبض به وكان شاور يركب في الاهبه العظيمه والجلاله الجسيمه
والعده الحسنه والاله الجميله على عادتهم الاولي وكان من جمله قواعدهم ان الوزير اذا ركب
حمل في موكبه الطبل والبوق وكان شاور قليل الركوب فجعل الامرا يترصدونه وراي اسد
الدين قبل قبض شاور بليله كان شاور ادخل اليه الى داره وناوله سيفه وعمامته فناوله اسد
الدين بالقبض عليه واخذ منصبه ثم ان شاور ركب يوما في اهبته وجلالته فلما عاينه الامرا
هابوه واحجموا عنه وكان يوما عظيم الضباب وكان خروج شاور من باب القنطره للسلام
على اسد الدين فتقدم صلاح الدين فسلم عليه ودخل في موكبه ثم سايره ثم مد يده الى تلابيبه
وصاح عليه فرجله ولما راى ذلك عسكر الشام قويت عزماتهم ووقعوا في عسكر شاور
فنهبوا ما كان مع رجاله وقتلوا منهم جماعه وحمل الملك الناصر شاور راجلا الى خيمه
لطيفه واراد قتله فلم يمكنه قتله دون مشاورة اسد الدين وفي الحال ورد على اسد الدين
توقيع من العاضد على يد خادم يامره فيه بقتل شاور فانفذ التوقيع الى صلاح الدين فقتله في
الحال وانفذ راسه الى القصر وبلغ الكامل بن شاور قتل ابيه فهرب الى القصر وخلع العاضد
على اسد الدين وقلده الوزاره وانفذ اليه طبق فضه فيه راس الكامل بن شاور ورووس اولاد
اخوته ولما خرج منشور الوزاره الى اسد الدين امر بقراته على رووس الاشهاد وفرح به غايه
الفرح واعجبت قراته عليه عده دفعات استحسانا لمعانيه واستلذاذا لما اودع من بديع

الكلام

الكلام فيه قال ـــــ ولما اتصل بنور الدين فتح الديار المصريه فرح بذلك فرحا
شديدا وواصل الحمد والثنا على الله تعالى اذ كان في زمنه وعلى يده وامر بضرب البشاير
في جميع ولايته وتزيين جميع بلاده وجلس للهنا بذلك وانشده الشعرا في فتحها عده
اشعار غير انه لما اتصل به ان اسد الدين وزر للعاضد واستبد بالامر في ذلك الصقع
امضه ذلك واقلقه وظهرت في مخايل قسماته وفلتات كلماته الكراهه واخذ في الفكر
في امره وسهر له الليالي وافضى بسره الى مجد الدين بن الداية حـدثني جماعه عن شمس
الدين ابن الداية اخي مجد الدين وحدثني الموفق محمود بن النحاس الفقيه الحلبي وقد جرى ذكر فتح
مصر وان نور الدين ابتهج به فقال والله ما ابتهج به لقد كان وده ان لا يفتح وان لا يصير
اسد الدين وصلاح الدين الى ما صارا اليه ولقد ظهرت الكراهيه منه لذلك في الفاظه
ووجهه ولقد اعمل الحيله في افساد امر صلاح الدين واسد الدين فما تهيا له لا سيما يوم بلغه
حصول صلاح الدين على خزاين مصر فانه اقام ثلثه ايام لا يفيد احدا براه واهتم
لذلك حتى افضى عليه الهم ولو لم يكن الفتح اليه منسوبا وعلى فضله محسوبا لما صبر على
ما جرى ولا اغضى الملك الناصر على القذى ولقد كاتب العاضد عده دفعات في امر
الاسد والصلاح فلم يحصل فيهما النجاح وكثيرا ما يوجد في كتب نور الدين الى العاضد
التعريض بانفاذ اسد الدين ولو امكنه المجاهره بالقول لقال فمن بعض مكاتباته ولقد
افتقر العبد الى بعثته واعوز عسكره يمن نقيبته واشتد حزب الضلال على الصليب
لغيبته لانه ما يزال يرمي شياطين الضلال بشهابه الثاقب ويمضي مقل الشرك بسهمه
النافذ الصايب قلت ـــــ لعل نور الدين رحمه الله انما اقلقه من ذلك كون اسد
الدين وزر للعاضد فخاف من ميله الى القوم والى مذهبهم وان يفسد حاله عليه بذلك
السبب هذا ان صح ما نقله ابن ابي طي والله اعلم قال ـــــ وكان اسد الدين لما ولي الوزاره
لم يغير على احد شيا واجرى اصحاب مصر على قواعدهم وامورهم الى ان انقضت ايامه وفنيت
اعوامه وكان قرما يحب اكل اللحم ويواظب عليه ليلا ونهارا فتواترت عليه التخم واتصلت
به مرضاته الى ان ظهرت بحلقه خوانيق كان فيها تلافه ويقال انه اكل في ذلك اليوم مضيره

ودخل الحمام فلما خرج منها اصابه الخناق قال وكان شجاعا بارعا قويا جلدا في ذات الله
شديدا على الكفار وطاته عظيمه في ذات الله صولته عفيفا دينا كثير الخير وكان يحب
اهل الدين والعلم كثير الايثار حدبا على اهله واقاربه وكان فيه امسال وخلف مالا كثيرا
وخلف من الخيل والجمال والدواب شيا كثيرا وخلف جماعه من الغلمان خمسمايه مملوك
وهم الاسديه وهو كان مشيد قواعد الدوله الشاذيه والمملكه الناصريه وكان ابتدا
امره يخدم مع صاحب تكريت على اقطاع مبلغه تسع مايه دينار وتنقل الى ان ملك الديار
المصريه وعقد له العزا بالقاهره ثلثه ايام قلت ـــــ واليه تنسب المدرسه الاسديه
بالشرف القبلي ظاهر دمشق وهي المطله على الميدان الاخضر وهي على الطايفتين الحنفيه
والشافعيه والخانقاه الاسديه داخل باب الجابيه بدرب الهاشميين قال ـــــ ومن
طي وساعه وفاته وقع الاختلاف فيمن يولى الوزاره من العسكر الشامي ومال الاسديه
الى صلاح الدين وفي تلك الساعه انفذ العاضد وسال عمن يصلح للوزاره فارشد من جماعه من
الامرا الى شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين فانفذ اليه واحضره وخاطبه في تولي
الوزاره فامتنع من ذلك واشار بولايه الملك الناصر وكان الحارمي اولا قد رغب في
الوزاره وتحدث فيها وحصل ما يحتاجه فلما راى من احمد عين الدوله بن ياروق وغيره
عليها خاف ان يشتغل بطلبها فيفوته وربما فاتت صلاح الدين فاشار به لانها اذا كانت
في ابن اخته كانت في بيته وكان صلاح الدين قد وقع من العاضد بموقع واعجبه عقله
وسداد رايه وشجاعته واقدامه على شاور وفي موكبه وانه قتله حين جاء امره ولم يتربث
ولا توقف فتسارع الى تقليده الوزاره وما خرج شهاب الدين الحارمي من حضره العاضد
الا وخلع الوزاره قد نسقت الى الملك الناصر وكانت خلعه الوزاره عمامه بيضا تنيسي
بطرز ذهب وثوب دبيقي بطرازي ذهب وجبه تحتها سقلاطون بطرازي ذهب
وطيلسان دبيقي بطراز دقيق ذهب وعقد جوهر قيمته عشره الف دينار وسيف
محلى بجوهر قيمته خمسه الف دينار وفرس حجر صفرا من مراكيب العاضد قيمتها ثمانيه
الف دينار لم يكن بالديار المصريه اسبق منها وطوق وسخت وسرفسار ذهب مجوهر

وفي رقبه الحجر مشده بيضا وفي راسها مايتا حبه جوهر وفي اربع قوايم الفرس اربع
عقود جوهر وقصبه ذهب في راسها طالعه بجوهر وفي راسها مشده بيضا باعلام
ذهب ومع الخلعه عده بقج وعده من الخيل واشيا اخر ومنشور الوزاره ملفوف في ثوب
اطلس وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمدى الاخره سنه اربع وستين
وخمسمايه وقري المنشور بين يدي الملك الناصر يوم جلوسه في دار الوزاره وحضر جميع
ارباب الدولتين المصريه والشاميه وكان يوما عظيما وخلع السلطان على جماعه الامرا
والكبرآء ووجوه البلد وارباب دوله العاضد وعم الناس جميعهم بالهبات والصلات
ولما استقر قدمه في الوزاره والرياسه قام في الرعيه بشريعه السياسه ونظم بحسن تدبيره
من الدوله بددها وجرى في مناهج العدل على جددها وجعل الى جوده وفضله ونادى الى
رفده وبذله وكاتب الاطراف بما صار اليه من السلطان وسر قلوب الاصدقا والاحباب بما
حصل عليه من شريف الرتبه والمكان واستدعى الى حوزته الاصحاب والاهل وذوي
نسبه كرمه من بعد منه وقرب من اهل الفضل وتاب من الخمر وعدل عن اللهو وتيقظ للتدبير
وسما عن السهو وتقمص بلباس الدين وحفظ ناموس الشرع المبين وشمر عن ساق الجد والاجتهاد
وافاض على الناس من كرمه وجوده جوده شابيب فضله النايب عن العهاد وورد عليه
القصاد والزوار وام بنفايس الخطب وجواهر الاشعار حدثني بعض الامرا قال اقبل
العاضد على السلطان الملك الناصر واحبه محبه عظيمه وبلغ من محبته له انه كان يدخل اليه
الى القصر راكبا فاذا حصل عنده قام معه في قصره اليوم والعشره لا يعلم اين مقره قال
ولما استولى الملك الناصر على الوزاره ومال اليه العاضد وحكمه في ماله وبلاده وحسده من
كان معه بالديار المصريه من الامرا الشاميه كابن ياروق وجرديك وجماعه من غلمان نور الدين
ثم انهم فارقوه وصاروا الى الشام وحدثني ابي رحمه الله قال حدثني جماعه من اصحاب نور
الدين ان نور الدين لما اتصل به وفاه اسد الدين ووزاره صلاح الدين وما قد انعقد له من المحبه
في قلوب الرعايا اعظم ذلك واكبره وتافف منه وانكره وقال كيف اقدم صلاح الدين ان
يفعل شيا بغير امري وكتب في ذلك عده كتب فلم يلتفت الملك الناصر الى قوله الا انه لم

يخرج عن طاعته وامره وانه ما فارق قبول رايه واشاراته وامر نور الدين من بالشام من
اهل صلاح الدين واصحابه بالخروج اليه وطلب منه حساب مصر وما صار اليه وكان كثيرا
ما يقول ملك بن ايوب قلت هذا كله مما تقتضيه الطباع البشريه والجبله
الادميه وقد اجرى الله سبحانه وتعالى العاده بذلك الا من عصم الله ومن انصف عذر
ومن عرف صبر والذى انكره نور الدين افراط صلاح الدين في تفرقه الاموال واستبداده
بذلك من غير مشاورته هذا مع ان ابن ابي طي متهم فيما ينسبه الى نور الدين مما لا يليق به
فان نور الدين رحمه الله كان قد اذل الشيعه بحلب وابطل شعارهم وقوى اهل السنه وكان
والد ابن ابي طي من رووس الشيعه فنفاه من حلب وقد ذكر ذلك كله ابن ابي طي في كتابه مفرقا
في مواضع فلهذا هو في الكتاب الذى له كثير الحمل على نور الدين رحمه الله فلا يقبل منه ما
ينسبه اليه مما لا يليق به والله اعلم قال ولما ملك الملك الناصر مصر انتزع نور
الدين حمص والرحبه من ناصر الدين بن اسد الدين وفرق عماله واعطاه تل باشر ثم اخذها منه
ولقد كان يتالم الملك الملك الناصر ويقال انه لما مرض قال ما اخطات الا في انفاذي اسد
الدين الى مصر بعد علمي برغبته فيها وما يحزنني شي كعلمي بما ينال اهلي من يوسف بن ايوب
ثم التفت الى اصحابه فقال اذا انا مت فصيروا ابني الى حلب فانه لا يبقى عليه غيرها
قال ابن ابي طي ولقد كان يبلغ الملك الناصر من اقوال نور الدين واقوال اصحابه اشيا
تولمه وتمضه غير انه يلقاها بصدر رحب وخلق عذب حدثني ابي عن ابن قاضي
الدهليز وكان من خواص الملك الناصر قال جرى يوما بين يدي السلطان ذكر نور الدين
فاكثر الترحم عليه ثم قال والله لقد صبرت منه على مثل حر المدا ووخز الابر وما قدر احد من اصحابه
ان يجد على ما يعنته ذنبا ولقد اجتهد هو بنفسه ايضا ان يجد لي هفوه يعتدها علي فلم يقدر
ولقد كان يعتمد في مخاطباتي ومراسلاتي الاشيا التي لا يصبر على مثلها الا الصبور او الغبي
فيكون ذلك وسيله له الى منابذتي فما ابلغته اربه يوما قط قلت قد وقفت على
كتاب بخط نور الدين رحمه الله يشكو فيه من صلاح الدين رحمه الله وذلك ضد ما قاله ابن ابي
طي كتب نور الدين ذلك الكتاب الى الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون رحمه الله وهو بحلب

لتوليه قضا مصر صورته حسبي الله وكفى وفق الله الشيخ الامام شرف الدين الى طاعته
وختم له بخير غير خاف على الشيخ ما انا عليه وفيه وكل غرضي ومقصودي في مصالح
المسلمين وما يقربني الى الله والله ولي التوفيق والمطلع على نيتي وانت هو تعلم نيتي كما قال
عز من قايل ومن عنده علم الكتاب انت تعلم ان مصر اليوم قد لزمنا النظر فيها فهي من
الفتوحات الكبار التي الله تعالى جعلها دار اسلام بعد ما كانت دار كفر ونفاق فلله
المنه والحمد الان المقدم على كل شي امور الدين التي هي الاصل وبها النجاه وانت تعلم ان
مصر واقليمها ما هي قليله وهي خاليه من امور الشرع وما انذر الدموع الا للشدايد وانا ما
كنت اسمح ولا اشتهي مفارقتك والان فقد تعين عليك وعلي ايضا ان ننظر الى مصالحها
وما لنا احد اليوم لها الا انت ولا اقدر اولي امورها ولا اقلدها الا لك حتى تبرا ذمتي عند الله
فيجب عليك وفقك الله ان تشمر عن ساق الاجتهاد وتتولى قضاها وتعمل ما تعلم انه يقربك
الى الله وقد برييت ذمتي وانت تجاوب الله فاذا كنت انت هناك وولدك ابو المعالي
وفقه الله فيطيب قلبي وتبرا ذمتي وقد كتبت هذا بخطي حتى لا يبقى علي حجه تصل انت
وولدك الي عندي حتى اسيركم الى مصر والسلام بموافقه صاحبي واتفاق منه صلاح الدين
وفقه الله فانا منه شاكر كثير الشكر اكثيرا جزاه الله خيرا وابقاه ففي بقا الصالحين والاخيار
صلاح عظيم ومنفعه لاهل الاسلام الله تعالى يكثر من الاخيار واعوان الخير وحسبنا الله
ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم تسليما قال ابن ابي طي وابطل صلاح الدين
من المكوس والمظالم ما يستخرج بديوان صناعه مصر مايه الف دينار وما يستخرج بالاعمال
القبليه والبحريه مايه الف دينار فسامح بجميع ذلك وامر بكتابه سجل به من ديوان الانشا
وانفذ الى ساير اعمال مصر يقرا على المنابر وعرض عليه سياقه جرايد الدواوين في جمات المستخدمين
والعاملين لعده سنين متقدمه اخرها سنه اربع وستين وخمس مايه فكان مبلغه نيف عن الف
الف دينار والفي الف اردب غله فسامح جميع ذلك وابطله من الدواوين واسقطه عن العاملين
وانهى اليه ما يستادى من الحجاج بالحجاز المحروس من المكوس فانكره واكبره وعوض عنه بعده
ضياع فاغاث اهل الحجاز بما اوسعهم من العين والغله اشيا يطول شرحها قلت وسياتي كل ذلك

في موضعه ونسخه منشور اسقاط المكوس في اخبار سنه سبع وستين وذلك باشارة
نور الدين رحمه الله وفي ايامه **فصل** وذكر العماد في ديوانه قصيده مدح
بها نور الدين ويهنيه بملك مصر ولم يذكرها في كتاب البرق منها ۞
بملك مصر اهنى مالك الامم فاسعد وابشر بنصر الله عن امم
اضحى بعدلك شمل الملك ملتئما وهل بعدلك شي غير ملتئم
يا فاعل الخير عن طبع بلا كلف ومولي العرف عن خلق بلا سام
ومقبل ثغر الكفر بحمه لا لثم ثغر شتيت واضح شبم
لله درك نور الدين من ملك بالعزم مفتتح بالنصر مختتم
اثار عزمك في الاسلام واضحه وسع لك باد غير مكتتم
بما من العدل والاحسان تنشره تخاف ربك خوف المذنب الاثم
اوردت مصر خيول النصر عادمة ثني الاعنة اقداما على اللجم
فاقبلت في سحاب من ذوابلها وقضبها بدما الهام منسجم
تمكن الرعب في قلب العدو بها تمكن النار بالاحراق في الفحم
شرب لتقطع ما للكفر من سبب واه وتوصل ما للدين من رحم
مستسهلات وعور الطرق في طلب العليا مقتحمات اصعب القحم
وجاعلات من الافرنج علفهم والقيد في موضع الاطواق والحلم
لقد شفيت غلة الاسلام وانتقمت من العدو بحد الصارم الخذم
اعانها الله في الفجار اذ كثر من شر شاور في الاسلام مضطرم
واصبحت مصر بعد خيفتها للامن والعز والاقبال كالحرم
والسنه اتسقت والبدعه انمحقت وعاودت دوله الاحسان والكرم
ملوكها صاروا لك اعبدا وغدا ابناؤها عبيدك املاكا ذوي حشم
ابنت عنك بها اثرا ينوب بها في الناس عن عنتر في الجود عن هرم
لله درك من نور الدين من ملك عدل الحفظ امور الدين ملتزم

كانت ولاية مصر قبل عزتها بكشف دولتها تحامل وضيم
اغزا الفرنج فهذا وقت غزوهم واحطم جموعهم بالذابل الحطم
فملك مصر وملك الشام قد نظما في عقد عز من الاسلام منتظم

فالنيل ملتطم جار على جهل جار كالبحر نوال غير ملتطم
وطهر القدس من رجس الصليب وثب على البغاة وثوب الاجدل القطم
محمود الملك الغازي يسوسهما بالفضل والعدل والافضال والنعم

بالشكر كل لسان ناطق ابدا محمود الملك محمود بكل فم
فاشمل مصر واظهر عز سنتها كم تختفي والى كم تشتكي وكم
وللعلم الدين الشاتاني في نور الدين رحمه الله ۞
ما نال ما نلت في العالي سنجر كلا ولا كسرى ولا اسكندر
يا خير من ركب الجياد وخاض في لجج المنايا والاسنه تقطر
هل جاز غيرك ملك مصر وصار من اتباعه من جده المستنصر
والمستضي بالله معتد به وبجده وبجده مستظهر
وسد بالشام الثغور محاميا للدين حتى عاد عنها قيصر
يبكي فتروى الارض دموعه والجو من انفاسه يتسعر
اوما ابوك بسيفه فتح الرها والاسد تفترس الكماة وتزار
هابت ملوك الارض باسك انها متقاعد واعز قصدها او اخروا
ما ضر طي المنه دانه وصفاته بين البريه تنشر
فلكم على كل الملوك مزيه لوقايع مشهوره لا تنكر
واذا عددنا للانام مناقبا فعليك قبل الكل يثني الخنصر
في الراي قيس في السماحة حاتم في النطق قس في البساله حيدر
دانت لك الدنيا وانت تعافها وسواك في امالها يتعثر
من ذا يصون الصين عنك وانت من اشد الشرا منه تخاف وتحذر
قال العماد وانفذ صلاح الدين من مصر خلعا لجماعه
من الاعيان وانفذ للعماد عمامه ملبوسه فكتب اليه
قصايد في هذا المعنى منها ۞
يا صلاح الدين الذي اصلح الفاسد بالعدل من خطوب الزمان
انت اجريت نيل مصر الى الشام نوالا ارسال نيل ثاني
وعلى نيلها لكفيك فضل فهما بالنضار جاريتان

وصلت اعطيات الملك الغزيرة فلقت امالنا بالتهاني
مذهبات كانها خلع الرضوان قد اهديت لاهل الجنان
فالعمامات كالغمامات والطرز بروق كثيرة اللمعان
يقتضي العماد بالادب المخلو من دون عصبه الديوان

خلع راقت العيون وراعت وعلا وصفها عن الامكان
مشرقات بطرزها الذهبيات الحسان الرفيعة الاثمان
والموالي بها من التيه والفخر على الدهر ساحبوا الاردان
اظهر من نسجه للدنيا المدح جديدا بامهر الخلعان

وكذا عادة الليالي تخص الفاضل المستحق بالحرمان
لم تزل سايرات جودك بالشام لديه عزيزة النهتان
نادالم تزده مصر كالآ في المنى فاحمه من النقصان
وكتب الى فخر الدين اخي صلاح الدين منها ⊙
عبدك شمس الدوله المرتجا منتظر تشريفك المذهبا
واعتب صلاح الدين في حالتي عساه بالاصلاح ان يعتبا
عرفه ما تم فاني ارى من فضله للفضل ان يغضبا
وكيف يرضى ذاك بعض الرضى ومجده ياباه كل الابا
وقد له جاته ملبوسه تخلقت من تبع بعد سبا
عمامة رقت ودثت فما نشرتها الا وطارت هبا
قال فوصل من صلاح الدين عمامة مذهبة وكتب يعتذر
عن العمامة التي قبلها وكتب الى سعد الدين كمشتكين
استعير لسانه في الاعتذار الى العماد فاني استقل مرامه ادرم
ذات العماد فكتب العماد ⊙
اما العماد فقد تضاعف شكره نعماك شكر الروض نعمى الصيب
لعمامة ذهبيه كعمامة بيد وابها بروق الطراز المغربي
ماكان احسن حاله لو انه شفعت عمامته بثوب مذهب
قال وكتب اليه ⊙
اهني الملك الناصر بالملك وبالنصر
وما مهدت من بنيان دين الحق في مصر
وما اسداه من بر بلا عد ولا حصر
وما احياه من عدل وما خفف من اصر
واعلانا السنه في بحبوحه القصر
فلما استولى على مصر لحق يوسف بالعصر
واحيا سنة الاحسان في البدو وفي الحضر

وكتب اليه الامير اسامه بن منقذ من قصيدة اولها يقول ⊙ ديار الهوى حيا معالمك القطر وجادك جود الناصر الملك الطهر
به رجعت في عنفوان شبابها ونضرتها من بعد ما هرمت مصر ⊙ وكم خاطب ردته لم يك كفوها الى ان اتاها خاطب سيفه المهر
حماها حمى الليث العرين وصانها كما صان عينا من ملم القذى شفر ⊙ وكان بها بحر اجاج فاصبحت ومن جوده العذب النمير بها بحر
وله فيه من اخرى ⊙ فما انت الا الشمس لولاك نزلت على مصر ظلما الضلال له سرمدا ⊙

وكان بها طغيان فرعون لم يزل كما كان لما ان طغى وتمردا
فبصرتهم بعد الغوايه والعمى وارشدتهم بعد الضلال الى الهدى
وله فيه من اخرى
قل للملوك تزحزحوا عن ذروة العليا للملك الهمام الناصر
يعطي الالوف ويلتقيها باسما ملق الحيا في الفنا المتشاجر
وقرات في ديوان العرقلة وقال في المولى الملك الناصر وقد
انفذ له من ديار مصر ذهبا ولغيره سلاما
صلاح الدين قد اصلحت دنيا شقي لم يبت الا حريصا
اتى منك السلام لنا عموما وجودك جاني وحدي خصوصا
فكنت كيوسف الصديق لما تلقى منه يعقوب القميصا
اليك صلاح الدين مولاي اشتكى زمانا على الحر الكريم يجور
ترى ابصر الالف التي كنت واعدي بها في يدي قبل الممات تصير
وهيهات والافرنج بيني وبينكم سياج فقيل دونه واسير
ومن عجب الايام انك ذو غنى بمصر ومثلي بالشام فقير
وقال ايضا
قل للصلاح معيني عند اعساري يا الف مولاي اين الالف دينار
اخشى من الاسر ان حاولت ارضكم وما نفى جنه الفردوس بالنار
فجد بها عاضديات مسطرة من بعض ما خلف الطاري ابو الطاري
حمرا كاسيافكم غرا كخيلكم عتقا ثقالا كاعداي واطاري
وانفذ له من مصر عشرين دينارا فقال
يا مالكا ما برحت كفه تجود بالمال على كفي
انظر بالعشرين منا لم يزل في راس عشرين من الكهف
يا الف مولاي ولكنها محسوبة من جملة الالف

وكان العرقلة من جملة المترددين الى صلاح الدين ايام كونه بدمشق فلما سار الى مصر وعده انه متى ملكها اعطاه الف دينار فلما استقر بمصر كتب اليه العرقلة قصيده منها ⊙ اليك صلاح الدين مولاي اشتكى

وقد ذكر العماد في الخريده ان العرقله قصد صلاح الدين الى مصر فاعطاه ذلك واخذ له من اخوته مثله فعاد الى دمشق وهو مسرور مجبور وكان ذلك ختام حبوته ودنا اجل وفاته ومات بدمشق في سنه ست او سبع وستين وخمس مية ⊙

قلت وفي ديوانه ما يدل على قدومه مصر فان فيه وقال وكتبها على حمام عمرها المولى الملك الناصر بديار مصر المحروسه ٥

يا داخل الحمام هنيتها دايم كالفلك الداير

تامل الجنه قد زخرفت وعمرت للملك الناصر

كانما فيض انابيبها انداه للوارد والصادر

فصل في قتل المؤتمن بالخرقانيه ووقعه السودان بين القصرين وغير ذلك قال العماد وشرع صلاح الدين في نقض اقطاع المصريين فقطع منهم الدابر من اجل من معه من العساكر وكان بالقصر خصي يدعى مؤتمن الخلافه متحكم في القصر فاجتمع هو ومن معه على ان يكاتبوا الفرنج ويقبضوا على الاسديه والصلاحيه لان صلاح الدين يخرج الى الفرنج بمن معه فيوخذ من بقي من اصحابه بالقاهره ويتبع من وراهم فتكون عليهم الدايره فكاتبوا الفرنج وانفذوا رجلا من التركمان عبر البير البيضا فراى مع انسان ذي خلقان نعلين جديدين ليس بهما اثر مشي فانكرهما فاخذهما وجا بهما الى صلاح الدين ففتقهما فوجد مكاتبه الفرنج فيهما من اهل القصر يرجون بحركتهم حصول النصر فاخذ الكتاب وقال دلوني على كاتب هذا الخط فدلوه على يهودي من الرهط فلما احضروه ليسالوه ويعاقبوه على خطه ويقابلوه بطول الشهاده قبل كلامه ودخل في عصمه الاسلام ثم اعترف بما جناه وتبرا من الامر وبناه وان الامر به مؤتمن الخلافه وانه بري من هذه الآفه فحسن السلطان اسلامه وثبت اعتصامه وعرف استسلامه وراى اخفا هذا السر واكتنامه واستشعر الخصي العصي وخشي ان يشقه على شق العصا العصي فصار يخرج من القصر مخافه واذا خرج لم يبعد مسافه وصلاح الدين عليه مغضب وعنه مغض لا يامر فيه بسط ولا قبض الى ان استرسل واستبسل وظن ان ما نسله من الشر العقيم نسل وكان له قصر في قريه يقال لها الخرقانيه الخرقه ودفع ما يتسع عليه من خرقه وهي تقرب قليوب فخلا فيه يوما لللذته ولم يدر انه يوم ذلته وانقضا ساعاته بانقضا دولته فانهض اليه صلاح الدين من اخذ راسه ونزع من جانبه لباسه وذلك يوم الاربعا الخامس والعشرين من ذي القعده سنه اربع فورد موارده من رداه

على ادون مشرع قال ولما قتل غار السودان وثاروا وكانوا اكثر من خمسين الفا وكانوا اذا قاموا على وزير قتلوه واجتاحوه واذلوه واستباحوه واستحلوه فحسبوا ان كل بيضا شحمه وان كل سودا فحمه فثار اصحاب صلاح الدين الى الهيجا ومقدمهم الامير ابو الهيجا واتصلت الحرب بين القصرين واحاطت بهم العسكريه من الجانبين ودام الشر يومين حتى حسر الاشاحم بالجيزه وكلما لجوا الى محله احرقوها عليهم وحووا ما حواليهم واخرجوا الى الجيزه واذلوا بالنفي عن منازلهم العزيزه وذلك يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعده فما خلص السودان بعدها من الشده ولم يجدوا الى الخلاص سبيلا واينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وكانت لهم على باب زويله محله تسمى المنصوره وكانت بهم المعمره المعموره فاتى بنيانها من القواعد فاصبحت خاويه ثم حرثها بعض الامرا واتخذها بستانا فهي الان جنه لها ساقيه قال وكان قد وصل الى صلاح الدين قبيل هذه النوبه اخوه الاكبر فخر الدين شمس الدوله تورانشاه بن ايوب انفذه اليه نور الدين من دمشق يشد ازره بمصر لما سمع حركه الفرنج واهل القصر فوصل القاهره في ثالث ذي القعده قال وباشر بنفسه وقعه السودان هذه وكان له فيها اثر عظيم ومن عجيب ما اتفق ان العاضد كان يتطلع من المنظره يعاين الحرب بين القصرين فقيل انه امر من بالقصر ان يقذفوا العساكر الشاميه بالنشاب والحجاره ففعلوا وقيل ان ذلك كان عن غير اختياره فامر شمس الدوله الزراقين باحراق منظره العاضد فهم احد الزراقين بذلك واذا باب المنظره قد فتح وخرج منه زعيم الخلافه وقال امير المؤمنين يسلم على شمس الدوله ويقول دونكم العبيد الكلاب اخرجوهم من بلادكم وكانت العبيد مستنده الانفس بان العاضد راض بفعالهم فلما سمعوا ذلك فت في اعضادهم فجبنوا وتخاذلوا وادبروا ٥ ومما كتبه العماد على لسان غيره الى صلاح الدين قصيده منها ٥

بالملك الناصر استنارت في عصرنا اوجه الفضايل

يوسف مصر الذي اليه يشد امالنا الرواحل

على من حقه فروض شكر الماجاد من نوافل

رهيب بليغ [illegible]

جميع [illegible]

[illegible] الفضايل

صُبّرت رحب الفضا ضيقًا عليهم كفةً بحايل
وكل راى منهم كرآءٍ وارض مصر كلام واصل
وقد خلت منهم المغانى واقفرت منهم المنازل
وما اصيبوا الا بطل فكيف لو امطروا بوابل
مونمن القوم خان حتى غالته من شره غوايل
عاملكم بالخنا فاضحى وراسه فوق راس عامل
يا مخجل البحر بالايادى قدان ان تفتح السواحل
فقدس القدس من خباث ارجاس كفر غتم اراذل
قال العماد ومما مدحت به صلاح الدين في
ذلك التاريخ تهنيه له بالملك وتعزيه بعمه ○
ايا يوسف الاحسان والحسن خير من حوى الفضل والافضال والنهى والامرا
ومن للهدى وجه النجاح برايه تجلى وثغر الثغر من عزمه افترا
حمى حوزة الدين الحنيف بحوزه من الخالق الحسنى ومن خلقه الشكرا
ابوه ابا الا العلى وعمه بمعروفه عم الورى البدو والحضرا
وطال الملوك شيركوه بطوله وما شاركوه في العلا فحوى الفخرا
بنوا الاصفر الافرنج لاقوا ببيضه وسموا اليه منايا هم حمرا
وما ابيض يوم النصر واخضر روضه من الخصب حتى اسود بالنقع واغبرا
راى النصر في تقوى الاله وكل من تقوى بتقوى الله لا يعدم النصرا
ولما راى الدنيا بعين ملالة اغذ من الاولى مسيرًا الى الاخرا
وقام صلاح الدين بالملك كافلا وكيف ترى شمس الضحى تخلف البدرا
ولما صبت مصر الى عصر يوسف اعاد اليها الله يوسف والعصرا
فاجرى بها من راحتيه وجوده بحارًا فسماها الورى النيل عشرا
هزمتم جنود المشركين برعبكم فلم يلبثوا خوفًا ولم يمكثوا دهرا

تديمون بالمعروف طيب ذكركم وما الملك الا ان تديموا لكم ذكرا
وان الذى اثرى من المال مفترٌ وان بقيه في كسب محمده اثرا
قال وكثرت كتب صلاح الدين الى اصحابه مبشره
بطيب ابنايه فمنها كتاب ضمنه هذا البيت ○
ما كنت بالمنظور اقنع منكم ولقد رضيت اليوم بالمسموع
فقلت في جوابه ابياتا منها هذه ○
يا اهل الف عيشتى بفنايكم من عوده محموده ورجوع
مذ غبتم عن ناظرى ما اذنت للقلب شمس مسرة بطلوع
لنت المشفع في المطالب عندكم فغدوت اطلب طيفكم بشفيع
اصبحت اقنع بالسلام على النوى وبقربكم كم بت غير قنوع
قال ووصل ايضا منه كتاب ضمنه هذا البيت
وانثر در الدمع من قبل ابيضا وقد حال مذ بنتم فاصبح ياقوتا
فنظمت في جوابه ابياتا منها ○
هنيا لمصر حوز يوسف ملكها بامر من الرحمن قد كان موقوتا
وما كان فيها قتل يوسف شاورًا يماثل الا قتل داود جالوتا
وقلت لقلبي ابشر اليوم بالمنى فقد نلت ما املت بل حزت ما شيتا
ضرغام له والاخر الطارى قال الفقيه ابو الحسن على بن محمد بن ابى السرور الروحى
في تاريخه اخذ ابنا شاور شجاع الملقب بالكامل والطارى الملقب بالمعظم واخوه
الملقب بفارس المسلمين فقتلوا ودبر بروسهم قال ولما ولى صلاح الدين لبس
الرعيه واظهر لهم من العدل ما لم يعلموه فاجتمع اهل البلاد وكرهوه فاوقع براجلهم واخرجهم
من القاهره اخراجا عنيفًا واخرج بعد ذلك فارسهم وشتت شملهم فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا قال ولما كانت سنه ست وستين دفع جميع المكوس صادرها وواردها
جليلها وحقيرها وغزا بلاد الشام غزوتين قال ابن شداد وفي المحرم من هذه السنه

توفي ياروق الذي تنسب اليه الياروقيه يعني المحله التي بظاهر حلب قال غيره وفيها
احترق جامع حلب واسواق البز واخذ نور الدين في عمارته اخر السنه ٥

ثم دخلت سنه خمس وستين وخمسمايه فيها في اول صفر منها نزل
الفرنج خذلهم الله تعالى على دمياط من الديار المصريه قال ابن الاثير كان فرنج
الساحل لما ملك اسد الدين مصر قد خافوا وايقنوا بالهلاك فكاتبوا الفرنج الذين بالاندلس
وصقليه يستمدونهم ويعرفونهم ما تجدد من ملك مصر وانهم خايفون على البيت المقدس
وارسلوا جماعه من القسوس والرهبان يحرضون الناس على الحركه فامدوهم بالمال والرجال
والسلاح واتعدوا على النزول على دمياط ظنا منهم انهم يملكونها ويتخذونها ظهرا
يملكون به ديار مصر فلما نازلوها حصروها وضيقوا على من بها فارسل اليها صلاح الدين
العساكر في النيل وحشر فيها كل من عنده وامدهم بالمال والسلاح والذخاير وتابع
رسله الى نور الدين يشكوا ما هو فيه من المخاوف وان تخلف عن دمياط ملكها الفرنج
وان سار اليها خلفه المصريون في مخلفيه ومخلفي عسكره بالسو وخرجوا من طاعته
وصاروا من خلفه والفرنج من امامه فجهز نور الدين اليه العساكر ارسالا كلما تجهزت
طايفه ارسلها فسارت اليه يتلو بعضها بعضا ثم سار نور الدين فيمن عنده من العساكر
فدخل بلاد الفرنج فنهبها واغار عليها واستباحها ووصلت الغارات الى ما لم يكن يبلغه
لخلو البلاد عن ممانع فلما راى الفرنج تتابع العساكر الى مصر ودخول نور الدين بلادها
ونهبها واخرابها رجعوا خايبين ولم يظفروا بشي وهذا موضع المثل ذهبت النعامه
تطلب قرنين فعادت بلا اذنين فوصلوا الى بلادهم فراوها خاويه على عروشها وكان
مده مقامهم على دمياط خمسين يوما اخرج فيها صلاح الدين اموالا لا تحصى حكي عنه
انه قال ما رايت اكرم من العاضد ارسل الي مده مقام الفرنج على دمياط الف الف دينار
مصريه سوى الثياب وغيرها قال القاضي ابن شداد لما علم الفرنج ما جرى من
المسلمين وعساكرهم وما تم من استقامة الامر في الديار المصريه علموا انه يملك بلادهم ويخرب
ديارهم ويقلع اثارهم لما حدث له من القوه والملك فاجتمع الفرنج والروم جميعا وحدثوا

نفوسهم

نفوسهم بقصد الديار المصريه والاستيلا عليها وملكها وراوا قصد دمياط لتمكن
القاصد لها من البر والبحر ولعلمهم انها ان حصلت لهم حصل لهم مغرس قدم ياوون اليه
فاستصحبوا المنجنيقات والدبابات والجروخ والات الحصار وغير ذلك ولما سمع الفرنج
بالشام ذلك اشتد امرهم فسرقوا حصن عكا من المسلمين واسروا صاحبها وكان
مملوكا لنور الدين يسمى خطلخ العلمدار وذلك في ربيع الاخر منها وفي رجب منها توفي العمادي
صاحب نور الدين واميرحاجبه وكان صاحب بعلبك وتدمر ولما راى نور الدين ظهور الفرنج
ونزولهم على دمياط قصد شغل قلوبهم فنزل على الكرك محاصرا لها في شعبان من هذه السنه
فقصده فرنج الساحل فرحل عنها وقصد لقاهم فلم يقفوا له ثم بلغه وفاه مجد الدين ابن الدايه
بحلب في رمضان فاشتغل قلبه لانه كان صاحب امره فعاد يطلب الشام فبلغه خبر
الزلزله بحلب التي خربت كثيرا من البلاد وكانت في ثاني عشر شوال من السنه المذكوره
وهو بعشترا فسار يطلب حلب فبلغه موت اخيه قطب الدين بالموصل وكانت وفاته
في الثاني والعشرين من ذي الحجه وبلغه الخبر وهو بتل باشر فسار من ليلته طالبا بلاد
الموصل ولما علم صلاح الدين شده قصد العدو دمياط انفذ الى البلد واودعه من الرجال
الابطال الفرسان والميره والات السلاح ما امن معه عليه ووعد المقيمين فيه بامدادهم
بالعساكر والالات وازعاج العدو عنهم ان نزل عليهم وبالغ في العطايا والهبات وكان
وزيرا متحكما لا يرد امره في شي ثم نزل الفرنج عليها في التاريخ المذكور واشتد زحفهم عليها
وقتالهم لها وهو رحمه الله يشن الغارات عليهم من خارج والعساكر يقاتلهم من داخل ونصر الله
للمسلمين بتاييدهم وحسن قصده في نصره دين الله يسعدهم وينجدهم حتى بان لهم الخسران
وظهرت على الكفر الايمان وراوا انهم ينجون برؤوسهم ويسلمون بنفوسهم فرحلوا خايبين
خاسرين فحرقت مجانيقهم ونهبت الاتهم وقتل منهم خلق عظيم وسلم البلد بحمد الله ومنه
وقال العماد اقام صلاح الدين بالقاهره في دار ملكه ومدار فلكه ينهض اليها
المدد بعد المدد ويرسل اليها العدد بعد العدد يسهر ليله ولا يقيل نهاره وقد اخلص لله سره
وجهاده ولا ينام ولا ينيم وعنده من ذلك المقعد المقيم وسبق تقي الدين ابن اخي السلطان

الى دمياط فدخلها وكذا خاله شهاب الدين محمود فنزلها واتصل الحصار وتواصل الانصار
ودب في الفرنج الفنا وهبت عليهم البلا فرحلوا عنها في الحادي والعشرين من ربيع الاول
بالذل الاكمل والصغار الاشمل وكان لما وصل الخبر الى نور الدين بوصولهم واجتماعهم على دمياط
ونزولهم اغتم واهتم واستصعب الملم ونهض من عنده عسكرا ثقيلا مقدمه الامير
قطب الدين خسرو الهذباني وكان مقداما مقدما وهماما معلما وامره ان يسير بالعسكر ويخوض
بهم بحر العجاج الاكدر فوصل في النصف من ربيع الاول قبل رحيل الفرنج باسبوع فوقع
روعه من الكفر في كل روع قلت ——— وبلغني من شدة اهتمام نور الدين رحمه الله بامر
المسلمين حين نزل الفرنج على دمياط انه قرئ عليه جزء من حديث كان له به روايه فجاء في جملة
تلك الاحاديث حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه بعض طلبة الحديث ان يتبسم لتتم
السلسلة على ما عرف من عادة اهل الحديث فغضب من ذلك وقال اني لاستحيي من الله
تعالى ان يراني متبسما والمسلمون محاصرون بالفرنج وبلغني ان اماما لنور الدين راى ليلة رحيل
الفرنج عن دمياط في منامه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له اعلم نور الدين ان الفرنج قد
رحلوا عن دمياط في هذه الليله فقال يا رسول الله ربما لا يصدقني فاذكر لي علامة يعرفها
فقال قل له بعلامة ما سجدت على تل حارم وقلت يا رب انصر دينك ولا تنصر محمودا
من هو محمود الكلب حتى ينصر قال فانتبهت ونزلت الى المسجد وكان من عادة نور الدين
انه كان ينزل اليه بغلس ولا يزال يتركع فيه حتى يصلي الصبح قال فتعرضت له فسالني عن
امري فاخبرته بالمنام وذكرت له العلامة الا انني لم اذكر لفظة الكلب فقال نور الدين
اذكر العلامة كلها والح علي في ذلك فقلتها فبكى رحمه الله وصدق الرؤيا فارخت تلك
الليله فجا الخبر برحيل الفرنج بعد ذلك في تلك الليله **فصل** ارسل نور
الدين كتابا الى العاضد صاحب القصر يهنيه برحيل الفرنج عن ثغر دمياط وكان قد ورد
عليه كتاب العاضد بالاستقالة من الاتراك في مصر خوفا منهم والاقتصار على صلاح الدين
والزامه وخواصه فكتب اليه نور الدين يمدح الاتراك ويعلمه انه ما ارسلهم واعتمد
عليهم الا لعلمه بان قطارات الفرنج ليس لها الا سهام الاتراك فان الفرنج لا يرعبون الا

منهم

150

منهم ولولاهم لزاد طمعهم في الديار المصرية وحصلوا منها على الامنية فلعل الله ييسر
فتح المسجد الاقصى مضافا الى نعمه التي لا تحصى قلت ——— ولعمارة اليمني من قصيدة ۞
من شاكر والله اعظم شاكر ما كان من نعمى بني ايوب
طلب الهدى نصرا فقال وقد اتوا حسبي فانتم غاية المطلوب
جلبوا الى دمياط عند حصارها عز القوي وذلة المغلوب
وجلوا عن الاسلام فيها كربة لو لم يجلوها اتت بكروب
فالناس في اعمال مصر كلها عتقاوهم من نازح وقريب
ان لم تظن الناس قشرا فارغا وهم اللباب فانت غير لبيب
وللشهاب فتيان الشاغوري من قصيدة يقول ——— ۞
ولا غرو ان عاد الفرنج هزيمة ولو لم تعد لم يبق للشرك ساحل
فقد ايقنت اعداؤه ان حظهم لديه رماح اشرعت او سلاسل
ولما اتوا دمياط كالبحر طاميا وليس له من كثرة القوم ساحل
يزيد عن الاحصا والعد جمعهم الوف الوف خيلهم والرواحل
راوا دونهم اسدا بايديهم القنا وبيضا رقاقا احكمتها الصياقل
وداروا بها في البحر من كل جانب ومن دونها سد من الموت حايل
رجا الكلب ملك الروم اذ ذاك فتحها فخاف فام الملك والروم هايل
فعادوا على الاعقاب منها هزيمة كانهم ذلا نعام جوافل
وما املوا ان يلحقوا ببلادهم لتعصمهم مما راوه المعاقل
قال ——— العماد وسالني كريم الملك ان اعمل له ابياتا في
صلاح الدين تهنيه بالنصر في دمياط فعملت قصيدة منها ۞
يا يوسف الحسن والاحسان يا ملكا بجده صاعدا اعداه هبطوا
حللت من وسط العليا في شرف ومركز الشمس من افلاكها الوسط
هنيت صونك دمياط التي اجتمعت لها الفرنج فما حلوا ولا ربطوا
مصر بيوسفيها اضحت مشرفة وكل امر لها بالعدل منضبط ۞ وجبروا في صلاح الدين اصلحها فللمصالح من ايامه نمط
قال ——— العماد ومما سيرته الى صلاح الدين قصيدة منها ان كان قلبي وحب مالكه مصر وفيها المليك يوسفها
هذا يسلب الفواد يظلمني وهو بقتل الاعداء ينصفها ۞ الملك الناصر الذي ابدا يعز سلطانه ويشرفها
قام باحواله يدبرها حسنا واثقالها يخففها ۞ بعدله والصلاح يعمرها وبالندا والجميل يكنفها

من دنس الغادرين رحضها ومن حباب العدى ينضفها
وان مصر ابملك يوسفها جنة خلد بروق زخرفها
وانه في السماح حاتمها وانه في الوقار احنفها
يوسف مصر الذي بلاحجاجات باوصافها تعرفها
كتب التواريخ لا يزينها الا ايامه مصنفها
وحطت دمياط اذ احاط بها من رجوم البلا يقذفها
لا انت غواة الفرنج خيبتها فزاد من حسرة تاسفها
اوردت قلب القلوب ارشيه من القنا اللدنا تنزفها
ولينها سفكها فعاملها عاملها والسنان مشرفها
يمضي لك الله في قتالهم عزيمة للجهاد ترهفها
وله فيه من اخرى
فلا تستقر اموري فيه بحسب اقتراحي
كما استقر صلاح الدنيا بملك الصلاح
تنير شمس اياديه في سما السماح
واسره مستقاد من القضا المتاح
وارسله نور الدين الى خلاط ومتوليها حينئذ ظهير الدين
سكمان المعروف بشاه ارمن قال فلما كتبت بما دونه كتبت
الى بعض المعارف ○
قد نزلنا في جوارك وطلبنا قرب دارك
وسرينا في الدياجي نهدنا ضوء نارك
فتدارك امرنا اليوم بطول متدارك
وتفرد باغتنام الشكر من غير مشارك
قال العماد وفي هذه السنة خرج نور الدين الى داريا

في مسير نجم الدين ايوب الى مصر بباقي اولاده

فاعاد عمارة جامعها وعمر مشهد ابي سليمان الداراني وشيد مشهده ○
واهله وقد وصف ذلك عمارة في قصيدة مدح بها السلطان صلاح الدين تقدم بعضها يقول فيها ○
صحت به مصر وكانت قبله تشكو اسقاما لم يعن بطبيب ○ عجبا للمعجز انت في عصره والدهر ولاد لكل عجيب
ردا لاله به قضية يوسف نسقا على ضرب من التقريب ○ جانه اخوته ووالده الى مصر على التدريج والترتيب
فاسعد باكرم قادم وبدولة قد ساعدتك رياحها بهبوب ○ قال العماد لما دخل فصل النيروز وزاد استاذن الامير

نجم الدين ايوب في قصده ولده صلاح الدين والخروج من دمشق الى مصر باهله وجماعته
ونسبه وكلبه وخيم بظاهر البلد الى ان وضح جدده وسار في حفظ فوصل الى مصر
في السابع والعشرين من رجب وقضى صاحب القصر العاضد من حق قدومه ما وجب وركب
لاستقباله وزاد اقبال البلاد باقباله ولما عزم على التوجه الى مصر شرع في تفريق املاكه
وتوفير ماله في شركاه على اشراكه وما استصحب معه شيا من موجوده وجعله نهبة لجوده
قلت ووقف رباطا داخل الدرب الذي يعرف بالعونية بباب البريد ثم قال العماد
ولما نصب نجم الدين ايوب لقصد مصر مضاربه وسحب العلى على روض الرضى سحائبه خرج
نور الدين الى راس الماء بعسكره وخيامه وادهق الجحف في ابعاد اعتزامه ثم اقام بعد
توديعه والوفا بحق تشييعه الى ان اجتمعت اليه عساكره وحضر بادي جنده وحاضره
وعب بحره وماج زاخره ثم توجهنا الى بلاد الكرك مستهل شعبان ونزلنا اياما بالبلقا
على عمان واقمنا على الكرك اربعة ايام نحاصرها ونصبنا عليها منجنيقين فورد الخبر ان
الفرنج قد تجمعوا ووصلوا الى ماعين فقال نور الدين نرى ان نعطف اعنتنا وبالله
نستعين فانا اذا كسرناهم وقسرناهم وقتلناهم واسرناهم ادركنا المراد وملكنا البلاد
فرحلنا اليهم فولوا مدبرين حين سمعوا برجوعنا وقالوا حلم عن الحصن تحصل وهو
مقصودنا وعاد نور الدين الى حوران فخيم بعشترا وصام رمضان وقال ابن الاثير
كان سبب حصر نور الدين الكرك ان نجم الدين ايوب والد صلاح الدين سار عن دمشق
الى مصر فسير نور الدين معه عسكرا فاجتمع معهم من التجار ومن كان له مع صلاح الدين انس
ومودة ما لا يعد فخاف نور الدين عليهم فسار الى الكرك فنزل عليه وحصره وسار نجم الدين
ايوب ومن معه سالمين ونصب نور الدين على الكرك المجانيق فاتاه الخبر ان الفرنج قد جمعوا
وساروا اليه وان ابن الهنفري وفليب بن الرفيق وهما فارسا الفرنج في وقتهما في المقدمة اليه
فرحل نور الدين رحمه الله تعالى نحوهما للقاء بهما ومن معهما قبل ان يلحق بهما باقي الفرنج وكانا
في مايتي فارس والف تركبلي ومعهم من الراجل خلق كثير فلما قاربهما رجعا القهقرى الى من
وراهم من الفرنج وقصد نور الدين وسط بلادهم ونهب ما كان على طريقه ونزل بعشترا واقام

واقام ينتظر حركة الفرنج ليلقاهم فلم يبرحوا من مكانهم خوفاً منه وقال ابن شداد
انفذ صلاح الدين في طلب والده ليكمل له السرور ويجمع القصة مشاكلة ما جرى للنبي
يوسف الصديق عليه السلام فوصل والده نجم الدين اليه وسلك معه من الادب ما كان
عادته والبسه الامر كله فابى ان يلبسه وقال يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر الا وانت
كفوه فلا ينبغي ان تغير موقع السعادة فحكمه في الخزاين باسرها وكان رحمه الله كريما
يطلق ولا يرد ولم يزل صلاح الدين وزيراً محكماً الى ان مات العاضد ابو محمد عبد الله وبه ختم امر
المصريين وقال ابن ابي طي الحلبي ارسل الخليفة المستنجد بالله من بغداد الى نور الدين
يعاتبه في تاخير اقامة الدعوة له بمصر فاحضر الامير نجم الدين ايوب والزمه الخروج الى ولده
بمصر بذلك وحمله رسالة منها وهذا امر يجب المبادرة اليه ليحظى بهذه الفضيلة الجليلة
والمنقبة النبيلة قبل هجوم الموت وحضور الفوت لا سيما وامام الوقت متطلع الى ذلك
بكليته وهو عنده من اهم امنيته وسار نجم الدين واصحبه نور الدين هدية سنية للملك
الناصر وخرج العاضد لتلقيه الى ظاهر باب الفتوح عند شجرة الاهليلج ولم تجر بذلك عادة
لهم وكان من العجب يوم شهده الناس وخلع العاضد عليه ولقبه الملك الافضل وحمل اليه
من الفضة الالطاف والتحف والهدايا واظهر السلطان من بره وتعظيم امره ما احرز
به الشكر والاجر وافرد له داراً الى جانب داره واقطعه الاسكندرية ودمياط والبحيرة
واقطع شمس الدولة اخاه قوص واسوان وعيذاب وكانت عبرتها في هذه السنة مايتي الف
وستة وستين الف دينار وسار شمس الدولة الى قوص وولاها شمس الخلافة محمد بن مختار
وكان السلطان قبل اقطاعها شمس الدولة قد سير رسلان بن دغمش لجباية خراجها فخرج
عليه عباس بن شادي في جماعة من الاعراب والعبيد في مرج بني هميم فغنمه رسلان وعاد
الى القاهرة وفي هذه السنة ليلة عيد الفطر رزق السلطان ولده الملك الافضل نور
الدين علي وفرح به فرحاً عظيماً وخلع واعطى وتصدق بما بهرت به العقول ومن قصيدة
للحكيم عبد المنعم قد تقدم بعضها ○

في مشرق المجد نجم الدين مطلعه وكل ابنايه شهب فلا افلوا
جاوا كيعقوب والاسباط اذ وردوا على العزيز من ارض الشام واشتملوا
لكن يوسف هذا جا اخوته ولم يكن بينهم نزغ ولا زلل
وملكوا مصر في شماخته ومثلها لرجال مثلهم نزل

فصل في ذكر الزلزلة الكبرى قال ابن الاثير وفي ثاني عشر شوال كانت
زلزلة عظيمة لم ير الناس مثلها عمت اكثر البلاد من الشام ومصر والجزيرة والموصل والعراق
وغيرها الا ان اشدها واعظمها كان بالشام فخربت بعلبك وحمص وحماه وشيزر وبعرين
وغيرها وتهدمت اسوارها وقلاعها وسقطت الدور على اهلها وهلك من الناس ما يخرج
عن العد والاحصا فلما اتى نور الدين خبرها سار الى بعلبك ليعمر ما انهدم من اسوارها
وقلعتها وكان لم يبلغه خبر غيرها فلما وصلها اتاه خبر ما في البلاد بخراب اسوارها وخلوها
من اهلها فرتب ببعلبك من يحميها ويعمرها وسار الى حمص ففعل مثل ذلك ثم الى حماه
ثم الى بارين وكان شديد الحذر على البلاد من الفرنج لا سيما قلعة بارين فانها مع قربها
منهم لم يبق من سورها شي البتة فجعل فيها طايفة صالحة من العسكر مع امير كبير
ووكل بالعمارة من يحث عليها ليلاً ونهاراً ثم اتى مدينة حلب فراى فيها من اثار
الزلزلة ما ليس بغيرها من البلاد فانها كانت قد اتت عليها وبلغ الرعب ممن نجا كل
مبلغ فكانوا لا يقدرون ياوون الى بيوتهم السالمة من الخراب خوفاً من الزلزلة فانها
عاودتهم غير مرة وكانوا يخافون يقيمون بظاهر حلب من الفرنج فلما شاهد ما صنعت
الزلزلة بها وباهلها اقام فيها وباشر عمارتها بنفسه وكان هو يقف على استعمال
الفعلة والبنايين ولم يزل كذلك حتى احكم اسوارها وجميع البلاد وجوامعها واخرج
من الاموال ما لا يقدر قدره ○ واما بلاد الفرنج خذلهم الله تعالى فانها ايضاً فعلت بها
الزلزلة قريباً من هذا وهم ايضاً يخافون نور الدين على بلادهم فاشتغل كل منهم بعمارة
بلاده عن قصد الاخر قال العماد وكانت قلاع الفرنج المجاورة لبعرين كحصن
الاكراد وصافيتا والعريمة وعرقا في بحر الزلازل غرقا لا سيما حصن الاكراد فانه لم يبق
له سور وقد تم عليه فيه دحور وثبور فشغلهم شانهم عن سواه وكل اشتغل بما دهاه

وتواصلت الأخبار من جميع بلاد الشام بما اخذته الزلزلة من الاخفاد والانهدام
قال وما سكنت النفوس من رعبها وسلت القلوب عن كربها الا بما دهم الكفار
من امرها وعراهم من ضرها فلقد خصتهم بالامض الاشق واخذتهم الرجفة بالحق
فانها وافقت يوم عيدهم وهم في الكنايس فاصبحوا للردى فرايس شاخصة
ابصارهم ينظرون فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
ثم ذكر العماد قصيدة في مدح نور الدين ووصف الزلزلة مطلعها

هل لعاني الهوى من الاسر فادي ... ولساري ليل الصبابة هادي
جنبوني خطب البعاد فسهل ... كل خطب سوى النوى والبعاد
كنت في غفلة من البين حتى ... صاح يوم الرحيل بالبين حادي
قد حللتم من مهجتي في السويدا ... ومن مقلتي محل السواد
وبخلتم من الوصال باسعافي ... كما كنتم من الاجواد
ويعيثم نسيمكم سلا فاني ... نعاد النسيم من عوادي
سمتموني تجلدا واشتياقا ... ومحال تجمع الاضداد
ابقا بعد الاحبة يا قلبي ... ما هذه شروط الوداد
ذاب قلبي وسال في الدمع لما ... دام من نار وجده في اتقاد
ما الدموع التي تحدرها الاشواق ... الا فتايت الاكباد
حبذا ساكنو فوادي وعيني ... بهم يسكنون سفح الوادي
اتمنى بالشام اهلي ببغداد ... واين الشام من بغداد
ما اعتياضي عن حبهم يعلم الله ... تعالى الا بحب الجهاد
واشتغالي بخدمة الملك العادل ... محمود الكريم الجواد
انا منه على سرير سروري ... دايم العيش في مراد مرادي
قيدتني بالشام منه الايادي ... والايادي للحر كالاقياد
قد وردت البحر الخضم وخلفت ... ملوك الدنيا به كالثماد

اخذتهم بالحق رجفة بايس ... تركتهم صرعى صروف الغوادي
خفضت من قلاعها كل عال ... واعادت تلاعها كالوهاد
انفذ الله حكمه فهو ماض ... مظهر سر غيبه فهو بادي
ايه اثرت ذوي الشرك بالهلك ... واهل التوحيد بالارشاد
والاعادي جرى عليهم من التدمير ... ما قد جرى على قوم عاد
اشركت في الهلاك بين الفريقين ... دعاه الاشراك والالحاد
ولقد حاربوا القضا فامضى ... حكمه فيهم بغير جلاد
والاله الرووف في الشام عنا ... دافع لطفه بلا البلاد

قال العماد وفي هذه السنة عند وصولنا الى حلب في الخدمة النورية كنت مقرظا للفضايل الشهرزورية وكان الحاكم بها القاضي محيي الدين ابو حامد محمد بن قاضي قضاة الشام كمال الدين ابي الفضل محمد بن عبد الله ابن القسم الشهرزوري وكان كمال الدين قد عدق به تنفيذ الاحكام واليه امور الديوان وهو ذو المكانة والامكان في بسط العدل ومحيي الدين له ينوب عنه في القضا بحلب وبلادها وينظر ايضا في امور بحماه وحمص من بني الشهرزوري قاضيان وهما حاكمان متحكمان وكان هذا محيي الدين من اهل الفضل وله نظم ونثر وخطب وشعر وكانت معرفتي به في ايام التفقه ببغداد في المدرسة النظامية منذ سنة خمس وثلثين والمدرس شيخنا معين الدين سعيد بن الرزاز وكان مذهب الشافعي رضي الله عنه بعلمه معلما مذهب الطراز وكانت الزلزلة بحلب قد خربت دار محيي الدين وسلبت قراره وغلبت اصطباره وجلبت افكاره فكتبت اليه قصيدة مطلعها

لو كان من شكوى الصبابة مشكيا ... للعدا على عدوي الصبابة معديا
مات الرجا فان اردت حيوته ... ونشوره فارج الامام المحييا
افضى القضاه محمد من لست منه ... للفضائل محصيا
قاض به قضت المظالم نحبها ... وغدا على اثارهن معفيا

لم تنعش الشهبا عند عثارها   لو لم يجدك لطود حلمك مرسيا
رجفت لسطوتك التي ارسلتها   نحو الطغاة لحدّ عزمك ممهيا
وتظلّمت من شرّهم فتململت   عجل اجازتها عليها مبقيا
انفث من الثقلا فيها اذ رمت   اثقالها وراتك منها ملجيا
حلب لها حلب المدامع مسيل   ان لا فت الخطب الفظيع المبكيا
وبعدل نور الدين عاود افقها   من بعد غيم الغم جوا مصحيا
اضحى ليحيها معيدًا بعدما   ذهبت وللمعروف فيها مسديا
لامورها متدبرًا لشتاتها   متالفًا لصلاحها متوليا

فصل في غزوة صاحب البيرة ووفاة صاحب الموصل قال ابن الاثير

كان شهاب الدين محمد بن الياس بن ايلغازي بن ارتق صاحب قلعه البيره قد سار في عسكره وهم مايتا فارس الى الخدمه النوريه وهو بعشترا فلما وصل الى اللبوه وهي من اعمال بعلبك ركب متصيدًا فصادف ثلثمايه فارس من الفرنج قد ساروا للغاره على بلاد الاسلام وذلك سابع عشر شوّال فوقع بعضهم على بعض واقتتلوا وصبر الفريقان لاسيما المسلمون لان الف فارس منهم لا تصبر لحمله ثلثمايه فارس من الفرنج وكثر القتلى بينهم وانهزم الفرنج وعمّهم القتل والاسر فلم يفلت منهم الا من يعتدّ به ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرًا كان مفعولا وسار شهاب الدين بالاسرى ورووس القتلى فراى فيها راس مقدم الاسبتاريّه صاحب حصن الاكراد وكانت الفرنج تعظمه لشجاعته ودينه عندهم ولانه شجى في حلوق المسلمين وكذلك ايضا راى راس غيره من مشهوري الفرنج فازداد سرورًا ولله الحمد قال وفيها في شوال توفي الملك قطب الدين مودود بن زنكي بالموصل وكان لما اشتد مرضه اوصى بالملك بعده لولده عماد الدين زنكي بن مودود وهو اكبر اولاده واعزهم عليه واحبهم اليه وكان النايب عن قطب الدين حينيذ والمقيم بامر دولته فخر الدين عبد المسيح وكان يكره عماد الدين زنكي لانه كان قد اكثر المقام عند عمه الملك العادل نور الدين رحمه الله وخدمه وتزوج

ابنته وكان عزيزًا عنده وحبيبه وكان نور الدين يبغض عبد المسيح لظلم كان فيه ويذمه ويلوم اخاه قطب الدين على توليته الامور فخاف عبد المسيح ان يتصرف عماد الدين في اموره عن امر عمه فيعزله ويبعده فاتفق هو والخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش زوجه قطب الدين فردوه عن هذا الراي فلما كان الغد احضر الامرا واستحلفهم لولده سيف الدين غازي وتوفي وقد جاوز عمره اربعين سنه وكان تام القامه كبير الوجه اسمر اللون واسع الجبهه جهوري الصوت وكانت ولايته احدى وعشرين سنه وخمسه اشهر ونصفا ولما توفي استقر سيف الدين غازي في الملك ورحل عماد الى عمه نور الدين شاكيًا ومستنصرًا وكان عبد المسيح هو يتولى امور سيف الدين ويحكم في مملكته وليس لسيف الدين من الامر الا اسمه لانه في عنفوان شبابه وغره حداثته قال وهذه حادثه تحث على العدل من جمله اعمال جزيره ابن عمر قريه تسمى العقيمه مقابل الجزيره من الجانب الشرقي يفصل بينهما دجله لها بساتين كثيره بعضها تمسح ارضه ويوخذ على كل جريب من الارض التي قد زرعت شي معلوم وبعضها عليه خراج ولا مساحه عليه وبعضها مطلق منهما فالممسوح منها لا يحصل لاصحابه منه الا القدر القريب وكان لنا بها عده بساتين فحكى لي والدي قال جانا كتاب فخر الدين عبد المسيح الى الجزيره وانا حينيذ اتولى ديوانها يامر بان يجعل بساتين العقيمه كلها ممسوحه فشق ذلك على اجل اصحابها ففيها ناس صالحون ولي بهم انس وهم فقرا فراجعته وقلت له لا تظن اني اقول هذا لاجل ملكي لا والله وانما اريد ان يدوم الناس على الدعا للمولى قطب الدين وانا امسح ملكي جميعه قال فاعاد الجواب بامر المساحه ويقول تمسح اولا ملكك يقتدي بك غيرك ونحن نطلق لك ما يكون عليه فشرع النواب يمسحون وكان بالعقيمه رجلان صالحان بيني وبينهما موده اسم احدهما يوسف والاخر عباده فحضرا عندي وتضرّرا من هذه الحال وسالاني المكاتبه في المعنى فاظهرت لهما كتاب عبد المسيح جوابا عن كتابي فشكراني وقالا وايضا نعود نراجعه فعاودت القول فاصرّ على المساحه فعرّفتهما الحال فلما مضى عدّة ايام عدت يومًا الى داري واذاهما قد صادفاني على الباب فقلت لنفسي عجبا لهذين الشيخين

قد ايامر اجعي وهما يطلبان مني ما لا اقدر عليه فقلت لهما والله اني لاستحيي منكما كلما
جئتما في هذا المعنى وقد رايتما الحال كيف هو فقالا صدقت ولم نحضر الا لنعرفك ان
حاجتنا قضيت فظننت انهما قد ارسلا الى الموصل من يشفع لهما فدخلت الى داري
وادخلتهما معي وسالتهما عن الحال كيف هو ومن الذي سعى لهما فقالا ان رجلا من
الصالحين الابدال شكونا اليه حالنا فقال قد قضيت حاجة اهل العقيمة كلهم
قال فوقع عندي من هذا ولكن تارة اصدقهما لما اعلم من صلاح احوالهما وتارة اعجب من
سلامة صدورهما كيف يعتمدان على هذا القول ويعتقدانه واقعا لا شك فيه فلما كان
بعد ايام وصل قاصد من الموصل بكتاب يامر فيه باطلاق مساحة العقيمة واطلاق
كل مسجون وبالصدقة فسالت القاصد عن السبب فاخبرنا ان قطب الدين شديد المرض
قال فافكرت في قولهما وتعجبت منه ثم توفي بعد يومين من هذا قال ورايت
والدي اذا راى احد الرجلين يبالغ في اكرامه ويحترمه ويقضي اشغاله واتخذهما صديقين
قال وكان قطب الدين من احسن الملوك واعفهم عن اموال رعيته محسنا اليهم كثير الانعام
عليهم محبوبا الى صغيرهم وكبيرهم حليما عن المذنبين سريع الانفعال للخير حدثني والدي
قال استدعاني يوما وهو بالجزيرة وكنت اتولى اعمالها فلامني في بعض الامر فقلت اخاف
من الاستقصا لو دعي على بعض هولاء الملوك واومات الى اولاده لكانت شعرة منه تساوي
الدنيا وما فيها ولنا مواضع تحتمل العمارة تحصل منها اضعاف هذا فقال جزاك الله
خيرا لقد نصحت واديت الامانة فاشرع في عمارة هذه الاماكن ففعلت وكبرت
منزلتي عنده ولم يزل يثني علي قال وكان كثير الصبر والاحتمال من اصحابه لقد صبر من
نوابه زين الدين وجمال الدين وغيرهما على ما لم يصبر عليه سواه وكان حسن الاتفاق مع اخيه
الملك العادل نور الدين كثير المساعدة والانجاد بنفسه وعسكره وامواله حضر معه
المصاف بحارم وفتحها وفتح بانياس وكان يخطب له في بلاده باختياره من غير خوف وكان
احسانه الى اصحابه متتابعا من غير طلب منهم ولا تعريض وكان يبغض الظلم واهله ويعاقب
من يفعله قال وبالله اقسم اذا فكرت في الملوك اولاد زنكي سيف الدين ونور

الدين وقطب الدين وما جمع الله فيهم من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال وحسن السيرة
وعمارة البلاد والرفق بالرعية الى غير ذلك من الاسباب التي يحتاج الملك اليها
اذكر قول الشاعر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

قلت وقرات بخط الشيخ عمر الملا رحمه الله في كتاب كتبه بعض الصالحين
وساله فيه الدعا لقطب الدين صاحب الموصل وقال فيه يا اخي لو ذهبت اشرح لك
سيرته في بلاده وعيش رعيته في ولايته اطلت واضجرت غير اني اذكر لك ما خصه الله به من
الاخلاق الصالحة هو من اكثر الناس رحمة واشدهم حيا واعظمهم تواضعا واقلهم طمعا
وازهدهم في الظلم واكثرهم صبرا وابعدهم غضبا واسرعهم رضا وهو من هذه الاخلاق على
حاله ابا محبة لا اقدر اصفها وبيني وبينه اخاء ومزاورة يزورني وازوره

قال ابن الاثير ولما بلغ نور الدين وفاة اخيه قطب الدين وملك ولده سيف الدين بعده
واستيلا عبد المسيح واستبداده بالامور وحكمه على سيف الدين انف من ذلك وكبر لديه
وشق عليه وكان يبغض عبد المسيح لما يبلغه من خشونته على الرعية والمبالغة في اقامة
السياسة وكان نور الدين رحمه الله لينا رقيقا عادلا فقال انا اولى بتدبير بني اخي وملكهم
ثم سار من وقته فعبر الفرات عند قلعة جعبر اول المحرم **ثم دخلت**
سنة ست وستين وخمسماية وقصد الرقة فامتنع النايب بها شيا من الامتناع ثم سلمها على
شي اقترحه فاستولى نور الدين عليها وقرر امورها وسار الى الخابور فملكه جميعه ثم ملك
نصيبين واقام بها يجمع العساكر فانه كان قد سار جريدة فاتاه بها نور الدين محمد بن قرا ارسلان
صاحب الحصن وديار بكر واجتمعت عليه العساكر وقد ترك اكثر عسكره بالشام لحفظ
ثغوره واطرافه من الفرنج وغيرهم فلما اجتمعت العساكر سار الى سنجار فحصرها واقام عليها
ونصب المجانيق وكان بها عسكر كثير من الموصل فكاتبه عامة الامرا الذين بالموصل يحثونه
على السرعة اليهم ليسلموا البلد اليه واشاروا بترك سنجار فلم يقبل منهم وقام حتى ملك سنجار
وسلمها الى ابن اخيه الاكبر عماد الدين زنكي ثم سار الى الموصل فاتى مدينة بلد وعبر دجلة في

مخاضة عندها الى الجانب الشرقي وسار فنزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة
بينه وبين الموصل قال ومن العجائب انه يوم نزوله سقط من سور الموصل بدنة كبيرة
وكان عبد المسيح قد سير عز الدين مسعود بن قطب الدين الى اتابك ايلدكز صاحب بلاد
الجبل واذربيجان واران وغيرها يستنجده فارسل ايلدكز رسولا الى نور الدين ينهاه عن
قصد الموصل ويقول له ان هذه البلاد للسلطان ولا سبيل لك اليها فلم يلتفت نور الدين
الى رسالته وكان بسنجار فسار الى الموصل وقال للرسول قل لصاحبك انا ارفق ببني اخي منك
فلا تدخل نفسك بيننا وعند الفراغ من اصلاحهم يكون الحديث معك على باب همذان فانك
قد ملكت النصف من بلاد الاسلام واهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها وقد بليت انا
وحدي باشجع الناس الفرنج فاخذت بلادهم واسرت ملوكهم فلا يجوز لي ان اتركك على ما
انت عليه فانه يجب علينا القيام بحفظ ما اهملت من بلاد الاسلام وازالة الظلم عن المسلمين
فعاد الرسول بهذا الجواب وحصر نور الدين الموصل فلم يكن بينهم قتال وكان هوى
كل من بالموصل من جندي وعامي معه لحسن سيرته وعدله وكاتبه الامرا يعلمونه انهم على
الوثوب على عبد المسيح وتسليم البلد اليه فلما علم عبد المسيح ذلك راسله في تسليم البلد اليه
وتقريره على سيف الدين ويطلب الامان واقطاعا يكون له فاجابه الى ذلك وقال لا سبيل
الى ابقايه بالموصل بل يكون عندي بالشام فاني لم ات لاخذ البلاد من اولادي انما جيت لاخلص
الناس منك واتولى انا ترتيب اولادي فاستقرت القاعدة على ذلك وسلمت الموصل اليه
فدخلها ثالث عشر جمدى الاولى وسكن القلعة واقر سيف الدين غازي على الموصل
وولى قلعتها خادما يقال له سعد الدين كمشتكين وجعله دزدارا فيها وقسم جميع
ما خلفه اخوه قطب الدين بين اولاده بمقتضى الفريضة ولما كان يحاصر الموصل جاته خلعة
من الخليفة فلبسها فلما دخل الموصل خلعها على سيف الدين واطلق المكوس جميعها من الموصل
وساير ما فتحه من البلاد وامر ببنا الجامع النوري بالموصل فبني واقيمت الصلاة فيه سنة
ثلاث وسبعين وخمسمايه واقام بالموصل نحو عشرين يوما وسار الى الشام فقيل له انك
تحب الموصل والمقام بها ونراك اسرعت العود فقال قد تغير قلبي فيها فان لم افارقها ظلمت

ويمنعني ايضا انني هاهنا لا اكون مرابطا للعدو وملازما للجهاد ثم اقطع نصيبين والخابور
العساكر واقطع جزيرة ابن عمر سيف الدين غازي بن اخيه مع الموصل وعاد الى الشام ومعه عبد
المسيح فغير اسمه وسماه عبد الله واقطعه اقطاعا كبيرا وقال العماد استدعاني
نور الدين ونحن بظاهر الرقة وقال لي قد انست بك وامنت اليك وانا غير مختار للفرقة لكن
المهم الذي عرض لا يبلغ فيه غيرك الغرض فتمضي الى الديوان العزيز بجريدة وتؤدي عني رسالة
شديدة شنيعة وتنهي اني قصدت بيتي وبيت والدي ومعي طريفي وتالدي وانا اجيره
ووارثه والذي له حديثه وحادثه فامض وخذ لي اذنا فاني اعد كل جارحة لما اخاطب
به اذنا وامثل ما يصلني من المثال الدافع كل مكروه ركنا وامر ناصر الدين محمد بن شيركوه ان يسير بي
الى الرحبة في رجال مامونين الصحبة وسرت منها على البرية غربي الفرات بخفير من بني
خفاجة فذكر انه وصل وقضى الحاجة ثم رجع من عند الخليفة المستنجد الى نور الدين وهو
يحاصر سنجار فاخذها وسلمها الى ختنه ابن اخيه عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي
قال ثم رحل على عزم الموصل وقصد بلد واستوضح فيها الجلد ودل هناك في دجلة على
مخاضة وكان ذا اخلاق وهمم مرتاضة فاستسهل من خوضها والعبور فيها ما ظن مستصعبا
وسهل الله لنا ذلك ورايناه امرا عجيبا وجا دليل تركماني قدامنا وهو يقطع دجلة تارة طولا
وتارة عرضا امامنا ونحن وراه كخيط واحد لا نميل يمينا ولا يسارا ولا نجد لنا في سوى ذلك
المجاز اختيارا حتى عبرنا من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي برحالنا واثقالنا وخيلنا
وبغالنا وجمالنا واقمنا بقية ذلك اليوم حتى تم عبور القوم ثم رحلنا ونزلنا على الموصل من
شرقيها وخيمنا على تل توبة فاستعظم اهلها تلك النوبة وما خطر ببالهم انا نعبر بغير مراكب
وانا خذ عليهم ذلك الجانب فعرفوا انهم محصورون مقهورون محسودون وانقطعت
عنهم السبل من الشرق وتعذر عليهم الرفق لاتساع الخرق وبسط العطا وكشف الغطا وتكلم
في المصلحة والمصالحة الوسطا ومد الجسر وقضى الامر وانعم نور الدين على اولاد اخيه ومثلوا
بناديه واقر سيف الدين غازيا على قاعدة ابيه والبسه التشريف الذي وصله من امير
المومنين المستضي ثم دخل قلعة الموصل واقام بها سبعة عشر يوما وجدد مناشير اهل المناصب

وتوقيعات ذوي المراتب من القضا والنقابه وغيرهما وامر باسقاط جميع المكوس
والضرايب وانشا بذلك منشورًا يقرا على الناس فمنه قد قنعنا من كثير الاموال باليسير
من الحلال فسحقًا للسحت ومحقًا للحرام الحقيق بالمقت وبعدًا لما يبعد من رضى الرب
ويقصي من محل القرب وقد استخرنا الله وتقربنا اليه وتوكلنا في جميع الاحوال عليه وتقدمنا
باسقاط كل مكس وضريبه في كل ولايه لنا بعيده او قريبه وازاله كل جهه مشتبهه
مشوبه ومحو كل سنه سيئه شنيعه ونفي كل مظلمة مظلمه فظيعه واحيا كل سنه
حسنه وانتهاز كل فرصة في الخير ممكنه واطلاق كل ما جرت العاده باخذه من الاموال
المحظوره خوفًا من عواقبها الرديه المحذوره فلا يبقى في جميع ولايتنا جور جاير جاريًا
ولا عمل لا يكون به الله راضيًا ايثارًا للثواب الآجل على الحطام العاجل وهذا حق لله قضيناه
وواجب علينا اديناه بل هي سنه حسنه سنناها ومحجه واضحه بيناها وقاعده محكمه
مهدناها وفايده مغتنمه افدناها **فصل** قال العماد وكان بالموصل رجل
صالح يعرف بعمر الملا سمي بذلك لانه كان يملا تنانير الجص باجره يتقوت بها وكل ما
عليه من قميص ورداو كسوه وكسا قد ملكه سواه واستعاره فلا يملك ثوبه ولا ازاره
وكان له شي فوهبه لاحد مريديه وهو يتجر لنفسه فيه فاذا جاه ضيف قراه ذلك المريد
وكان ذا معرفه باحكام القران والاحاديث النبويه وكان العلما والفقها والملوك والامرا
يزورونه في زاويته ويتبركون بهمته ويتيمنون ببركته وله كل سنه دعوه يحتفل بها
في ايام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضره فيها صاحب الموصل ويحضر الشعرا
وينشدون مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك المحفل وكان نور الدين من اكبر
محبيه يستشيره في حضوره ويكاتبه في مصالح اموره وكانت بالموصل خربه واسعه في
وسط البلد اشيع عنها انه ما شرع في عمارتها الا من ذهب عمره ولم يتم على مراده امره
فاشار الشيخ عمر على نور الدين بابتياعها ورفع بنايها جامعًا تقام فيه الجمع والجماعات
ففعل وانفق فيه اموالًا كثيره ووقف عليه ضيعه من ضياع الموصل ورتب فيه خطيبًا
ومدرسًا وكان قد وصل في تلك السنه ولغدا الفقيه عماد الدين ابو بكر النوقاني الشافعي

من اصحاب الامام محمد بن يحيى فسالـه ان يكون مدرسًا في ذلك الجامع وكتب له به منشورًا
قال وحضر مجاهد الدين قايماز صاحب اربل الى الخدمه النوريه بالموصل وكان دخولهم
اياها في بحبوحه الشتا فكتب العماد الى بعض كبرا الموصل قصيده منها

ما يمنع الخادم من قصده الخدمه غير الطرق والوحل
كانما موصلكم مقطع ما يهتدي فيه الى وصل
وكل معروف بها منكر كما تراه ضيق السبل
وكل من حل بها لا يرى في زمن الخصب سوى المحل
ومذ دخلناها حصلنا بها كرهًا على خرج بلا دخل
اصعب ما نلقاه من اهلها قول بلا اهل ولا سهل

ما تشتهي اهلها [illegible]
بهم الكرام [illegible]
ما انتهى احد [illegible] احسانه حظه هل
الى من الفضل

قال وعاد نور الدين الى سنجار فاعاد عمارة اسوارها ثم اتى حران وقد اقتطعها عن
صاحب الموصل هي ونصيبين والخابور والمجدل ووصل حلب في خامس رجب قال
ابن شداد دخل حلب في شعبان وزوج صاحب الموصل ابنته قال العماد وفوض القضا
والحكم بنصيبين وسنجار والخابور الى الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون فولى بها نوابه
وحكم فيها اصحابه وقال القاضي بن شداد لما صارت الموصل الى سيف الدين
ابن اخي نور الدين كان قد استولى عليه وتولى امر البلد رجل يقال له عبد المسيح كان نصرانيًا
فاسلم وقيل انه كان باقيًا على نصرانيته وله بيعه في داره وتتبع ارباب العلم والدين وشتتهم
وابعدهم واذى المسلمين فبلغ نور الدين ذلك وكتب له قصص في ذلك فسار ونزل على
الموصل من جانب الشط والشط بينه وبينها وقال لا اقاتل هذه البلد واهتك حرمتها
وهي لولدي ولا اسل سيف وقال انا ليس مقصودي البلد وانما مقصودي حفظ البلد
فانه قد كتب الي في عبد المسيح كذا كذا الف قصه بما يفعل مع المسلمين وانا مقصودي
ازيل هذا النصراني عن ولايه المسلمين قال وعبد المسيح يدبر البلد ويدور فيه والامر اليه
وبذل الصلح لنور الدين فقال نور الدين انا قد جيت ولا بد لي من دخول البلد فقال نعم
لا يدخل الا من باب السر فقال نور الدين ما ادخل الا من باب السر فجرت بين نور الدين وبين

ابن اخيه مراسلات الى ان علم ان نيته صالحه فصالحه في السر وركب عبد المسيح وخرج
يدور بين السور بين فجاه بعض اصحابه وقال له انت نايم ودمك قد راح وانت غافل فقال
ما الخبر فقال سيف الدين قد صالح عمه وانت في مقابله نور الدين فجا ودخل على سيف
الدين والقى شربوشه بين يديه وقال له انك قد صالحت عمك وقد علمت ما عملت في حفظ بلادك
ومالي طاقه بمقابله نور الدين فالله الله في دمي فقال له مالي طاقه بدفعه عنك ولكن عليك
بالشيخ عمر الملا فقال والله لو مضيت اليه لم يفتح لي لعلمه بما جرى منه في حق المسلمين ولكن
تشير انت اليه فانفذ سيف الدين اليه واستحضره وكان معتكفا فقال له ما الخبر
فقال سيف الدين لعبد المسيح امض اليه فوقف بين يديه يبكي فالتفت اليه الشيخ
عمر وقال من يعادي الرجال يبكي مثل النسا فقال له قد تمسكت بك واطلب منك
حقن دمي فقال انت امن على دمك فقال وعلى مالي فقال وعلى مالك فقال وعلى اهلي فقال وعلى
اهلك وكان شرف الدين بن ابي عصرون مع نور الدين حينئذ فقال سيف الدين لعمر
الملا تخرج تحلف نور الدين فاحضر الفقها وعملوا نسخه يمين ونسخه يمين لعبد المسيح فاخذها
عمر وخرج الى نور الدين فقام نور الدين وخرج من خيمته والتقاه واكرمه فقال له عمر
الناس يعلمون حسن عقيدتك في وقد خرجت في كذا وكذا وناوله النسخه التي تتعلق بسيف
الدين فقراها وناولها لابن ابي عصرون فقال نسخه جيده فقال له الشيخ عمر الملا ايش
يقول في هذه النسخه فقال جيده فقال اذا حلف بها على هذا الوجه اليس انها تنعقد لازمه
فقال بلى فقال للحاضرين اشهدوا واعلى الشيخ بذلك يشير الى نور الدين كان يجري منه ايمان
في وقايع وكان ابن ابي عصرون يفتيه بالخروج منها فقيد عليه القول فاجاب نور الدين
الى ذلك فقال له قد علم الناس حسن عقيدتك في وان قولي مسموع عندك وقد خرجت اليك
ولا بد من ضيافه فقال كيف لي بذلك وانت لا تاكل طعامي ولا تقبل مني شيا فقال تحلف
لي بهذه النسخه فوقف عليها وتغير وجهه وقال انا ما جيت الا في هذا لاخلص المسلمين
منه فقال الشيخ عمر فما اطلب منك ان توليه على المسلمين فقال قد امنته على نفسه فقال
وعلى اهله فقال ومن اهله فقال نصارى فقال امنتهم فقال وعلى ماله فقال ومن اين لهذا

الكلب

الكلب مال هذا مملوك لنا فقال قد اعتق وماله له وهو اليوم كان صاحب الموصل قال
فقد امنته على ماله فحلف له على ذلك جميعه واستقر الصلح وخرج سيف الدين الى خدمه
نور الدين فوقف بين يديه فاكرمه نور الدين وكان وصله خلعه امير المومنين فخلعها عليه ودخل
الى الموصل بها وانتقل الى جانب الشط الاخر ولم يدخل الى الموصل الى ان جا مطر شديد جدا
فدخل من باب السر اليها واقام بها مده ورتب امورها وولى فيها كمشتكين فراى النبي صلى الله
عليه وسلم ذات ليله وهو يقول له جيت الى بلدك وطاب لك المقام به وتركت الجهاد وقتال
اعدا الدين فاستيقظ من منامه وسار سحره ذلك اليوم ولم يلبث ولم يعلم به اكثر الناس حتى
خرج ولحقوه رحمه الله **فصل** وصل الخبر بموت الامام المستنجد بالله ابي
المظفر يوسف بن المقتفي بالله ونور الدين مخيم بشرقي الموصل بتل توبه وكانت وفاته يوم
السبت تاسع ربيع الاخر وبويع ابنه المستضي بامر الله ابو محمد الحسن وكان مولد المستنجد
مستهل ربيع الاخر سنه عشر وخمس ميه وكانت خلافته احدى عشره سنه وسته ايام وهو
الثاني والثلثون من خلفا بني العباس وهذا العدد له بحساب الجمل اللام والباء وفيه يقول
بعض الادباء ۝

اصبحت لب بني العباس كلهم ان عددت بحساب الجمل الخلفا

وكان اسمر تام القامه طويل اللحيه وكان من احسن الخلفا سيره مع الرعيه كان عادلا فيهم كثير
الرفق بهم واطلق من المكوس كثيرا ولم يترك بالعراق مكسا وكان شديدا على اهل العيث
والفساد والسعايه بالناس قال ابن الاثير بلغني انه قبض على انسان كان يسعى بالناس
ويكتب فيهم السعايات فاطال حبسه فحضر بعض اصحابه وشفع فيه وبذل عنه عشره الف
دينار فقال له انا اعطيك عشره الاف دينار وتحضر لي انسانا اخر مثله احبسه لاكف شره
عن الناس وفي ايامه توفي شيخ الشيوخ اسمعيل ابن ابي سعد وصار بعده ابنه صدر الدين
عبد الرحيم شيخ الشيوخ وذلك سنه احدى واربعين وفي سنه ثمان واربعين توفي محمد بن نصر
القيسراني واحمد بن منير الشاعران وقد تقدم ذلك وفي سنه تسع واربعين توفي الحكم ابو
الحكم الشاعر الاندلسي وفي سنه احدى وخمسين توفي الواوا الشاعر الحلبي وفي سنه ثلاث

وستين توفي الشيخ ابو النجيب الصوفي الفقيه الواعظ قال العماد وجا نا رسل
دار الخلافه مبشرين بخلافه المستضي واتفق ذلك يوم عبور دجله وركب يوم النزول على
تل توبه في الاهبه السودا والبد البيضا وذلك بمراى ومنظر من اهل الموصل الحدبا ثم
ارسل الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون الى بغداد نايبا عنه في خدمه الامام ومما
نظمه العماد فيه ○

قد اضا الزمان بالمستضي وارث البرد وابن عم النبي
جا بالحق والشريعه والعدل فيا مرحبا بهذا المجي
فهنيا لاهل بغداد فازوا بعد بوس بكل عيش هني
ومضى ان كان في الزمن المظلم فالعود في الزمان المضي

وله من قصيده اخرى

لهفي على زمن الشباب فانني بسوى التاسف عنه لم اتعوض
نفضت عهود الغانيات وانها لولا تقاشيبيني لم تنقض
ما احسن ايام الصبا وكانها ايام مولانا الامام المستضي
بدر الدجى الزهرا ليس بنورها والطلعه الغرا
فهي السعاده من سنا القمر الوجه الوضي في الكوكب الغض
فضل الخلافه والكلام المرتضى والفضل والافضال والاقض والحلم والرجي
يا ابن امير المومنين بل وسعادة نفسي ما تقضي

قال ووصل نور الدين رحمه الله تعالى الى دمشق وادى فرض الصيام وخرج
بعد العيد الى الخيام واخرج سرادقه الى جسر الخشب وسرنا الى عشترا ثم ذكر العماد
هنا سريه صاحب البيره الارتقي بالليوه وقد مضت في اخبار سنه خمس وستين ثم
ذكر ابن الاثير فيما جرى بمصر في هذه السنه قال العماد كان بمصر
حبس للشحن يعرف بدار المعونه فاعادها صلاح الدين مدرسه للشافعيه في اول سنه
ست وستين وعمل في النصف من المحرم دار الغزل مدرسه للمالكيه وولى صدر الدين
عبد الملك بن درباس القضا والحكم بمصر والقاهره واعمالها وذلك في الثاني والعشرين
من جمدى الاخره ثم خرج الى الغزاه واغار على الرمله وعسقلان وهجم ربض غزه ثم رجع
الى القاهره ثم وصله الخبر بخروج قافله من دمشق فيها اهله فاشفق عليها واحب ان
يجتمع بها شمله فخرج في النصف من ربيع الاول وكانت قلعه في البحر قد حصنها اهل الكفر

نعم

نعمر لها مراكب وحملها الى ساحلها على الجمال وركبها الصناع هناك وشحنها بالرجال
وفتح القلعه في العشر الاول من ربيع الاخر واستخلصها واستباح بالقتل والاسر اهلها وملاها
بالعدد والعدد وحصنها باهل الجلاد والجلد واجتمع باهله عليها وسار بهم على سمت
القاهره ودخلوا في السادس والعشرين من جمدى الاولى اليها وسار الى الاسكندريه في
الثالث والعشرين من شعبان ليشاهدها ويرتب قواعدها وهي اول دفعه سار اليها
في ايام سلطانه وعم اهلها باحسانه وامر بعماره اسوارها وابراجها وابدانها وفي النصف
من شعبان اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن اخي صلاح الدين منازل العز بمصر
وجعلها مدرسه للشافعيه واشترى الروضه وحمام الذهب وغيرهما من الاملاك
ووقفها عليها وفي النصف من جمدى الاخره اغار شمس الدوله اخو السلطان بالصعيد
على العربان ثم دخل القاهره في عاشر شهر رمضان وفي الثالث والعشرين من جمدى
الاخره توفي القاضي الموفق ابو الحجاج يوسف بن الخلال وكان من الاماثل الافاضل
ولم يزل صاحب ديوان الانشا الى ان كبر وكان الاجل الفاضل يوصل اليه كل ما كان له وقام به
مده حياته يكرم عهده ويكفله وقال في الخريده هو ناظر ديوان مصر وانسان
ناظره وجامع مفاخره وكان اليه الانشا وله قوه على الترسل يكتب ما يشا عاش كثيرا
وعطل في اخر عمره واضر ولزم بيته الى ان نعوض منه القبر ومن شعره ○

يا اخا الغر حسب الدهر من عظه المغرور ما اصبح بيدي
نوب الدنيا فهل نلت بها الحظه تخلص من هم وكمد

قلت وذكر ضيا الدين ابو الفتح نصر الله بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري في
اول كتابه المسمى بالوشي المرقوم في حل المنظوم قال حدثني عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه
الله بمدينه دمشق في سنه ثمان وثمانين وخمسمايه قال كان فن الكتابه بمصر في زمن بني
عبيد غضا طريا وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من راس يراس مكانا وبيانا ويقيم لسلطانه
بقلمه سلطانا وكان من العاده ان كلا من ارباب الدواوين اذا نشا له ولد وشدا شيا
من علم الادب احضره الى ديوان المكاتبات ليتعلم فن الكتابه ويتدرب ويرى ويسمع

قال فارسلني والدي وكان اذ ذاك قاضياً بثغر عسقلان الى الديار المصرية في ايام
الحافظ وهو احد خلفا بها وامرني بالمصير الى ديوان المكاتبات وكان يراس به في تلك
الايام رجلاً يقال له ابن الخلال فلما حضرت الديوان ومثلت بين يديه وعرفته من انا وما
طلبي رحب بي وسهل ثم قال ما الذي اعددت لفن الكتابة من الالات فقلت ليس عندي
شي سوى اني احفظ القران العزيز وكتاب الحماسة فقال في هذا بلاغ ثم امرني بملازمته
فترددت اليه وتدربت بين يديه به امرني بعد ذلك ان احل شعر الحماسة فحللته من اوله الى
اخره ثم امرني ان احله مرة ثانية فحللته وقال ———— بن ابي طي في هذه السنة شرع
السلطان يعني صلاح الدين في عمارة سور القاهرة لانه كان قد تهدم اكثره وصار طريقا
لا يرد داخلاً ولا خارجاً وولاه لقراقوش الخادم وقبض على القصور وسلمها اليه وامر
بتغيير شعار الاسماعيلية وقطع من الاذان حي على خير العمل وشرع في تمهيد اسباب الخطبة
لبني العباس وفيها طلب شمس الدولة من اخيه السلطان ربع الكامل بالقاهرة وازداد
على اقطاعه بوش واعمال الجيزة وسمنود وغيرها قلت ———— وقد وقفت على كتاب
فاضلي وصف فيه غزاة غزاها صلاح الدين رحمه الله في زمان وزارته وكان الكتاب الى
مدينة قوص واظن هذه الغزاة هي التي اشار اليها العماد في اثنا كلامه السابق اول الكتاب
انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وفيه
توجهنا من بركة الجب يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الاول ووصلنا بتاريخ السابع
والعشرين من الشهر المذكور والعساكر بالسهل والوعر منتظمة والهمم على السهل والصعب
من رحمه وجنود الله في الارض المعلمة قد ابنتها جنود السما المسومة وصابحنا البير يوم الاربعا
بقتال جعل كل من في حصن البير راهبا ونصبنا عليه منجنيقا لا يزال بشهاب القذف ضاربا
فلما تعالى النهار ملكنا ربضه واطلقنا فيه النيران ورملنا الرجال بالدم وارملنا النسوان
وزحفنا الى ابراجه وهي ابراج قد تشعبت للبلا جلبابا فجعلنا الكل واحد جوزة مفرده
وبابا وسرحنا اليهم رسل المنايا من النشاب وفضضنا احد الابراج والبيوت تتوقى في الحرب
من غير الابواب ونفذت اليها نقابة الحلبية فباتت ليلتها تشاور وتراجعه بالسنة

المعاول

المعاول وتشاور واسفر الصبح وقد امكن تعليقه وتيسر تخريبه فاودعنا تلك العقود
الالات الوقود فلم يكن الا مقدار اشتغالها حتى خر صريعاً سريعاً وعفر بين ايدينا سامعاً
مطيعاً وانتظمت الرجال على الحجارة وتواثبت الى امثاله من الابراج وانظاره فحصلت
في القبضة وعجز من كان فيها عن النهضة واحتكم فيها العذاب بالسيف والنار وضاق
عليهم مجال النفس والقرار واستقبلنا يوم الخميس وتقديم المنجنيق وتيسير السبيل للقتال
وتخليص الطريق هذا والكثوب والنهوب فلما ثارت منها العساكر وخرجت فيها مكنونات
الذخاير واشبه اليوم يوم تبلى السراير وطهر الارض منهم بالدم الماير فلما كان بكرة الجمعة
وردتنا الاخبار بان الملك قد زحف من غزة في فارسه وراجله ورامحه ونابله وحشود
ديار وجنود انصار فركبنا مستبشرين بزحفه موقنين بحتفه ولقيناه فاحطنا
من بين يديه ومن خلفه وناوشته الخيل الطراد واحدقت به احداق الاغلال بالاجياد وانتظرت
حملته التي كانت لها قبل ذلك اليوم موقع وصدمته التي لها من رجال الحرب موضع فملا الله قلبه
رعبا وثنى صدقه كذبا ولم يزل يخاتل ولا يقاتل ويواصل المسير ولا يصاول القتل في
اعاقبه وايدي السيوف وسواعد الرماح لا تني في عقابه حتى تحصل في البير هو وخيله ورجله
ولم يبق له من ملك الشام الا ما وطيته رجله فناصبناه الحصار في ليلة السبت مستهل
ربيع الاخر بالركوب اليه والوقوف عليه بين زو بارز ويخرج ولا يجاحر فخرست غماغمه
واستذابت ضراغمه فتركناه وراء ظهورنا وجعلنا بلاده امام صدورنا فكنا في تركيته
مرضيين لله سبحانه لا مغضبين وفي تركه وراء ظهورنا ومباعدته من الله متقربين وواجهنا
غزة بعساكرنا المنصورة واطفنا بها في احسن صورة وهي على ما علم من كونها بكر الم يفترعها
الحوادث وحصانا لم يطمثها امل طامث وهي معقل الداوية الذين هم جمرة الشرك وداهية
الافك والى الله بنيا لها من القواعد وانجز فيها من النصر صادق المواعد ووردناها باليمن
الموارد وفتحناها من عدة جوانب ووطيناها واذا هي كامس الذاهب فالقت الينا افلاذ كبدها
وذخيرة يدها فمن بين مواش تخرب البلاد التي منها خرجت وخيول مسومة كانها لركوبنا
اسرجت والجمت وحوامل اثقال ورواحل خففت عن عساكرنا وفرجت ومين كثيرة تمكنت

فيها بلد الاجناد وافرجت واسارى المسلمين فكوا من القيد والقد وانقذوا بلطف الله
من سوء الملكه وشده الجهد فاما الرؤس المقطوعه واسارى الفرنج الذين ايديهم الى اعناقهم
مجموعه فان الفضا الفضي تعصفر من دمايهم وتذهب وجرى منها ما به اضطرم وقد
الجحيم وتلهب وفي الحال امرنا بالنار ان تشتغل بها وتشتعل وبالهدم ان ينقل عنها
معاوله وتنتقل فهل ترى لهم من باقيه او تنظر الا طلولا على عروشها خاويه وعراصا من سكانها
خاليه قد بقيت عبرة للعابر وذكرى للذاكر وموعظة سارة للمسلم مرغمه للكافر ثم
عدنا بقيه يوم السبت الى الملك خذله الله راجين ان يحمله الثكل على الاقدام ويخرجه
حر النار الى مقام الانتقام فاذا شيطانه قد نصحه وقتل اصحابه قد جرحه فبتنا عليه والا
لسنه بقراره تعين واستنار بقرعه ويقرن واصبحنا يوم الاحد ثاني شهر ربيع الاخر
والكسب قد اثقل المقاتله ونصر الله قد بلغ الغايه المستاصله ورحلنا والسلامه لصغير
عسكرنا وكبيره شامله والعدو قد غزي في عقره وعقر واذل في دار ملكه واحتقر
ووصلنا الى مستقر سلطاننا في يوم الاثنين الحادي عشر من الشهر المذكور فاستقبلنا
من مولانا صلوات الله عليه وتشريفه واستقلال ركابه ومشافهتنا بمقبول دعايه الشريف
ومحابه ما عظمت به النعم وجلت وزالت به وعثا الطريق وتجلت وجادتها سما انعامه
التي لم تزل تجود نا واستهلت قلت ومن قصيده لعماره في مدح السلطان
صلاح الدين اولها فوادي بنار الشوق والوجد محرق يقول فيها
لعل بني ايوب ان علموا بما تظلمت منه ان يرقوا ويشفقوا
غزوا عقر دار المشركين بغزه جهارا وطرف الشرك خزيان مطرق
وزاروا اصل عسقلان بادعن يفيض اتاالبر منه ويفهق
وكانت على ما شاهد الناس قبلكم طرايق من شوك القنا ليس تطرق
وما عصمتهم منك الامعاقل تانوا على تحصينها وتانقوا
جلبت لهم من سوره الحرب ما التقى بواديه سور عليهم وخندق
واخربت من اعمالهم كل عامر يمر به طيف الخيال فيفرق

[illegible]

تنشق من ملقاك اعظم نفحه تطيب على قلب الهدى حين تنشق
وغزوك هذا سلم نحو فتحه قريبا والارابد ومطرق
هو البيت ان تفتحه والله فاعل فما بعده باب من الشام مغلق

ثم دخلت سنه سبع وستين وخمسمايه فاستفتحها صلاح
الدين رحمه الله باقامه الخطبه في الجمعه الاولى منها بمصر لبني العباس وفي الجمعه الثانيه خطب
لهم بالقاهره وانقطع ذكر خلفا مصر وتوفي العاضد يوم عاشورا بالقصر وانقضت تلك
الدوله بانتهاء ما دام لها من العصر وذكر العماد ايضا في اخبار سنه اثنتين وسبعين كما سياتي
ان الذي خطب بمصر لبني العباس اولا هو ابو عبد الله محمد بن المحسن بن الحسين بن ابي المضا
البعلبكي وذكر ذلك ايضا ابن الدبيثي في تاريخه وقد اشار اليه القاضي الفاضل في كتاب له
الى وزير بغداد سياتي ذكره قال ابن الاثير كان السبب في ذلك ان صلاح الدين يوسف
ابن ايوب لما ثبتت قدمه في مصر وزال المخالفون له وضعف امر العاضد وهو الخليفه
بها ولم يبق من العساكر المصريه احد كتب اليه الملك العادل نور الدين محمود يامره بقطع
الخطبه العاضديه واقامه الخطبه العباسيه فاعتذر صلاح الدين بالخوف من وثوب اهل
مصر وامتناعهم من الاجابه الى ذلك لميلهم الى العلويين فلم يصغ نور الدين الى قوله وارسل اليه
يلزمه بذلك الزاما لا فسحه له فيه واتفق ان العاضد مرض وكان صلاح الدين قد عزم على قطع
الخطبه له فاستشار الامرا كيف يكون الابتدا بالخطبه العباسيه فمنهم من اقدم على المساعده
واشار بها ومنهم من خاف ذلك الا انه لم يمكنه الا امتثال امر نور الدين وكان قد دخل الى
مصر انسان اعجمي يعرف بالامير العالم وقد رايناه بالموصل كثيرا فلما راى ما هم فيه من الاحجام
قال انا ابتدي بها فلما كان اول جمعه من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضي بامر
الله فلم ينكر ذلك احد عليه فلما كان الجمعه الثانيه امر صلاح الدين الخطبا بمصر والقاهره
بقطع خطبه العاضد واقامه الخطبه للمستضي بامر الله ففعلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان
وكتب بذلك الى ساير الديار المصريه وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه اهله واصحابه
بذلك وقالوا ان سلم فهو يعلم وان توفي فلا ينبغي ان تنغص عليه هذه الايام التي قد بقيت من اجله

فتوفي يوم عاشورا ولم يعلم قال ـــــ ولما توفي جلس صلاح الدين للعزا واستولى على
قصره وعلى جميع ما فيه وكان قد رتب فيه قبل وفاة العاضد بها الدين قراقوش وهو
خصي لحفظه وجعله استاذ دار العاضد فحفظ ما فيه حتى تسلمه صلاح الدين ونقل اهل
العاضد الى مكان منفرد ووكل بحفظهم وجعل اولاده وعمومته وابناهم في الايوان في القصر
وجعل عندهم من يحفظهم واخرج من كان بالقصر من العبيد والاما فاعتق البعض ووهب
البعض وباع البعض واخلا القصر من اهله وسكانه فسبحان من لا يزول ملكه ولا يغيره ممر
الايام وتعاقب الدهور قال ـــــ ولما اشتد مرض العاضد ارسل يستدعي صلاح الدين
فظن ان ذلك خديعه فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه قلت ـــــ اخبرني
الامير ابو الفتوح بن العاضد وقد اجتمعت به سنه ثمان وعشرين وستمايه وهو محبوس مقيد
بقلعه الجبل بمصر ان اباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر قال واحضرنا يعني اولاده وهم
جماعه صغار فاوصاه بنا فالتزم اكرامنا واحترامنا رحمه الله واما ندم صلاح الدين فلعلي انه
كان على استعجاله بقطع خطبته وهو مريض وقال لو علمت انه يموت من هذا المرض ما
قطعتها الى ان يموت قال ـــــ العماد وجلس السلطان للعزا واعرب في الحزن والبكا
وبلغ الغايه في اجمال الامر والتوديع له الى قبره ثم تسلم القصر بما فيه من خزاينه ودفاينه وكان
من نامو موتمن الخلافه وقتل صرف من هو زمام القصر وعزله ووكل بها الدين قراقوش بالقصر
وجعله زمامه واستنابه مقام نفسه واقامه فما دخل الى القصر شي ولا خرج الا برايه منه
وسمع ولا حصل اهل القصر بعد ذلك على صفو مشرع فلما توفي العاضد بطلت تلك القواعد
ووهت المعاقد وامر السلطان بالاحتياط على اهله واولاده في موضع خارج القصر جعله
برسمهم على الانفراد وقرر ما يكون برسم الكسوات والاقوات والازواد قلت ـــــ اخبرني
ابو الفتوح انه جعلهم في دار برجوان في الحاره المنسوبه اليه بالقاهره وهي دار كبيره واسعه
كان عيشهم فيها طيبا ثم نقلوا ابعد الدوله الصلاحيه منها وابعدوا عنها قال ـــــ العماد
وهم الى اليوم في حفظ قراقوش واحتياطه واستظهاره يكلوهم ويحرسهم بعين حزمه في ليله
ونهاره وجمع الباقين من عمومتهم وعترتهم من القصر في ايوان واحترز عليهم في ذلك المكان

بكل

بكل الامكان وابعد عنهم النسا لئلا يتناسلوا وهم الى الان محصورون محسورون
لم يظهروا وقد نقص عددهم وقلص مددهم ثم عرض من بالقصر من الجواري والعبيد والعده
والعديد والطريف والتليد فوجد اكثرهن حراير فاطلقهن وجمع الباقيات فوهبهن
وفرقهن واخلا دوره واغلق قصوره وسلط جوده على الموجود وابطل الوزن والعد عن
الموزون والمعدود واخذ كل ما صلح له ولاهله وامرايه وخواص مماليكه واوليايه من
اخاير الذخاير وزواهر الجواهر ونفايس الملابس ومحاسن العرايس وقلايد الفرايد والدره
اليتيمه والياقوته العاليه الغاليه القيمه والمصوغات التبريه والمصنوعات العنبريه
والاواني الفضيه والصواني الصينيه والمنسوجات المغربيه والممزوجات الذهبيه والحوكات
الضاربيه والكرايم واليتايم والعود والتمايم والعقود والنقود والمنظوم والمنضود
والمحلول والمشدود والمنعوت والمنحوت والدر والياقوت والحلي والوشي والحبير
والجبير والوثير والنثير والعيني والحلي والبسط والفرش وما لا يعد احصا ولا يحد استقصا
فوقع فيها الفنا وكشف عنها الغطا واشرف فيها العطا واطلق البيع بعد ذلك في كل
جديد وعتيق ولبيس وسحيق وبال واسمال ودخص وغال وكل منقول ومحمول ومصوغ ومعمول
واستمر البيع فيها مده عشر سنين وتنقلت الى البلاد بايدي المسافرين الواردين والصادرين
ونقلت من ديوان العماد بخطه قال ـــــ ولما وصل الخبر بموت العاضد الذي كان بمصر في
القصر موسوما بالامر في ليله عاشورا سنه سبع وستين بعد الخطبه بها للمستضي بالله
امير المومنين عملت هذه الابيات فذكر قصيده منها ⊙

توفي العاضد الدعي فما يفتح ذو بدعه بمصر فما
وعصر فرعونها انقضى وغدا يوسفها في الامور محتكما
وانطفات جمره الغواه وقد باخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شمل الصلاح ملتئما بها وعقد السداد منتظما
لما غدا معلنا شعار بني العباس حقا والباطل اكتتما
وبات داعي التوحيد منتصرا ومن دعاه الاشراك منتقما

وظل اهل الضلال في ظلل داجيه من غبايه وعما
وارتبك الجاهلون في ظلم لما اضات منابر العلما
وعاد بالمستضي ممهدا بنا حق قد كان منهدما

واعتلت الدوله التي اضطهدت وانتصر الدين بعدما اهتضما
واهتز عطف الاسلام من جدل وافتر ثغر الايمان وابتسما
واستبشرت اوجه الهدى فرحا فليقرع الكفر سنه ندما
عاد حريم الاعدا منتهك الحمى وفي الطغاه مقتسما
قصور اهل القصور اخربها عامر بيت من الكمال سما
ازعج بعد السكون ساكنها ومات ذلا وانفه رغما

ومن كتاب فاضل عن السلطان صلاح الدين الى وزير بغداد على يد الخطيب شمس الدين ابن ابي المضا في بعض السنين

كتب الخادم هذه الخدمه من مستقر ودين الا مشروع وعلم الجهاد مشروع وسودد السواد متبوع وحكم السداد بين الامه موضوع وسبب الفساد مقطوع ممنوع وقد توالت الفتوح غربا ويمنا وشاما وصارت البلاد بل الدنيا والشهر بل الدهر حرما حراما واضحى الدين واحدا بعدما كان اديانا والخلافه اذا ذكرها اهل الخلاف لم يخروا عليها صما وعميانا والبدع خاشعه والجمعه جامعه والمذله في شيع الضلال شايعه ذلك بانهم اتخذوا عباد الله من دونه اوليا وسموا اعدا الله اصفيا ويقطعوا امرهم بينهم شيعا وفرقوا امر الامه وكان مجتمعا وكذبوا بالنار فعجلت لهم نار الحتوف ونثرت اقلام الظبا حروف رووسهم نثر الاقلام للحروف ومزقوا كل ممزق واخذ منهم كل مخنق وقطع دابرهم ووعظ ابيهم غابرهم ورغمت انوفهم ومنابرهم وحقت عليهم الكلمه تشريدا وقتلا وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا وليس السيف عمن سواهم من كفار الفرنج بصايم ولا الليل عن سيرالیهم بنايم ولا خفا عن المجلس الصاحبي ان من شد عقد خلافه وحل عقد خلاف وقام بدوله وقعد باخرى قد عجز عنها الاخلاف والاسلاف فانه مفتقر الى ان يشكر ما نصح وينقلد ما فتح ويبلغ ما اقترح ويقدم حقه ولا يطرح ويقرب مكانه وان نزح وتاتيه التشريفات الشريفه وتتواصل اليه امداد التقويات الجليله اللطيفه وتلبى دعوته بما اقام من دعوه وتوصل غزوته بما وصل من غزوه وترفع دونه الحجب المعترضه وترسل اليه السحب المروضه فكل ذلك تعود عوايده وتبدو فوايده بالدوله التي

كشف وجهه لنصرها وجرد سيفه لرفع منارها والقيام بامرها وقد اتى البيوت من ابوابها وطلب النجعه من سحابها ووعد امالها الواثقه بجواب كتابها والخضر لا يصال ملطفاته وتنجز تشريفاته خطيب الخطبا بمصر وهو الذي اختاره لصعود درجه المنبر وقام بالامر قيام من بر واستفتح بلباس السواد الاعظم الذي جمع الله عليه السواد الاعظم املا انه يعود اليه بما يطوي الرجا فضل عقبه ويخلد الشرف في عقبه ⊙ ولصاحبنا مجد الدين محمد بن الظهير الاربلي من قصيده مدح بها بعض ذريه السلطان رحمه الله ⊙

مليك من القوم الذين رماحهم دعايم هذا الدين في كل مشهد
هم نصروا التوحيد نصرا مؤزرا به عز في الافاق كل موحد
وهم قهروا اغلب الفرنج بباسهم فدانوا لهم بالرغم لا عن تودد
وردوا الى البيت المقدس نوره وقد كان في ليل من الشرك اسود
وهم سهلوا سبل الحجيج وآمنوا بها الركب خوفا الكافر المتشدد
وقد ركبت فرسانه بحر ايله يخوضون في بحر من الكيد مزبد
وهم رجعوا مصرا الى دعوه الهدى بعزم وراي في العظايم محصد
وهم شيدوا اركان الخلافه بالذي اعادوه من حق طريف ومتلد
وهم شرفوا اعواد المنابر باسمها وذكر منوط بالرسول محمد
وهم وهبوا عز الممالك واكتفوا بسمر العوالي والعلا المشيد

وقال ابن ابي طي الحلبي قد قدمنا ذكر مكاتبه نور الدين والحاحه على صلاح الدين في اقامه الخطبه بمصر للعباسيين وانه انفذ اليه اباه الامير نجم الدين ايوب لاجل ذلك لما كتب الخليفه المستنجد الى نور الدين في ذلك ولما ولي ابنه المستضي اقبل ايضا على مكاتبه نور الدين فيه والح نور الدين على صلاح الدين في طلبه وافضى به الامر الى انه اتهم صلاح الدين وشنع عليه بسببه واكثر القول في ذلك ولما قدم الامير نجم الدين حداه على فعل ذلك فاعتذر اليه بان احواله لم تستقر بعد وامور مضطربه واعداوه كثير وان المصريين لهم جماعه كبيره متفرقه في بلاد مصر من السودان وغيرهم وان هذا الامر ان لم يوخذ على التدريج

والاشتدت احواله فلما اوقع السلطان الملك الناصر بالسودان والارمن ونكب امرا المصريين وقطع اخبازهم ونزل اجناده في دورهم ثم قطع اقطاع العاضد وقبض جميع ما كان بيده من البلاد واستولى على القصور ووكل بها وبمن فيها قراقوش الخادم وخلت له بلاد مصر من معاند ومنابذ ثم شرع وابطل من الاذان حي على خير العمل وانكر على من يتسم بمذهبهم الانتساب اليهم فلما راى امون مواثبه واعداوه قليلون شرع حينئذ في الخطبه لبني العباس ولما عول على ذلك امر والده الامير نجم الدين بالنزول الى الجامع في جماعه من اصحابه وامرا دولته وذلك في اول جمعه من السنه وامر ان يحضر الخطيب اليه ويامره بما يختار وانما فعل الملك الناصر ذلك ووكل الامر الى غيره استظهارا وخوفا من فادحه ربما طرات او عدو ربما ثار فيكون هو معتذرا من ذلك ولما حصل نجم الدين بالجامع احضر الخطيب وقال له ان ذكرت هذا المقيم بالقصر ضربت عنقك فقال فلمن اخطب قال للمستضي العباسي فلما صعد المنبر وخطب ووصل الى ذكر العاضد لم يذكر احدا لكنه دعا للايمه المهديين وللسلطان الملك الناصر ونزل فقيل له في ذلك فقال ما علمت اسم المستضي ولا نعوته ولا تقرر معي في ذلك شي قبل الجمعه وفي الجمعه الثانيه افعل ان شا الله ما يجب فعله في تحرير الاسم والالقاب على جاري العاده في مثل ذلك قال وقيل ان العاضد لما اتصل به ما فعل من قطع اسمه من الخطبه قال لمن خطب قيل له لم يخطب لاحد مسمى قال في الجمعه الاخرى يخطبون لرجل مسمى واتفق انه مات قبل الجمعه الثانيه قيل انه افكر واستولى عليه الفكر والهم حتى مات وقيل انه لما سمع انه قطعت خطبته اهتم وقام ليدخل الى داره فعثر وسقط فاقام متعللا خمسه ايام ومات وقيل انه امتص فص خاتمه وكان تحته سم فمات ولما اتصل موته بالملك الناصر قال لو علمنا انه يموت في هذه الجمعه ما غصصناه برفع اسمه من الخطبه فحكي ان القاضي الفاضل قال للسلطان لو علم انكم ما ترفعون اسمه من الخطبه لم يمت اشار الى ان العاضد قتل نفسه وكان موته يوم عاشورا قال وحكى ابن المارستاني في سيرة ابن هبيره الوزير قال انه من عجيب ما جرى في امر المصريين انه راى انسان من اهل بغداد في سنه خمس وخمسين وخمسمايه كان قمرين احدهما انور من الاخر والانور منهما مسامت للقبله وله لحيه سودا فيها طول وتهب ادنى نسيم فيحركها واثر حركتها وظلها في الارض وكان الرجل يتعجب من ذلك وكانه سمع اصوات جماعه يقرون بالحان واصوات لم يسمع قط مثلها وكانه سال بعض من حضر فقال ما هذا فقالوا قد استبدل الناس بامامهم قال وكان الرجل استقبل القبله وهو يدعو الله ان يجعله اماما برا نقيا واستيقظ الرجل وبلغ هذا المنام ابن هبيره الوزير اذ ذاك ببغداد فعبر المنام ان الامام الذي بمصر يستبدل به وتكون الدعوه لبني العباس لمكان اللحيه السودا وبقي هذا عنده حتى كاتب نور الدين حين دخل اسد الدين الى مصر في اول مره بانه يظفر بمصر وتكون الخطبه لبني العباس بها على يده وقيلت في ذلك الزمان اشعار في هذا منها قصيده شمس المعالي ابي الفضايل الحسين بن محمد بن تركان وكان حاجب ابن هبيره قالها حين سمع تاويله ۝

لتهنك يا مولى الانام بشارة … بها سيف دين الله بالحق مرهف
ضربت بها هام الاعادي بهمه … تقاصر عنها السمهري المثقف
بعثت الى شرق البلاد وغربها … بعوثا من الاراء تجبي وتتلف
فقامت مقام السيف والسيف قاطر … وناب مناب الرمح والرمح يرعف
وقدت لها جيشا من الروع هايلا … الى كل قلب من عداتك يزحف
ملكت به اقصى المغارب عنوه … وكادت بمن فيها المشارق ترجف
ليهنك يا مولاي فتحا اتانا … بعثت اليك به خوص الركايب توجف
اخذت به مصرا وقد حال دونها … من الشرك ناس في لهى الحق تقذف
وقد دنست منها المنابر عصبه … يعاف التقى والدين منهم ويانف
فطهرها من كل شرك وبدعه … اغر عزيز بالمكارم يشغف
فعادت بحمد الله باسم امامنا … تتيه على كل البلاد وتشرف

[illegible]

قال يحيى بن ابي طي يريد بيوسف الاول يوسف الصديق النبي صلى الله عليه وسلم وبيوسف الثاني المستنجد بالله الخليفه يوميذ تفاولا له على سبيل الفال الا تراه قال بعد هذا البيت ۝ مشابهته خلقا وخلقا وعفه وكل عن الرحمن في الارض يخلف ۝

وجرى الفال في البيت باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب لان المستنجد
مات قبل تغيير الخطبه لبني العباس وهذا من اعجب الاتفاق قلت وذكر ابن المارستاني
في السيره المذكوره وكان هذا المنام سببا الى ان كاتب الوزير ابن هبيره نور الدين بن
زنكي يحثه على التعرض لمصر والبعث اليها واتفق في اثناء ذلك نوبه شاور وزير صاحب
القصر وقدومه هاربا منه الى نور الدين فحرك ذلك ما كان تخمر في نفسه مما كان كاتبه
به ابن هبيره فاستطلع من شاور الاسباب التي يمكن بها الدخول على المصريين فشرحها
واوضحها فسير اليها اسد الدين كما سبق ذكره قال ولما قطعت خطبه العاضد
استطال اهل السنه على الاسماعيليه وتتبعوهم واذلوهم وصاروا لا يقدرون على الظهور من
دورهم واذا وجدوا احدا من الاتراك مصريا اخذوا ثيابه وعظمت الاذيه بذلك وجلا
اكثر اهل مصر عنها الى البلاد وفرح الناس بذلك وكتب الكتب به الى الاقطار وتحدث
به السمار ولما وصل خبر ذلك الى نور الدين ندب للبشاره الى بغداد شهاب الدين ابا المعالي
المطهر بن ابي عصرون وكتب معه نسخه بشاره تقرا بكل مدينه يمر بها يقول فيها اصدرنا
هذه المكاتبه الى جميع البلاد الاسلاميه عامه بما فتح الله على ايدينا رتاجه واوضح لنا منهاجه
وهو ما اعتمدناه من اقامه الدعوه الهاديه العباسيه بجميع المدن والبلاد والاقطار والامصار
المصريه والاسكندريه ومصر والقاهره وساير الاطراف الدانيه والقاصيه والباديه
والحاضره وانتهت الى القريب والبعيد والى قوص واسوان اقصى الصعيد وهذا شرف
لزماننا هذا واهله نفتخر به على الازمنه التي مضت من قبله وما برحت هممنا الى مصر
مصروفه وعلى افتتاحها موقوفه وعزايمنا في اقامه الدعوه الهاديه بها ماضيه والاقدار في
الازل بقضا ارابنا ونجاز مواعدنا قاضيه حتى ظفرنا بها بعد ما يئس الملوك منها وقدرنا عليها
وقد عجزوا عنها وطالما مرت عليها الحقب الخوالي وابت دونها الايام والليالي وبقيت مايتين
وثمانين سنه ممنوه بدعوه المبطلين مملوه بحزب الشياطين سابغه ظلالها للضلال مقفره
المحل الا من المحال مفتقره الى نصر من الله يمكنها ونظر يستدركها رافعه يدها في
استكفايها متظلمه اليه ليكف بايدي عدلها على اعدايها حتى اذن الله لغمتها بالانفراج ولعلتها

بالعلاج وبسبب قصد الفرنج لها وتوجههم اليها طمعا في الاستيلاء عليها واجتمع
دار الكفر والبدعه وكلاهما شديد الروعه فملكنا الله تلك البلاد ومكن لنا في الارض
واقدرنا على ما كنا نومله في ازاله الالحاد والرفض من اقامه الفرض وتقدمنا الى من استنبناه
ان يستفتح باب السعاده ويستنجح ما النا من الاراده ويقيم الدعوه الهاديه العباسيه هنالك
ويورد الادعيا ودعاه الالحاد بها المهالك وهو كتاب طويل اختصرت منه الغرض وهو هذا
قال وسار شهاب الدين ابن ابي عصرون الى جهه بغداد ولم يترك مدينه الا دخلها
بهذه البشاره الجليله القدر وقرا فيها هذا المنشور العظيم الخطر والذكر حتى وصل الى بغداد
فخرج الموكب الى تلقيه وجميع اهل بغداد مكرمين لخطير وروده معظمين لجليل
موروده ونثرت عليه دنانير الانعام وحبي بكل احسان واكرام وارسلت التشريفات
الى نور الدين وصلاح الدين كما سياتي ذكره وقال العماد كان صلاح الدين لا يخرج
عن امر نور الدين ويعمل له عمل القوي الامين ويرجع في جميع مصالحه الى رايه المتين وقد كان
كاتبه نور الدين في شوال سنه ست وستين بتغيير الخطبه وتذليل امورها الصعبه
واقتراع بكر هذه القضيه وفرع الرتبه وانفذ ان امره متبوع وقوله مسموع وحكمه
مشروع ونطقت بذلك قبل التمام السن الخواص والعوام فسير نور الدين شهاب الدين
ابا المعالي المطهر ابن الشيخ شرف الدين ابن ابي عصرون بهذه البشاره واشاعه ما تقدم له
بها من الاشاعه وامرني بانشا بشاره عامه تقرا في ساير بلاد الاسلام وبشاره خاصه للديوان
العزيز بحضره الامام في مدينه السلام ثم ذكر نسخه الكتابين ونظمت قصيده مشتمله
على الخطبه بمصر اولها ۝

قد خطبنا للمستضي بمصر نايب المصطفى امام العصر
وخذلنا لنصره العضد العاضد والقاصر الذي بالقصر

اراد بالعضد وزير بغداد عضد الدين ابن رييس الروسا قال العماد في كتاب الخريده قصدت
بالعضد والعاضد المجانسه ونصره وزير الخليفه كنصرته ثم قال

واشعنا بها شعار بني العباس فاستبشرت وجوه النصر

وتركنا الدعي يدعوا بثبور وهو بالذل تحت حجر وحصر
وتباهت منابر الدين بالخطبة للهاشمي في ارض مصر
ولدينا تضاعفت نعم الله وجلت عن كل عد وحصر
فاغتدى الدين ثابت الركن في مصر محوط الحمى مصون الثغر
واستنارت عزايم الملك العادل نور الدين الكريم الاغر
وبنو الاصفر القوامص منه بوجوه من المخافة صفر
عرف الحق اهل مصر وكانوا قبله بين منكر ومقر
قل للداعي الدعي حسبك فالله اقر الحقوق خير مقر
هو فتح بكر دون البرايا خصنا الله بافتراع البكر
وحصلنا بالحمد والاجر والنصر وطيب الثنا وحسن الذكر
ونشرنا اعلامنا السود قهرا للعدى الزرق بالمنايا الحمر
واستعدنا من ادعيا حقوقا فادعى بينهم لزيد وعمر
والذي يدعي الامامة بالقاهرة الخط في خطيط القفر
خانه الدهر في مناه ولا يطمع ذو اللب في وفاء الدهر
ما بقام الامام الاحق بما حاز الحسنا الا بمهر
خلفا الهدى سراه بنو العباس والطيبون اهل الطهر

ونقلته من خطه قال ووصل الخبر بان الخطبة قامت في الاسكندرية يوم الجمعة تاسع شهر رمضان لمولانا الامام المستضي بامر الله امير المومنين وشعار بني العباس بها فقلت ونحن نزول بجسر الخشب من دمشق في عاشر شوال وكتبت بها الى بغداد فذكر هذه القصيدة قال في البرق ووصل من دار الخلافة في جواب هذه البشارة عماد الدين صندل وهو من اكابر الخدم المقتفوية من ذوي الروية والهمة القوية وتولى ايضا استاذية الدار العزيزة بعد عزل كمال الدين بن عضد الدين عنها فاكرم نور الدين بارسال مثله اليه وعول في هذا الامر المهم عليه وهو اكرم رسول وصل فانجح الامل وجا بالتشريف لنور الدين مع كلا معظما

بهم الدين ظافر مستقيم ظاهر قوة قوى الظهر ۝ لشموس الضحى كمثل بدور التم كالسحب
كالنجوم الزهر ۝ قد بلغنا بالصبر كل مراد وبلوغ المراد عقبى الصبر ۝ ليس مثرى الرجال
من ملك المال ولكنما اخو اللب مثرى ۝ ولهذا لم ينتفع صاحب القصر وقد شارف الدثور بدثر
دام نصر الهدى بملك بني العباس حتى يقوم يوم الحشر ۝ قال العماد بن الاثير في ديوانه

محملا باهبته السودا العراقية وحلله الموشية وطوقه الثقيل ولوايه الجليل ومن يوم يحضر فيه الرسول ونصوا على من يحضر في مجلس نور الدين واغفلوا ذكر العماد فطلبه نور الدين لما حضروا وقام لقيام الرسل له لما حضر وقصدا ان يعرفهم منزلته عنده وناوله الكتاب ليقراه قال فتناوله مني الموفق بن القيسراني خالد وكان عنده في مقام الوزير وله انبساط زايد فداريته وما ماريته وتركته يقرا وانا ارد عليه وارشده في التلاوة الى ما لا يهتدي اليه حتى انهاه وانا على اقسانه على ان لا انهاه فاعجب نور الدين صمتي وسمتي واحمد مني فضل التاني واجتناب الاهبه ولبس الفرجية فوقها وتقلد معه تقلد السيفين طوقها وخرج وركب من داخل القلعة وهو حال بما عليه من الخلعة واللوا منشور والنضار منثور والمركبان الشريفان احدهما مركوبه والاخر حليته مجنوبة قال وسالت عن معنى تقليده السيفين فقيل هما للشام ومصر وانجمع له بين البلادين وخرج الى ظاهر دمشق حتى انتهى سيلا منتهى الميدان الاخضر ثم عاد شريف المفخر جميل المنظر جليل المحضر حميد المخبر سعيد المورد والمصدر لبيقا بالاعظمين السرير والمنبر وكان وزن الطوق مع اكرته الف دينار من الذهب الاحمر وحملوا لصلاح الدين تشريفا فاضلا فايقا رايقا لجماله وكماله لايقا لكن تشريف نور الدين امير وافضل واجمل واكمل فسير تشريفه برمته اليه بمصر لحبايه وسير ايضا خلع من عنده يكرم بها اصحابه ووصلت تلك الخلعة اليه ولبسها وانس من السعادة الدايمة قبسها وطاف بها في الحادي والعشرين من رجب وهي اول اهبة عباسية دخلت الديار المصرية يعني بعد استيلا بني عبيد عليها قال وكانت وصلت مع الرسل اعلام وبنود ورايات سود واهب عباسية للخطبا في الديار المصرية فسيرت الى صلاح الدين ففرقها على المساجد والجوامع والخطبا والقضاة والعلما والحمد لله على ما انعم واولى ووهب واعطى قال ابن ابي طي ولما فرغ السلطان من امر الخطبة امر بالقبض على القصور وجميع ما فيها من مال وذخاير وفرش وسلاح وغير ذلك فلم يوجد من المال كبير امر لان شاور كان قد ضيعه في اعطايه الفرنج في المرات التي قدمنا ذكرها ووجد فيها ذخاير جليلة من ملابس وفرش وخيول وخيام وكتب وجوهر ومن عجيب ما وجد فيه قضيب زمرد طوله شبر وكسر قطعة واحدة وكان ثمت جمة مقدار

الابهام ووجد فيه طبل للقولنج ووجد فيه ابريق عظيم من الحجر المانع ووجد فيه سبع مايه
يتيمه من الجوهر فاما قضيب الزمرد فان السلطان اخذه واحضر صانعا ليقطعه فابى
الصانع قطعه فرماه السلطان فانقطع ثلاث قطع وفرقه السلطان على نسائه واما طبل
القولنج فانه وقع الى بعض الاكراد فلم يدر ما هو فكسره لانه ضرب به فجبق واما الابريق
فانفذه السلطان الى بغداد واحاط السلطان على اهل العاضد واولاده في موضع في خارج القصر
جعله برسمهم على الانفراد وقرر لهم ما يكفيهم وجعل امرهم الى قراقوش الخادم وفرق بين النسا
والرجال ليكون ذلك اسرع الى انقراضهم واستعرض من بالقصر من الجواري والعبيد والعدد
والعبيد والطريف والتليد فاطلق من كان منهم حرا واعتق من راى اعتاقه ووهب من اراد
هبته وفرق على الامرا والاصحاب من نفايس القصر وذخايره شيا كثيرا وحصل هو على
اليتيمات وقطع البلخش والياقوت وقضيب الزمرد واطلق البيع بعد ذلك في كل جديد
وعتيق فاقام البيع في القصر مده عشر سنين قال ومن جمله ما باعوا خزانه الكتب وكانت
من عجايب الدنيا انه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من الدار التي بالقاهره في
القصر ومن عجايبها انه كان بها الف ومايتان وعشرون نسخه بتاريخ الطبري ويقال انها كانت
تحتوي على الفي الف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبه شيا كثيرا وحصل للقاضي
الفاضل بجهها وذلك انه دخل اليها واعتبرها فكل كتاب صلح له قطع جلده ورماه في بركه
كانت هناك فلما فرغ الناس من شرى الكتب اشترى تلك الكتب التي القاها في البركه على
انها مخرومات ثم جمعها بعد ذلك ومنها حصل ما حصل من الكتب كذا اخبرني جماعه من المصريين
منهم الامير شمس الخلافه موسى بن محمد واقتسم الناس بعد ذلك دور القصر واعطى السلطان
القصر الشمالي للامرا فسكنوه واسكن اباه نجم الدين في اللولوه وهو قصر عظيم على الخليج الذي
فيه البستان الكافوري ونقل الملك العادل الى مكان اخر منه واخذ باقي الامرا دورهم ومن كان
ينتمي اليهم وزاد الامر حتى صار كل من استحسن دارا اخرج منها صاحبها وسكنها فانقضت
تلك الدوله برمتها وذهبت تلك الايام بجملتها بعد ان كانوا قد احتووا على البلاد واستخدموا
العباد مايتين وثمانين سنه وكسورا قال ـــــ وحكى ان الشريف الجليس وهو رجل كان قريبا

من العاضد يجلس معه ويحدثه عمل دعوه لشمس الدوله بن ايوب اخي السلطان بعد القبض
على القصور واخذ ما فيها وانقراض دولتهم وغرم هذا الشريف على هذه الدعوه مالا كثيرا
واحضرها ايضا جماعه من اكابر الامرا فلما جلسوا على الطعام قال شمس الدوله لهذا الشريف
حدثني باعجب ما شاهدته من امر القوم قال نعم طلبني العاضد يوما وجماعه من الندما فلما
دخلنا عليه وجدنا عنده مملوكين من الترك عليهم اقبيه مثل اقبيتكم وقلانس مثل قلانسكم
وفي اوساطهم مناطق كمناطقكم فقلنا له يا امير المومنين ما هذا الزي الذي ما راينا قط
فقال هذه هيه الذين يملكون ديارنا وياخذون اموالنا وذخايرنا قال ـــــ العماد
واخذت ذخاير القصر فقضها كما سبق ثم قال ومن جملتها الكتب فاني اخذت منها جمله
في سنه اثنتين وسبعين وكانت خزاينها مشتمله على قريب مايه وعشرين الف مجلد موبده
من العهد القديم مخلده وفيها بالخطوط المنسوبه ما اختطفته الايدي واقتطعه التعدي
وكانت كالميراث مع امنا الايتام يتصرف فيها بشره الانتهاب والالتهام ونقلت منها
ثمانيه احمال الى الشام وتقاسم الخواص بدور القصر وقصوره وشرع كل من سكن في تخريب
معموره وانتقل اليه الملك العادل سيف الدين لما ناب عن اخيه واستمرت سكناه
فيه وخطب لامامنا المستضي في قوص واسوان والصعيد والقاصي والداني والقريب والبعيد
وشاعت البشاير وذاعت المفاخر وشاربها البادي والحاضر وتملك السلطان املاك اشياعهم
وضرب الالواح على دورهم ورباعهم ثم ملكها امراه وخص بها اولياه وباع اماكن ووهب
مساكن وعفى الاثار القديمه واستانف السنن الكريمه وقال ـــــ بن الاثير لما استولى صلاح
الدين على القصر وامواله وذخايره اختار منه ما اراد ووهب اهله وامراه وباع منه كثيرا
وكان فيه من الجواهر والاعلاق النفيسه ما لم يكن عند ملك من الملوك قد جمع على طول السنين
وممر الدهور فمنه القضيب الزمرد طوله نحو قبضه ونصف والجبل الياقوت وغيرهما
ومن الكتب المنتخبه بالخطوط المنسوبه والخطوط الجيده نحو مايه الف مجلد **فصل**
ولما خطب بالديار المصريه لبني العباس ومات العاضد انقرضت تلك الدوله وزال عن الاسلام
بمصر بانقراضها الذله واستولى على مصر صلاح الدين واهله ونوابه وكلهم من قبل نور الدين رحمه

الله هم امراوه وخدمه واصحابه وفيهم يقول العرقلة

اصبح الملك بعد آل علي مشرقا بالملوك من آل شاذي

وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم ومصر تزهو على بغداذ

ما حووها الا بحزم وعزم وصليل الفولاذ في الفولاذ

لا كفرعون والعزيز ومن كان بها كالخصيب والاستاذ

يعني بالاستاذ كافور الاخشيذي وقوله بعد آل علي يعني بذلك بني عبيد المستخلفين بها الظهروا للناس انهم شرفا فاطميون فملكوا البلاد وقهروا العباد وقد ذكر جماعة من اكابر العلما انهم لم يكونوا لذلك اهلا ولا نسبهم صحيحا بل المعروف انهم بنو عبيد وكان والد عبيد هذا من نسل القداح الملحد المجوسي وقيل كان والد عبيد هذا يهوديا من اهل سلمية من بلاد الشام وكان حدادا وعبيد هذا كان اسمه سعيدا فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله وزعم انه علوي فاطمي وادعى نسبا ليس بصحيح لم يذكره احد من مصنفي الانساب العلوية بل ذكر جماعة من العلما بالنسب خلافه وهو ما قدمنا ذكره ثم ترقت به الحال الى ان ملك وتسمى بالمهدي وبنى المهدية بالمغرب ونسبت اليه وكان زنديقا خبيثا عدوا للاسلام متظاهرا بالتشيع متسترا به حريصا على ازالة الملة الاسلامية قتل من الفقها والمحدثين والصالحين جماعة كثيرة وكان قصده اعدامهم من الوجود ليبقى العالم كالبهايم فيتمكن من افساد عقايدهم وضلالتهم والله متم نوره ولو كره الكافرون ونشات ذريته على ذلك منطوين يجهرون به اذا امكنتهم الفرصة والا اسروه والدعاة لهم منبثون في البلاد يضلون من امكنهم اضلاله من العباد وبقي هذا البلا على الاسلام من اول دولتهم الى اخرها وذلك من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومايتين الى سنة سبع وستين وخمس مية وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وافسدت عقايد طوايف من اهل الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية والدرزية والحشيشية نوع منهم وتمكن دعاتهم منهم لضعف عقولهم وجهلهم ما لم يتمكنوا من غيرهم واخذت الفرنج اكثر البلاد بالشام والجزيرة الى ان من الله على المسلمين بظهور البيت الاتابكي وتقدمه مثل صلاح الدين فاستردوا البلاد وازالوا هذه الدولة عن رقاب

العباد

العباد وكانوا اربعة عشر مستخلفا ثلثة منهم بافريقية وهم الملقبون بالمهدي والقايم والمنصور واحد عشر بمصر وهم الملقبون بالمعز والعزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلي والامر والحافظ والظافر والفايز والعاضد يدعون الشرف ونسبتهم الى مجوسي او يهودي حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة العلوية وانما هي الدولة المجوسية او اليهودية الباطنية الملحدة ومن قحتهم انهم كانوا يامرون الخطبا بذلك على المنابر ويكتبونه على جدران المساجد وغيرها وخطب عبدهم جوهر الذي اخذ لهم الديار المصرية وبنى لهم القاهرة المعزية بنفسه خطبة طويلة قال فيها اللهم صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل العترة الهادية المهدية معد ابي تميم الامام المعز لدين الله امير المومنين كما صليت على ابايه الطاهرين وسلفه المنتجبين الايمة الراشدين كذب عدو الله اللعين فلا خير فيه ولا في سلفه اجمعين ولا في ذريته الباقين والعترة النبوية الطاهرة منهم بمعزل رحمة الله عليهم وعلى امثالهم من الصدر الاول وقد بين نسبهم هذا واوضح محالهم وما كانوا عليه من التمويه وعداوة الاسلام جماعة ممن سلف من الايمة والعلما وكل متورع منهم لا يسميهم الا بني عبيد الادعيا اي يدعون من النسب ما ليس لهم ورحمة الله على القاضي ابي بكر محمد بن الطيب فانه كشف في اول كتابه المسمى بكشف اسرار الباطنية عن بطلان نسب هولاء الى علي رضي الله عنه وان القداح الذي انتسبوا اليه دعي من الادعيا مخرق كذاب وهو اصل دعاة القرامطة لعنهم الله واما القاضي عبد الجبار البصري فانه استقصى الكلام في اصولها وبينها بيانا شافيا في اخر كتاب تثبيت النبوة له وقد نقلت كلامهما في ذلك وكلام غيرهما في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحيم بن الياس وهو من تلك الطايفة الذين هم بين الناس وهذان اماما كبيران من ايمة اصول دين الاسلام واظهر عبد الجبار القاضي في كتابه بعض ما فعلوه من المنكرات والكفريات التي يقف الشعر عند سماعها ولكن لا بد من ذكر شي من ذلك تنفيرا لمن لعله يعتقد اماماتهم وخفي عنه محالهم ولم يعلم قحتهم ومكايدهم وليعذر من ازال دولتهم وامات بدعتهم وقلل عدتهم واطفا جمرتهم ذكر القاضي عبد الجبار ان الملقب

بالمهدي لعنه الله كان يتخذ الجهال ويسلطهم على اهل الفضل وكان يرسل الى الفقها والعلما
فيذبحون في فرشهم وارسل الى الروم وسلطهم على المسلمين واكثر من الجور واستصفا
[illegible] وقتل الرجال وكان له دعاه يضلون الناس على قدر طبقاتهم فيقولون لبعضهم
هو المهدي بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحجه الله على خلقه ويقولون لاخرين هو الله
الخالق الرازق ۞ لا اله الا الله وحده لا شريك له تبارك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
[illegible] ولما هلك قام ابنه المسمى بالقايم مقامه وزاد شره على شر ابيه اضعافا مضاعفه وجاهر
بشتم الانبيا فكان ينادي في اسواق المهديه وغيرها العنوا عايشه وبعلها العنوا الغار وما
حوى ۞ اللهم صل على نبيك واصحابه وازواجه الطاهرين والعن هولا الكفره الفجره الملحدين
وارحم من ازالهم وكان سبب قلعهم ومن جرى على يديه تفريق جمعهم واصلهم سعيرا ولقهم ثبورا
واسكنهم النار جميعا واجعلهم ممن قلت فيهم الذين ضل سعيهم في الحياه الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا ۞ رجعنا الى الاصل وبعث الى ابي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين وبعثه
على قتل المسلمين واحراق المساجد والمصاحف وقام بعده ابنه المسمى بالمنصور فقتل ابا يزيد
مخلدا الذي خرج على ابيه ينكر عليه قبيح فعله المقدم ذكره وسلخه وصلبه واشتغل باهل
الجبال يقتلهم ويشردهم خوفا من ان يثور عليه ثاير مثل ابي يزيد وقام بعده ابنه الملقب
بالمعز فبث دعاته وكانوا يقولون هو المهدي الذي يملك وهو الشمس الذي تطلع من مغربها
وكان يسره ما يترك المسلمين من المصايب من اخذ الروم بلادهم واحتجب عن الناس اياما ثم
ظهر واوهم ان الله رفعه اليه وانه كان غايبا في السما واخبر الناس باشيا شهدت منهم كان
ينقلها اليه جواسيس له فامتلات قلوب العامه والجهال منه وهذا اول خلفايهم بمصر وهو
الذي تنسب اليه القاهره المعزيه واستدعى بفقيه الشام ابي بكر محمد بن احمد بن سهل
الرملي ويعرف بابن النابلسي فحمل اليه في قفص خشب فامر بسلخه فسلخ حيا وحشي جلده
تبنا وصلب رحمه الله تعالى ۞ قال ابو ذر الهروي سمعت ابو الحسن الدارقطني
يذكره ويبكي ويقول كان يقول وهو يسلخ كان ذلك في الكتاب مسطورا قلت
وفي ايام الملقب بالحاكم منهم امر بكتب سب الصحابه رضي الله عنهم على حيطان الجوامع والقياسر

والشوارع

والشوارع والطرقات وكتب السجلات الى ساير الاعمال بالسب ثم امر بقلع ذلك وانا [illegible]
مقلوعا في بعض ابواب دمشق في الاسكفه العليا منقورا في الحجر ودلني اول [illegible]
واخره على ذلك ثم جدد ذلك الباب وازيل الحجر وفي ايامه طوف بدمشق رجل [illegible]
ونودي عليه هذا جزا من يحب ابا بكر وعمر ثم ضربت عنقه وكان يجري في ايا[illegible]
هذا اشيا مثل قطع لسان ابي القسم الواسطي احد الصالحين وكان اذن ببيت المقدس [illegible]
في اذانه حي على الفلاح فاخذ وقطع لسانه ذكر ذلك وما مثله من قتل المغربي واي [illegible]
الحافظ ابو القسم في تاريخه وما كانت ولايه هولا الملاعين الا محنه من الله تعالى و[illegible]
مدتهم مع قله عدتهم فان عدتهم عدة خلفا بني اميه اربعه عشر واوليك بقوا نيفا و[illegible] سنه
وهولا بقوا مايتي سنه وثمانيا وستين سنه فالحمد لله على ما يسر من هلكهم [illegible] ملكهم
ورضي الله عمن سعى في ذلك وازالهم ورحم من بين مخرقتهم وكذبهم و[illegible] وقد كشف ايضا
حالهم الامام ابو القسم عبد الرحمن بن علي بن نصر الشاسي في كتاب الرد على الباطنيه وذكر
قبايح ما كانوا عليه من الكفر والمنكرات والفواحش في ايام نزار وما بعده ووصل الامر الى
ان وصف بعضهم ما كانوا فيه في قصيده سماها الايضاح عن دعوة القداح اولها ۞

حي على مصر الى خلع الرسن   فثم تعطيل فروض وسنن

قال لو وفق ملوك الاسلام لصرفوا اعنه الخيل الى مصر لغزو الباطنيه الملاعين فانهم من شر اعدا
دين الاسلام وقد خرجت من حد المنافقين الى حد المجاهرين لما ظهر في ممالك الاسلام من كفرها
وفسادها وتعين على الكافه فرض جهادها وضرر هولا اشد على الاسلام واهله من ضرر الكفار
اذ لم يقم بجهادها احد الى هذه الغايه مع العلم بعظيم ضررها وفسادها في الارض قلت
ثم ان لم يقنعني هذا من بيان احوالهم فافردت كتابا لذلك سميته كشف ما كانوا عليه بنو عبيد
من الكفر والكذب والكيد فمن اراد الوقوف على تفاصيل احوالهم فعليه به فاني بتوفيق الله
تعالى جمعت فيه ما ذكره هولا الايمه المصنفون وغيرهم ووقفت على كتاب كبير صنفه الشريف
الهاشمي رحمه الله وكان في ايام الملقب بالعزيز ثاني خلفا مصر فبين فيه اصولهم اتم بيان واوضح
كيفيه ظهورهم وغلبتهم على البلاد وتتبع ذكر فضايحهم وما كان يصدر منهم من انواع الزندقه

والفسق والمخرقه فنقلت منه الى ما كنت جمعته قطعه كبيره وبالله التوفيق وما احسن
ما قال فيهم من مدح بعض بني ايوب بقصيدته منها

ابدلتم من ملك دوله الكفر من بني عبيد بمصران هذا هو الفضل
زنادقه شيعيه باطنيه مجوس وما في الصالحين لهم اصل
يسرون كفرا يظهرون تشيعا ليستتروا شيا وعمهم الجهل

وما فعله هولا من الانتساب الى علي رضوان الله عليه والتستر بالتشيع قد فعله جماعه القرامطه
وصاحب الزنج الخارج بالبصره وغيرهم من المفسدين في الارض على ما عرف من سيرهم
من وقف على اخبار الناس وكلهم كذبه في ذلك وانما غرضهم التقرب الى العوام والجهال
واستتباعهم لهم واستجلابهم الى دعوتهم بذلك البلا ويفعل الله ما يشا ولا يغتر بابيات الشريف
الرضي في ذلك فقد حصل الجواب عنها في كتاب الكشف بوجوه حسنه وبالله التوفيق وقد
صنف الشريف العابد الدمشقي رحمه الله كتابا في ابطال نسبهم الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وفصل ذلك تفصيلا حسنا واطنب في ذكر اخبار اخوانهم من القرامطه لعنهم الله تعالى

فصل في ذكر غزو الفرنج في هذه السنه قال بن شداد واستمرت
القواعد على الاستقامه وصلاح الدين كلما استولى على خزانه مال وهبها وكلما فتح له خزاين ملك
انهبها ولا يبقي لنفسه شيا وشرع في التاهب للغزاه وقصد بلاد العدو وتعبيه الامر لذلك
وتقرير قواعده واما نور الدين فانه عزم على الغزاه واستدعى صاحب الموصل ابن اخيه فوصل
بالعساكر الى خدمته وكانت غزوه عرقا فاخذها نور الدين ومعه بن اخيه في المحرم سنه
سبع وستين وقال بن ابي طي جمع نور الدين عساكره وخرج الى عرقه ونازلها وقاتلها
اياما حتى فتحها واحتوى على جميع ما فيها وغنم الناس غنيمه عظيمه قال بن الاثير خرجت
مراكب من مصر الى الشام فاخذ الفرنج في اللاذقيه مركبين منها مملوين من الامتعه والتجار
وغدروا بالمسلمين وكان نور الدين قد هادنهم فنكثوا فلما سمع نور الدين الخبر استعظمه
وراسل الفرنج في ذلك وامرهم باعاده ما اخذوه فغالطوه واحتجوا بامور منها ان المركبين
كانا قد دخلهما ماء البحر لكسر فيهما وكانت العاده بينهم اخذ كل مركب يدخله الماء وكانوا

كاذبين

كاذبين فلم يقبل مغالطتهم وكان رضي الله عنه لا يهمل امرا من امور رعيته فلم يردوا شيا
فجمع العساكر من الشام والموصل والجزيره وبث السرايا في بلادهم بعضهم نحو انطاكيه
وبعضهم نحو طرابلس وحصر هو حصن عرقه واخرب ربضه وارسل طايفه من العسكر
الى حصني صافيثا والعريمه فاخذهما عنوه وكذلك غيرهما ونهب وخرب وغنم المسلمون
الكثير وعادوا اليه وهو بعرقه فسار في العساكر جميعها الى قرب طرابلس يخرب
ويحرق وينهب واما الذين ساروا الى انطاكيه فانهم فعلوا في ولايتها مثل ما فعل من النهب
والتحريق والتخريب بولايه طرابلس فراسله الفرنج وبذلوا اعاده ما اخذوه من المركبين
ويجدد معهم الهدنه فاجابهم وكانوا في ذلك كما يقال اليهودي لا يعطي الجزيه حتى يلطم
فكذلك الفرنج ما اعادوا اموال التجار بالتي هي احسن فلما نهبت بلادهم وخربت اعادوها
قال وكان لوالدي في المركبين تجاره مع شخصين فلما اعادوا الى الناس اموالهم لم
يصل الى كل انسان الا اليسير وكان يحمل المتاع فكل من اسمه عليه او على ثوب اخذه
وكان في الناس من ياخذ ما ليس له وكان احد هذين المضاربين فيه امانه وكان نصرانيا
فلم ياخذ الا ما عليه اسمه وعلامته فذهب من ماله وما الناس كثير بهذا السبب وكان
الذي حصل من مالنا اكثر من الذي حصل له فلما عاد الينا سلم الذي لنا الى والدي فامتنع من اخذه
وقال خذ انت الجميع فانك احوج اليه وانا في غنى عنه فلم يفعل فقال خذ النصف وانا النصف
واجتهد به والدي فلم يفعل فلما كان بعض الايام واذا قد جا الغلام ومعه عده من الاثواب
السوسي وغيرها وقال هذا من قماشنا قد حضر اليوم وسبب حضوره ان انسانا فقاعيا من اهل
تبريز كان معنا في المركب وقد اعادوا عليه ماله فراى هذه الاثواب واسمي عليها فلم يسهل عليه
ان يردها يعني عليهم وسال عني وقد قصدني وهي معي وحضر عندي الساعه وسلمها الي وقال قد
تركت طريقي لتبرا ذمتي فاخذنا نحن ما عليه اسمنا بعد الجهد وطلب والدي الرجل وساله
ان يقيم عندنا ليسلم اليه مالا يتجر فيه فلم يفعل وعاد الى بلده وقال وهذان الرجلان نادران
في هذا الزمان **فصل** في عزم نور الدين على الدخول الى مصر قال العماد
وكان صلاح الدين واعد نور الدين ان يجتمعا على الكرك والشوبك يتشاوران فيما يعود بالصلاح

المشترك فخرج من القاهرة في الثاني والعشرين من المحرم بالعزم الاجزم والراي الاحزم
فاتفق للاجتماع عايق ولم يقدر للاتفاق قدر موافق فلقي في تلك السفرة شدة وعدم
خيلا وظهرا وعدة وعاد الى القاهرة في النصف من ربيع الاول قال ابن الاثير وفي سنه
سبع وستين ايضا جرى ما اوجب نفرة نور الدين من صلاح الدين وكان الحادث ان نور الدين
ارسل الى صلاح الدين يامره بجمع العساكر المصرية والمسير بها الى بلاد الفرنج والنزول
على الكرك ومحاصرته ليجمع هو ايضا عساكره ويسير اليه ويجتمعا هناك على حرب الفرنج
والاستيلا على بلادهم فبرز صلاح الدين من القاهرة في العشرين من المحرم وكتب الى نور الدين
يعرفه ان رحيله لا يتاخر وكان نور الدين قد جمع عساكره وتجهز واقام ينتظر ورود الخبر
من صلاح الدين برحيله ليرحل هو فلما اتاه الخبر بذلك رحل من دمشق عازما على قصد الكرك
فوصل اليه واقام ينتظر وصول صلاح الدين اليه فاتاه كتابه يعتذر فيه عن الوصول باختلال
البلاد وانه يخاف عليها مع البعد عنها فعاد اليها فلم يقبل نور الدين عذره وكان سبب تقاعده
ان اصحابه وخواصه خوفوه من الاجتماع بنور الدين فحيث لم يمتثل امر نور الدين شق ذلك عليه
وعظم عنده وعزم على الدخول الى مصر واخراج صلاح الدين عنها فبلغ الخبر الى صلاح الدين
فجمع اهله وفيهم والده نجم الدين وخاله شهاب الدين الحارمي ومعهم ساير الامرا واعلمهم ما
بلغه من عزم نور الدين على قصده واخذ مصر منه واستشارهم فلم يجبه احد منهم بشي فقام
ابن اخيه تقي الدين عمر وقال اذا جانا قاتلناه وصددناه عن البلاد ووافقه غيره من اهله
فشتمهم نجم الدين ايوب وانكر ذلك واستعظمه وكان ذا راي ومكر وكيد وعقل وقال
لتقي الدين اقعد وسبه وقال لصلاح الدين انا ابوك وهذا خالك شهاب الدين اتظن في هولاء
كلهم من يحبك ويريد لك الخير مثلنا فقال لا فقال والله لو رايت انا وهذا خالك نور الدين
لم يمكننا الا ان نترجل اليه ونقبل الارض بين يديه ولو امرنا بضرب عنقك بالسيف
لفعلنا فاذا كنا نحن هكذا كيف يكون غيرنا وكل من تراه من الامرا والعساكر لو راى
نور الدين وحده لم يتجاسر على الثبات على سرجه ولا وسعه الا النزول وتقبيل الارض بين يديه
وهذه البلاد له وقد اقامك فيها فان اراد عزلك فاي حاجة به الى المجي يامرك بكتاب مع

نجاب

نجاب حتى تقصد خدمته ويولي بلاده من يريد وقال للجماعة كلهم قوموا عنا فنحن مماليك
نور الدين وعبيده يفعل بنا ما يريد فتفرقوا على هذا وكتب اكثرهم الى نور الدين بالخبر ولما
خلا نجم الدين ايوب بابنه صلاح الدين قال له انت جاهل قليل المعرفة تجمع هذا الجمع
العظيم وتطلعهم على ما في نفسك فاذا سمع نور الدين انك عازم على منعه من البلاد جعلك
اهم الامور اليه واولاها بالقصد ولو قصدك لم تر معك من هذا العسكر احدا وكانوا
اسلموك اليه واما الان بعد هذا المجلس فسيكتبون اليه ويعرفونه قولي وتكتب انت
اليه وترسل في هذا المعنى وتقول اي حاجة الى قصدي يجي نجاب ياخذني بحبل يضعه في
عنقي فهو اذا سمع هذا عدل عن قصدك واشتغل بما هو اهم عنده والايام تندرج والله كل
وقت في شان ففعل صلاح الدين ما اشار به والده فلما راى نور الدين رحمه الله الامر هكذا
عدل عن قصده وكان الامر كما قال نجم الدين توفي نور الدين ولم يقصده ولا ازاله وكان هذا
من احسن الارا واجودها **فصل** في الحمام قال ابن الاثير وفي سنه سبع
وستين امر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي وهي المناسيب التي تطير من البلاد
البعيدة الى اوكارها فاتخذت في ساير بلاده وكان سبب ذلك انه اتسعت بلاده وطالت
مملكته فكانت من حد النوبة الى باب همذان لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج لعنهم الله
ربما نازلوا بعض الثغور فالى ان يصله الخبر ويسير اليهم قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ امر
بذلك وكتب به الى ساير بلاده واجرى الجرايات لها ولمربيها فوجد بها راحة كبيرة كانت
الاخبار تاتيه لوقتها لانه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم
فاذا راوا او سمعوا امرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطاير وسرحوه الى المدينة التي هو منها
في ساعته فتنقل الرقعة منه الى طاير اخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين
وهكذا الى ان تصل الاخبار اليه فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طايفة من الفرنج نازلوا
ثغرا له فاتاه الخبر ليومه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة
وكبس العدو ففعلوا ذلك فظفروا والفرنج قد امنوا لبعد نور الدين عنهم فرحم الله نور الدين
ورضي عنه فما كان احسن نظره للرعايا وللبلاد قال العماد وكان نور الدين لا يقيم في

المدينه ايام الربيع والصيف محافظه على الثغر وصونًا من الحيف ليحمي البلاد من العدو
بالسيف وهو متشوف الى اخبار مصر واحوالها وتحقيق اعتدالها بتحقق اعتلالها فراى
ايجاد احكام المناسيب وندب حماما على الطيران لتحمل اليه الكتب باخبار البلدان ونفذ
الى بكتب منشور لاربابها واعزار اصحابها وهو حينيذ بظاهر دمشق مخيم بوادي اللوان
ونحن مستظهرون في ذلك الاوان عادون على اهل العدوان وذلك في سابع عشر ذي
القعده من السنه ثم ذكر نسخه المنشور ووصف فيه الحمام فقال هي برايد الانبا والمخصوصات
بفضيله الالهام والايحا وهي فيوج الرسايل المامونه والابطا والسابقات الهوج في الاهتدا
والحاملات ملطفات الاسرار في اقرب مده الى ابعد غايه والموصلات مهمات الاخبار
في وفتها من اقاصي الامصار باكمل هدايه والقاطعات في ساعتها الى البلاد اجواز القفار
والموامي والنافذات نجح المرام بعود السهام الى المرامي وهي تطوي الفراسخ البعيده والا
شواط في ساعه وتنتهي الى اقصى عنايات الطاعه باتم استطاعه وقد عم بها نفع المرابطين
للغزاه والمجاهدين في سبيل الله في اهدا اخبار الكفر اليهم من اماكنها داله على
مكايدها ومكامنها طايره بكتبهم الى من وراهم من الطلايع والسرايا مظهرةً لهم
من احوالها خبايا الامور الخفايا وانها الميمونه المطار المامونه العثار سالمه على الاخطار
مهديه في الاسفار امينه على الاسرار سابغه الى الاوكار صادره بالاوطار سابره في
المومنين بنبا الكفار قلت ــــــــ وكل هذه اوصاف حسنه وعبارات مستحسنه
وقد بلغني عن القاضي الفاضل رحمه الله انه وصفها بالطف من هذه الاوصاف واخصر
فقال الطيور ملايكه الملوك يشير الى ان نزولها على الملوك من جو الهوى نزول الملايكه
على الانبيا عليهم السلام من السماء مع فرط ما فيها من الامانه لا يتوهم من جهتها خيانه فلقد
احسن فيما وصف وابدع فيما استنبط وانصف وهو بذلك اولى واعرف رحم الله
الجميع فصل في باقي حوادث هذه السنه فوات نسخه سجل باسقاط
المكوس بمصر قري على المنبر بالقاهره يوم الجمعه بعد الصلاه ثالث صفر سنه تسع وستين
وخمسمايه من السلطان الملك الناصر في ايام نور الدين رحمه الله فهو كان الامر وذاك المباشر

يقول

يقول فيه اما بعد فانا نحمد الله سبحانه على ما مكن لنا في الارض وحسنه عندنا من ادا
كل نافله وفرض ونصبنا له من ازاله النصب عن عباده واختار لنا من الجهاد في الله
حق جهاده وزهدنا فيه من متاع الدنيا القليل والهمنا من محاسبه انفسنا على النقير
والفتيل واولانا من شجاعه السماحه فيومًا نهب ما اشتملت عليه الدواوين ويومًا نقطع
ما سقاه النيل فالبشاير في ايامنا تترى شفعًا ووترًا والمسار كنظام الجوهر تتبع الواحده
منها بالاخرى والمسامحات قد ملات المسامع والمطامع واسخطت الجيمه والصناعه
وارضت المنبر والجامع ولما تقلدنا امور الرعيه راينا المكوس الديوانيه بمصر والقاهره
اولى ما نقلناها من ان تكون لنا في الدنيا الى ان يكون لنا في الاخره وان نتجرد منها
لنلبس اثواب الاجر الفاخره ونطهر منها مكاسبنا ونصون عنها مطالبنا ونكفي
الرعيه ضررهم الذي نتوجه اليهم ونضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ونعيدها
اليوم كامس الذاهب ونضعها فلا يرفعها من بعد يد حاسب ولا قلم كاتب فاستخرنا
الله وعجلنا اليه ليرضى ورايناها فرصه اجر لا نغض عليها بصاير الابصار ولا نغضي وخرج
امرنا بكتب هذا المنشور بمسامحه اهل القاهره ومصر وجميع التجار المترددين اليها
والى ساحل المقسم والمنيه بابواب المكوس صادرها وواردها فيرد التاجر ويسفر ويغيب
عن ماله ويحضر ويقارض ويتجر برًا وبحرًا مركبًا وظهرًا سرًا وجهرًا لا يحل ما شد ولا يحاول
ما عنده ولا يكشف ما ستره ولا يسال عما اورده واصدره ولا يستوقف في طريقه
ولا يشرق بريقه ولا يوخذ منه طعمه ولا يستباح له حرمه والذي اشتملت عليه المسامحه
في السنه من العين مايه الف دينار مسامحه لا يتعقبها تاويل ولا يتخونها تحويل ولا يعتريها
زوال ولا يعتورها انتقال دايمه بدوام الكلمه قايمه ما قام دين القيمه من عارضها
ردت احكامه ومن ناقضها نقض ابرامه ومن ازالها زلت قدمه ومن احالها حل دمه ومن
نقضها خلدت اللعنه فيه وفي عقبه ومن احتاط لدنياه فيها احاط به الجحيم الذي هو من
حطبه فمن قراه او قرى عليه من كافه ولاه الامر من صاحب سيف وقلم ومشارف او
ناظر فليمتثل ما مثل من الامر وليمضه على مر الدهور مرضيًا لربه ممضيًا لما امر به ○

وفيها توفي الشيخ ابي بكر يحيى بن سعدون القرطبي المقرئ النحوي وهو نزيل الموصل رحمه الله تعالى وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين والمنصور محمد بن تقي الدين وفيها في ثالث شوال توفي ابو الفتوح نصر بن عبد الله الاسكندري المعروف بابن قلاقس الشاعر بعيذاب ومولده بالاسكندرية رابع ربيع الاخر سنه اثنتين وثلثين وخمسميه فيكون عمره نحوا من خمس وثلثين سنه

ثم دخلت سنه ثمان وستين وخمسميه

ففيها توفي ملك النحاه الحسن بن صافي وفيها ترتب العماد الكاتب مشرفا بديوان نور الدين مضافا الى الكتابه الانشا قال وكان نور الدين ذكيا المعيا فطنا لوذعيا لا تشتبه عليه الاحوال ولا تبهرج عليه الرجال ولا يتاهل لغير اهل الفضل منه الافضال قال ولما عرض صلاح الدين بعد العاضد خزاينه واستخرج دفاينه سير منها عده من الامتعه المستحسنه والالات الثمينه وقطع البلور واليشم والاواني التي لا يتصور وجودها في الوهم ومعها ثلاث قطع من البلخش اكبرها نيف وثلثون مثقالا والثانيه ثمانيه عشر والاخرى دونها وقرن بها من اللالي مصونها ومكنونها وحمل معها من الذهب ستين الف دينار ووصلت من غرايب المصنوعات ما لا يجتمع مثله في اعصار واعمار ومن الطيب والعطر ما لم يخطر ببال عطار فشكر نور الدين همته وذكر بالكرم شيمته ووصف فضيلته وفضل صفته وقال ما كانت بنا حاجه [illegible] المال ولا تسد به خله الاقلال فهو يعلم انا ما انفقنا الذهب في ملك مصر وبنا الى الذهب فقر وما لهذا المحمول في مقابله ما جنا به قدر وتمثل بقول ابي تمام ۞

لم ينفق الذهب المربي بكثرته على الحصا وبه فقر الى الذهب

لكنه يعلم ان ثغور الشام مفتقره الى السداد ووفور الاعداد من الاجناد وقدم بالفرنج بلا البلاد فيجب ان يقع التعاقد على الامداد بالمعونه بالامداد فاستنزره وما استغزره واستقل المحمول في جنب ما حرره وتروى فيما يدبره وافكر فيما يقدمه من هذا المهم ويوخره قال ابن ابي طي لم تقع هذه الهديه من نور الدين بموقع وجرد الموفق بن القيسراني وزيره الى مصر وامره بعمل حساب البلاد واستعلام اخبارها وارتفاعها واين صرفت

اموالها فاذا حصل جميع ذلك قرر على صلاح الدين وظيفه يحملها في كل سنه وعظم على نور الدين امر مصر واخذه من استيلا صلاح الدين عليها المقيم المقعد واكثر مراسلته في حمل الاموال حدثني ابي قال لم يخف حال نور الدين في كراهه الملك الناصر ولقد علم ذلك جميع الاجناد والامرا وتحدث به العوام ولا سيما حين انفذ هذه الهديه واشتد بعد ذلك في مراسلته وانفذ ابن القيسراني لكشف الاحوال ولو طال عمره لم يكن له بد من دخول مصر قال العماد وكان نور الدين مذ ملكت مصر وتوجه له فيها النصر يوثر ان يقرر له فيها مال للحمل يستعين به على كلف الجهاد وتخفيف ما له من الثقل والايام تماطله والاعوام تطاوله وهو ينتظر ان صلاح الدين يبتدي من نفسه بما يريده وهو لا يستدعي منه ولا يستنزله فلما حمل من الخاير الذخاير والمال الحاضر ما حمله وعرف مجمله ومفصله تقدم الى الموفق خالد بن القيسراني ان يمضي ويطالب ويتقضى ويعمل ايضا بالاعمال المصريه جرايد ولا يبقي في نفوس ديوانه من امرها خزانه وارسل معه الهدايا والتحف السنايا واقام العماد مقامه في ديوان الاستيفا فجمع بين الاشراف والاستيفا ومنصب الانشا ثم كان من امره ما سياتي ذكره قال العماد وخرج صلاح الدين في النصف من شوال ومعه الفيل والحماره العتابيه والذخاير النفيسه التي كان انتخبها من ذخاير القصر وهي معدوده من محاسن العصر قد سبق ذكر تسييرها الى نور الدين وقوبلت با[illegible]سان والتحسين ووصلت الحماره وكثرت لها النظاره واما الفيل فانه وصل الينا في سنه تسع وستين ونحن بحلب في الميدان الاخضر واهداه نور الدين الى ابن اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل مع شي من تحفه الثياب والعود والعنبر ثم سيره سيف الدين الى بغداد هديه للخليفه مع ما سيره معه من التحف اللطيفه وسير نور الدين الحماره العتابيه الى بغداد مع هدايا وتحف سنايا

فصل في جهاد السلطانين للفرنج في هذه السنه

قال العماد ونزل صلاح الدين على الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون فبرح بها وفرق عنها عزبها وخرب عماراتها وشن على اعمالها شرا باه بغاراتها ووصل منه كتاب بالمثال الفاضلي بسبب هذه الخدمه الى مولانا الملك العادل اعز الله سلطانه ومد ابدا احسانه ومكن بالنصر امكانه وشيد بالتاييد مكانه ونصر انصاره

واعان اعوانه علم الملوك بما يوثره المولى بان يقصد الكفار بما يقص اجنحتهم ويفلل
اسلحتهم ويقطع موادهم ويخرب بلادهم وابر الاسباب المعينه على ما يرومه من هذه
المصلحه ان لا يبقى في بلادهم احد من العربان وان ينتقلوا من ذل الكفر الى عز الايمان
ومما اجتهد فيه غاية الاجتهاد وعده من اعظم اسباب الجهاد ترحيل كثير من ابقارهم
والحرص في تبديل دارهم الى ان صار العدو اليوم اذا نهض لا يجد بين يديه دليلا ولا
يستطيع حيله ولا يهتدي سبيلا ذكرنا في الكتاب قال ابن شداد وهذه اول
غزوة غزاها صلاح الدين من الديار المصريه وانما بدا ببلاد الكرك والشوبك لانها كانت
اقرب اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصريه وكان لا يمكن ان تصل قافله
حتى يخرج هو بنفسه يعبرها بلاد العدو فاراد توسيع الطريق وتسهيله ليتصل البلاد
بعضها ببعض وتسهل على السابله فخرج قاصدا لها في اثنا سنه ثمان وستين فحاصرها
وجرى بينه وبين الفرنج وقعات وعاد عنها ولم يظفر منها بشي في تلك الدفعه وحصل
ثواب القصد واما نور الدين فانه فتح مرعش في ذي القعده من هذه السنه واخذ بهسني
في ذي الحجه منها قال العماد حضرت عند الملك العادل نور الدين بدمشق في
العشرين من صفر ووجهه بنور البشر قد سفر والحديث يجري في طيب دمشق وحسن
الايها ورقه هوايها وبهجه بهايها وازهار ارضها كزهر سمايها وكل منا يمدحها ويحبه
بمحبها وكل منا يطريها فقال نور الدين انا حب الجهاد يسليني عنها فما ارغب فيها فارتجلت
هذا المعنى في الحال فقلت
ليس في الدنيا جميعا بلد مثل دمشق
ويسليني عنها في سبيل الله عشقي · والتقى الاصل ومن يتركها يشقى ويشقى
كم رشيق شاغل عنه بسهم الغزو رشقي · وامتشاق البيض تغني عنه بالاقلام مشقي
قال وسالني نور الدين ان اعمل دو بيتات في معنى الجهاد على لسانه فقلت
للغزو نشاطي واليه طربي ما لي في العيش غيره من ارب
بالجد وبالجهاد نجح الطلب والراحه مستودعة في التعب
وقلت ايضا
لا راحة في العيش سوى ان اغزو سيفي طربا الى الطلى يهتز
في ذل ذوي الكفر يكون العز والقدره في غير جهاد عجز
وقلت ايضا
اقسمت سوى الجهاد ما لي ارب والراحه في سواه عندي تعب
الا بالجد لا ينال الطلب والعيش بلا جد جهاد لعب
قال واتفق خروج كلب الروم اللعين في جنود الشياطين يقصد الغاره على
زرا من ناحيه حوران وهم في جمع غلبت كثرته الخبر والعيان ونزلوا بقربه نعوف
بشمسكين فركب نور الدين وهو نازل بالكسوه اليهم واقدم بعساكره عليهم فلما عرفوا
وصوله رحلوا الى الفوار ثم الى السواد ثم نزلوا بالشلاله ونزل نور الدين عشترا وقد شرع
ما جرى فانفذ سريه الى اعمال طبريه واغتنم خلوها فادلجت تلك الليله وحملت في شن
الغاره عدوها فلما عادت لحقها الفرنج عند المخاضه فوقف الشجعان وثبت من ثبته الايمان
حتى عبرت السريه وانفصلت تلك القضيه ورحل نور الدين من عشترا فنزل بظاهر
زرا قال العماد وكنت راكبا في قابهم مع الملك العادل وهو يقول لي كيف
نصف ما جرى فمدحته بقصيده منها
عقدت بنصرك راية الايمان · وبدت لعصرك ايه الاحسان
يا غالب الغلب الملوك وصايد الصيد الليوث وفارس الفرسان
يا سالب التيجان من اربابها · حزت الفخار على ذوي التيجان
محمود المحمود ما بين الورى · في كل اقليم بكل لسان
يا واحدا في الفضل غير مشارك · اقسمت ما لك في البسيطة ثاني
احلى امانيك الجهاد وانه · لك مؤذن ابدا بكل امان
كم بكر فتح ولدته ظباك من · حرب لقمع المشركين عوان
لك وقعه لك بالفرنج حديثها · قد شاد في الافاق والبلدان
قمصت قومصهم رداء من ردى · وقرنت راس برنسهم بسنان
وملكت رق ملوكهم وتركتهم · بالذل في الاقياد والاسجان
وجعلت في اعناقهم اغلالهم · وسحبتهم هونا على الاذقان

اذ في السوابغ تحطم السمر القنا والبيض تخضب بالنجيع القاني
وعلى غنا المشرفيه في الطلى والهام رقص عوالي المران
وكان بين النقع لمع حديدها نار تالق من خلال دخان
في مازق ورد الوريد مكفل فيه بري الصادم الظمان
غطى العجاج به نجوم سمائه لتنوب عنها انجم الخرصان
او ما كفاهم ذاك حتى عاودوا طرق الضلال ومركب الطغيان
باخيه الافرنج حين تجمعوا في جيرة واتوا الى حوران
وجلوت نور اليقين ظلمة كفرهم لما اتيت بواضح البرهان
وهزمتهم بالراي قبل لقائهم والراي قبل شجاعة الشجعان
اصبحت للاسلام ركنا ثابتا والكفر منك مضعضع الاركان
قوضت اساس الضلال بعزمك الماضي وشدت مباني الايمان
قل اين مثلك في الملوك مجاهد لله في سر وفي اعلان
لم يلقهم ثقة بقوة شوكة لكن وثقت بنصرة الرحمان
ما زال عزمك مستقلا بالذي لا يستقل بثقله الثقلان
وبلغت بالتاييد اقصى مبلغ ما كان في وسع ولا امكان
دانت لك الدنيا فقاصيها اذا حققته لنفاذ امرك دان
من العراق الى الشام الى ذرا مصر الى قوص الى اسوان
لم يلهه عن باقي البلاد وانما الهاك فرض الغزو عن همذان
للروم والافرنج منك مصايب بالترك والاكراد والعربان
اذعنت لله المهيمن اذعنت لك اوجه الاملاك بالاذعان
انت الذي يعز الملوك وجدته ملآن من عرف ومن عرفان
في باس عمرو في بسالة حيدر في نطق قس في تقى سلمان
سبل لو ان الوحي ينزل انزلت في شانها سور من القران

فاسلم طويل العمر ممتد المدا صافي الحبور مخلد السلطان ○ وهي قصيده طويله وصف فيها امراء الحاضرين الجهاد معه وملاحم في فتح بلاد النوبه قال العماد وفي جمدى الاولى غزا شمس الدوله توران شاه بن ايوب اخو صلاح الدين بلاد النوبه وادام سطاه المرهوبه وفتح حصنا لهم يعرف بابريم والان لابريم وهي بلاد عديمه الجدوى عظيمه البلوى

ثم رجع بالسبي وعاد به الى اسوان وفرق على اصحابه في الغنايم السودان وقال ابن ابي طي وفيها اجتمع السودان والعبيد من بلاد النوبه وخرجوا في امم عظيمه قاصدين ملك بلاد مصر وصاروا الى اعمال الصعيد وصمموا على قصد اسوان وحصارها ونهب قراها وكان بها الامير كنز الدوله فانفذ يعلم الملك الناصر وطلب منه نجده فانفذ قطعه من جيشه مع الشجاع البعلبكي فلما وصل الى اسوان وجد العبيد قد عادوا عنها بعد ان اخربوا ارضها فاتبعهم الشجاع والكنز فجرت حروب عظيمه قتل فيها من الفريقين عالم عظيم ورجع الشجاع الى القاهره واخبر بفعال العبيد وتمكنهم من بلاد الصعيد فانفذ الملك الناصر اخاه شمس الدوله في عسكر كثيف فوجدهم قد دخلوا بلاد النوبه فسار قاصدا بلادهم وشحن مراكب كثيره في البحر بالرجال والميره وامرها بالمحاذاه الى بلاد النوبه وسار اليها ونزل على قلعه ابريم وافتتحها بعد ثلثه ايام وغنم جميع ما كان فيها من المال والكراع والميره وخلص جماعه من الاسرى واسر من وجد فيها وهرب صاحبها وكتب الى السلطان بذلك فانشد السلطان ابو الحسن بن الذروي تهنيه بفتح ابريم قصيده منها ○

فقدم العزم فذا مبتدا يقصر عن ملك الارض منتهاه
واسحب ذيول الجيش حتى ارى انجمه طالعه عن دجاه
سوا لمن القى عصاه بها قناعة لما استقرت نواه
عليك بالروم ودع صاحب التاج اذا شيت وتوران شاه
فقد غدت ابريم في ملكه تبرم امرا فيه كبت العداه
لا بد للنوبه من نوبه ترضى بسخط الكفر دين الاله
تظل من سوبه منسوبه لعزمه كامنه في اناه
تكسو الغزاه القاطني ارضها ما نسجت للحرب ايدي الغزاه
سود وتحمر الظبا حولها كاعين الرمد بدت للاساه
او لا فمن يحميها القنا شل دنان نزلتها السقاه
لله جيش منك لا ينثني الا بنصر دميت شفرتاه
ما بين عقبان ولكنها خيل وفرسان كمثل البزاه
اساد حرب فوق ايديهم اساود الطعن فهم كالحواه
تقلدوا الانهار واستلاموا الغدران فالنيران تجري مياه

قال ثم رجع شمس الدوله الى اسوان ثم الى قوص وكان في صحبته امير يقال له ابرهيم الكردي فطلب من شمس الدوله قلعه ابريم فاقطعه

اياها وانفذ معه جماعه من الاكراد البطالين فلما حصلوا فيها انفروا فرقا وكانوا يشنون
الغاره على بلاد النوبه حتى برحوا بهم واكتسبوا اموالا كثيره حتى عفت ارزاقهم
وكثرت مواشيهم واتفق انهم عدوا الى جزيره من بلاد النوبه تعرف بجزيره دبدان فغرق
اميرهم ابرهيم وجماعه من اصحابه ورجع من بقي منهم الى قلعه ابريم واخذوا جميع ما كان فيها
واخلوها بعد مقامهم بها سنتين فعاد النوبه اليها وملكوها وانفذ ملك النوبه رسولا
الى شمس الدوله وهو مقيم بقوص ومعه كتاب فيه طلب الصلح ومع الرسول هديه عبد وجاريه
فكتب له جواب كتابه واعطاه زوجي نشاب وقال ما لك عندي جواب الا هذا وجهز
معه رسولا يعرف بمسعود الحلبي واوصاه ان يكشف له خبر البلاد ليدخلها فسار الحلبي
مع الرسول حتى وصل دنقله وهي مدينه الملك قال مسعود فوجدت بلادا ضيقه ليس
لهم زرع الا الذره وعندهم نخل صغار منه ادامهم ووصف ملكهم باوصاف منها ان قال خرج
علينا يوما وهو عريان قد ركب فرسا عريا وقد التف في ثوب اطلس وهو اقرع ليس على راسه
شعر قال فاتيت فسلمت عليه فضحك وتغاشى وامر بي ان تكوى يدي فكوي عليها هيئه
صليب وامر لي بقدر خمسين رطلا من الدقيق ثم صرفني قال وأما دنقله فليس
فيها عماره الا دار الملك فقط وباقيها اخصاص **فصل** في وفاه نجم الدين ايوب
والد صلاح الدين وطرف من اخباره قال العماد وركب نجم الدين ايوب فشب به فرسه
بالقاهره عند باب النصر وسط المحجه يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجه وحمل الى منزله
وعاش ثمانيه ايام ثم توفي في يوم الثلثا السابع والعشرين من ذي الحجه وكان كريما رحيما عطوفا
حليما وبابه مزدحم الوفود وهو متلف الموجود ببذل الجود وكان ولده صلاح الدين عنه
غايبا في بلاد الكرك والشوبك على الغزاه مواظبا فدفن الى جانب قبر اخيه صلاح
اسد الدين في بيت بالدار السلطانيه ثم نقلا بعد سنين الى المدينه الشريفه النبويه
على ساكنها افضل الصلاه والسلام والتحيه والاعظام والاجلال والاكرام وعلى اله وصحبه
وسلم قلت وقبرهما في تربه الوزير جمال الدين الاصفهاني وزير الموصل المقدم ذكره
رحمهم الله وقال القاضي ابن شداد ولما عاد صلاح الدين من غزاته بلغه قبل وصوله

الى مصر وفاه ابيه نجم الدين فشق ذلك عليه حيث لم يحضر وفاته وكان سبب وفاته
وقوعه من الفرس رحمه الله وكان شديد الركض ولعا بلعب الكره بحيث من راه يلعب بها
يقول ما يموت الا من وقوعه عن ظهر الفرس ۝ ومن كتاب فاضلي عن السلطان الى عز الدين
فرخشاه بمصر يقول فيه صح من المصاب بالمولى الدارج غفر الله ذنبه وسقى بالرحمه تربه
ما عظمت به اللوعه واشتدت الروعه وتضاعفت لغيبتنا عن مشهده الحسره
فاستنجدنا بالصبر فابى واستنجدت العين فيا له فقيدا افقد عليه العزا وهانت بعده
الارزا وانتثر شمل البركه بفقده شمل البركه فهي بعد الاجتماع اجزا

وتخطفته ايدي الردى في غيبتي هبني حضرت فكنت ماذا اصنع

قال ابن ابي طي الحلبي هو الامير نجم الدين ايوب بن شاذي ولا يعرف في نسبه اكثر من
والده شاذي وحدثني ابي رحمه الله قال كان تقي الدين عمر يزيد فيقول شاذي بن مروان قلت
وسمعت انا من يقول شاذي بن مروان بن يعقوب قال ابن ابي طي وقد ادعى ابن سيف الاسلام
لما ملك اليمن انهم من بني مروان بن محمد الجعدي المعروف بالحمار يعني اخر خلفا بني اميه قال
وقد نقبت عن ذلك فاجمع الجماعه من ال ايوب ان هذا كذب وان جميع ال ايوب لا يعرفون
جدا فوق شاذي وكذلك اخبرني السلطان الملك الناصر رحمه الله قلت ودليل صحه
ذلك اني وقفت على كتاب وقف الرباط النجمي بدمشق ولم يزد فيه على نجم الدين ابو سعيد ايوب
ابن شاذي العادلي وابن سيف الاسلام هذا هو ابو الفدا اسمعيل بن طغتكين بن ايوب بن
اخي السلطان صلاح الدين ملك اليمن بعد ابيه وتعاظم الى ان ولى نفسه الخلافه وادعى انه من بني
اميه وعزم على اعاده الخلافه من بني هاشم الى بني اميه وله في ذلك اشعار كثيره وتلقب
بالامام الهادي بنور الله المعز لدين الله امير المومنين ومدحه كثير من الشعرا بذلك وزينوا
له فعله وما هو فيه فمن شعره ۝

واني انا الهادي الخليفه والذي ادوس رقاب الغلب بالضمر الجرد
ولا بد من بغداد اطوي ربوعها وانشرها نشر السماسر للبرد
وانصب اعلامي على شرفاتها واحيي بها ما كان اسسه جدي

ثم قال ابن ابي طي وكان نجم الدين عاقلا مرضيا كثير الصلاة والصلات غزير الفضل
والخيرات يحب العلماء ويميل الى الفضلاء وكان ممن امتدحه العماد الكاتب بعده قصايد
قال وكان مولد نجم الدين ايوب ببلد شختان كذا حكاه مويد الدين بن منقذ وحدثني جماعه
ان مولد نجم الدين كان ببلد شختان بجبل جوروزني في بلد الموصل ونشا شجاعا باسلا
وخدم السلطان محمد بن ملكشاه فراى منه امانه وعقلا وسدادا وشهامه فولاه قلعه
تكريت فقام في ولايتها احسن قيام وضبطها اكرم ضبط واجلى من ارضها المفسدين
وقطاع الطريق واهل العيث حتى عمرت ارضها وحسن حال اهلها وامنت سبلها فلما ولي
السلطان مسعود الملك اقطع قلعه تكريت لمجاهد الدين بهروز الخادم شحنه بغداد
ومتولي العراق الى البصره الى الموصل الى اصفهان وكانت خيله خمسه الف فارس فاقر الامير
نجم الدين في ولايه تكريت واضاف اليه النظر في جميع الولايه المتاخمه له وقرر امره عند
السلطان مسعود وجعل بهروز قلعه تكريت خزانه امواله وبيت عمايله وجعل جميع
ذلك منوطا بالامير نجم الدين ومعقودا بهمته وكان نجم الدين عظيما في انفس الناس بالدين
والخير وحسن السياسه وكان لا يمر احد من اهل الدين والعلم به الا حمل اليه المال والضيافه
الجليله وكان لا يسمع باحد من اهل الدين في مدينه الا انفذ اليه وقد ذكر العماد الكاتب
في سيره السلجوقيه الامير نجم الدين وقرظه واثنى عليه وذكر من دينه وعفته ووفور امانته
وكثره خيره اشيا حسنه وحكى قضيه عمه العزيز حين حبس عنده بقلعه تكريت
من جهه الوزير الدركزيني وامره بقتله فابى نجم الدين الى ان قتله بهروز بنفسه بامر
الدركزيني ثم ان السلطان مسعود احس وخرج في اخذ السلطنه وطمع هو واتابك زنكي
ابن اق سنقر في بغداد وجردا عسكرا عظيما وسارا الى تكريت طامعين في بغداد واتصل
هذا الخبر براجه الساقي وهو اتابك بن السلطان محمود فجرد الف فارس للقا زنكي ثم
اردفهم بعسكر ضخم فانهزم زنكي وقتل جماعه من اصحابه ونهب جميع ما كان في عسكره
ولجا الى سور تكريت وبه عده جراحات وعلم مكانه الامير نجم الدين واخوه شيركوه فحملاه
الى القلعه بحبال وداويا جراحاته وخدماه احسن خدمه ونفذا اليه فاقام عندهما بتكريت

خمسه عشر يوما ثم سار الى الموصل واعوز الظهر فاعطياه جميع ما كان عندهما
من الظهر حتى انهما اعطياه جمله من البقر حمل عليها ما سلم من امتعته فكان زنكي يرى
لايوب هذه اليد ويعرف له هذه الصنيعه ويواصله بالهدايا والالطاف مده مقامه في
تكريت فلما انفصل عنهما على ما سنذكره تلقاه زنكي بالرحب والسعه واحترمه احتراما
عظيما واقطعه عده قطايع وكان نجم الدين قد ساس الناس بتكريت احسن سياسه حتى
ملك بذلك حبات قلوبهم وكان اخوه شيركوه معه في القلعه وكان شجاعا باسلا ينزل من
القلعه ويصعد اليها في اسبابه وحاجاته وكان نجم الدين لا يفارق القلعه ولا ينزل منها
فاتفق ان اسد الدين نزل من القلعه يوما لبعض شانه ثم عاد اليها وكان بينه وبين كاتب صاحب
القلعه مواصر وكان رجلا نصرانيا فاتفق في ذلك اليوم ان النصراني صادف اسد الدين
صاعدا الى القلعه فعبث به بكلمه ممضه فجرد اسد الدين سيفه وقتل النصراني وصعد
الى القلعه وكان مهيبا فلم يتجاسر احد على معارضته في امر النصراني واخذ النصراني برجله
فالقي من القلعه وبلغ بهروز صاحب قلعه تكريت ما جرى وحضر عنده من خوفه جراه
اسد الدين وانه ذو عشيره كبيره وان اخاه نجم الدين قد استحوذ على قلوب الرعايا وانه ربما كان
منهما امر يخشى عاقبته ويصعب استدراكه فكتب الى نجم الدين ينكر عليه ما جرى من
اخيه ويامره بتسليم القلعه الى نايب سيره صحبه الكتاب فاجاب نجم الدين الى ذلك بالسمع
والطاعه وانزل من القلعه جميع ما كان له بها من اهل ومال واجتمع هو واخوه اسد الدين وعزما
على قصد عماد الدين زنكي بالموصل وقيل ان اسد الدين كان خرج الى الموصل قبل نجم الدين واعظم
اهل تكريت خروج نجم الدين من بين اظهرهم ولم يبق احد الا خرج لتوديعه واظهر
البكا والاسف على مفارقته ولما اتصل باتابك زنكي قدومهما افرحه ذلك ولم الموكب
بلقايهما واكرمهما اكراما عظيما واقطعهما في بلد شهرزور اقطاعا حسنا وقيل انه اقطع اسد
اسد الدين بالموزر وجرى بين اسد الدين وجمال الدين الوزير موده عظيمه حتى حلف كل واحد
منهما للاخر انه يقوم بامره في حياته وبعد وفاته وتجرد جمال الدين في امر اسد الدين وامر
اخيه نجم الدين حتى قربهما من قلب اتابك وجعلهما عنده بالمنزله العظيمه وخرج معه الى الشام

وشهد معه حروب الكفار وقتال الفرنج لعنهم الله وكان لاسد الدين في تلك الوقايع اليد البيضا والفعله الغرا قال وحدثني ابي رحمه الله قال حدثني سعد الدوله ابو اليمان الرومي وكان احد اصحاب نجم الدين ايوب قال وحدثني ايضا بهذه الحكايه مجد الدين بن دايه الملك الصالح قال حدثني حسام الدين سنقر غلام الامير نجم الدين ابي طالب وكان سنقر هذا يخدم مع الامير نجم الدين ايوب بن شاذي قال كنت في صحابه الامير نجم الدين لما انفذه نور الدين بن زنكي الى ابنه السلطان الملك الناصر الى مصر من اجل قطع خطبه المصريين واقامه دعوه بني العباس في اول سنه سبع وستين وخمسمايه واتفق ان كنت حاضر وقد اجتمع السلطان الملك الناصر ووالده الامير نجم الدين في دار الوزاره وقد قعدا على طراحه واحده والمجلس غاص بارباب الدولتين وعند الناس من الفرح والسرور ما اذهل العقول فبينا الناس كذلك اذ تقدم كاتب نصراني كان في خدمه الامير نجم الدين فقبل الارض بين يدي السلطان الملك الناصر ووالده نجم الدين والتفت الى نجم الدين فقال يا مولاي هذا تاويل مقالتي لك بالامس حين ولد هذا السلطان فضحك نجم الدين وقال صدقت والله ثم اخذ في حمد الله وشكره والثنا عليه والتفت الى الجماعه الذين حوله والقضاه والامرا وقال كلام هذا النصراني حكايه عجيبه وذلك اني ليله رزقت هذا الولد يعني السلطان الملك الناصر امرني صاحب قلعه تكريت بالرحله منها بسبب الفعله التي كانت من اخي اسد الدين شيركوه رحمه الله وقتله النصراني وقد الفت القلعه وصارت لي كالوطن فثقل علي الخروج منها والتحول عنها الى غيرها واغتممت لذلك وفي ذلك الوقت جاني البشير بولادته فتشاممت به وتطيرت لما جرى علي ولم افرح به ولم استبشر وخرجنا من القلعه وانا على طيرتي به لا اكاد اذكره ولا اسميه وكان هذا النصراني معي كاتبا فلما راى ما نزل بي من كراهيه الطفل والتشام به استدعى مني ان اذن له في الكلام فاذنت له فقال يا مولاي قد رايت ما حدث عندك من الطيره بهذا الصبي واي شي له من الذنب وبما استحق ذلك منك وهو لا ينفع ولا يضر ولا يغني شيا وهذا الذي جرى عليك قضا من الله سبحانه فعطفني كلامه عليه وها هو قد وقفني على ما كان قاله فتعجب الجماعه من هذا الاتفاق وحمد السلطان ووالده الله سبحانه وشكراه قلت

ولعمان

ولعمان في نجم الدين مدايح ومراث منها قوله

ثغر الزمان بنجم الدين مبتسم ووجهه بدوام العز متسم
اضحى بك النيل محجوجا ومعتمرا كانما حل فيه الحل والحرم
جات بنوك وشمل الدين منتثر فقارعوا عنه فهو اليوم منتظم
وما درى احد من قبل رويتهم ان الحظوظ بلثم الارض تقتسم
نامت عيون الورى في عدل سيرتهم كان يقظتنا في عصرهم حلم
والناصر ابنك كافي كل معطله اذا الحوادث لم يكشف لها غمم
اغر بالباس والاحسان حوزتنا فلم يلم بنا خوف ولا عدم
تبسم الدست من ايوب عن ملك يخط عن قدره الاقدار والهمم

وقال في مرثيته

هي الصدمه الاولى فمن بان صبره على هول ملقاها تضاعف اجره
اذم صباح الاربعا فانه تبسم عن ثغر المنيه فجره
اصاب الهدى في نجمه مصيبه تداعى سماك الجو منها ونسره
فلا تعذلونا واعذرونا فمن بكى على فقد ايوب فقد بان عذره
اقام باعمال الفرات وخيله يراع بها نيل العزيز ومصره
الى ان رماها من اخيه بضيغم فرى نابه اهل الصليب وظفره
فلما قضى نحبي حيوه ودوله بامرك في ادراكها تم امره
تعاقبتما مصرا تعاقب وابل سيب بقطر النيل ينهل قطره
نزلت بدار جلها فحللتها فمغناك مغناه وقطرك قطره
وواخيته في البر حيا وميتا فقبرك في دار القرار وقبره
وقد شخصت اهل البقيع اليكما والاسكان الحجون وحجره
هنيا الملك مات والعز عزه وقدرته فوق الرجال وقدره
وادرك من طول الحيوه مراده وما طال الا في رضى الله عمره
واسعد خلق الله من مات بعد ما راى في بني ابنايه ما يسره
مضى وهو راض عنك لم ترم صدره بضيق ولا جاشت من الغيظ قدره
فكيف يحس الى ابوب اسك لقد بان خوف الدهر منه وذعره
شهيد تلقى ربه وهو صايم فكان على اجر الشهاده فطره
حمى حوزه الاسلام والدين بعده ثمانيه من اجلهم عز نصره
رعى الله نجما تعرف الشمس انه ابوها ونور البدر منها وزهره

وابقى المقام الناصري فانه لدولتكم كنز الرجاء وذخر

وقال ايضا

صفو الحياه وان طال المدا كدر وحادث الموت لا يبقى ولا يذر
ومايزال انسان الدهر ينذرنا لو اثرت عندنا الايات والنذر
فلا تقل غرت الدنيا مطامعنا فما مع الموت لا عيش ولا كدر
كاس اذا ما الردى حيا الجسوم بها لم يبق من سكرها انثى ولا ذكر
كم شامخ العز لاقى الذل من يدها ما اضعف القدر ان الوى به القدر
في كل جيل وعصر من وقايعها شعوا يقطر منها الناب والظفر
اودى علي وعثمان بمخلبها ولم يفتها ابوبكر ولا عمر رضي الله عنهم
ومن اراد التاسي في مصيبته فللورى برسول الله معتبر صلى الله عليه وسلم
نجم هوى من سما الدين منكدرا والنجم من افقه يهوى وينكدر
منظومه انجم الجوزا من جزع له وعقد الثريا منه منتثر
وكيف ينسى محياه الكريم ومن نعماه في كل عيش صالح اثر
جددت من اسد الدين الشهيد لنا حزنا به يتساوى الصبر والصبر
قد كان للدين والدنيا بعز بكما ذكر يعبر عنه الصارم الذكر
ان فاح نشر كلام تدحوز به مسكا فعترة ايوب هي العتر
تخفى ذبال مصابيح اذا طلعوا اصحا وينسى ملوك الارض ان ذكروا
كانما صور الله الكمال بهم شخصا ويوسف منه السمع والبصر
لا شوبك منه معصوم ولا كرك ولا خليل ولا قدس ولا ثغر
لم يرتحل قافلا الا وساكنها اما مباح حماه او دم هدر
ما مات ايوب الا بعد معجزة في الجد لم يوتها من جنسه بشر
مضى سعيدا من الدنيا وليس له في رتبه ارب باق ولا وطر
وطول الله منه باع اربعة منها الندى والتقى والملك والعمر
واشرف الملك ما امتدت مسافته في صحه اخواها العقل والكبر
ومن سعادته ان مات لا سام يشكو منه معاينه ولا ضجر

فصل قال العماد وسار نور الدين قاصدا جانب الشمال لتشديد ما اختل هناك من الاحوال فسار الى بعلبك ومنها الى حمص ثم الى حلب وفعل في كل منها من المصالح ما وجب وقصد بلاد قليج ارسلان ملك الروم ففتح مرعش في العشرين من ذي القعدة ثم فتح بهسني وانتزع

في كل منهما الطريقة الحسنى وكتب العماد الى صديق له بدمشق وكان سافر عنها مع نور الدين في الطيب فصولها وهو من المشمش ۞

كتابي فديتك من مرعش وخوف نوابها مرعشي
وما مر في طرقها مبصر صحيح النواظر الا عشي
وما حل في ارضها امن من الضيم والضر الا خشي
ترنح نشوات الغرام كاني من كاسه منتشي
اسروا علن برح الجوى فقلبي يسر ودمعي يشي
بذلت لكم مهجتي رشوة فحاكم حبكم مرتشي
وكيف بلاذ الهوى معمور نار الغرام وحشاه جتني
بمرعش ابغي وبلوطها مضاهاه
جلق والمشمش

قال العماد في الخريدة فسارت هذه القطعة وعرض حديثها الى نور الدين فاستنشدها فانشدتها اياه ونحن سايرون في واد كثير الاشجار مع بيتين بدهت بهما في الحال وهما

وبالملك العادل استانست فحاشاي من كل مستوحش
وما في الانام كريم سواه فان كنت تنكره فتش

قال ابن الاثير وفي سنه ثمان وستين سار نور الدين رحمه الله نحو ولاية الملك عز الدين قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان السلجقي وهي ملطيه وسيواس وقونيه واقصرا عازما على حربه واخذ بلاده منه وكان سبب ذلك ان ذا النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس وغيرهما من تلك البلاد قصده قليج ارسلان واخذ بلاده واخرجه عنها طريدا فريدا فسار الى نور الدين مستجيرا به وملتجيا الى ظله فاكرم نزله واحسن اليه وحمل له ما يليق ان يحمل للملوك ووعده النصر والسعي في رد ملكه اليه وكانت عادة نور الدين انه لا يقصد ولاية احد من المسلمين الا ضرورة اما ليستعين بها على قتال الفرنج او للخوف عليها منهم كما فعل بدمشق ومصر وغيرهما فلما قصده ذو النون راسل قليج ارسلان وشفع اليه في اعادة ما غلبه عليه من بلاده فلم يجبه الى ذلك فسار نور الدين نحوه فابتدا بكيسون وبهسني ومرعش ومرزبان فملكها وما بينهما من الحصون وسير طايفه من عسكره الى سيواس فملكوها وكان قليج ارسلان لما بلغه قصد نور الدين بلاده قد سار من اطرافها التي تلي الشام الى وسطها خوفا وفرقا وراسل

نور الدين يستعطفه ويساله الصلح والصفح عنه فتوقف نور الدين عن قصده رجا ان
ينصلح الامر بغير حرب فاتاه من الفرنج ما ازعجه فاجابه الى الصلح وكان في حمله
رسالة نور الدين اليه انني اريد منك امورا وقواعد ومهما تركت منها فلا اترك ثلثه
اشيا احدها ان تجدد اسلامك على يد رسولي حتى يحل لي اقرارك على بلاد الاسلام
فاني لا اعتقدك مومنا وكان قليج ارسلان يتهم باعتقاد مذاهب الفلاسفه والثاني
اذا طلبت عسكرك للغزاه تسيره فانك قد ملكت طرفا كبيرا من بلاد الاسلام وتركت
الروم وجهادهم وهادنتهم فاما ان تكون تنجدني بعسكرك لاقاتل بهم الفرنج واما
ان تجاهد من يجاورك من الروم وتبذل الوسع والجهد في جهادهم والثالث ان تزوج
ابنتك لسيف الدين غازي ولد اخي وذكر امورا غيرها فلما سمع قليج ارسلان الرساله قال
ما قصد نور الدين الا الشناعه علي بالزندقه وقد اجبته الى ما طلب انا اجدد اسلامي على
يد رسوله واستقر الصلح وعاد نور الدين وترك عسكره في سيواس مع فخر الدين عبد المسيح
في خدمة ذي النون فبقي العسكر بها الى ان مات نور الدين فرحل العسكر عنها وعاد قليج
ارسلان ملكها قال العماد وفيها وصل الامام الكبير قطب الدين النيسابوري
وهو فقيه عصره ونسيج وحده فسر نور الدين به وانزله بحلب بمدرسه باب العراق
ثم اطلعه الى دمشق فدرس بزاويه الجامع الغربيه المعروفه بالشيخ نصر المقدسي رحمه الله
ونزل بمدرسه الجاروق وشرع نور الدين في انشا مدرسه كبيره للشافعيه لفضله وادركه
الاجل دون ادراك عملها الاجله قلت هي المدرسه العادليه الان التي بناها بعده
الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو صلاح الدين وفيها تربته وقد رايت انا ما كان بناه
نور الدين من بعده وهو موضع المسجد والمحراب الان ثم لما بناها الملك العادل ازال ذلك
العماره وبناها هذا البنا المتقن المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس وهي الماوي وبها الثوي
وفيها قدر الله تعالى جمع هذا الكتاب فلا افرد ذلك المنزل ولا اقوي وبقي قطب الدين
الى ان توفي في الايام الناصريه في سنه ثمان وسبعين ووقف كتبه على طلبه العلم ونقلت
بعد بناها هذه المدرسه اليها فانا فانها ثمرته اذ فاتها مباشرته رحمه الله قال العماد وكان

وفد

وفد في سنه اربع وستين شيخ الشيوخ عماد الدين ابو الفتح محمد بن علي بن محمد بن حمويه
فاقبل عليه نور الدين وامر في انشا منشور له بمشيخه الصوفيه ورغبه في المقام بالاحسان
اليه بالشام ومن جمله ما اتحفه به عمامه باعمده ذهبيه نقلها صلاح الدين من مصر
فبذل فيها الف دينار بزنه ذهبها فلم يجب من سامها الى طلبها قلت وقد سبق ذكر
هذه العمامه في اخبار نور الدين اول الكتاب من كلام ابن الاثير وابن المعطي اياها وهو الشيخ
تاج الدين عبد الله رحمهم الله ثم ذكر العماد نسخه المنشور وفيه فلينظر في رباط السميساطي
وقبة الطواويس ورباط الطاحونه وغيرها من الربط الذي للصوفيه بدمشق المعموره
وبعلبك ثم ذكر العماد انه في اخر شعبان من هذه السنه قبل الرحيل من دمشق كان
اهدى الى صديقه الفاضل الاديب علم الدين الحسن بن سعد الشاتاني ظرايف وكتب اليه

ما را فداتك في صحون مستوطنات في سكون
بجلين امثال العرايس من ابكار وعون
او كالعقايل في الخدور قد اعتقلن على ذبون
هن اللذيذات اللوايذ بالسهول من الحزون
او كالتمايم للصحاف وما نسبن الى جنون
السكريات العربيات الغلايل والشوون
صرعي وما دارت لها يوما رحى الحرب الزبون
لفقن في اكفانهن على المنى لا للمنون
يجبن بالتغريق بل يسمن في ضيق السجون

المستطابات الظهور المستلذات البطون
نضدن بالترصيع في الجامات كالدر المصون
المستقيمات الصفوف وقفن كالخيل الصفون
وقد استملن من اللطايف والصنفات على فنون
اسمع حديثي في انبساطي فالحديث اخو شجون
وهي اكثر من هذا

فصل قال العماد قد سبق ذكر مليح بن لاون مقدم بلاد الارمن
والتجايه الى نور الدين وتطاوله بقوته على الروم والارمن وكانت الدروب اذنه والمصيصه
وسيس وطرسوس يحميها كليب الروم ويضبطها بجنده حتى استولى عليها مليح بن لاون فاسرهم وقتل
واسر وساق لنور الدين من مقدمي الروم ثلثون اسيرا فارسل نور الدين القاضي كمال الدين الشهرزوري زورى
بالاسارى والهدايا الى الخليفه المستضي بامر الله ومعه كتاب يشرح هذه الكسره وما فتح من البلاد

ويقول فيه وقسطنطينيه والقدس تجريان الى امدا لفتوح في مضمار المنافسه وكلاهما
في وحشه ليل الظلام المدلهم على انتظار صباح المؤانسه والله تعالى بكرمه يدني قطاف
الفتحين لاهل الاسلام ويوفق الخادم لحيازه مراضي الامام وفي اخره ومن جمله حسنات
هذه الايام الزاهره ما تسنى في هذه النوبه من افتتاح بعض بلاد النوبه والوصول
الى مواضع منها لم تطرقها سنابك الخيل الاسلاميه في العصور الخاليه وكذلك استولت
عساكر مصر ايضا على برقه وحصونها وتحكموا في محكم معاقلها ومصونها حتى بلغوا الى حدود
المغرب فظفروا من السول بمنتهى المارب قلت ـــــ اتفق في هذه السنه وصول
قراقوش غلام تقي الدين من الديار المصريه مع طايفه من الترك فانضم اليهم جماعه من العرب
فاستولى على طرابلس وكثير من بلاد افريقيه ما خلا المهديه وسفاقس وقفصه وتونس
وفي اخر ذلك الكتاب ونسال الله التوفيق لاستدنا قواصي المنا وافتضاض عذرة الصليب
الانجاس من المسجد الاقصى وان يجعل فتح البيت المقدس مفتتح مراده ومقتدح زناده
ومفترحه في جهاده وان يملكه الساحل وجميع بلاده وسير العماد معه قصيده منها
بالمستضي ابي محمد الحسن رجعت امور المسلمين الى السنن
في ارض مصر دعا له خطباؤها وانت لتخطب بكر خطبته عدن
فالمغرب الاقصى ذلك مشرق وبنصر مصر مخفق يمن اليمن
وراى الاله المستضي لشرعه وعباده نعم الامين المؤتمن
سر النبوه كامن فيه ومن فطر الامامه مشرق نور الفطن
تقوى ابي بكر ومن عمر الهدى وحيا عثمن وعلم ابي الحسن
وبجده عرفت مقاله جده لا من ددٍ انا ولا مني الددن
ومنها في مدح نور الدين رحمة الله
هل مثل محمود بن زنكي مخلص متوحد يبغي رضاك بكل فن
ورع لدى المحراب اروع محرب في حالتيه ان اقام وان ظعن
يمسي ويصبح في الجهاد وغيره يضحي رضيع سلافه وضجيع دن
ويعض الاسلام منصلت حر وبه الاله الاسلام مستقل زمن
ان اي مطلع وضيا وصال بالدين ابن على عضن
من يعل دوسه نور الدين بن عمرو بن زنكي بن

دينارًا من دنانير النثار التي نثرت يوم دخل الشهاب الى بغداد للبشاره بالخطبه في
مصر وزن كل دينار عشره دنانير ـــــ العماد وكانت ناحيتا درب هرون
وصريفين من اعمال العراق لزنكي والد نور الدين قديما من انعام امير المومنين فسال نور
الدين احيا ذلك الرسم في حقه فانعم بهما الخليفه عليه ووجه بهما مثاله الشريف اليه
وكان من مراده ان يستوهب ببغداد على شاطي دجله ارضا يبنيها مدرسه للشافعيه
ويقف عليها الناحيتين طلبا للاجر والذكر الباقي على الدهر وقيل له ما ثم موضع يصلح لهذا
الاداره الثمر فعاقه امر القدر عن قدرته على الامر ثم دخلت
سنه تسع وستين وخمسمايه ونور الدين قد فتح من حصون الروم مرعش وغيرها ومليح بن لاون
متملك الارمن في خدمته ووصل الى خدمته ايضا ضيا الدين مسعود بن قلج ارسلان صاحب
ملطيه وكان في خدمته ايضا الامرا من الجبل فسرحهم بالعطا الاجزل والثمن الاجل
واظهر انه ينزل على قلعه الروم على الفراه فقبل مستخلف الارض بالبراه وحمل خمسين
الف دينار على سبيل الجزيه مصانعه بذل وصغار وعاد الى حلب وقد انجح في كل ما طلب
واراد ان يشرع الى دمشق فالتاث ستة لا ليناث شربته وحظي بمرض القلب لمرض جسم
خطيته وجرت شكايته شكايه جاريته فتصدق عنها بالوف والتزم لله في شفايها
نذورا وصوف ثم سيرها في محفه تحمل على ايدي الرجال في خفه وسارت على الطريق المهيع
مع العسكر يحملها من الخدم والخواص العشر بعد العشر فما تقرب اليه بمثل حملها والمشي
معها وتقدم بحو لازم من يخلصه شيعها وتاخر نور الدين حزينه مع عده من مماليكه وامرايه
المماحصين في ولايه وتقدم الي ان اسايره في طريقه واحاوره واحاضره في منازله واسامره
وسرنا على طريق فيه ملاعب والمشهد وسلميه تجاه الحبران الفرنج قد اغارت على حوران
فثنى الى الجهاد العنان وسمع الفرنج به فتفرقوا وقلقوا بعدما كانوا اقلقوا ودخلنا الى دمشق
قلت ـــــ وفي جمدى الاولى ابطل نور الدين رحمه الله فريضه الاتبان ورايت منشوره
بذلك وعلامته عليه بخطه الحمد لله يقول فيه وبعد فان من سنتنا العادله وسيرايامنا
الزاهره وعوايد دولتنا القاهره اشاعه المعروف واغاثه الملهوف وانصاف المظلوم

واعفا رسم ما سنه الظالمون من جابرات الرسوم وما تزال نجدد للرعيه رسما من
الاحسان يرتعون في رياضه ويرتوون من حياضه ونستقري اعمال بلادنا المحروسه
ونصفيها من الشبه والشوايب ونلحق ما يعثر عليه من بواقي رسومها الضرايب بما اسقطنا
من المكوس والضرايب تقربا الى الله تعالى الكافل لنا بسبوغ المواهب وبلوغ المطالب وقد
اطلقنا ما جرت العاده باخذه من فريضه الاتبان المقسطه على اعمال دمشق المحروسه
وضياع الغوطه والمرج وجبل سنير وقصر حجاج والشاغور والعقيبه ومزارعها الجاريه
في الاملاك في جميع ما يقسط بعد المقاسمه من الاتبان على الضياع الخواص والمقطعه
وساير الاعمال المذكوره ووفرناه على اربابه طلبا لمرضاة الله وعظيم اجره وثوابه وهربا من
انتقامه واليم عقابه وتسبيل الثواب اطلاق ذلك على الدوام وتعفيه اثاره والاستعفا
من اوزاره والاحترار من التدنس باوضاره وابطال رسمه من الدواوين لاستقبال سنه
تسع وستين وما بعدها على تعاقب الايام والسنين **فصل في فتح اليمن**
قال العماد وفي رجب توجه تورانشاه اكبر اخوه صلاح الدين الى اليمن فملكها
وكان يحثه على المسير اليها عماره اليمني شاعر القصر وكان كثير المدح لتورانشاه فتجهز وسار
الى مكه ثم الى زبيد فملكها وقبض على الخارجي بها واهلكه نايبه سيف الدوله مبارك
ابن منقذ ومضى الى عدن فاخذها واستناب فيها عز الدين عثمان الزنجيلي وفتح حصن تعز
وغيره من القلاع ففتح اقليما ومنح ملكا وامتنع بكرا وشيع ذكرا وقال ابن
شداد ولما كان سنه تسع وستين راى صلاح الدين قوه عسكره وكثره عدد اخوته وقوه
باسهم وكان بلغه ان باليمن انسانا استولى عليها وملك حصونها وهو يخطب لنفسه يسمى
عبد النبي ابن مهدي ويزعم انه ينتشر ملكه الى الارض كلها واستتب امره فراى ان يسير اليها
اخاه الاكبر الملك المعظم تورانشاه وكان كريما اريحيا حسن الاخلاق سمعت منه يعني ابن
شداد صلاح الدين رحمه الله يثني على كرمه ومحاسن اخلاقه وترجيحه اياه على نفسه فمضى اليها
وفتح الله على يديه وقتل الخارجي الذي كان بها قلت وكان اخو هذا الخارجي قد خرج
باليمن في زماننا هذا قبله ذكر عماره اليمني في اول كتابه في وزرا مصر في اثنا كلام له قال وكان
جماعه

جماعه من اماثل الناس مثل بركات المقرى وعلي بن محمد البلي والفقيه علي بن مهدي القايم الذي
قام باليمن وازال دوله اهل زبيد وغيرهم قد سبقوني يعني الى صاحب عدن قد ذكر
كلاما يتعلق به وقال العماد في الخريده علي بن مهدي ملك اليمن في زماننا هذا وسفك
الدما وسبى المسلمين واقبل على شرب الخمر وادعى الملك والامامه ودعا الى نفسه وكان
يحدث نفسه بالمسير الى مكه فمات سنه ستين وتولى بعده اخوه وله شعر حسن يدل على
علو همته قال ابن ابي طي كان سبب خروج شمس الدوله الى اليمن انه كان ذا جوادا وكان
اقطاعه بمصر لا يقوم بقوته ولا ينهض بمؤونته وكان قد انتظم في سلكه عماره الشاعر وكان
من اهل اليمن وكان وزد الى مصر ومدح اصحابها ونفق عليهم فلما زالت دولتهم انضوى الى
شمس الدوله ومدحه وكان اذا خلا به يصف له بلاد اليمن وكثره اموالها وخيرها وضعف
من فيها وانها قريبه الماخذ لمن طلبها قلت فمن جمله شعره في ذلك قوله من
قصيده اولها ان العلم مذ كان محتاجا الى العلم وشفره السيف تستغني عن القلم
كم تترك البيض في الاجفان ظاميةً الى الموارد في الاعناق والقمم
اما ملك الفتح من شام ومن يمن فلا ترد روس الخيل بالجم
فعمك الملك المنصور سوّمها من الفرات الى مصر بلا سام
فاخلق لنفسك ملكا لا انضاف به الى سواك واور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الورى لحما على وضم
وقد ترامى الى ان امسكت يده من الكواكب بالانفاس والكظم
حاسب ضميرك عن راي اتاك وقل نصيحة وردت من غير متهم
وله من اخرى
افاتح ارض النيل وهي عظيمه على كل راج فتحها ومومل
متى توقد النار التي انت قادح بعمدان مشبوبا سناها بمندل
وتفتح ما بين الحصين واس وصنعا من حصن حصين ومعقل
وتملك من مخلاف طرف وجعفر نقيضين من حزن خصيب ومسهل
وتخلق ملكا لا يحيل بفخره على احدٍ الا على عزمك العلي
وله من اخرى
قالوا الى اليمن الميمون رحلته فقلت ما دونه شي سوى السفر

شير يسر بني الدنيا وطيب ثنا وطول عمر كما يحكى عن الخضر
لا توقدن لها النار التي خمدت خفض عليك تنل ما شيت بالشرد
المال ملك يد والقوم ملك يد ولا اطيل وهذا جمله الخبر

قال ابن ابي طي ووافق ذلك انه كاتبه رجل من اهل اليمن شريف يقال له هاشم ابن غانم واطمعه في المعاونه لان صاحب الموصل عبد النبي كان قد تعدى على هذا الشريف هاشم فاعلم شمس الدوله اصحابه بعزمه على اليمن فاجابوه فتجهز ثم دخل على اخيه السلطان واستاذنه في دخول اليمن فاذن له واطلق له مغل قوص سنه وزوده فوق ما كان في نفسه واصحبه جماعه من الامراء ومقدار الف فارس خارجا عمن سيره من حلقته وسار في البر والبحر في البر العساكر وفي البحر الاسطول يحمل الازواد والعدد والالات فوصل الى مكه شرفها الله تعالى فدخلها زايرا ثم خرج متوجها منها الى اليمن فوصل زبيد في اوايل شوال فنزل عليها ولقيه الشريف هاشم بن غانم الحسني وجميع الاشراف بنو سليمن في جمع جم وعدد كبير فهجم زبيد وتسلمها واحتوى على ما فيها وقبض على صاحب اليمن عبد النبي اخي على ابن مهدي ثم رحل الى عدن وفي صحبته ابن مهدي ففتحها عنوه ولاها عز الدين الزنجيلي ثم سار الى الخلاف وتسلم الحصون التي كانت في يد بن مهدي كتعز وغيرها وسار الى صنعا بعد فتح مدينه الجند وغيرها فاحرق صنعا فدخلها شمس الدوله فلم يجد بها الا شيخا او امراة عجوزا فاقام بها ثمانيه ايام ثم لم يستطع المقام لقله الميره فرجع الى زبيد فوجد بن منقذ قد قتل عبد النبي بن مهدي وكان شمس الدوله قد استناب بزبيد الامير سيف الدوله المبارك ابن منقذ واسر بحمله فلما بعد شمس الدوله خاف بن منقذ من فساد امره فراى المصلحه في قتله فقتله بن منقذ بزبيد فلما بلغ شمس الدوله قتله استصوبه ولما حصل شمس الدوله في زبيد انفذ اليه صاحب ظمار وصالحه هو وباقي الملوك على ادا المال ثم تتبع تلك الحصون والقلاع فاحتوى عليها جميعها وكتب بذلك الى اخيه الملك الناصر فارسل الى نور الدين يخبره بما افاض الله عليه من الاحسان وخوله من ملك الديار والبلدان فارسل نور الدين مهذب الدين ابا الحسن علي بن عيسى النقاش بالبشاره بذلك الى بغداد

فصل

ذكر العماد هاهنا الامير مجد الدين سيف الدوله المبارك بن كامل بن منقذ المستناب بزبيد ووصفه بانه من الكفاه الكرما والدهاه ذوي الاراء وهو فاضل من اهل بيت فضل كتب الى العماد من شعره

لما نزلت الدير قلت لصاحبي قم فاخطب الصهبا من شماسه
فاتى وفي يمناه كاس خلتها مقبوسه في الليل من نبراسه
وكان ما في كاسه من خده وكان ما في خده من كاسه
وكان لذه طعمها من ريقه وارجها الفياح من انفاسه
لم انس ليله شربها بغنايه اذ بات يجلوها على جلاسه
اذ قام يسقينا المدام وكلما عاتبته رد الجواب براسه

قلت وملحه ابو الحسن بن الذروي المصري بقصيده غرا اليه ما اظن انه نظم على قافيه الذال ارق منها لفظا واورق معنى اولها

لك الخير عرج بي على ربعهم فذي ربوع يفوح المسك من عرفها الشذي

يقول فيها

مبارك عيس الوفد باب مبارك وهل منقذ القصاد غير ابن منقذ

قال العماد ثم سير نور الدين الى بغداد بشارة بامرين احدهما فتح اليمن والاخر كسر الروم مره ثانيه ومقدمهم الدوقس كلمان وكان قد بما اسيرا عند نور الدين من نوبه حارم وفداه بخمسه وخمسين الف دينار وخمس مايه وخمسين ثوبا اطلسا وسير معه اسرا من الروم وذلك في شعبان هذه السنه ومما تضمنه كتاب البشاره ولم ينج من عشره الف غير عشره جمره مستنفره فرت من قسوره وقبل ذلك بشهر بن سيرت قصيده العماد في جمدي الاخره على لسان نور الدين الى بغداد اولها

اطاع دمعي وصبري في الغرام عصا والقلب جرع من كاس الهوى غصصا
وان صفو حياتي ما يكدره الا اشتياقي الى احبابي الخلصا
ما اطيب العيش بالاحباب لو وصلوا واسعد القلب من بلواه لو خلصا
من ذا الذي سار سيري في ولايكم عداه قال العذول لا سير عند عصا

قد نال عبدك محمود بها ظفرا ما زال يرقبه من قبل متربصا
من خوف سطوته ان العدو اذا ام الثغور على اعقابه نكصا قال العماد وكلف
نور الدين في هذه السنه بافاده الالطاف والزياده في الاوقاف وتكثير الصدقات
وتوفير النفقات وكسوه الشتوه والاباى في ايامها واغنا فقرا الرعيه وايجادها بعد
اعدامها وصون الايتام والارامل ببذله وعون الضعفا وتقويه المقوين بعدله ثم ذكر ما
قدمنا ذكره في اول الكتاب من مناقب نور الدين وافعاله الكريمه قال العماد وفي يوم
الاثنين رابع شهر رمضان ركب نور الدين على العاده وجلسنا نحن في ديوانه حافلين في
ايوانه لبسط عدله واحسانه وتنفيذ اوامر سلطانه فجاني من اخبرني ان نور الدين نزل الى
المدرسه التي يتولاها وبسط سجادته في قبلتها لسنه الضحى وصلاها فقمت في الحال ومضيت
على الاستعجال فلقيته في الدهليز خارجا في اجر العباده ناجحا ولنهج العباده ناهجا فلما
راني توقف ولقولي تشوف فقلت له ان الموضع قد تشرف اما ترى انه من ايام الزلزله
قد تشعث فلما راى حاله تلبث وقال نبعثه الى العماره ونكسوه حلل النضاره ثم حملت له
وجوه سكر وشيا من ثياب وطيب وعنبر وكتبت معها هذه الابيات
عند سليمان على قدره هديه النمله مقبوله ۝ ويصغر المملوك عن نمله عندك والرحمه مأموله
رقي لمولانا وملكي له وذمتي بالشكر مشغوله ۝ وكيف يقضي الحق ذو منه ضعيفه بالعجز معلوله
وانما شيمه مولى الورى طاهره بالخير مجبوله
قال وكان راى قبله المدرسه غير مفضضه وبالترخيم والتذهيب والتهذيب
غير مخصصه فتقدم لعمارتها فصوصا مذهبه وذهبا ثم مقدم وحامه وعاق القدر
عن اتمامه ودفعت الى الموصل فرايته في المنام وهو يجاذبني في الكلام ويقول ما يعود الي
المدرسه معناه وقال الصلاه الصلاه فعرفت انه اشار الى المحراب وانه الان على هيئة
الخراب فكتبت الى الفقيه الذي كان عنده الذهب ان يشرع في عمارته ودخلت دمشق
يوم فراغ الصانع منه **فصل** قال ابن ابي طي وفي هذه السنه وصل رسول
نور الدين الموفق بن القيسراني الى الديار المصريه واجتمع بالسلطان الملك الناصر وانهى اليه

رساله نور الدين وطالبه بحساب جميع ما حصله وارتفع اليه من ارتفاع البلاد فصعب
ذلك على السلطان واراد شق العصا لولا ما ثاب اليه من السكينه ثم امر النواب
بعمل الحساب وعرضه على ابن القيسراني واراه جرايد الاجناد بمبالغ اقطاع وكميات
جامكياتهم ورواتب نفقاتهم فلما حصل عنده جميع ذلك ارسل معه هديه الى
نور الدين على يد الفقيه عيسى قال ووقفت على برنامج شرحها بخط الموفق بن
القيسراني وهي خمس ختمات احداها ختمه ثلثون جزوا مغشاه باطلس ازرق مضببه
بصفايح ذهب وعليها اقفال ذهب مكتوبه بذهب بخط يانس وختمه بخط
راشد مغشاه بديباج فستقي عشره اجزا وختمه بخط ابن البواب مجلد واحد
بقفل ذهب وختمه بخط مهلهل جزو واحد وختمه بخط الحاكم البغدادي ۝ ثلثه
احجار بلخش حجر وزنه اثنان وعشرون مثقالا وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا وحجر وزنه
عشره مثاقيل ونصف ۝ ست قضبات زمرد قضبه وزنها ثلثه عشر مثقالا
وثلث وربع وقضبه وزنها ثلثه مثاقيل وقضبه وزنها مثقالان ونصف وقضبه
وزنها مثقالان وربع وسدس وقضبه وزنها مثقالان وثلث وحجر ياقوت وزنه
سبعه مثاقيل وحجر ازرق وزنه سته مثاقيل وسدس ۝ مايه عقد جوهر مختومه وزنها
جميعها ثماني مائه وسبعه وخمسون مثقالا خمسون قارورة دهن بلسان عشرون قطعه
بلور اربعه عشر قطعه جزع وذكر تفصيلها ابريق يشم طست يشم سقرق مينا مذهب
صحون صيني وزبادي وسكارج اربعون قطعه عود طيب قطعتين كار كرتان وزن
احداهما ثلثون رطلا بالمصري والاخرى احد وعشرون رطلا مايه ثوب اطلس اربعه
وعشرون بقيارا مذهبه اربعه وعشرون ثوبا حريري اربعه وعشرون ثوبا من الوشي
حريريه بيض حله فلفلي مذهبه حله مرايش صفرا مذهبه وذكر غير ذلك انواعا من القماش
قيمتها مايتان وخمسه وعشرين الف دينار مصريه وعده من الخيل والغلمان والجواري
وشيا كثيرا من السلاح على اختلاف ضروبه قال وخرجوا بهذه الهديه فلم
تصل الى نور الدين لانهم اتصل بهم وفاته فمنها ما اعيد ومنها ما استهلك لان الفقيه

عيسى وابن القيسراني وضعوا عليهم من نصبهم واستبدوا باكثرها وقيل انها وصلت
جميعها الى السلطان لانه اتصل به خبر موت نور الدين فانفذ من ردها قال وحدثني من
شاهد هذه الهديه انه كان معها عشر صناديق مالا لم يعلم مقداره وقال العماد
لما وصل الى صلاح الدين رسول نور الدين وهو الموفق خالد اطلعه على كل ما هو فيه واحصى
له الطريف والتاليد وقال هولا الاجناد فاعرضهم واثبت اخبارهم وما يضبط مثل
هذا الاقليم الا بالمال العظيم ثم انت تعرف اكابر الدوله وعظماها وانهم اعتادوا على
السعه والدعه نعماها وقد تصرفوا في مواضع لا يمكن انتزاعها ولا يسمحون بان ينقص
ارتفاعها فالموارد مشفوهه والشدايد مكروهه والمقاصد بردعها مجبوهه والهمم
بها مشدوهه وشرع في جمع مال يسيره ويحمله بجهد يبذله ويخطر بحمله وحصل الخلد
منه ما لم يكن في خلده وجا مطرف عناه اضعاف مثله

فصل في طلب

عماره الشاعر اليمني واصحابه قال العماد واجتمع جماعه من دعاه الدوله المصريه
المتعصبه المتعصبه المتشدده المتصلبه وتوازروا وتزاوروا فيما بينهم خيفه وخفيه
واعتقدوا امنيه عادت بالعقبى عليهم منيه وعينوا الخليفه والوزير واحكموا الراي
والتدبير وبيتوا امرهم وستروا عليه بذيل وكان عماره اليمني الشاعر عقيدهم وداعي دعوه
قريبهم وبعيدهم وكانوا افذاذا ودعوا شرهم عند من اذاعه واستحفظوا من اضاعه وادخلوا
معهم من انصار الدوله الناصريه في جملتهم وعرفوهم بجملتهم وكان الفقيه الواعظ زين
الدين علي بن نجا باجيهم فيما زين لهم من سوء اعمالهم ويداخلهم في عزمهم وجزمهم مطلعا على احوالهم
وتقاسموا الدور والاملاك وكادت امالهم تدنوا من الادراك فجا زين الدين واطلع صلاح
الدين على فسادهم وما سولوه من مرادهم وطلب ما لابن كامل الداعي من العقار والدور وكل ماله
من الموجود والمذخور فبذل له السلطان كل ما طلبه وامن بما اطلعهم ورغبه ثم امر السلطان
باحضار مقدميهم واعتقالهم لاقامه السياسه فيهم وصلب يوم السبت ثاني شهر رمضان جماعه
منهم بين القصرين منهم عماره وافنى بعد ذلك من بقي منهم ومات بموتهم الخبر عنهم وكان
منهم داعي الدعاه ابن عبد القوي وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه فباد ولم يسمح بابدايها وبقيت

تلك الخزاين مدفونه وتلك الدفاين مخزونه قد دفن دافنها وخزن تحت الثرى خازنها
الى ان ياذن الله في الوصول اليها والاطلاع عليها وجمع من اموال هولاء ما يحمل الى الشام
للاستعانه به على حمايه ثغور الاسلام قال ابن ابي طي وفي هذه السنه اجتمع جماعه
من دعاه المصريين والعوام وتوامروا فيما بينهم خفيه وبكوا على انقراض دوله المصريين وما
صاروا اليه من الذل والفقر ثم اجمعوا اراهم على ان يقيموا خليفه ووزيرا ويجمعوا اهم وجماعه
عينوهم من الامرا وغيرهم وان يكاتبوا الفرنج وان يثبوا بالملك الناصر وادخلوا معهم في هذا
الامر ابن مصال واعدوا جماعه من شيعه المصريين ليله عينوها وكاتبوا الفرنج بذلك
وقرروا معهم الوصول اليهم في ذلك الزمان المقرر فخانهم ابن مصال فيما عاهدهم عليه ونكث
في اليمين وكف عنهما وصار الى الملك الناصر وعرفه بجليه ما جرى قال فاحضرهم واحدا واحدا
وقررهم على هذه الحاله فاقروا واعترفوا واعتذروا وبكونهم قطعت ارزاقهم واخذت اموالهم
فاحضر السلطان العلما واستفتاهم في امرهم فافتوه بقتلهم وصلبهم ونفيهم فامر بصلبهم
وقيل ان الذي اذاع سرهم زين الدين الواعظ وطلب جميع مال ابن الداعي من العقار والمال
فاعطاه جميع ذلك وكان الذين صلبوا منهم المفضل بن كامل القاضي وابن عبد القوي الداعي
والعويرس وكان قد تولى ديوان النظر ثم القضا بعد ذلك وشبرما كاتب السر وعبد الصمد
القشه احد امرا المصريين ونجاح الحمامي ورجل منجم نصراني ارمني كان قال لهم ان امرهم يتم بطريق
علم النجوم وعماره اليمني الشاعر قلت وبلغني ان عماره انما كان تحريضه لشمس الدوله
على المسير الى اليمن ليتم هذا الامر لان فيه تقليلا لعسكر صلاح الدين وابعادا لاخيه
وناصره عنه قال العماد في الخريده ووقعت اتفاقات عجيبه من جملتها انه نسب
اليه بيت من قصيده ذكروا انه له يعني في القصيده التي حرض فيها شمس الدوله على
المسير الى اليمن اولها العلم مذ كان محتاجا الى العلم
وقد تقدم ذكرها واما البيت فهو هذا

قد كان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوه سيد الامم

قال العماد يجوز ان يكون هذا البيت معمولا عليه فافتى فقها مصر بقتله وحرضوا السلطان

على المثلة بمثله قال ولعمارة في مصلوب بمصر يقال له طرخان وكان خرج على الصالح
ابن رزيك فظفر به الصالح وصلبه وكان يستحسن ابيات عمارة فيه وهي

اراد علو مرتبة وقدر فاصبح فوق جذع وهو عالي
ومد على صليب الجذع منه يمينًا لا تطول الى الشمال
ونكس راسه لعتاب قلب دعاه الى الغواية والضلال

قال العماد فكأنه وصف حاله وما آل اليه امره وقال في البرق ووصل من صلاح
الدين يوم وفاة نور الدين الى دمشق كتاب يتضمن هذه القضية وهو بخط ابن قريش يعني
المرتضى وكان ابن ابي طي وقد كتب القاضي الفاضل الى نور الدين كتابًا شرح فيه قضية
المصلبين فقال بعد مطلع الكتاب قصر هذه الخدمة على متجدد سار للاسلام واهله وبشارة
مؤذنة بظهور وعد الله في اظهاره على الدين كله بعد ان كانت لها مقدمات عظيمة الا انها
سفرت عن النجح واوايل كالليلة البهيمة الا انها انفرجت عن الصبح فالاسلام ببركاته
البادية وفتكاته الماضية قد عاد مستوطنًا بعد ان كان غريبًا وضرب في البلاد
بجرانه بعد ان كان الكفر يتم عليه تحيلًا عجيبًا الا ان الله سبحانه اطلع على امرها من اوله
واظهر على سرها من مستقبله والملوك يا خذ في ذكر الخبر ويعرض عن ذكر الاثر ان
بقوم من جند مصر ومن اهل القصر بعد ما ازال الله من بدعتهم ونقض من عرى دولتهم
وخفض من مرفوع كلمتهم انهم اعداء وان قعدت بهم الايام واضداد وان وقعت عليهم كلمة
الاسلام وكان لا يحتقر منهم حقيرًا ولا يستبعد منهم شرًا كبيرًا وعيونه لمقاصدهم موكلة
وخطراته في التحرز منهم مستعملة لا تخلو سنة تمر ولا شهر يكر من مكر يجتمعون عليه وفساد
يتسرعون اليه وحيلة يبرمونها ومكيدة يتممونها وكان اكثر ما يتعللون به ويستريحون
اليه المكاتبات المتواترة والمراسلات المتقاطرة الى الفرنج خذلهم الله التي يوسعون
لهم فيها سبل المطامع ويحملونهم فيها على العظايم الفضايع ويزينون لهم الاقدام والقدوم
ويخلعون فيها ربقة الاسلام خلع المرتد المخصوم ويد الفرنج بحمد الله قصيرة عن اجابتهم الا
انهم لا يقطعون حبل طمعهم على عادتهم وكان ملك الفرنج كلما سولت له نفسه الاستنار في

مراسلتهم والتحيل في مفاوضتهم سير جرج كاتبه رسولًا الينا ظاهرًا واليهم باطنًا عارضًا
علينا الجميل الذي ما قبلته قط انفسنا وعاقدًا معهم القبيح الذي يشتمل عليه في وقته
علمنا ولاهل القصر والمصريين في اثنا هذه المدد رسل تتردد وكتب الى الفرنج تتجدد
ثم قال والمولى عالم ان عادة اوليايه المستفادة من اديه ان لا يبسطوا عقابًا مؤلمًا ولا
يعذبوا عذابًا محكمًا واذا طال لهم الاعتقال ولم ينجع السؤال اطلق سراحهم وخلى سبيلهم
ولا يزيدهم العفو الا ضراوة ولا الرقة عليهم الا قساوة وعند وصول جرج في هذه الدفعة
الاخيرة رسولًا الينا بزعمه ورد الينا كتاب ممن لا نرتاب به من قومه يذكرون انه
رسول مخاتلة لا رسول مجاملة وحامل بلية لا حامل هدية فاوهمناه الاغفال عن التيقظ
لكل ما يصدر منه واليه فتوصل مرة بالخروج ليلًا ومرة بالركوب الى الكنيسة وغيرها
نهارًا الى الاجتماع بحاشية القصر وخدامه وبامرا المصريين واسبابهم وجماعة من النصارى
واليهود وكلابهم وكتابهم فدسسنا اليهم من طايفتهم من داخلهم فصار ينقل الينا اخبارهم
ويرفع الينا احوالهم ولما تكاثرت الاقوال وكاد يشتهر علمنا بهذه الاحوال استخرنا الله
تعالى وقبضنا على جماعة مفسدة وطايفة من هذا الجنس متمردة قد اشتملت على الاعتقادات دات
المارقة والسراير المنافقة فكلًا اخذ الله بذنبه فمنهم من اقر طايعًا عند احضاره ومنهم
من اقر بعد ضربه فانكشفت امور اخر كانت مكتومة ونوب غير التي كانت عندنا
معلومة وتقريرات مختلفة في المراد متفقة في الفساد ثم ذكر تفصيلًا حاصله انهم عينوا
خليفة ووزيرًا مختلفين في ذلك فمنهم من طلب اقامة رجل كبير السن من بني عم
العاضد ومنهم من جعل ذلك لبعض اولاد العاضد وان كان صغيرًا واختلف هولاء في
تعيين واحد من ولدين له واما بنو رزيك واهل شاور فكل منهم اراد الوزارة لبيتهم من غير
من غير ان يكون لهم غرض في تعيين الخليفة ثم قال وكانوا فيما تقدم والملوك على الكرك
والشوبك بالعسكر قد كاتبوهم وقالوا لهم انه بعيد والفرصة قد امكنت فاذا وصل
الملك الفرنجي الى صدر او الى ايلة ثارت حاشية القصر وكافة الجند وطايفة السودان
وجموع الارمن وعامة الاسماعيلية وفتكت باهلنا واصحابنا بالقاهرة ثم قال ولما وصل جرج

كتبوا الى الملك الفرنجي ان العساكر متباعده في نواحي اقطاعاتهم وعلى قرب من موسم غلاتهم
وانه لم يبق في القاهره الا بعضهم واذا بعثت اسطولا الى بعض الثغور انهض فلان من
عنده وبقي في البلد وحده ففعلنا ما تقدم ذكره من الثوره ثم قال وفي اثنا هذه المده
كاتبوا سناناً صاحب الحشيشيه بان الدعوه واحده والكلمه جامعه وان ما بين اهلها
خلاف الا فيما لا يفترق به كلمه ولا يجب به قعود عن نصره واستدعوا منه من يتمم على
المملوك غيله او يبيت له مكيده وحيله والله من ورايهم محيط وكان الرسول اليهم عن المصريين
خال ابن قرجله المقيم الان هو وابن اخته عند الفرنج ولما صح الخبر وكان حكم الله اولى ما اخذ به
وادب الله امضى فيمن خرج عن ادبه وتناصرت من اهل العلم الفتاوي وتوالت من اهل المشوره
بسبب تاخير القتل فيهم المراجعات والشكاوي قتل الله بسيف الشرع المطهر جماعه من
الغواه الغلاه الدعاه الى النار الحاملين لاثقالهم واثقال من اضلوه من الفجار وسنقوا على ابواب
قصورهم وصلبوا على الجذوع المواجهه لدورهم ووقع التتبع لاتباعهم وشردت طايفه الاسماعيليه
ونفوا ونودي بان يرحل كافه الاجناد وحاشيه القصر وراجل السودان الى اقصى بلاد الصعيد
فاما من في القصر فقد وقعت الحوطه عليهم الى ان ينكشف وجه راي يمضي فيهم ولا راي فوق
راي المولى والله سبحانه مستخار وهو مستشار وعنده من اهل العلم من تطيب النفس بتقليده
ومضى الحدود بتحديده وراى المملوك اخراجهم من القصر فانهم مهما بقيوا فيه بقيت ماده لا
تحسم الاطماع عنها فانه قبضه للضلال منصوبه وبيعه للبدع محجوجه قال المولف لعلها محجوبه
ومما عرف به المولى ان ثغر الاسكندريه على عموم مذهب السنه فيه اطلع البحث ان فيه
داعيه خبيثاً امره محتقراً شخصه عظيماً كفره يسمى قديد القفاص وان المذكور مع خموله
في الديار المصريه قد فشت في الشام دعوته وطبقت عقول اهل مصر فتنته وان ارباب
المعايش فيه يحملون اليه جزاً من كسبهم والنسوان يبعثن اليه سطراً وافياً من اموالهن ووجدت
في منزله بالاسكندريه عند القبض له والهجم عليه كتب مجرده فيها خلع العذار وصريح
الكفر الذي ما منه اعتذار ورقاع يخاطب بها فيها ما تقشعر منه الجلود وبالجمله فقد كفى
الاسلام امره وحاق به مكره وضرعه كفره قلت وفي قضيته عمان هذه يقول

العلامه تاج الدين الكندي رحمه الله ونقلته من خطه ۝
عماره في الاسلام ابدى جنايه وبايع فيها بيعه وصليبا
وامسى شريك الشرك في بغض احمد فاصبح في حب الصليب صليبا
وكان خبيث الملتقى ان عجمته تجد منه عوداً في النفاق صليبا
سيلقى غداً ما كان يسعى لاجله ويسقى صديداً في لظى وصليبا
العظام وقيل هو الصديد اي يسقى ما يسيل من اهل النار نعوذ بالله منها وكان عماره مستشعراً
من الغز وهم ايضا منه لانه كان من اتباع الدوله المصريه وممن انتفع بها واختل امره بعدها
فلم تصف القلوب بعضها لبعض وكان يظهر في فلتات لسانه في نظمه ونثره ما يقتضي التحرز
منه وابعاده وهو يرى ذلك منهم فيزداد فساداً في نيته وان مدحهم تكلف ذلك وصرح
وعرض فيه بما في ضميره وقد قال في كتاب الوزرا المصريه ذكر الله ايامهم بخير لا يكمل نشاطه
ولا يطوى بساطه فقد وجلت فقدهم وهنت بعدهم وقال من قصيده مدح بها
نجم الدين ايوب ۝
وكان لي في ملوك النيل قبلكم مكانه عرفتها العرب والعجم
وكان بيني وبين القوم ملحمة في حربها السن الاديان تختصم
وما تزال الى داري عوارفهم يسعى الي بها الانعام والكرم
تركت قصدك لما قيل انك لا تجود الا على من مسه العدم
ولست بالرجل المجهول موضعه ولا لترد من الاحسان اغتنم
ولا الى صدقات المال اطلبها ولا عمى نال اعضاي ولا صمم
وانما انا ضيف للملوك ولي دون الضيوف لسان ناطق وفم
وقال من قصيده مدح بها صلاح الدين رحمه الله ۝
قردت في ابنا زريك رزقاً كان في عصرهم مستنا مهنا
واتت بعدهم ملوك فسنوا في ما كان صالح القوم سنا
ودعوني اما اقتداً بماض او لمعنى فكلهم بي يعنى

بيان الاول في ... العلما والنصارى والثاني يعني ... والثالث ... والرابع

وله ايضا ...
فقلما ... الدنيا بامرها الا ... ع
اذا لم ... يكون ... الناس ... ع
وليس ... ع

وقال في قصيدة مدح بها نقي الدين ن

هل نادنون لمن اراد عتابكم ام ليس في اعتابكم من مطمع
ضيعتم من حق ضيفكم الذي ما زال قبل اليوم غير مضيع
وتغافل السلطان عني حين لم اكشف قناع مذلة وتضرع
ورجوت نفعك بالشفاعة عنده فمنحت لي بشفاعة لم تنفع
واذا انطاق الرزق ضاق بحاله امسى مجال النطق غير موسع

وقال ايضا

يممت مصرا اطلب الجاه والغنا فنلتهما في ظل عيش ممنع
وزرت ملوك النيل ارتاد نيلهم فاحمد مرتادي واخصب مربعي
وفزت بالف من عطية فايز مواهبه للصنع لا للتصنع
وجادبن زريك من الجاه والغنى بما زاد عن مرمى رجاي ومطمعي
واوحى الى سمعي وداىع شعره محسرته مني باكرم مودع
وليست ايادي شاور بذميمة ولا عهدها عندي بعهد مضيع
ملوك رعوا لي حرمه صار نبتها هشيما رعته النايبات ومرتعي
مذاهبهم في الجود مذهب سنة وان خالفوني باعتقاد التشيع
فقل لصلاح الدين والعدل شانه من الحاكم المصغي الي فادعي
اتمت لكم ضيفا ثلاثه اشهر اقول لصدري كلما ضاق وسع
وكم في ضيوف الباب ممن شانه اذا قطعوه لا يقوم باصبعي
فيا راعي الاسلام كيف تركتنا فريقي ضياع من عرايا وجوع
دعوناك في قرب وبعد فهب لنا جوابك فالباري يجيب اذا دعي

وقال ايضا

اسفي على زمن الامام العاضد اسف العقيم على فراق الواحد
جالست من وزرايه وصحبت من امرايه اهل الثنا والحامد

لهفي على حجرات قصرك اذ خلت يابن النبي من ازدحام الوافد وعلى انفرادك من عساكرك الذي كانوا كامواج الخضم الراكد
قلت موتمن الخلافة امرهم فكبا وقصر عن صلاح الفاسد فعسى الليالي ان ترد اليكم ما عودتكم من جميل عوايد
وقال ايضا ن فسئت رافه الدنيا فلا الدهر عاطف علي ولا عبد الرحيم رحيم
عفى الله عن ارايه كل فترة كلام العدى فيما علي كلوم وسامحه في قطع رزق بفضله وضلت اليه والزمان ذميم

الا هل له عطف علي فانني فقير الى ما اعتدت منه عديم
عبد الرحيم هو القاضي الفاضل رحمه الله وبلغني ان عماره لما مر وابه ليصلب عبر وابه على جهه دار القاضي الفاضل فطلب الاجتماع به فقيل ليس اليه طريق فقال

عبد الرحيم قد احتجب ان الخلاص هو العجب

قال وهذه القصيدة تحقق ما رمي به من الاجتماع على مكاتبه الفرنج والخوض في فساد الدولة بل الملة وتوضع عذر السلطان في قتله وقتل من شاركه في ذلك ن

رميت يا دهر كف المجد بالشلل وجيده بعد حلي الحسن بالعطل
سعيت في منهج الراي العثور فمن قدرت من عثرات البغي فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فانفك لا ينفك ما بين نقص الشين والخجل
هدمت قاعده المعروف عن عجل سقيت مهلا اما تمشي على مهل
لهفي ولهف بني الامال قاطبة على فجيعتنا في اكرم الدول
قدمت مصر فاولتني خلايفها من المكارم ما اربى على الامل
قوم عرفت لهم كسب الالوف ومن كمالها انها جاءت ولم اسل
وكنت من وزراء الدست حيث سما راس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش تكرمة وخله حرست من عارض الخلل
يا عاذلي في هوى ابنا فاطمه لك الملامه ان قصرت في عذلي
بالله زر ساحة القصرين وابك معي عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهلهما والله ما التحمت فيكم قروحي ولا جرحي بمندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة في نسل ال امير المومنين علي
هل كان في الامر شي غير قسمة ما ملكتم بين حكم السبي والنقل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم محمد وابيكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهي خوف منتقد من الاعادي ووجه الود لم يمل

اسبلت من اسف دمعي غداة خلت رحابكم وغدت مهجورة السبل
ابكي على ما تراءت من مكارمكم حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافة كانت انس وافدكم واليوم اوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ اضعت مكارمكم تشكو من الدهر حيفا غير محتمل

[illegible]

وموسم كان في كسر الخليج لكم يأتي تجملكم فيه على الجمل
واول العام والعيدان كان لكم فيهن من وبل جودكم ديم بالوسل
والارض تهتز في عيد الغدير لما تهتز ما بين قصريكم من الاسل
والخيل تعرض من وشي ومن شبه مثل العرائس في حلي وفي حلل
ولا حملتم قرى الاضياف من سعة الاطباق على الاعناق والعجل
وما خصصتم ببر اهل ملتكم حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل

[illegible]

قال العماد في الخريدة ابو القسم هبه الله بن عبد الله بن كامل كان داعي الدعاه بمصر للادعيا وقاضي القضاه لاوليك الاشقيا يلقبونه بفخر الامنا وهو عندهم في المحلة العليا والمرتبه الشما والمنزله في السماحي انكدرت نجومهم وتغيرت رسومهم واقيم قاعدهم وعضد عاضدهم واخليت منهم مصرهم واجلي عنهم قصرهم فحرك بن كامل ناصر الذب عنهم والشد منهم فما لا قوما على البيعه لبعض اولاد العاضد ليبلغوا به ما يخيلون من المقاصد ويسولون من المكايد فاثمرت بجتثهم الجذوع واقفرت من جسومهم الربوع واحكمت في حلوقهم النسوع وهذا اول من ضمه حبل الصلب وامه فاقر الصلب وهذا صنع الله فيمن الجد وكفر النعمه وجحده وذلك غرة رمضان سنه تسع وستين وخمسمائه سمعت الملك الناصر صلاح الدين يذكره وقد ذكروا عنده بالفضل والادب ونسبوا اليه هذين البيتين في غلام رفا وانشدهما الملك الناصر وذكر انه كان يكرهما

يا رافيا خرق كل ثوب ويا رشا حبه اعتقادي
عسى بكف الوصال ترفو ما مزق الهجر من فؤادي

فصل في التعريف

بحال عماره ونسبه وشعره قال العماد وقد اوردت شعر عماره بن ابي الحسن اليمني في كتاب خريده القصر وجريده العصر ونقلت الى هذا الكتاب يعني كتاب البرق الشامي لمعا من ذلك فمن ذلك ما انشدنيه نجم الدين ابو محمد بن مصال

لو ان قلبي يوم كاظمة معي لملكته وكظمت غيظ الادمع

قال

قال العماد انما انشدني فيض الادمع فرايت غيظ الادمع اليق بالكظم

قلبي كفاك من الصبابه انه لبي نداء الظاعنين وما دعي
ومن الظنون الفاسدات توهمي بعد اليقين بقاه في اضلعي
ما القلب اول غادر فالومه هي شيمة الايام منذ خلقت معي

قال وانشدني لعماره ايضا

ملك اذا قابلت بشر جبينه فارقته والبشر فوق جبيني
واذا لثمت يمينه وخرجت من ابوابه لثم الملوك يميني

قال وانشدني له عضد الدين ابو الفوارس مرهف بن اسامه بن منقذ يقول

لي في هوى الرشا العذري اعذار لم يبق لي مذ اقر الدمع انكار
لي في القدود وفي لثم الخدود وفي ضم النهود لبانات واوطار

والابيات العينيه من قصيده في مدح نفي الدين والنونيه في مدح نجم الدين ايوب والرائيه في مدح شمس الدوله بن ايوب وكان عماره هذا عربيا فقيها اديبا وله كتاب صغير ذكر فيه اخباره واحواله باليمن ثم بمصر فذكر انه اقام بزبيد ثلاث سنين يقرا عليه مذهب الشافعي رضي الله عنه قال ولي في الفرايض مصنف يقرا باليمن وفي سنه تسع وثلثين زادني والدي وخمسه من اخوتي الى زبيد فانشدته شيا من شعري فاستحسنه ثم قال تعلم ان الادب نعمه من نعم الله عليك فلا تكفرها بذم الناس واستحلفني ان لا اهجو مسلما ببيت شعر فحلفت له على ذلك ولطف الله بي فلم اهج احدا ما عدا انسانا هجاني بحضره الملك الصالح يعني بن رزيك ببيتي شعر فاقسم الصالح علي ان اجيبه ففعلت عنا ولا قول الله عز وجل ولمن انتصر بعد ظلمه فاوليك ما عليهم من سبيل وقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قال ولم يكن شي غير هذا وحججت مع الملكه ام فاتك ملك زبيد وكانت تقوم لامير الحرمين بجميع ما يتناوله من حاج اليمن برا وبحرا وبجميع خفارات الطريق فذكر انه حصل له وجاهه عندها فانتفع بها حتى اثرى وكثر ماله وجاهه ثم طرات امور اقتضت ان هرب

[illegible]

من اليمن وحج سنه تسع واربعين وخمس ميه قال وفي موسم هذه السنه توفي امير الحرمين
هاشم بن فليته وولي الحرمين ولده قاسم بن هاشم فالزمني السفاره عنه والرساله منه الى الدوله
المصريه فقدمتها في شهر ربيع الاول سنه خمسين والخليفه بها يوميذ الفايز بن الظافر والوزير
له الملك الصالح بن رزيك فلما حضرت للسلام عليهما في قاعه الذهب من قصر الخليفه
انشدتهما ۝ الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمدا يقوم بما اولت من النعم
لا اجحد الحق عندي للركاب يد تمنت اللجم فيها رتبه الخطم
قربن بعد مزار العز من نظري حتى رايت امام العصر من امم
ورحن من كعبه البطحا والحرم وفدا الى كعبه المعروف والكرم
فهل درى البيت اني بعد فرقته ما سرت من حرم الا الى حرم
حيث الخلافه مضروب سرادقها بين النقيضين من عفو ومن نقم
وللامامه انوار مقدسه تجلوا البغيضين من ظلم ومن ظلم
وللنبوه ايات ينص لنا على الخفيين من حكم ومن حكم
وللمكارم اعلام تعلمنا مدح الجزيلين من باس ومن كرم
وللعلى السن تثني محامدها على الحميدين من فعل ومن شيم
ورايه الشرف البذاخ يرفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم
اقسمت بالفايز المعصوم معتقدا فوز النجاه واجر البر في القسم
لقد حمى الدين والدنيا واهلهما وزيره الصالح الفراج للغمم
اللابس الفخر لم تنسج غلايله الا يدا الصنعتين السيف والقلم
وجوده اوجد الايام ما اقترحت وجوده اعدم الشاكين للعدم
قد ملكته العوالي رق مملكة تعير انف الثريا عزه الشمم
ارى مقاما عظيم الشان اوهمني في يقظتي انها من جمله الحلم
يوم من العمر لم يخطر على امل ولا ترقت اليه رغبه الهمم
ليت الكواكب تدنو لي فانظمها عقود مدح فما ارضى لكم كلمي

من ثياب الخلافه مذهبه ودفع الى الصالح خمس ميه دينار وانفذ بعض الاستاذين فاخرج
لي من عند السيده بنت الامام الحافظ بخمس ميه دينار اخرى وحمل المال معي الى منزلي
واطلقت لي من دار الضيافه رسوم لم تطلق لاحد قبلي وتهادتني امرا الدوله الى منازلهم للولايم
واستحضرني الصالح للمجالسه ونظمني في سلك اهل الموانسه وانثالت علي صلاته وغمرني
بره ووجدت بحضرته من اعيان اهل الادب الشيخ الجليس ابا المعالي بن الحباب والموفق ابا
الحجاج يوسف بن الخلال صاحب ديوان الانشا وابا الفتح محمود بن قادوس والمهذب ابا
محمد الحسن بن الزبير وغيرهم وما من هذه الجلبه احد الا ويضرب في الفضايل النفسانيه
والرياسه الانسانيه باوفر نصيب ومازلت احذو على طرايقهم حتى نظموني في سلك فرايدهم
وقلت ۝ ليالي بالفسطاط من شاطي مصر سقى عهدك الماضي عهاد من القطر
ليال هي العمر السعيد وكلما مضى في سواها لا يعد من العمر
افادتني الاقدار فيها مواليا صفت بهم الايام من كدر الغدر
تواصوا على ان لا تردد ارادتي ولو سمتهم نثر الكواكب في حجري ۝
ولو لم يكن ادرى بما جهل الورى من الفضل لم تنفق لديه الفضايل
لين كان منا قاب قوس فبيننا فراسخ من اجلاله ومراحل
قال وانشدت الصالح وهو بالقبو من دار الوزاره قصيده منها
دعوا كل برق شمتم غير بارق يلوح على الفسطاط صادق بشره
وزوروا المقام الصالحي فكل من على الارض ينسى ذكره عند ذكره
ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى فتجنوا على مجد المقام وفخره
ولكن سلوا منه العلى تظفروا بها فكل امري يرجى على قدر قدره
قال ولما جلس شاور في دار الذهب قام الشعرا والخطبا
ولعيف الناس الا الاقل ينالون من بني رزيك وضرغام نايب الباب
ويحيى بن الخياط اسفهسلار فانشدته ۝
صحت بدولتك الايام من سقم وزال ما يشتكيه الدهر من الم

وله في الصالح من قصيده

ولم يكونوا على عدوّ اذل جانبه وانما غرقوا في شبك العزم
وما قصدت بتعظيمي عداك سوى تعظيم شانك فاعذرني ولا تلم
ولو شكوت ليا ليهم محافظة لعهدها لم يكن بالعهد من قدم
ولو فتحت فمي يوما بذمّهم لم يرض فضلك الان بسد فمي
والله يامر بالاحسان عارفة منه وينهى عن الفحشاء في الكلم
وان كانت القضية فايقة نفرع عظيمه فانه اقام ذلك مقام قولنا الحمد لله ولا ينبغي ان
يفعل ذلك مع غير الله عزّ وجلّ فله الحمد وله الشكر فهذا اللفظ كالمتعين لجهة الربوبية المقدسة
على ذلك اطراد استعمال السلف والخلف رضي الله عنهم **فصل في وفاة**
نور الدين رحمه الله تعالى قال العماد وامر نور الدين بتطهير ولده الملك الصالح اسمعيل
يوم عيد الفطر واحتفلنا لهذا الامر وغلّقت محال دمشق ايّا قال ونظمت للهنا بالعيد
والطهور قصيدة منها ○ عيدان فطر وطهر فتح قريب ونصر

كلاهما لك فيه حقًّا هنا واجر ... وفيهما بالتهاني رسم لنا مستمر
طهارة طاب منها اصل وفرع وذكر ... نجل على الطهر نام ذكا له منك نجر
محمود الملك العادل الكريم الاغر ... وبابنه الملك الصالح العيون تقر
مولى به اشتدّ للدين والشريعة ازر ... نور تجلى عيانا مادونه اليوم ستر
اضحت مساعيك غرًّا كما اياديك غزر ... وكل قصدك رشد وكل فعلك برّ
وان حبك دين وان بغضك كفر ... لنا بيمناك يمن كما بيسراك يسر
وللموالين نفع وللمعادين ضر ... وللسما سحاب وسحب كفيك عشر
ناديك بالرفد رحب نداك للوفد بحر ... للبحر مدّ وجزر وما لجودك جزر
علك عميم وجود غمر وبشر وبشر ... وفي العطية حلو وفي الحمية مر
قد استوى منك تقوى الاله سرّ وجهر ... نعماك والملك عند القياس عقد ونحر
يا اعظم الناس قدرا وهل لغيرك قدر ... وساهرا حين ناموا وقائما حين قرّوا
ما اعتدت الا وفاء وعادة القوم غدر ... وفعلك الدهر غزو للمشركين وقهر

وفعل غيرك ظلم للمسلمين وقسر ... يفتر من كل ثغر الى ابتسامك ثغر
روم به وفرنج في سفعهم لك وتر ... حروب عوان وفتح على مرادك بكر
بنو الاصافر من خشية انتقامك صفر ... لم يبق للكفر ظفرا لا كان للكفر ظفر
وما دجى ليل خطب الا وعزمك فجر ... اصبحت بالعز وصبا وعنه مالك صبر
لكسر كل يتيم اسعاف برّك جبر ... في كل قلب حسود من حرّ باسك جمر
تمّ تطهير ملك له الملوك تخر ... يزهى سرير وتاج به ودست وصدر
وكيف يعمل للطاهر المطهر طهر ... هذا الطهور ظهور على الزمان وامر
وذا الختان ختام بمسكه طاب نشر ... رزقت عمرا طويلا ما طال للدهر عمر

قال وفي يوم العيد يوم الاحد ركب نور الدين على الرسم المعتاد محفوفا من الله
بالاسعاد مكنوفا من السما والارض بالاجناد والقدر يقول له هذا اخر الاعياد ووقف في
الميدان الاخضر الشمالي لطعن الحلق ورمي القبق وكان قد ضربت خيمته في الميدان الاخضر
القبلي وامر بوضع المنبر وخطب له القاضي شمس الدين بن الفراش قاضي العسكر بعد ان صلى
به وذكر وعاد الى القلعة طالع البهجة بهج الطلعة ونصب سماطه العام على رسم الاتراك
والابر الاملاك ثم حضرنا على خوانه الخاص وله عقد كمال مصون من الانتقاض والانتقاص
وما اوضح بشره واضوع نشره واضحك سنّه وابرك يمنه وفي يوم الاثنين ثاني العيد بكّر
وركب وحمل الموكب وكان الفلك بنيره جاره والطود الثابت بمور السحاب في وقار
وكانه القمر في هالته والقدر في جلالته والبدر في دايرته سايرين سيارته ودخل
الميدان والعظما يسايرونه والفهما يحاورونه وفيهم همام الدين مودود وهو في الاكابر معدود
وكان قديما في اول دولته والي حلب وقد جرب الدهر بحنكته ولاشطر حلب فقال لنور
الدين في كلامه عظة لمن يعتبر بايامه هل نكون ها هنا في مثل هذا اليوم في العام القابل فقال
نور الدين قل هل نكون بعد شهر فان السنة بعيدة فجرى على منطقهما ما جرى به القضا
السابق فان نور الدين لم يصل الى الشهر والهمام لم يصل الى العام ثم شرع نور الدين في اللعب
بالكرة مع خواصه البرك فاعترضه في حاله امير اخر اسمه يرنقش وقال له باش فاحنقه الغيظ

والاستيحاش واغتاظ على خلاف مذهبه الكريم وخلقه الحليم فزجره وزبره ونهاه ونهره
وساق ودخل القلعه ونزل واحتجب واعتزل فبقى اسبوعًا فى منزله مشغولًا بنازله مغلوبًا
عن عاجله بحديث اجله والناس من الختان لاهون باوطارهم فى الاوطان فهذا يروح
بجوده وذاك يجود بروحه فما انتهت تلك الافراح الا بالاتراح وما صلح الملك بعده الا
بملك الصلاح قال وانتقل نور الدين مرض واشار عليه الاطبا بالفصد فامتنع وكان مهيبًا
فما روجع وانتقل حادي عشر شوال يوم الاربعا من مربع الفنا الى مرتع البقا ولقد كان من اوليا
الله المومنين وعباده الصالحين وصار الى جنات عدن اعدت للمتقين وكانت له صفه فى الدار
التى على النهر الداخل على القلعه من الشمال وكان جلوسه عليها فى جميع الاحوال فلما جات
سنة الزلزله بنى بازآء تلك الصفه بيتًا من الاخشاب مامون الاضطراب فهو يبيت فيه
ويصبح ويخلو بعبادته ولا يبرح فدفن فى ذلك البيت الذى اتخذه حمى من الحمام واذن بناه
لبانيه بالانهدام قال العماد وقلت فى ذلك

عجبت من الموت كيف اتى ملكًا فى سجاياه ملك
وكيف ثوى الفلك المستدير فى الارض والارض وسط الفلك

وله فيه رحمهما الله تعالى

يا ملكًا ايامه لم تزل لفضله فاضلةً فاخره
غاضت بحار الجود مذ غيبت انملك الفايضه الزاخره
ملكت دنياك وخلفتها وسرت حتى تملك الاخره

قال ابن شداد وكانت وفاه نور الدين
رحمه الله بسبب خوانيق اعترته عجز الاطبا عن علاجها ولقد حكى لى صلاح الدين قال كان بلغنا
عن نور الدين انه ربما قصدنا بالديار المصريه وكانت جماعة اصحابنا يشيرون بان نكاشف
ونخالف ونشق عصاه ونلقى عسكره بمصاف نردّه اذا تحقق قصده وكنت وحدى
اخالفهم واقول لا يجوز ان يقال شى من ذلك ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته رحمه
الله ورضى عنه قال ابن الاثير وكان نور الدين قد شرع بتجهيز المسير الى مصر لاخذها من
صلاح الدين لانه راى منه فتورًا فى غزو الفرنج من ناحيته فارسل الى الموصل وديار الجزيره وديار
بكر يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج ليسير هو بعساكره الى مصر وكان المانع
لصلاح الدين من الغزو الخوف من نور الدين فانه كان يعتقد ان نور الدين متى زال عن طريقه الفرنج

اخذ البلاد منه فكان يحتمى بهم عليه ولا يوثر استيصالهم وكان نور الدين لا يرى الا الجد فى
غزوهم بجهده وطاقته فلما راى اخلال صلاح الدين بالغزو وعلم غرضه فتجهز بالمسير اليه فاتاه
امر الله الذى لا يرد قلت ولو علم نور الدين ما ذا ادخر الله تعالى للاسلام من الفتوح الجليله
على يدى صلاح الدين من بعده لقرت عينه فانه بنى على ما اسسه نور الدين من جهاد المشركين
وقام بذلك على اكمل الوجوه واتمها رحمهما الله تعالى قال وحكى لى طبيب بدمشق
يعرف بالرحبى وهو من حذاق الاطباء قال دخلنا عليه وهو فى بيت صغير بقلعه دمشق وقد
تمكنت الخوانيق منه وقارب الهلاك فلا يكاد يسمع صوته وكان يخلو فيه للتعبد فى اكثر
اوقاته فابتدا به المرض فيه فلم ينتقل عنه فلما دخلنا عليه ورانيا ما به قلت كان ينبغى ان لا
يوخر احضارنا الى ان يشتد بك المرض الى هذا الحد فالان ينبغى ان تنتقل الى مكان فسيح
فله اثر فى هذا المرض وشرعنا فى علاجه فلم ينفع فيه الدوا وعظم الداء ومات عن قريب رضى الله
عنه قال ابن الاثير وكان اسمر طويل القامه ليس له لحيه الا فى حنكه وكان واسع الجبهه
حسن الصوره حلو العينين وكان قد اتسع ملكه جدًا فملك الموصل وديار الجزيره واطاعه
اصحاب ديار بكر وملك الشام والديار المصريه واليمن وخطب له بالحرمين الشريفين مكه
والمدينه وطبق الارض ذكره لحسن سيرته وعدله ولم يكن مثله الا الشاذ النادر رحمه
الله تعالى عليه قال الحافظ ابو القسم بعد ما ذكر اوصاف نور الدين الجليله المتقدمه معرفه
ومجموعه فى هذا الكتاب هذا مع ما جمع الله له من العقل المتين والراى الثاقب الرصين والاقتدا
بسير السلف الماضين والتشبه بالعلما والصالحين والاقتفا لسير من سلف منهم فى حسن سمتهم
والاتباع لهم فى حفظ حالهم ووقتهم حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم واسمعه وكان
قد استجيز له ممن سمعه وجمعه حرصًا منه على الخير فى نشر السنه بالادا والتحديث ورجا ان يكون
ممن حفظ على الامه اربعين حديثًا كما جا فى الحديث فمن راه شاهد من جلال السلطنه وهيبة الملك
ما يبهره فاذا فاوضه راى من لطافته وتواضعه ما يحيره يحب الصالحين ويواخيهم ويزور
مساكنهم لحسن ظنه فيهم واذا احتلم مماليكه اعتقهم وزوجهم ذكرانهم باناثهم ورزقهم ومتى تكررت
الشكايه اليه من احد ولاته امره بالكف عن اذى من تظلم بشكاته فمن لم يرجع منهم الى العدل قابله

باسقاط المترله والعدل فلما جمع الله له من شريف الخصال تيسر له جميع ما يقصده من
الاعمال وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ومكن له في البلاد والبقاع ثم قال بعد كلام
كثير ومناقبه خطيره وممادحه كثيره ومدحه جماعه من الشعرا فاكثروا ولم يبلغوا وصف
الآيه بل قصروا وهو قليل الابتهاج بالشعر زياده في تواضعه لعلو القدر ومولده على ما ذكر لي
كاتبه ابو اليسر شاكر بن عبد الله وقت طلوع الشمس من يوم الاحد سابع عشر شوال سنه
احدى عشره وخمسمايه وتوفي يوم الاربعا الحادي عشر من شوال سنه تسع وستين وخمس مايه
ودفن بقلعه دمشق ثم نقل الى تربه بجاور مدرسته التي بناها لاصحاب ابي حنيفه رضي الله
عنه جوار الخواصين في الشارع الغربي رحمه الله قلت ـــــ وفي هذه المدرسه يقول
العرقله

ومدرسه سيدرس كل شي ۞ وتبقى في حمى علم ونسك
تضوع ذكرها شرقا وغربا ۞ بنور الدين محمود بن زنكي
يقول وقوله حق وصدق ۞ بغير كنايه وبغير شك
دمشق في المداين بيت ملكي ۞ وهذي في المدارس بيت ملكي

ولما اشتهر من قله ابتهاجه بالمدح لما علم من تزيد الشعراء وهي طريقه عمر بن عبد العزيز زاهد
الخلفا قال يحيى بن محمد الوهراني في مقامه له وقد سيل في بغداد عن نور الدين هو سهم للدوله
سديد وركن للخلافه شديد وامير زاهد وملك مجاهد تساعده الافلاك وتعضده الجيوش
والاملاك غير انه عرف بالمرعى الوبيل لابن السبيل وبالمحل الجديب للشاعر الاديب فما يرزى
ولا يعزى ولا الشاعر عنده من نعمه تجزى واياه عنى اسامه بن منقذ بقوله ۝

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا ۞ له فكل على الخيرات منكمش
ايامه مثل شهر الصوم طاهره ۞ من المعاصي وفيها الجوع والعطش

قلت رحمه الله
ما كان يبذل اموال المسلمين الا في الجهاد وما يعود نفعه على العباد وكان كما قيل في خبر عبد
الله بن محيريز وهو من سادات التابعين بالشام قال يعقوب بن سفين الحافظ ثنا ضمره عن
الشيباني قال كان ابن الديلمي من ابصر الناس لاخوانه فذكر ابن محيريز في مجلسه فقال رجل
كان بخيلا فغضب ابن الديلمي وقال كان جوادا حيث يحب الله بخيلا حيث يحبون واما شعر

ابن منقذ فلا اعتبار به فهو القايل في ليله الميلاد يمدح نور الدين رحمه الله

في كل عام للبريه ليلة ۞ فيها تشب النار بالايقاد
لكن لنور الدين من دون الورى ۞ ناران نار قرى ونار جهاد
ابدا يبصر فيهما نداه وباسه ۞ فالعام اجمع ليله الميلاد
ملك له في كل جيد منه ۞ ابهى من الاطواق في الاجياد
اعطى الملوك يدا وامنعهم حمى ۞ وامدهم كفا ببذل تلاد

في مدح نور الدين بالكرم والجود ما فيه مما يرد قول الوهراني وابن منقذ على ابن منقذ
قد ردد نا شعره لشعره كما تراه وانما الشعرا اكثر الناس كما قال الله تعالى في وصف
قوم فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وما كل وقت ينفق العطا ويفعل
الله ما يشا **فصل** قال ابن الاثير لما توفي نور الدين جلس ابنه الملك الصالح
اسمعيل في الملك وحلف له ولم يبلغ الحلم وحلف له الامرا والمقدمون بدمشق واقام بها
واطاعه الناس في ساير بلاد الشام وصلاح الدين بمصر وخطب له بها وضرب السكه
باسمه فيها وتولى تربيته الامير شمس الدين محمد بن المقدم قال ـــــ العماد واخرجوا يوم
وفاة نور الدين ولده الملك الصالح اسمعيل وقد ابدى الحزن والعويل وهو مجزوز الذوايب
مشقوق الجيب حاسر حافي مما نجاه ونجعه من الريب واجلسوه في الايوان الشمالي
من الدست والتخت الباقي من عهد تاج الدوله تتش فاستوحى كل قلب حزنه واستوحش
فوقف الناس يضطرمون ويضطربون ويلتهفون ويلتهبون ولما كفن حله الكرامه
ودفن في روضه بابها الى باب رضوان من دار المقامه وقضوا الجزع وقوضوا الفزع
وغيضوا الدمعه واحضروا الربعه حضر القاضي كمال الدين وشمس الدين ابن المقدم وجمال
الدوله ريحان وهو اكبر الخدم والعدل ابو صالح بن العجمي امين الاعمال والشيخ اسمعيل خازن
بيت المال وتحالفوا على ان تكون ايديهم واحده وعزايمهم متعاقده وان ابن المقدم مقدم
العسكر واليه المرجع والمصدر قال وانشات في ذلك اليوم كتابا عن الصالح الى صلاح
الدين في تعزيته بنور الدين ترجمته ـــ اسمعيل بن محمود وفيه اطال الله بقا سيدنا الملك

الناصر وعظم اجرنا واجره في والدنا الملك العادل ندب الشام بل الاسلام حافظ ثغوره
وملاحظ اموره وعلم الجهاد مقتني فضيلته ومؤدي فريضته ومحيي سنته واورثنا
بالاستحقاق ملكه وسرير علا انه يعز ان يرى الزمان نظيره وما هاهنا ما يشغل السر
ويقسم الفكر الا امر الفرنج خذلهم الله وما كان اعتماد مولانا الملك العادل عليه وسكونه
اليه الا لمثل هذا الحادث الجلل والصرف الكارث المذهل فقد ادخره لكفايات
النوايب واعده لحسم ادواء المعضلات اللوازب واملة ليومه ولغده ورجاه لنفسه
ولولده ومكنه قوة لعضده فما فقد رحمه الله الا صورة والمعنى باق والله تعالى حافظ
لبيته واق وهل غير دام سموه من موازر وهل سوى السيد الاجل الناصر من ناصر وقد عرفناه
المفتوح ليروض برايه من الامر ما جمح والاهم شغل الكفار عن هذه الديار بما كان
عازمًا عليه من قصدهم والنكاية فيهم على البدار وجرى على العادة الحسنى في احيا ذكر
الوالد بتجديد ذكرنا راغبًا في اغتنام ثنائنا وشكرنا قلت وكان بلغ صلاح
الدين خبر نور الدين فارسل كتابًا بالمثال الفاضلي فيه ورد خبر من جانب العدو اللعين
عن المولى نور الدين اعاذ الله فيه من سماع المكروه وتوزعت فيه القلوب والوجوه واشتد
به الامر وضاق به الصدر وانقصم بحادثه الظهر وعز فيه التثبت واعوز الصبر فان
كان والعياذ بالله قد تم وخصه الحكم الذي عم فللحوادث تدخر النصال وللايام تصطنع
الرجال وما ربت الملوك ملكها الا لاولادها ولا استودعت الارض الكريمة البذر الا
لتؤدي حقها يوم حصادها فالله الله ان تختلف القلوب والايدي فتبلغ الاعداء مرادها
وتعدم الاراء رشادها وتنتقل النعم التي تعبت الايام الى ان اعطت قيادها فكونوا يدًا
واحدة واعضادًا متساعدة وقلوبًا يجمعها ود وسيوفًا يضمها غمد ولا تختلفوا فتنكلوا ولا
تنازعوا فتفشلوا وقوموا على امشاط الارجل ولا تاخذوا الامر باطراف الانامل فالعداوة
محدقة بكم من كل مكان والكفر مجتمع على الايمان ولهذا البيت منا ناصر لا يخذله وقايم
لا يسلمه وقد كانت وصيته الينا سبقت ورسالته عندنا تحققت بان ولده القايم بالامر
وسعد الدين كمشتكين الاتابك بين يديه فان كانت الوصية ظهرت وقبلت والطاعة
في

الغيبة والحضور اديت وفعلت والا فنحن لهذا الولد يد على من ناواه وسيف على من عاداه
وان اسفر الخبر عن معافاة فهو الغرض المطلوب والنذر الذي يحل على الايدي والقلوب
قال العماد وورد كتاب صلاح الدين بالمثال الفاضلي معزيًا لابن نور الدين
وفي اخره واما العدو خذله الله فوراه من الخادم من يطلبه طلب الليل للنهار وسيل القرار
الى ان يزعجه من مجاثمه ويستوقفه عن مواقف مغانمه وذلك من اقل فروض البيت الكريم
وايسر لوازمه اصدر هذه الخدمة يوم الجمعة رابع ذي القعدة وهو اليوم الذي اقيمت فيه
الخطبة بالاسم الكريم وصرح فيه بذكره في الموقف العظيم والجمع الذي لا لغو فيه ولا
تاثيم واشبه يوم الخادم امسه في الخدمة ووفي ما لزمه من حقوق النعمة وجمع كلمة
الاسلام عالمًا ان الجماعة رحمة والله تعالى يخلد ملك المولى الملك الصالح ويصلح به وعلى
يديه ويوكد عهود النعماء الراهنة لديه ويجعل للاسلام واهله باقية عليه ويوفق الخادم لما
ينويه من توثيق سلطانه وتشييده ومضاعفة ملكه ومزيده وتيسير منال كل امل
صالح وتقريب بعيده ان شاء الله تعالى ۝ ومن كتاب اخر الخادم مستمر على
بلانه من الاستشراف لاوامرها والتعرض لمراسمها والرفع لكلمتها والايالة لعسكرها
والتحقق بخدمتها في بواطن الاحوال وظواهرها والترقب لان يومر فيمتثل ويكلف
فيتحمل وان يرمى به في نحر العدو فيسدد بجهده ويوفي ايام الدولة العالية يومًا يكشف الله
فيه للمولى ضمير عبده قال العماد ولما توفي نور الدين اختل امري واعتل سري
وعلت حسادي وبلغ مرادهم اضدادي وكان الملك الصالح صغيرًا فصار العدل بن العجمي
له وزيرًا وتصرف المخالفون في الخزانة والدولة كما ارادوا وولوا وصرفوا ونقصوا وزادوا
واقتصروا لي على الكتابة محروم الدعوة من الاجابة ومما نظمته في مرثية نور الدين
قصيدة منها ۝

لفقد الملك العادل يبكي الملك والعدل
وقد اظلمت الافاق لا شمس ولا ظل ... ولما غاب نور الدين عنا اظلم الحفل
وزال الخصب والخير وزاد الشر والمحل ... ومات الباس والجود وعاش الياس والبخل
وعز النقص لما هان اهل الفضل والفضل ... وهل ينفق ذو العلم اذا ما نفق الجهل

وما كان لنور الدين لولا اجله مثل ۞ **فصل** قال العماد واتفق
نزول الفرنج بعد وفاة نور الدين على الثغر وقصدهم بانياس ورجوا ان يتم لهم الامر ثم ظهرت
خيبتهم وبان الياس وذلك ان شمس الدين بن المقدم خرج وراسل الفرنج وخوفهم بقصد
صلاح الدين لبلادهم وانه قد عزم على جهادهم وتكلموا في الهدنة وقطع مواد الحرب والفتنة
وحصلوا بقطيعة استعجلوها وعدة من اساراهم استطلقوها وتمت المصالحة وبلغ ذلك
صلاح الدين فانكره ولم يعجبه وكتب الى جماعة الاعيان كتبا دالة على التوبيخ والملام
ومن جملتها كتاب بالمثال الفاضلي الى الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون يخبره فيه انه
لما اتاه كتاب الملك الصالح بقصد الفرنج تجهز وخرج وسار اربع مراحل ثم جاءه
الخبر بالهدنة المؤذنة ببذل الاسلام من دفع القطيعة واطلاق الاسارى وسيدنا الشيخ
اولى من اطلق لسانه الذي تعدله السيوف وتجرد وقام في سبيل الله قيام من يقظ عاديه
من تعدى وتمرد وفي اخره وكتب من المنزل بفاقوس والفجر قد هم ان يشق ثوب الصباح لولا
ان الثريا تعرضت تعرض اثناء الوشاح وهذه الليلة سافر عن نهار يوم الجمعة ثاني عشر
ذي الحجة بلغه الله فيه امله وقبل عمله بالغا اسنى المراد وافضله وقال ابن الاثير
لما توفي نور الدين قال الامرا منهم شمس بن المقدم وحسام الدين الحسين بن عيسى الجراحي
وغيرهما من اكابر الامراء قد علمتم ان صلاح الدين من مماليك نور الدين ونوابه والمصلحة ان
نشاوره فيما نفعله ولا نخرجه من بيننا فيخرج عن طاعة الملك الصالح ويجعل ذلك حجة علينا
وهو اقوى منا لان له مثل مصر وربما اخرجنا وتولى هو خدمة الملك الصالح فلم يوافق اغراضهم
هذا القول وخافوا ان يدخل صلاح الدين ويخرجوا قال فلم يمض غير قليل حتى وصلت كتب
صلاح الدين يهنيه بالملك ويعزيه بابيه وارسل دنانير مصرية وعليها اسمه ويعرفه ان الخطبة
والطاعة كما كانت لوالده فلما سار سيف الدين غازي بن عمه قطب الدين وملك البلاد
الجزرية ولم يرسل من مع الملك الصالح من الامرا الى صلاح الدين ولا اعلموه الحال كتب الى
الملك الصالح يعتبه حيث لم يعلمه قصد سيف الدين بلاده ليحضر في خدمته ويمنعه وكتب
الى الامرا يقول ان الملك العادل لو علم ان فيكم من يقوم مقامي او يثق اليه مثل ثقته بي لسلم اليه

مصر التي هي اعظم ممالكه وولاياته ولو لم يعجل عليه الموت لم يعهد الى احد بتربية ولده
والقيام بخدمته سواي واراكم قد تفردتم بخدمة مولاي وابن مولاي دوني فسوف اصل الى
خدمته واجازي انعام والده بخدمة يظهر اثرها واقابل كلا منكم على سوء صنيعه واهمال
امر الملك الصالح ومصالحه حتى اخذت بلاده فاقام الصالح بدمشق ومعه جماعة من الامرا
لم يمكنوه من المسير الى حلب لئلا يغلبهم عليه شمس الدين علي بن الداية فانه كان اكبر الامرا
النورية وانما تاخر عن خدمة الملك الصالح بعد وفاة نور الدين لمرض لحقه وكان هو واخوته
بحلب وامرها اليهم وعسكرها معهم في حيوة نور الدين وبعده ولما عجز عن الحركة ارسل الى
الملك الصالح يدعوه الى حلب ليمنع البلاد من سيف الدين ابن عمه وارسل الى الامرا يقول لهم
ان سيف الدين قد ملك الى الفراة وان لم ترسلوا الملك الصالح الى حلب حتى يجمع العساكر
ويسترد ما اخذ منه والا عبر سيف الدين الفراة الى حلب ولا يقوى على منعه فلم يرسلوه ولا
مكنوه من قصد حلب قال وكان نور الدين من قبل ان يمرض قد ارسل عساكره فلما كان ببعض
الطريق اتاه الخبر بموت عمه نور الدين فعاد الى نصيبين فملكها وارسل الشحن الى الخابور
فاستولوا عليها وسار هو الى حران فحصرها عدة ايام ثم اخذها وملك الرها والرقة وسروج
واستكمل ملك سائر ديار الجزيرة سوى قلعة جعبر فقال له فخر الدين عبد المسيح وكان قد
فارق سيواس بعد وفاة نور الدين وقصد سيف الدين ظنا منه ان سيف الدين يرعى له
خدمته وقيامه في اخذ الملك له من والده قطب الدين على ما ذكرناه اولا فلم يجن ثمرة ما غرس
وكان عنده لبعض الامرا ليس بالشام من يمنعك فاعبر الفراة واملك البلاد فاشار امير
اخر معه وهو اكبر امرايه قد ملكت اكثر من والدك والمصلحة ان تعود فرجع الى الموصل ۞
فصل قال ابن الاثير قد سبق ان نور الدين كان قد جعل بقلعة الموصل لما ملكها
دزدارا له وهو سعد الدين كمشتكين بعض خدمه الخصيان فلما سار سيف الدين الى الشام
كان في مقدمته على مرحلة فلما اتاه خبر موت نور الدين هرب وارسل سيف الدين في اثره فلم يدرك
فنهب بركه ودوابه وسار الى حلب وتمسك بخدمة شمس الدين بن الداية واخوته واستقر بينهم
وبينه ان يسير الى دمشق ويحضر الملك الصالح فسار الى دمشق فاخرج اليه ابن المقدم عسكرا

لينهبه فعاد منهزمًا الى حلب فاخلف عليه شمس الدين بن الدايه ما اخذ منه وجهزه
وسيّره الى دمشق وعلى نفسها يحيى براقش فلما وصلها سعد الدين دخلها واجتمع بالملك
الصالح والامرا واعلمهم ما في قصد الملك الصالح الى حلب من المصالح فاجابوا الى تسييره
فسار اليها فلما وصلها وصعد الى قلعتها قبض الخادم سعد الدين على شمس بن الدايه واخوته
وعلى بن الخشاب رئيس حلب قال ـــــ بن الاثير ولولا مرض شمس الدين لم يتمكن منه
ولاجرى من ذلك الخلف والوهن شي وكان امر الله قدرًا مقدورًا فاستبد سعد الدين
بتدبير امر الملك الصالح فخافه بن المقدم وغيره من الامرا الذين بدمشق وكاتبوا سيف
الدين ليسلموا اليه دمشق فلم يفعل وخاف ان يكون مكيده عليه ليعبر الفرات ويسير الى
دمشق فيمنع عنها ويقصده بن عمه من ورا ظهره فلا يمكنه الثبات فراسل الملك الصالح
وصالحه على اقرار ما اخذ بيده وبقي الملك الصالح بحلب وسعد الدين بين يديه يدبر امره
وتمكن منه تمكنًا عظيمًا يقارب الحجر عليه قال ـــــ العماد كان كمشتكين الخادم
النايب بالموصل قد سمع بمرض نور الدين فاخفاه واستاذن في الوصول الى الشام فطلب
سيف الدين غازي رضاه وخرج وسار مرحلتين وسمع النعي فاعد السير والسعي ونجا بما له
وبحاله ونده صاحب الموصل على الرضى بترحاله وكانت عنده بوفاه عمه بشاره وظهرت على
صفحاته منها اماره فانه لم يزل من كمشتكين متشكيا فانه كان لحمر الامر عليه منكيا
وكان المرحوم قد امر باراقه الخمور وازاله المحظور واسقاط المكوس واعدام اقساط البوس
فنودي في الموصل يوم ورود الخبر بالفسحه في الشرب جهارًا ليلًا ونهارًا وزال العرف وعاد
النكر وانشد قول بن هاني ٥ ولا تسقني سرًا فقد امكن الجهر
وقيل اخذ المنادي على يده دنًا وعليه قدح وزمر وزعم انه خرج بهذا امر فلا حرج على من يغني ويشرب
ويسكر ويطرب وعادت الضرايب وضربت العوايد فاما كمشتكين فانه وصل الى حلب
بعد عبور القري وتمثل عند الصباح يحمد القوم السري واجتمع هناك بالامير شمس الدين علي بن
واخوته اخوه مجد الدين واظهر انه لهم من المخلصين وكان مجد الدين ابو بكر اخوهم رضيع نور الدين
وقد تربى معه ولزمه وتبعه الى ان ملك الشام بعد والده فقوض الى مجد الدين جميع مقاصده

من طريقه ونا له وحكمه في الملك ونظمه في السلك فلا يحل ولا يعقد الا برايه وكانت
حصونه محصنه وهو يسكن عنده في قلعه حلب والحاضر عنده صباحًا ومسًا اذا الطلب
وشيزر مع اخيه شمس الدين علي وقلعه ونل باشر مع سابق الدين عثمن وحارم مع بدر الدين
حسن وعين تاب وعزاز وغيرهما نوابه فيها وهو يصونها ويحميها ولما توفي جرت اخوته
في القرب والانبساط على عادته وهم اعيان الدوله واعضادها وابدال ارضها واوتادها
وامجادها واجوادها فلما توفي نور الدين لم يشكوا في انهم يكفلون ولده ويربونه ويحبهم
لاجل سابقتهم ويحبونه فاقام شمس الدين علي وهو اكبرهم واوجههم ودخل قلعه حلب وبها
والياشاذبخت وسكنها واسر مصلحه الدوله واعلنها وعرف ما جرى بدمشق من الاجتماع
واتفاق ذوي الاطماع فكاتبهم وامرهم بالوصول اليه في خدمة الملك الصالح ونفذ اخاه
سابق الدين عثمن وكان قليل الخبره بعيدًا من الدها فاستقر الامر على ان يحملوا الملك الصالح
اليه ويقدموا به عليه وهو يتسلم ممالكه ويكون اتابكه ووصل كمشتكين الى دمشق في
تلك الايام على ما دبروه من المرام وسار الصالح ومعه كمشتكين والعدل بن العجمي
واسمعيل الخازن فبغتوا اخوه مجد الدين الثلثه فقبضوهم واعتقلوهم وجا بن الخشاب
ابو الفضل مقدم الشيعه فسفكوا دمه واقام شمس بن المقدم بدمشق على عساكرها
مقدمًا وفي مصالحها محكمًا وجمال الدين ريحان والي القلعه والشحنه من قبله والامر اليه
بتفصيله وجمله والقاضي كمال الدين الشهرزوري الحاكم النافذ حكمه الصايب سهمه الثابت
نجمه وكان مسير الملك الصالح من دمشق في الثالث والعشرين من ذي الحجة وغاظ صلاح
الدين ما فعل باخوه مجد الدين وقال ـــــ بن ابي طي الحلبي لما مات نور الدين اجتمع امرا
دولته وتعاقدوا على ان يكونوا في خدمه الملك الصالح بن نور الدين وكان يوميذ صبيًا وحلفوا
له على منابذه الملك الناصر وقبض اصحابه الذين بالشام ومصالحة الفرنج وجعلوا ابن المقدم
شمس الدين مقدم العساكر وتم ذلك واستقر وركب الملك الصالح بدمشق وخطب له
وكانت الفرنج قد تحركت الى قصد دمشق فخرج ابن المقدم ونزل على بانياس في عساكر نور الدين
وراسل الفرنج في الهدنه فاجابوه بعد ان قطعوا قطيعه على المسلمين فعجل حملها وتم امر الصلح

وعادت الفرنج الى بلادها وابن المقدم الى دمشق واتصل خبر هذه الهدنه بالملك الناصر
وكان قد خرج من مصر لاربع مراحل فاعظم امرها واكبره واستصغر امر اهل الشام وعلم
ضعفهم فراسل ابن المقدم وغيره من الامرا بانكار ذلك والتوبيخ عليه وقال في كتابه الى ابن ابي
عصرون ورد الخبر بصلح بين الفرنج والدمشقيين وبقيه بلاد المسلمين ما دخلت في عقد ولا
انتظمت في سلك هذا القصد والعدو لهما واحد وصرف مال الله الذي اعد لعز الطاعه
ومصلحه الجماعه في هذه المعصيه المغضبه لله ولرسوله ولصالحي الامه وكان مذخورا لكشف
الغمه فصار عونا وان اسارى من طبريه وفرسانها كانت وطاتهم شديده وشوكتهم حديده
ودفعوا في القطيعه وجعلوا الى السلم السبب والذريعه فلما بلغنا هذا الخبر وقفنا به بين
الورود والصدد وان اتمنا ظن بنا غير ما نريد وان قعدنا فالعدو من بقيه الثغور التي لم تدخل
في الهدنه غير بعيد وان فرقنا العساكر لديها فاجتماعها بعد افتراقها شديد فراينا ان سيرنا
الى حضره الامير شمس الدين ابي الحسن علي واخوته من يعرفهم قد خطر هذا الارتباك وانه امر
ربما عجز عن الاستدراك وان العدو طالب لا يغفل وجاد لا ينكل وليث لا يضيع الفرصه
ويجد لا يميل الى الرخصه فان كانت الجماعه ساخطين فنظهر امارات السخط والتغيير ولا
نمسك في الاول فنعجز عن الاخير لا سيما ونحن نغار لله ونغير ونقصد للمسلمين ما جمع به
صلاح الراي وصواب التدبير وقد منعنا عساكرنا ان تفترق خوفا ان يقصد العدو ناحيه
حادم بالمال الذي قويت به قوته وثرت به ثروته وانبسطت به خطوته فانه ما دام
يعلم انا مجتمعون وعلى طلبه مجمعون لا يمكنه ان يزايل مراكزه ولا يبايد مناهزه قال وكان
متولي قلعه حلب شاذبخت الخادم النوري وكان شمس الدين علي اخو مجد الدين بن الدايه اليه
امور الجيش والديوان والى اخيه بدر الدين حسن الشحنكيه وكان بيده وبيد اخوته جميع المعاقل
التي حول حلب فلما بلغ عليا موت نور الدين صعد الى القلعه وكان مقعدا واضطرب البلد بسكنه
ابن الخشاب فامتنع من الصعود اليهم وترددت بينهم الرساله وتحزب الناس بحلب السنه مع
بني الدايه والشيعه مع بني الخشاب وجرت اسباب اقتضت ان انزل حسن ابن الدايه جماعه من
القلعيين واهل الحاضر وزحفوا الى دار ابن الخشاب فملكوها ونهبوها واختفى ابن الخشاب

واتصلت هذه الاخبار بمن في دمشق واخذوا الملك الصالح وساروا الى حلب في الثالث
والعشرين من ذي الحجه وسار مع الملك الصالح كمشتكين وجرديك واسمعيل الخازن
وسابق الدين عثمن بن الدايه وقد وكلت الجماعه به وهو لا يعلم وساروا الى حلب وخرج
الناس الى لقايهم وكان حسن قد رتب في تلك الليله جماعه من الحلبيين ليصبح ويصلبهم فلما
خرج الى لقا الملك الصالح ووقعت عينه عليه ترجل ليخدم هو وجماعه من اصحابه فتقدم
جرديك واخذ بيده وشتمه وجذبه فاركبه خلفه رديفا وقبض سابق الدين اخوه في الحال
وتخطفت اصحابهم جميعهم واحتيط عليهم وساروا مجدين حتى سبقوا الخبر الى القلعه وصعدوا
اليها وقبضوا على شمس الدين علي بن الدايه من فراشه وحمل الى بين يدي الملك الصالح فاستقبله
احد مماليك نور الدين المعروف بالجفينه فركله برجله ركله دحاه بها على وجهه فانشقت
جبهته ثم صفدوا جميعا وحبسوا في جب القلعه وقبضوا على جميع الاجناد الذين حلفوا
لاولاد الدايه واخرجوا جميعا من القلعه قلت وفي اخر هذه السنه توفي مري الفرنجي
الملك الذي كان حاصر القاهره واشرف على اخذ الديار المصريه ۝ وفي كتاب فاضلي
ورد كتاب من الداروم يذكر انه لما كان عشيه الخميس تاسع ذي الحجه هلك مري ملك الفرنج
لعنه الله ونقله الى عذاب كاسمه مشتقا واقدمه على نار تلظى لا يصلاها الا الاشقى ۝
ثم دخلت سنه سبعين وخمسميه قال ابن ابي طي وفي
اولها ضمن القطب ابن العجمي ابو صالح وابن امين الدوله لجرديك ان قتل ابن الخشاب ردوا
عليه جميع ما نهب له في دار ابن امين الدوله فدخل على الملك الصالح وتحدث معه واخذ
خاتمه امانا لابن الخشاب ونودي عليه فحضر وركب الى القلعه فقتل وعلق راسه على احد
ابراج القلعه وبقي الملك الصالح في قلعه حلب ومضى العماد الكاتب الى الموصل قال وعزمت على
خدمه سيف الدين صاحبها وقد اخذ من بلاد الجزيره الى حد الفرات ومضى اليها ابن العجمي للاصلاح
فاصلح بين ابني العجمي وعلو رهن اخوه مجد الدين في الاعتقال وضيقوا عليهم في القيود والاغلال
والزموهم بتسليم الحصون وتقديم الرهون الى ان غضبوا دودهم وخربوا معمورهم قال وكان الموفق
خالد بن القيسراني قد وصل ونحن بدمشق من مصر فلزم داره ولم يدخل مع القوم فاما صلاح الدين

فانه اعتقد ان ولد نور الدين يتولاه بعده اخو مجد الدين فلما جرى ما جرى ساءه وقال انا احق
برعي العهود والسعي المحمود فانه ان استمر ترتب ولايه هولاء تفرقت الكلمه المجتمعه وضاقت
المناهج المتسعه وانفردت مصر عن الشام وطمع اهل الكفر في بلاد الاسلام وكتب الى ابن
المقدم ينكر ما اقدموا عليه من تفريق الكلمه وكيف اجترءوا على اعضاد الدوله واركانها
بل اهلها واخوانها وانه يلزمه امرهم وامرها ويضره ضرهم وضرها فكتب ابن المقدم اليه
يردعه عن هذه العزيمه ويقبح له استحسان هذه الشيمه ويقول له لا يقال عنك انك طمعت
في بيت من غرسك ورباك واسسك واصفى مشربك واضفى ملبسك واجل سكونك
لملك مصر وفي دسته اجلسك فما يليق بحالك ومحاسن اخلاقك وخلالك غير فضلك
وافضالك فكتب اليه صلاح الدين يا لانشا الفاضلي انا لا نوثر للاسلام واهله الا ما جمع
شملهم والف كلمتهم وللبيت الاتابكي اعلاه الله الا ما حفظ اصله وفرعه ودفع ضره وجلب
نفعه فالوفا انما يكون بعد الوفاه والمحبه انما تظهر اثارها عند تكاثر اطماع العداه وبالجمله
انا في واد والظانون بنا ظن السوء في واد ولنا من الصلاح مراد ولمن يبعدنا عنه مراد ولا
يقال لمن طلب الصلاح انك قادح ولمن القى السلاح انك جارح **فصل**
قال العماد ثم عزم السلطان على ان يسارع الى تلافي الامر فاعترضه امران احدهما
وصول اسطول صقليه الى الاسكندريه وادراكه والثاني نوبه الكنز ونفاقه وهلاكه
اما وصول الاسطول فكان يوم الاحد السادس والعشرين من ذي الحجه سنه تسع وستين
وانهزم في اول المحرم سنه سبعين ثم ذكر كتابا وصل من صلاح الدين الى بعض الامرا
بالشام بشرح الحال وحاصله ان اول الاسطول وصل وقت الظهر ولم يزل متواصلا متكاملا
الى وقت العصر وكان ذلك على حين غفله من المتوكلين بالنظر لا على حين خفا من الخبر فامر ذلك
الاسطول كان قد اشتهر ووقع به ابن عبد المومن في البلاد المغربيه وهدد به في الجزاير الروميه
صاحب قسطنطينيه فشوهد في الثغر من وفور عدته وكثره عدده وعظيم الهمه به وفرط
الاستكثار منه ما ملا البحر واستد به الامر فحمى اهل الثغر عليهم البر ثم اشير عليهم ان
يقربوا من السور فامكن الاسطول النزول فاستنزلوا خيولهم من الطرايد وراجلهم من المراكب

فكانت

فكانت الخيل الفا وخمس ميه راس وكانوا ثلثين الف مقاتل ما بين فارس وراجل وكانت
عده الطرايد سته وثلثين طريده تحمل الخيل وكان معهم مايتا شيني في كل شيني مايه وخمسون
راجلا وكانت عده السفن التي تحمل الات الحرب والحصار من الاخشاب الكبار وغيرها
ست سفن وكانت عده المراكب الحماله برسم الازواد والرجال اربعين مركبا وفيها من الراجل
المتفرقه وغلمان الخياله وصناع المراكب وابراج الزحف ودباباته والمنجنيقيه ما يتمم
خمسين الف راجل ولما تكاملوا نازلين على البر خارجين من البحر حملوا على المسلمين حمله
اوصلوهم الى السور وفقد من اهل الثغر في وقت الحمله ما بينا هز سبعه انفس واستشهد محمود
ابن البصار بسهم جرح وحذفت مراكب الفرنج داخله الى الميناء وكان به مراكب مقاتله ومراكب
مسافره فسبقهم اصحابنا اليها فخسفوها وغرقوها وغلبوهم على اخذها واحرقوا ما احرق
منها واتصل القتال الى المسا فضربوا خيامهم بالبر وكان عدتهم ثلثمايه خيمه فلما اصبحوا زحفوا
وضايقوا وحاصروا ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها وثلاثه مجانيق كبار المقادير
تضرب بحجاره سود استصحبوها من صقليه وتعجب اصحابنا من شده اثرها وعظم حجرها واما
الدبابات فانها تشبه الابراج في جفا اخشابها وارتفاعها وكثره مقاتلتها وانشاعها وزحفوا
بها الى ان قاربت السور ولجوا في القتال عامه النهار المذكور وورد الخبر الى منزله العساكر
بفاقوس يوم الثلثا ثالث يوم نزول العدو على جناح الطاير فاستنهضنا العساكر الى
الثغرين اسكندريه ودمياط احترازا عليها واحتياطا في امرها وخوفا من مخالفه العدو
اليها واستمر القتال وقدمت الدبابات وضربت المنجنيقات وزاحمت السور الى ان
صارت منه بمقدار رمح فاتفق اصحابنا على ان يفتحوا ابوابا قبالتها من السور ويتركوها معلقه
بالقشور ثم فتحوا الابواب وتكاثر صياح اهل الثغر من كل الجهات فاحرقوا الدبابات
المنصوبه وصدقوا عندها القتال وانزل الله على المسلمين النصر وعلى الكفار الخذلان
والقهر واتصل القتال الى العصر من يوم الاربعا وقد ظهر فشل الفرنج ورعبهم وقصرت عزايمهم
وفتر حربهم واحرقت الات قتالهم واستحر القتل والجراح في رجالهم ودخل المسلمون الى الثغر
لاجل قضا فريضه الصلاه واخذ ما به قيام الجسوم وهم على نيه المباكره والعدو على نيه الهرب

والمبادرة ثم كر المسلمون عليهم بغتة وقد كاد يختلط الظلام فهاجموهم في الخيام
فتسلموها بما فيها وفتكوا في الرجالة اعظم فتك وتسلموا الخيالة ولم يسلم منهم الا من نزع
لبسه وردى في البحر نفسه وتقحم اصحابنا في البحر على بعض المراكب فخسفوها واتلفوها
فولت بقية المراكب هاربة وجاءتها احكام الله الغالبة وبقي العدو بين قتل وغرق واسر
وفرق واحتمى ثلثماية فارس في راس تل فاخذت خيولهم ثم قتلوا واسروا واخذ من المتاع
والالات والاسلحة ما لا يملك مثله واقلع هذا الاسطول عن الثغر يوم الخميس وذكر ابن
شداد نزول هذا العدو وكان في شهر صفر وكانوا ثلثين الفا في ستماية قطعة ما بين
شيني وطراده وبطسه وغير ذلك **فصل** واما نوبة الكنز فقال ابن شداد
الكنز انسان مقدم من المصريين كان قد انتزح الى اسوان فاقام بها ولم يزل يدبر امره ويجمع
السودان عليه ويخيل لهم انه يملك البلاد ويعيد الدولة مصرية وكان في قلوب القوم من المعاداة
للمصريين ما يستصغر هذه الافعال عنده فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وافر من السودان
وقصد قوص واعمالها فانتهى خبره الى صلاح الدين فجرد له عسكرا عظيما شاكين في السلاح
من الذين ذاقوا حلاوة ملك الديار المصرية وخافوا على فوت ذلك منهم وقدم عليهم اخاه
سيف الدين وسار بهم حتى لقي القوم فلقيهم بمصاف فكسرهم وقتل منهم خلقا عظيما
واستاصل شافتهم واخمد نائرتهم وذلك في السابع من صفر سنة سبعين واستقرت
قواعد الملك قال العماد وفي اول سنة سبعين مستهلها قام المعروف بالكنز
في الصعيد وجمع من كان في البلاد من السودان والعبيد وعدا ودعا القريب والبعيد
وكان عنده من الامراء اخ لحسام الدين ابي الهيجا السمين ففتك به وبمن هناك من المقطعين
فغارت حمية اخيه وثارت للثار وساعده اخو السلطان سيف الدين وعز الدين موسك
ابن خاله وعدة من امرايه ورجاله وجاء والي مدينة طود فاحتمت عليهم وامتنعت
فاشرعت البلية اليها وبها وقعت واتى السيف على اهلها وباتت بعد عزها بذلها ثم قصد
الكنز وهو في طغيانه وعدوانه وسوء وسودانه فسفك دمه وظهر بعد ظهور وجوده
عدمه وارتقب دماء سودانه ومحق غابة على اسوده ولم يبق للدولة بعد كنزها كنز وطل دمه

ولم ينتطح فيه عنز وارتدع المارقون فما رفعوا بعده شلم نفاق والله لناصر دينه ناصر وواق
وقال ابن ابي طي واتفق ايضا ان خرج بقرية من قرى الصعيد يقال لها طود رجل
يعرف بعباس بن شادي وثار في بلاد قوص ونهبها وخربها واخذ اموال الناس واتصل
ذلك بالملك العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب وكان السلطان قد استنابه
بمصر فجمع له العساكر واوقع به وبدد شمله وفض جموعه وقتله ثم قصد بعده كنز
الدولة الوالي باسوان وكان قد قصد بلد طود فقتل اكثر عسكره وهرب فادركه بعض
اصحاب الملك العادل فقتله **فصل** في توجه صلاح الدين الى دمشق
ودخوله اليها في يوم الاثنين اخر شهر ربيع الاول قال العماد لما خلا باله مما تقدم
ذكره تجهز لقصد الشام فخرج الى البركة مستهل صفر واقام حتى اجتمع العسكر ثم رحل الى
بلبيس ثالث عشر ربيع الاول وكانت رسل شمس الدين صاحب بصرى صديق بن جاولي وشمس
الدين بن المقدم يستوري في الحث والبعث زنده ويستقدمه وجده وسار على صدد
وايله ووصل السير بالسرى حتى اناخ على بصرى بصيرا بالعلى نصيرا للهدى فاستقبله
صاحب بصرى وشد ازره وسدد امره واستضاف الى بصرى صرخد وتفرد بالسبق
الى الخدمة وتوحد وسار في الخدمة معه الى الكسوة وبكر صلاح الدين يوم الاثنين انسلاخ
الشهر وسار في موكب قوي بالعدد والعدد وحسب ان يمتنع عليه البلد وان الاطراف
توثق والابواب تغلق فاقبل وهو يشوق واقباله يسوق حتى دخل دمشق وخرقها وكان الله
تعالى له خلقها ودخل الى دار العقيقي مسكن ابيه وبقي جمال الدين ريحان الخادم في القلعة
على نابيه فراسله حتى استماله واعز له نواله وتملك المدينة والقلعة ونزل بالقلعة سيف
الاسلام اخو السلطان صلاح الدين وملك ابن المقدم داره وكل ما حوا اليها وبذل له طلبته التي
اشار اليها ونص عليها واظهر انه قد جا لتربية الملك الصالح وحفظ ما له من المصالح وتدبير
ملكه فهو احق بصيانة حقه واجتمع به اعيانها وخلص لولايه اسرارها واعلانها واصبح وهو
سلطانها ووزاره القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري ووفاه حقه من الاحترام ووفر له حظ
التبجيل والاعظام ونفذت الكتب بالامثلة الفاضلية الى مصر بهذا الفتح والنصر وفي بعضها يوم

وصولنا الى بصرى وقبله وفدت وهاجرت وتزاحمت وتكاثرت وتوافت الامرا
والاجناد والاتراك والاكراد والعربان ورجال الاعمال واعيان الرجال وورد كتاب
من دمشق بعد كتاب وكل مخبر وذاكر وهو غايب بكتابه حاضر بذكر ان البلاد
ممكنة القياد مذعنة الى المراد واما الفرنج خذلهم الله فانا في هذه السفرة المباركه
نزلنا في بلادهم نزول المتحكم واقمنا بها اقامة الحاضر المتخيم وعيونهم متناومة وجزنا
وانوفهم راغمة ووطينا ورقابهم صعر ومررنا وعيشهم مر والله يزيدهم ذلا ويجعل
عداوة الاسلام في صدورهم غلا وفي اعناقهم غلا ٥ ومن كتاب اخر وكان
رحيلنا من بصرى يوم الاربعا الرابع والعشرين من ربيع الاول وقد توجه صاحبها بين
ايدينا قايما بشروط الخدمه ولوازم مهماتها لقينا الاجل ناصر الدين بن المولى اسد الدين رحمه
الله عليه وادام نعمته والامير سعد الدين بن انر في يوم السبت السابع والعشرين ونزلنا
يوم الاحد بجسر الخشب والاجناد الدمشقيه الينا متوافيه والوجوه على ابوابنا مترامية
ولم يتاخر الا من ابقى وجهه وراقب صاحبه ومن اعتقد بالقعود انه نظر لنفسه في العاقبه
ولما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ركبنا على خيرة الله تعالى وعرض دون
الدخول عدد من الرجال فدعستهم عساكرنا المنصوره وصدمتهم وعرفتهم كيف يكون
اللقا وعلمتهم ودخلنا البلد واستقرت بنا دار والدنا رحمة الله عليه فقرت عيونها مستقرا
سكون الرعيه وسكوننا واذعنا في ارجا البلد النداء باطابة النفوس وازالة المكوس وكانت
الولايه فيهم قد ساءت واسرفت واليد المتعديه قد امتدت الى احوالهم واححفت فشرعنا
في امتثال امر الشرع برفعها واعفا الامه منها بوضعها قال ابن الاثير لما خاف من
بدمشق من الامرا ان يقصدهم كمشتكين والملك الصالح من حلب فيعاملهم بما عامل به
بني الداية راسلوا سيف الدين غازي ليسلموها اليه فلم يجبهم فحملهم الخوف على ان راسلوا
صلاح الدين يوسف بن ايوب ~~بدمشق~~ بمصر وكان كبيرهم في ذلك شمس الدين بن المقدم ومن
اشبه اباه فما ظلم فلما اتته الرسل لم يتوقف وسار الى الشام فلما وصل دمشق سلموها
اليه من بها من الامرا ودخلها واستقر بها ولم يقطع خطبة الملك الصالح وانما اظهر

انني انما جيت لاخدمه واسترد له بلاده التي اخذها ابن عمه وجرت امور اخرها انه اصطلح
هو وسيف الدين والملك الصالح على ما بيده وقال القاضي ابن شداد لما تحقق
صلاح الدين وفاة نور الدين وكون ولده طفلا لا ينهض باعبا الملك ولا يستقل بدفع عدو
الله عن البلاد تجهز للخروج الى الشام اذ هو اصل بلاد الاسلام فتجهز بجمع كبير من العساكر
وخلف بالديار المصريه من يستقل بحفظها وحراستها ونظم امورها وسياستها وخرج هو
سايرا مع جمع من اهله واقاربه وهو يكاتب اهل البلاد وامراها واختلفت كلمة اصحاب
الملك الصالح واختلت تدبيراتهم وخاف بعضهم من بعض وقبض البعض على جماعة منهم
وكان ذلك سبب خوف الباقين ممن فعل ذلك وسببا لتغير قلوب الناس عن الصبي فاقتضى
الحال ان كاتب ابن المقدم صلاح الدين فوصل الى البلاد مطالبا بالملك الصالح ليكون هو
الذي يتولى امره ويربي حاله فدخل دمشق يوم الثلثا سلخ ربيع الاخر وكان اول دخوله الى
دار ابيه واجتمع الناس اليه وفرحوا به وانفق في ذلك اليوم في الناس مالا طايلا واظهر
الفرح والسرور بالدمشقيين واظهروا الفرح به وصعد القلعه واستقر قدمه في ملكها فلم يلبث
ان سار في طلب حلب فنازل حمص واخذ مدينتها في جمدي الاولى ولم يشتغل بقلعتها وسار
حتى اتى حلب ونازلها سلخ جمدي المذكور وهي الدفعه الاولى وقال ابن ابي طي بلغ
السلطان ان ابن المقدم نقض عهد الملك الصالح وهو كان السبب في خروج سيف الدين
صاحب الموصل واستيلايه على البلاد الشرقيه ومضايقته للملك الصالح في ممالكه وقيل
ان ابن المقدم كاتب السلطان ودعاه الى الخروج وقيل انما خرج الى الشام خوفا من حركه
تنشا من جانب الفرنج بسبب اختلاف امرا الشام وشغل بعضهم ببعض وبجواب ممض
ورد من ابن المقدم اليه ولما تيقن ابن المقدم خروج الى جهة دمشق اشفق من ذلك واستدرك السلطان
ما بدا منه وتذلل له ووعده تسليم دمشق اليه قال ولما حصل على دمشق وقلعتها واستوطن
بقعتها نشر علم العدل والاحسان وعفى اثار الظلم والعدوان وابطل ما كان الولاه استجدوه بعد موت
نور الدين من القبايح والمنكرات والمؤن والضرايب المحرمات قلت وكان قد
كتب اليه اسامه بن منقذ قصيده بعد مصاف عسقلان اولها

الفرنج من

تهن يا اطول الملوك يداً في بسط عدلٍ وسطوةٍ وندا
اجراً وذكراً من ذلك الشكر في الدنيا ومن ذلك الجنان غدا
لا تستقل الذي صنعت فقد قمت بفرض الجهاد مجتهدا
وجئت ارض العدى وافنيت من ابطالهم ما يجاوز العددا
وما ابتغى غزوة الملوك في عقر دارهم احدا
فسر الى الشام فالمليكة الابرار ملقاك جمعهم مددا
فهو فقير اليك يامل ان يصلح بالعدل منه ما فسدا
والله يعطيك فيه عاقبة النصر كما في كتابه وعدا
فما حباك الورى والهمك العدل واعطاك ما ملكت سدا

[illegible]

لله انت صلاح الدين من اسدٍ ادنى فريسته الاباء ان وثبا
رايت جلق ثغراً لا نظير له فجئتها عامراً منها الذي خربا
نادتك بالذل لما قل ناصرها وازمع الخلق من اوطانها هربا
اجبتها مثل ما اجبت مصر فقد اعدت من عدلها ما كان قد ذهبا
هذا الذي نصر الاسلام فاتضحت سبيله واهان الكفر والصلبا
ويوم شاور والايمان قد هزمت جيوشه كان فيه الجحفل اللجبا
ابت له الضيم نفسٌ مرةٌ ويدٌ فعاله وفوائد فقط ما وجبا
يستكثر المدح يتلي في مكارمه زهداً ويستصغر الدنيا اذا وهبا
ويوم دمياط والاسكندرية قد اصارهم مثلاً في الارض قد ضربا
والشام لو لم تدارك اهله اندرست اثاره وعفت اياته حقبا

[illegible]

السيوف التي ملكتك مصر بايدينا والرماح التي حويت بها قصور المصريين على الكنافنا
والرجال التي ردت عنك تلك العساكر هي تردك وعما تصديت له تصدك وانت قد تعديت
طورك وتجاوزت حدك وانت احد غلمان نور الدين ومن يجب عليه حفظه في ولده قال ولما بلغ
السلطان ورود ابن حسان عليه رسولاً تلقاه بموكبه وبنفسه وبالغ في اكرامه والاحسان اليه

ثم احضر

ثم احضر بعد ثالثه لسماع الرسالة منه فلما فاه ابن حسان بتلك الشقاشق الباطلة وتعقع
بتلك التمويهات العاطلة لم يعره السلطان رحمه الله طرفاً ولا سمعاً ولا رد عليه خفضاً ولا
رفعاً بل ضرب عنه صفحاً وتغاضياً وترك جوابه احساناً وتجافياً وجرى في ميدان الحلم
واستن في سنن مروته وخاطبه بكلام لطيف رقيق وقال له يا هذا اعلم اني وصلت الى
الشام لجمع كلمة الاسلام وتهذيب الامور وحياطة الجمهور وسد الثغور وتربية ولد
نور الدين وكف عادية المعتدين فقال له ابن حسان انك انما وردت لاخذ الملك
لنفسك ونحن لا نطاوعك على ذلك ودون ما ترومه خرط القتاد وفت الاجياد وايتام
الاولاد فتبسم السلطان لمقاله وتزايد في احتماله واوما الى رجاله باقامته من بين يديه
بعد ان كادوا يسطوا عليه ونادى في عساكره بالاستعداد لقصد الشام الاسفل ورحل نحوها
الى حمص فتسلم البلد وقاتل القلعة ولم ير تضييع الزمان عليها فوكل بها من يحصرها ورحل
الى جهة حماه فلما وصل الى الرستن خرج منها صاحبها عز الدين جرديك وامر من فيها من
العسكر بطاعة اخيه شمس الدين علي واتباع امره وسار جرديك حتى لقي السلطان
واجتمع به بالرستن واقام عنده يوماً وليلة وظهر من نتيجة اجتماعه به انه سلم اليه حماه وساله
ان يكون السفير بينه وبين من بحلب فاجابه السلطان الى مراده وسار الى حلب وبقي اخو
جرديك بقلعة حماه قال وسار جرديك الى حلب وهو ظان انه قد فعل شيئاً وحصل عند
من بحلب يداً فاجتمع بالامرا والملك الصالح واشار عليهم بمصالحة الملك الناصر فاتهمه
الامرا بالمخامرة وردوا مشورته واشاروا بقبضه فامتنع الملك الصالح ولج سعد الدين
كمشتكين في القبض عليه فقبض وثقل بالحديد واخذ بالعذاب الشديد وحمل الى الجب
الذي فيه اولاد الداية قال ولما قدم جرديك وشد في وسطه الحبل ودلي الى الجب واحس به
اولاد الداية قام اليه منهم حسن وشتمه اقبح شتم وسبه الام سب وحلف بالله ان انزل
اليهم ليقتلنه فامتنعوا من تدليته فاعلم سعد الدين كمشتكين فحضر الى الجب وصاح
على حسن وشتمه وتوعده فسكن حسن وامسك وانزل جرديك الجب فكان عند اولاد
الداية واسمعه حسن كل مكروه قال وكتب ابي الى حلب حين اتصل به قبض اولاد الداية وجرديك

وكانوا تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين رحمه الله من حلب فقصيد منها
بنو افلانه اعوان الضلاله قد قضى بذلهم الافلاك والقدر
واصبحوا بعد عز الملك في صفد وقعر مظلمة يعشى لها البصر
وجرد الدهر في جرديك عزمته والدهر لا ملجا منه ولا وزر قال ولم يزل السلطان
مقيما على الروستن ثم طال عليه الامر فسار الى جباب التركمان فلقيه احد غلمان جرديك
واخبره بما جرى على جرديك من الاعتقال والقهر فرحل السلطان من ساعته عايدا الى حماه
وطلب من اخي جرديك تسليم حماه اليه واخبره بما جرى على اخيه ففعل وصعد السلطان الى
قلعه حماه واعتبر احوالها وولاها مبارز الدين على بن ابي الفوارس وذلك مستهل جمدي
الاخر وسار السلطان الى حلب ونزل على انف جبل جوشن فوق مشهد الدكه ثالث الشهر
وامتدت عساكره الى الخناقيه والى السعدي وكان من بحلب يظنون ان السلطان لا
يقدم عليهم فلم يرعهم الا وعساكره قد نازلت حلب وخيمه تضرب على جبل جوشن واعلامه
فخافوا من الحلبيين ان يسلموا البلد كما فعل اهل دمشق فارادوا ان تطيب قلوب العامه فاشير
على ابن نور الدين ان يجمعهم في الميدان ويقبل عليهم بنفسه ويخاطبهم انهم الوزر والملجا فامر
ان ينادي باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فنزل
الصالح من باب الدرجه وصعد من الخندق ووقف في راس الميدان من الشمال وقال لهم يا اهل
حلب انا ربيبكم ونزيلكم واللاجي اليكم كبيركم عندي بمنزله الاب وشابكم عندي بمنزله
الاخ وصغيركم بمحل الولد قال وخنقته العبره وسبقته الدمعه وعلا نشيجه فافتتن
الناس وصاحوا صيحه واحده ورموا بعمايمهم وضجوا بالبكا والعويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد
ابيك نقاتل بين يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك واقبلوا على الدعا له والترحم على ابيه
وكانوا قد اشترطوا على الملك الصالح ان يعيد اليهم شرقيه الجامع يصلون فيها على قاعدتهم
القديمه وان يجهروا بحي على خير العمل والاذان والتذكير في الاسواق وقدام الجنايز باسما
الايمه الاثني عشر وان يصلوا على امواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الانكحه الى الشريف
الطاهر ابي المكارم حمزه بن زهره الحسني وان تكون العصبيه مرتفعه والناموس وازع

لمن

لمن اراد الفتنه واشيا كثيره اقترحوها مما كان قد ابطله نور الدين رحمه الله فاجيبوا
الى ذلك قال ابن ابي طي فاذن المؤذنون في منار الجامع وغيره بحي على خير العمل
وصلى ابي في الشرقيه مسبلا وصلى وجوه الحلبيين خلفه وذكروا في الاسواق وقدام الجنايز
باسما الايمه وصلوا على الاموات خمس تكبيرات واذن للشريف في ان يكون عقود الحلبيين
من الاماميه اليه وفعلوا جميع ما وقعت الايمان عليه **فصل** قال ابن ابي طي
وكانت هذه السنه شديده البرد كثيره الثلوج عظيمه الامطار هايجه الاهويه وكان
السلطان قد جعل اولاد الدايه علاله له وسببا يقطع به السنه من ينكر عليه الخروج بلاد
الشام وقصد الملك الصالح ويقول انما اتيت لاستخلاص اولاد الدايه واصلاح شانهم
وارسل السلطان رسولا الى حلب يعرض بطلب الصلح فامتنع كمشتكين فاشتد حينئذ
السلطان في قتال البلد وكانت ليالي الجماعه لا تنقضي عند الملك الصالح الا بنصب
الحبايل للسلطان والفكر في مخايلته وارسال المكروه فاجمعوا رايهم على مراسله سنان
صاحب الحشيشيه في ارصاد المتالف للسلطان وارسال من يفتك به وضمنوا له
على ذلك اموالا جمه وعده من القرى فارسل سنان جماعه من فتاك اصحابه لاغتيال
السلطان فجاوا الى جبل جوشن واختلطوا بالعسكر فعرفهم صاحب بوقبيس لانه كان
متاغرا لهم فقال لهم يا ويلكم كيف تجاسرتم على الوصول الى هذا العسكر ومثلي فيه فخافوا
غايلته فوثبوا عليه فقتلوه في موضعه وجا قوم للدفع عنه فجرحوا بعضهم وقتلوا البعض وبدر
من الحشيشيه احدهم وبيده سكينه مشهوره ليقصد السلطان ويهجم عليه فلما صار الى
باب الخيمه اعترضه طغريل امير جاندار فقتلوه وطلب الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعه
قال ولما فات من بحلب الغرض من السلطان بطريق الحشيشيه كاتبوا قومص طرابلس
وضمنوا له اشيا كثيره متى رحل السلطان عن حلب وكان لعنه الله في اسر نور الدين
منذ كسره حارم وكان قد بذل في نفسه الاموال العظيمه فلم يقبلها نور الدين فلما كان
قبيل موت نور الدين سعى له فخر الدين مسعود بن الزعفراني حتى باعه نور الدين بمبلغ مايه وخمسين
الف دينار وفكاك الف اسير واتفق في اول هذه السنه موت ملك الفرنج صاحب القدس

وطبرية وغيرهما فتكفل هذا القمص بامر ولده المجذوم فعظم شانه وزاد خطره فارسل
الى السلطان في امر الحلبيين واخبر الرسول ان الفرنج قد تعاضدوا وصاروا يدا واحده
فقال السلطان لست ممن يرهب بثالب الفرنج وها انا سائر اليهم ثم انفذ قطعة من جيشه
وامرهم بقصد انطاكية فغنموا غنيمة حسنة وعادوا فقصد القمص جهة حمص فرحل
السلطان من حلب اليها فسمع الملعون فنكص راجعا الى بلاده وحصل الغرض من رحيل
السلطان عن حلب ووصل الى حمص فتسلم القلعة ورتب فيها واليا من قبله قال وفي فتح
قلعة حمص يقول العماد الكاتب من قصيدة وسنانية

ايا ابن ايوب نحو الشام على كل ما يرتجيه ظهور ... وان تمنت حمص لها كان فيا
بيوسف مصر وايامه تقر العيون وتشفى الصدور ... فما نالك منها الفتح الا بشرى
العشرين باكمل

عن السلطان الى زين الدين بن نجا الواعظ يقول في وصف قلعة حمص والشيخ الفقيه قد
شاهد ما يشهد به من كونها نجما في سحاب وعقابا في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وانملة
اذا خضبها الاصيل كان الهلال منها قلامه عاقدة حبوة صالحها الدهر على ان لا يحلها بقرعة عاهة
عصمة صافحها الزمن على ان لا يروعها بخلعه فاكتنفت بها عقارب منجنيقات لا تطبع
طبع حمص في العقارب وضربت حجارة بها الحجارة فاظهرت فيها العداوة المعلومة
بين الاقارب فلم يكن غير ثالثه من الحد الا وقد اثرت فيها جدريا بضربها ولم تصل الى السابع
الا والبحران منذر بنقبها وانسع الخرق على الراقع وسقط سعدها عن الطالع الى مولده هو الكها
الطالع وفتحت الابراج فكانت ابوابا وسيرت الجبال بها فكانت سرابا فهنالك بدت
نقوب يرى قائم من دونها ما وراها وحثيت فيها النار فلولا الشعاع من الشعاع اضاها
ومن كتاب اخر فاضلي عن السلطان الى اخيه العادل قد اجتمع عندنا الى هذه الغاية
ما يزاحم سبعة الف فارس وتكاثفت الجموع الى الحد الذي يخرج عن العد وبعد ان نرتب احوال
حمص حرسها الله نتوجه الى حماه والله المعين على ما ننويه من الرشاد وننظفه من طرق الجهاد
وقال العماد لما سمع المدبرون للملك الصالح باقبال صلاح الدين المؤذن بادبارهم سقط في
ايديهم وراسلوا المواصله وكاتبوهم وارسلوا الى صلاح الدين بالاغلاظ والاحفاظ وكان الواصل

منهم قطب الدين نيال بن حسان وقال له هذه السيوف التي ملكتك مصر واشار الى سيفه
اليها نردك وعما تصديت له نصدك فحلم عنه السلطان واحتمله وتغافل كرما واغفله
وخاطبه بما ابى ان يقبله وذكر انه وصل لترتيب الامور وتهذيب الجمهور وسد الثغور وتربية
ولد نور الدين واستنفا ذا خوه مجد الدين فقال له انت تريد الملك لنفسك ونحن لا نترع في قوسك
ولا نانس بانسك ولا نرتاع لجرسك ولا نبنى على اسك فارجع حيث جيت اواجهد واصنع ما
شيت ولا تطمع فيما ليس فيه مطمع ولا تطلع حيث ما لسعودك فيه مطلع ونال من تطيب القطب
بنال كل ما احال الحال وابلى البال وابدى له التبسم واخفى الاحتمال ثم انه استناب اخاه سيف
الاسلام طغتكين بدمشق وسار بالعسكر ونزل على حمص فاخذها يوم الثلثا ثالث عشر جمادى
الاولى وامتنعت القلعة فاقام عليها من يحصرها ورحل الى حماه فاخذها مستهل جمادى الاخره
ثم مضى ونزل على حلب فحصرها ثالث الشهر فلما اشتد على الحلبيين الحصار واعوزهم الانتصار
استغاثوا بالاسماعيلية وعينوا لهم ضياعا وبذلوا لهم من البذول انواعا فجا منهم في يوم بارد شاتي
من فتاكهم كل عات متمرد فهم الامير ناصح الدين خمارتكين صاحب بوقبيس وكان مشاع الاسماعيلية
فقال لهم لاي شي جيتم وكيف تجاسرتم على الوصول وما خشيتم فقتلوه وجا من يدفع عنه فاثخنوه
وعدا احدهم ليهجم على السلطان في مقامه وقد شهر سكين انتقامه وطغريل امير جاندار واقف
ثابت ساكن ساكت حتى وصل اليه فشمل بالسيف راسه وما قتل الباقون حتى قتلوا عدة ولا قا
من لاقاهم شده وعصم الله حشاشته في تلك النوبه من سكاكين الحشيشيه فاقام الى مستهل
رجب ثم رحل الى حمص بسبب ان الحلبيين كاتبوا قومص طرابلس وقد كان في اسر نور الدين
من كسره حارم وبقي في الاسر اكثر من عشر سنين ثم فدا نفسه بمبلغ مايه الف وخمسين الف
دينار وفكاك الف اسير فتوجه في الافرنجية الى حمص فلما سمع بالسلطان رجع ناكصا على عقبيه
خوفا مما يقع فيه ويتم عليه ومن كتاب فاضلي عن السلطان الى العادل قد علمنا المجلس
ان العدو خذله الله كان الحلبيون قد استنجدوا بصلبانهم واستضافوا على الاسلام بعدوانهم وانه
خرج الى بلد حمص فوردنا الى حماه واخذنا في ترتيب الاطلاب لطلبه ولقاه فسار الى حصن الاكراد
متعلقا بحبله متفضحا بحيله وهذا فتح يفتح له ابواب القلوب وظفر ان كان قد كفى الله تعالى فيه

القتال المحسوب فان العدو قد سقطت حشمته وانحطت فيه همته وولى ظهرًا كان
صدّه يصونه ونكص صليبيًا كانت ترفعه شياطينه وقال العماد في الخريدة لما
خيم السلطان بظاهر حمص قصده المهذب بن اسعد بقصيدة اولها ان

مانام بعد البين يستحلى الكرى الا ليطرقه الخيال اذا سرى
كلف بقربكم فلما عاقه بعدى المدى سلك الطريق الاخصرا
ومودع ام النفرق دمعه ونهته رقبة كاشح فتحيرا
تردى الكتايب كتبه فاذا غدت لم يدر انفذ اسطرًا ام عسكرًا
لم يحسن الاتراب فوق سطورها الا لان الجيش يعقد عثيرا

ظنه مشرفه وجمع له بين الخلعه والصنيعه وعن الفاضل ما قاله في قصيدة في مدح الصالح بن رزيك
التي اولها ان اما كفاك تلافي في تلافيكا يقول فيها

يا كعبة الجود ان الفقر اقعدني ورقة الحال عن مفروض حجيكا
من ارتجي يا كريم الدهر يعشني جدواه ان خاب سعيي في رجاييكا
امدح الترك ابغي الفضل عندهم والشعر ما زال عند الترك متروكا
ام امدح السوقة النوكى لرفدهم واضيعتا ان تخطتني اياديكا
لا تتركني وما املت في شعري سواك افقل نحو الاهل صعلوكا

ست وسبعين وثمان وسبعين وما احسن ما خرج بن الدهان من الغزل الى مدح بن رزيك في قوله
من قصيدة اولها اذا لاح برق من جنابك لامع اضا لواش ما تجن الاضالع
يقول فيها تمادى بنا في جاهلية نحلها وقد قام بالمعروف في الناس شارع
وتحسب ليل الشح يمتد بعد ما بدا لطالعا شمس السماح طالع

فصل ثم ارسل السلطان الخطيب شمس الدين بن ابي المضا الى الديوان العزيز برسالة ابن الوزير
ضمنها القاضي الفاضل كتابًا طويلًا رايقًا فايقًا يشتمل على تعداد ما للسلطان من الايادي من
جهاد الفرنج في حياة نور الدين ثم فتح مصر واليمن وبلاد جمة من اطراف المغرب واقامة الخطبة
العباسية بها يقول في اوله للرسول فاذا اقضى التسليم حق اللقا واستدعى الاخلاص جهد الدعا

[illegible]

فليعد وليعد حوادث ما كانت حديثًا يفترى وجوادي امور ان قال فيها كثيرًا فاكثر منه
ما قد جرى وليشرح صدرًا منها لعله يشرح منا صدرًا وليوضح الاحوال المستسرة فان الله لا
يعبد سرًا ومن الغرايب ان تشير غرايب في الارض لم يعلم بها المامول
كالعيس اقتل ما يكون لها الصدى والما فوق ظهورها محمول

فانا كنا نقتبس النار باكفنا وغيرنا يستنير ونستنبط الما بايدينا وسوانا يستمير
ونلقى السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ونصافح الصفاح بصدورنا وغيرنا يدعي التصدير
ولا بد ان نسترد بضاعتنا بموقف العدل الذى ترد به الغصوب ونظهر طاعتنا فناخذ
بحظ الالسن كما اخذنا بحظ القلوب وما كان العايق الا انا كنا ننتظر ابتدا من الجانب الشريف
بالنعمة تضاهي ابتدانا بالخدمة وايجابًا للحق يشاكل ايجابنا للسبق كان اول امرنا انا كنا في
الشام نفتح الفتوح مباشرين بانفسنا ونجاهد الكفار متقدمين لعساكرنا نحن ووالدنا وعمنا
فاي مدينة فتحت او معقل ملك او عسكر للعدو كسر او مصاف للاسلام معه ضرب فما
يجهل احد صنعنا ولا يجحد عدونا انا نصطلي الجمرة ونملك الكرة ونتقدم الجماعة ونرتب المقاتلة
وندبر التعبية الى ان ظهرت في الشام الاثار التي لنا اجرها ولا يضرنا ان يكون لغيرنا ذكرها
وكانت اخبار مصر تتصل بنا بما الاحوال عليه فيها من سوء تدبير ومما دولتها عليه من غلبة
صغير على كبير وان النظام بها قد فسد والاسلام بها قد ضعف عن اقامته كل من قام وقعد
والفرنج قد احتاج من يدبرها الى ان يقاطعهم باموال كثيرة لها مقادير خطيرة وان كلمة
السنة بها وان كانت مجموعة فانها مقموعة واحكام الشريعة وان كانت مسماة فانها متحاماة
وتلك البدع بها على ما يعلم وتلك الضلالات فيها على ما يفتى فيه بفراق الاسلام ويحكم
وذلك المذهب قد خالط من اهله اللحم والدم وتلك الانصاب قد نصبت الهة تعبد
من دون الله وتعظم وتفخم فتعالى الله عن شبه العباد وويل لمن غره تقلب الذين كفروا في
البلاد فسمت هممنا دون همم اهل الارض الى ان نستفتح مقفلها ونسترجع للاسلام شاردها
ونعيد على الدين ضالته منها فسرنا اليها في عساكر ضخمة وجموع جمة وباموال استهلكت الموجود
وبلغت منا المجهود انفقناها من حاصل ذممنا وكسب ايدينا ومن اسارى الفرنج الواقعين في

قبضتنا فعرضت عوارض منعت وتوجهت للمصريين رسل باستنجاد الفرنج قطعت ولكل
اجل كتاب ولكل امل باب وكان في تقدير الله انا نملكها على الوجه الاحسن وناخذها
بالحكم الاقوى الامكن فعقد الفرنج بالمصريين عقده في هدنه عظم خطبها وخبطها وعلم ان
استيصال كلمه الاسلام محططها فكاتبنا المسلمون من مصر في ذلك الزمان كما كاتبنا المسلمون كا
من الشام في هذا الاوان باننا ان لم ندرك الامر والا خرج عن اليد وان لم ندفع عزم اليوم لم نمهل
الى الغد فسرنا بالعساكر المجموعه والامرا الاهل المعروفه الى بلاد قد تمهد لنا بها امران وتقرر
لنا في القلوب ودان الاول ما علموه ايثارنا للمذهب الاقوم واحيا الحق الاقدم والاخر ما
يرجونه من فك اسارهم واقاله عثارهم ففعل الله ما هو اهله وجا الخبر الى العدو فانقطع
حبله وضاقت به سبله وافرج عن الديار بعد ان كانت ضياعها ورساتيقها وبلادها واقاليمها
قد نفذت فيها اوامره وحققت عليها صلبانه ونصبت بها اوثانه وايس من ان يسترجع
ما كان بايديهم حاصلا وان يستنقذ ما صار في ملكهم داخلا ووصلنا البلاد وبها اجناد عددهم
كثير وسوادهم كبير واموالهم واسعه وكلمتهم جامعه وهم على حرب الاسلام اقدر منهم على حرب
الكفر والحيله في السر فيهم انفذ من العزيمه في الجهر وبها راجل من السودان يزيد على مايه الف
كلهم اغنام اعجام ان هم الا كالانعام لا يعرفون ربا الا ساكن قصره ولا ما يتوجهون اليه من ركنه
وامتثال امره وبها عسكر من الارمن باقون على النصرانيه موضوعه عنهم الجزيه كانت لهم
شوكه وشكه وحمه وحميه ولهم حواش لقصورهم من بين داع تلطف في الضلال مداخله
وتصيب القلوب مخاتله ومن بين كتاب يفعل اقلامهم افعال الاسل وخدام يجمعون الى سواد
الوجوه سواد النحل ودوله قد كبر عليها الصغير ولم يعرف غيرها الكبير ومهابه تمنع من خطرات
الضمير فكيف بخطوات التدبير هذا الى استباحه للمحارم ظاهره وتعطيل للفرايض على عاده
جايره وتحريف للشريعه بالتاويل وعدول الى غير مراد الله بالتنزيل وكفر سمي بغير اسمه وشرع
يتستر به ويحكم بغير حكمه فما زلنا نسحتهم سحت المبارد للشفار ونتحيفهم تحيف الليل والنهار
بعجايب تدبير لا تحتملها المساطير وغرايب تقدير لا تحملها الاساطير ولطيف توصل ما كان من
حيله البشر ولا قدرتهم لولا اعانه المقادير وفي اثنا ذلك استنجدوا علينا الفرنج دفعه الى بلبيس

ودفعه الى دمياط وفي كل دفعه منهما وصلوا بالعدد الجم والحشد الاوفر وخصوصا في
نوبه دمياط فانهم بحرا في الف مركب مقاتل وحامل وبرا في مايتي الف فارس وراجل وحصروها
شهرين يباكرونها ويراوحونها ويماسونها ويصابحونها القتال الذي يصليه الصليب والقراع
الذي ينادي به الموت من كان قريب ونحن نقاتل العدوين الباطن والظاهر ونصابر الضدين
المنافق والكافر حتى اتى الله بامره وايدنا بنصره وخابت المطامع من المصريين والفرنج
وشرعنا في تلك الطوايف من الارمن والسودان والاجناد فاخرجناهم من القاهره تاره بالاوا مر
المرهقه لهم وبالاوامر الفاضحه منهم وبالسيوف المجرده وبالنار المحرقه حتى بقي القصر
ومن به من خدم ومن ذريه قد تفرقت شيعه وتمزقت بدعه وخفتت دعوته وخفيت ضلالته
فهنالك تم لنا اقامه الكلمه والجهر بالخطبه والرفع للوا الاسود الاعظم وعاجل الله الطاغيه
الاكبر بهلاكه وبرانا من عهده يمين كان اثم حنثها ايسر من اثم ابقايه لانه عوجل لفرط روعته
ووافق هلاك شخصه هلاك دولته ولما خلا ذرعنا ورحب وسعنا نظرنا في الغزوات الى
بلاد الكفار فلم تخرج سنه الا عن سنه اقيمت فيها برا وبحرا مركبا وظهرا الى ان اوسعناهم
قتلا واسرا وملكنا رقابهم قهرا وقسرا وفتحنا لهم معاقل ما خطر اهل الاسلام فيها منذ اخذت
من ايديهم ولا اوجفت عليها خيلهم ولا ركابهم منذ ملكها اعاديهم فمنها ما حكمت فيه يد
الخراب ومنها ما استولت عليه يد الاكتساب ومنها قلعه بثغر ايله كان العدو قد بناها
في بحر الهند وهو المسلوك منه الى الحرمين واليمن وغزا ساحل الحرم فسبا منه خلقا وخرق
الكفر في هذا الجانب خرقا فكادت القبله ان يستولي على اصلها ومشاعر الله ان يسكنها
غير اهلها ومقام الخليل عليه السلام ان يقوم به من ناره غير برد وسلام ومضجع الرسول صلى
الله عليه وسلم ان يطرقه من لا يدين بما جا به من الاسلام ففتح الله هذه القلعه وصارت معقلا
للجهاد وموئلا لسفار البلاد وغيرهم من عباد العباد ثم قال ـــــ وكان باليمن ما علم من
ابن مهدي الضال الملحد المبتدع المتمرد دوله اثار في الاسلام وثار طالبا النبي عليه الصلوه والسلام
لانه سبا الشرايف الصالحات وباعهن بالثمن البخس واستباح منهن كل ما لا يعتم لمسلم عليه نقش
ودان ببدعه ودعا الى قبر ابيه وسماه كعبه واخذ اموال الرعايا المعصومه واجاحها واحل الفروج

المحرمه واباحها فانهضنا اليه اخانا بعسكرنا بعد ان تكلفنا له نفقات واسعه
واسلحه رايعه وسار فاخذناه ولله الحمد وانجح الله فيه القصد والكلمه هنالك بمشيه
الله الى الهند ساميه والى ما نقص الاسلام عنه دونه متماديه ولنا في الغرب اثر اغرب
وفي اعماله اعمال دون مطلبها مهالك كما يكون المهلك دون المطلب وذلك ان بني عبد
المومن قد اشتهر ان امرهم قد امر وملكهم قد عمر وجيوشهم لا تطاق وامرهم لا يشاق ونحن
بحمد الله قد تملكنا مما يجاورنا منه بلادا ابن بيدينا فيها على شهر وسيرنا اليها عسكرا
بعد عسكر فرجع بنصر بعد نصر ومن البلاد المشاهير والاقاليم الجماهير برقه قفصه
قسطيليه توزر كل هذه تقام فيها الخطبه لمولانا الامام المستضي بامر الله
امير المومنين سلام الله عليه ولا عهد للاسلام باقامتها وتنفذ فيها الاحكام بعلمها المنصور
وعلامتها وفي هذه السنه كان عندنا وفد قد شاهده وفود الامصار ودروه باسماع وابصار
مقدارة سبعون راكبا كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا ويرجو امنا وعدا ويخاف وعيدا وقد
صدرت عنا بحمد الله تقاليدها والقيت الينا مقاليدها وسيرنا الخلع والمناشير والالويه
بما فيها من الاوامر والاقضيه فاما الاعدا المحدقون بهذه البلاد والكفار الذين يقاتلوننا
بالممالك العظام والعزايم الشداد فمنهم صاحب قسطنطينيه وهو الطاغيه الاكبر
والجالوت الاكفر وصاحب المملكه التي اكلت على الدهر وشربت وقايم النصرانيه الذي
حكمت دولته على ممالكها وغلبت جرت لنا معه غزوات بحريه ومنافلات ظاهره وسريه
ولم يخرج من مصر الى ان وصلتنا رسله في جمعه واحده نوبتين بكتابين كل واحد منهما
يظهر فيه خفض الجناح والقاء السلاح والانتقال من معاداته الى مهاداته ومن مفاضحته الى
مناصحته حتى انه انذر بصاحب صقليه واساطيله التي تردد ذكرها وعساكره التي لم يخف
امرها ومن هولا الكفار هذا صاحب صقليه كان حين علم بان صاحب الشام وصاحب
قسطنطينيه قد اجتمعا في نوبه دمياط فغلبا وقسرا وهزما وكسرا اراد ان يظهر قوته المستقله
فعمر اسطولا يستوعب فيه ماله وزمانه فله الان خمس سنين يكثر عدته وينتخب
عدته الى ان وصل منها في السنه الخاليه الى الاسكندريه امر رايع وخطب هايل ما

اثقل ظهر البحر مثل حمله ولا ملا صدره مثل خيله ورجله وما هو الا اقليم بل اقاليم نقله
وجيش ما احتفل ملك قط بنظيره لولا ان الله خذله ومن هولا الجيوش البنادقه والبياشنه
والجنويه كل هولاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضراوه ضرهم ولا تطفا شرارة شرهم وتارة
يكونون سفارا يحتكمون على الاسلام في الاموال المجلوبه وتقصر عنهم يد الاحكام المرهوبه
وما منهم الا من هو الان يجلب الى بلدنا اله قتاله وجهاده ويتقرب الينا باهداء طرايف اعماله
وتلاده وكلهم قد قررت معهم المواصله وانتظمت معهم المسالمه على ما نريد ويكرهون وعلى
ما نوثر وهم لا يوثرون ولما قضى الله سبحانه بالوفاه النوريه وكنا في تلك السنه على نيه الغزاة
والعساكر قد تجهزت والمضارب قد برزت ونزل الفرنج على بانياس واشرفوا على احتيازها
وراوها فرصه مدوا ايديهم لانتهازها استصرخ بنا صاحبها فسرنا مراحل اتصل بالعدو امرها
وعوجل بالهدنه الدمشقيه التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ثم عدنا الى البلاد وتواترت الينا
الاخبار بما المملكه النوريه عليه من تشعث الاراء وتوزعها وتشتت الامور وتقطعها
وان كل قلعه قد حصل فيها صاحب وكل جانب قد طمح اليه طالب والفرنج قد بنوا قلاعا
يتخيفون بها الاطراف الاسلاميه ويضايقون بها البلاد الشاميه وامرا الدوله النوريه
قد سجن كبارهم وعوقبوا وصودروا والمماليك الاغمار الذين خلقوا للاطراف لا للصدور وجعلوا
للقيام لا للقعود في المجلس المحضور قد مدوا الايدي والاعين والسيوف وسارت سيرتهم
في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وكل واحد يتخذ عند الفرنج يدا ويجعلهم لظهره سندا
وعلمنا ان البيت المقدس ان لم تتيسر الاسباب لفتحه وامر الكفر ان لم يجرد العزم في قلعه
والا ثبتت عروقه واتسعت على اهل الدين خروقه وكانت الحجه لله قايمه وهمم القادرين
بالقعود اثمه وانا لا نتمكن بمصر منه مع بعد المسافه وانقطاع العماره وكلال الدواب
التي بها على الجهاد القوه واذا جاورناه كانت المصلحه باديه والمنفعه جامعه واليد قادره
والبلاد قريبه والغزوه ممكنه والميره متسعه مستريحه والعساكر كثيره الجموع والاوقات
مساعده واصلحنا ما في الشام من عقايد معتله وامور مختله واراء فاسده وامراء متحاسده واطماع
غالبه وعقول غايبه وحفظنا الولد القايم بعد ابيه فانا به اولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه

ويظهرون الوفا في خدمته وهم عاملون بظله والمراد الان هو كل ما يقوي الدوله ويوكد
الدعوه ويجمع الامه ويحفظ الالفه ويضمن الرافه ويفتح بقيه البلاد وان يطبق بالاسم
العباسي كلما تطبقه العماد وهو تقليد جامع بمصر واليمن والمغرب والشام وكلما تشتمل
عليها الولايه النوريه وكل ما يفتحه الله للدوله العباسيه بسيوفنا وسيوف عساكرنا
ولمن نقيمه من اخ او ولد من بعدنا تقليدا يضمن للنعمه تخليدا وللدعوه تجديدا مع ما ينعم به من
السمات التي فيها الملك وبالجمله فالشام لا تنتظم اموره بمن فيه والبيت المقدس ليس له
قرن يقوم به ويكفيه والفرنج فهم يعرفون منا خصما لا يمل الشر حتى يملوا وقرنا لا يزال محرم
السيف حتى يحلوا واذا شد انا احسن الراي ضربنا بسيف يقطع في غمده وبلغنا المنى بمشيه
الله وبيد كل مومن تحت برده واستنقذنا اسيرا من المسجد الذي اسرى الله اليه بعبده ۝
ومن كتاب اخر فاضلي عن السلطان الى الديوان في تعداد ماله من الايادي والتي اجراه الله
على يد الملوك من الممالك التي دوخها وسنن الضلال التي نسخها وعقود الالحاد التي فسخها ومنابر
الباطل التي رحضها وحجج الزندقه التي دحضها فلله عليه المنه فيه اذا اهله لشرف مستهله
وما فعله الا لوجهه وبالله كانت عزيمته والا فقد قضت الليالي والايام على تلك الامور
وما تحركت للفلك في قلعها نابضه وعبرت الاحوال على تلك البدعه وما ثارت لا وانبها رابضه
فشكر لله تعالى فيما اجراه على يديه منها ان يجتهد في اخرى مثلها في الكفار وقد عاد الاسلام
الى وطنه وصوحت من الكفر خضراء دمنه ومن كتاب اخر للفاضل يذكر فيه اعاده صلاح
الدين الخطبه بمصر للدوله العباسيه يقول فيه حتى لان الدنيا ابن يخدنها فقضى من الامر ما قضى
واسخط من الله في سخطه رضا وجعل وجه الايام السواد مبيضا فادركهم بثار نامت عنه الهمم
وردت حنت عليه الامم وشفى الصدور وجا بالحق ... لا من غره بالله الغرور واستنضع من
الله تعالى تجاره لن تبور ومن كتاب اخر قد بورك للخادم في الطاعه التي لبس الاولياء شعارها
وامضى في الاعدا شفارها وجمع عليها الدين وكان اديانا واستقامت بها القلوب على ضبغه التكلف
وكانت الوانا ومن كتاب اخر لم يكن نسيب خروج الملوك من بينه الا وعدا ان انعقد بينه وبين
نور الدين من جانب بهل الشام وعزم فاقضى الله بالحتوم على احدهما وحدثت بعد الامور امور اشتهرت

للمسلمين عورات وضاعت ثغور وتحكمت الاراء الفاسده وفوزت الحجاج الفاضله وصار
الباطنيه بطانه من دون المومنين والكفار محوله البها حوزي المسلمين والامرا الذين كانوا للاسلام
قواعد وكانت سيوفهم للنصر موارد يتكون ضيق حلقات الاسار وتطرق الكفار بالبلاد في
الحدود الاسلاميه ولا خفا ان الفرنج بعد حلولنا بهذه الخطه قاموا وقعدوا واستنجدوا واعلنوا
انصار النصرانيه في الاقطار دوسيروا الصليب ومن كثني مذابحهم بقيامه وهددوا الطاعنه كفرهم
باشراط القيمه ونفذوا البطارقه والقسيسين برسايل صور من يصورونه ممن يسمونهم
القديسين وقالوا ان الغفله ان وقعت اوقعت فيما لا يستدرك فارطه وان كلا من صاحب
قسطنطينيه وصاحب صقليه وملك الالمان وملوك ما ورا البحر واصحاب الجزاير كالبنادقه
والبيشانيه والجنويه وغيرهم قد تاهبوا بالعماير البحريه والاساطيل القويه وللاسلام بامير
المومنين اعز ناصر لا سيما وهم ينصرون باطلا وهو ينصر حقا وهو يعبد خالقا وهم يعبدون
خلقا **فصل** قال العماد وكنت بالموصل فسبلت نظم مرثيه في نور الدين
فنظمت بعد عودي الى دمشق في رجب ۝

الدين في ظلم لغيبه نوره   والدهر في غم لفقد اميره
فليندب الاسلام حامي اهله   والشام حافظ ملكه وثغوره
ما اعظم المقدار في اخطاره   اذ كان هذا الخطب في مقدوره
ما اكثر المتاسفين لفقد من   قرت نواظرهم بفقد نظيره
ما اغوص الانسان في نسيانه   او ما كفاه الموت في تذكيره
من للمساجد والمدارس بانيا   لله طوعا عن خلوص ضميره
من ينصر الاسلام في غزواته   فلقد اصيب بركنه وظهيره
من للفرنج ومن لاسر ملوكها   من للهدى يبغي فكاك اسيره
من للخطوب مذللا لجماحها   من للزمان مسهلا لوعوره
من كاشف المعضلات برايه   من مشرق في الداجيات بنوره
من للكريم ومن لغوث عثاره   من لليتيم ومن لجبر كسيره
من للبلاد ومن لنصر جيوشها   من للجهاد ومن لحفظ اموره
من للفتوح محاولا ابكارها   برواحه في غزوه وبكوره
من للعلى وعمودها من للندى   ووفوده من للحجى ووفوره
ما كنت احسب نور دين محمد   يخبو وليل الشرك في ديجوره

اعز علي بليث غاب للهدى يخلوا الشرا من زوئره وزبيره
اعز علي بان اراه مغيبا عن محفل متشرف بحضوره
لهفي على تلك الانامل انها مذ غيبت غاض الندا بحوره
ولقد اتى من كنت تجرى رسمه فضع العلامه منك في منشوره
ولقد اتى من كنت تكشف كربه فارفع ظلامته بنصر عشيره
ولقد اتى من كنت تومن سربه وقع له بالامن من محذوره
ولقد اتى من كنت تونر قربه فادم له التقريب في تقريره
والجيش قد ركب الغداه لعرضه فاركب لتبصره اوان عبوره
انت الذي احييت شرع محمد وقضيت بعد وفاته بنشوره
كم قد امت من الشريعه معلما هو منذ غبت معرض الدثوره
كم قد امرت بحفر خندق معقل حتى شكت اللحد في محفوره
كم قيصر للروم رمت بقسره اروا ابيض الهند من ناموره
او نيت فتح حصونه وملكت عقر بلاده وسبيت اهل قصوره
ازهدت في دار الفنا واهلها ورغبت في الخلد المقيم وحوره
اوما وعدت القدس انك منجز ميعاده في فتحه وطهوره
فمتى تجير القدس من دنس العدى وتقدس الرحمن في تطهيره
يا حاملين سريره مهلا فمن عجب نهوضكم بحمل ثبيره
يا عابرين بنعشه انشقتم من صالح الاعمال نشر عبيره
نزلت ملائكة السما لدفنه مستجمعين على شفير حفيره
ومن الحفاظ له مقامي بعده هلا وفيت وسرت عند مسيره
حياك معتل الصبا بنسيمه وسقاك منهل الحيا بدروره
ولبست رضوان المهيمن ساحبا اذيال سندس خزه وحريره
وسكنت عليين في فردوسه حلف المسره ظافرا باجوره

قال العماد وجا نجاب الى الموصل وذكر انه فارق صلاح الدين بقرب دمشق ما الكسوه وهو الان يستكمل من ملك دمشق الحظوظ فيها فهاجني الطرب لقصده لسابق معرفته وقديم وده فقدمت دمشق على طريق البريه والسلطان على حلب وكان العماد في عقابيل الم فلما شفى وعاد السلطان الى حمص فقصدته فيها وقد تسلم قلعتها في شعبان في الحادي والعشرين منه قال وكنت نظمت قصيدة في الشوق الى دمشق والتاسف عليها ثم جعلت مدح السلطان مخلصها وهي طويله اولها ○

اجيران جيرون مالي مجير سوى عطفكم فاعدلوا او فجوروا
ومالي سوى طيفكم زائر فلا تمنعوه اذا لم تزوروا

يعز علي بان الفواد لديكم اسير وعنكم اسير
وما كنت اعلم اني اعيش بعد الاحبة اني صبور
وفت ادمعي عنبران الكرى وقلبي وصبري كل غدور
الى الناس بانياس لي صبوة لها الوجد داع وذكرى مثير
يزيد اشتياقي وينمو كما يزيد يزيد وثورا يثور
ومن بردا برد قلبي المشوق فها انا من حره مستجير
وبالمرج مرجو عيشي الذي على ذكره العذب عيشي مرير
فقدتكم ففقدت الحبور ويوم اللقا يكون النشور
تطاول بالسولي عند القصير فعز بنيله اليوم باعي قصير
وكل لي بريد بباب البريد فانت باخبار شوقي خبير
متى نجد الري بالقريتين خوامس اثر فيها الهجير
ونحو الجليل الجلي الزحي المطي فنجل هذا المرام الخطير
تراني انيخ بادنى ضمير مطايا براها الوجا والضمور
وعند القطيفه المشتهاه قطوف بها للاماني سفور
ومنها بكوري نحو القصير ومنه عمري ذاك البكور
ويا طيب بشراي من جلق اذا جاءني بالنجاح البشير
ويستبشر الاصدقا الكرام هنالك بي وتوفي النذور
ترى بالسلامة يوما يكون بباب السلامه مني عبور
وان جوازي بباب الصغير لعمري من العمر حظ كبير
وما جنه الخلد الا دمشق وفي القلب شوق اليها سعير
ميادينها الخضر فيح الرحاب وسلسالها العذب صاف نمير
وجامعها الرحب والقبه المنيفه والفلك المستدير
وفي قبه النسر لي سادة بهم للمكارم افق منير

وباب الفراديس فردوسها وسكانها احسن الناس حور
كان الجواسق ماحوله بروج تطلع منها البدور
وما غرت في الربوه العاشقين بالحسن الا الربيب والغدير
وعند المنيبع عين الحياه مدا الدهر نابعة ما تغور
وما النيرب الا انثر العبور على جسر جسرين لي جسور
والارزق فالسهم فالنيربان فجنات مزتها فالكفور
بنيرنها بتير الهموم بوتها يترنى السرور
وعند المغارة يوم الخميس اغار على القلب مني مغير
بجسر ابن شواش ثم السكون لقسي بنفسي تلك الجسور
وكم بت بالهوا بقرب الحبيب في بيت لهيا ونام الغيور

فاين اغتباطي بالغوطتين وتلك الليالي وتلك العصور
واشجار سطرا بيت كالسطور تفهمن البليغ البصير
وان تاملت فلك يدور وعين تفور وبحر يمور
وان نظرت نسيم برق وزهر يروق وروض نضير
الام الفساق يا فاشيون وبين الثنا تجلى ثنير
ومنذ ثوى نور دين الاله لم يبق للدين والشام نور
وللناس بالملك الناصر الصلاح صلاح ونصر وخير
هو الشمس افلاكه في البلاد ومطلعه سرجه والسرير
اذا ما سطا او حبا واحتبى فما الليث من حاتم ما ثبير
بيوسف مصر واياميه تقر العيون وتشفى الصدور
ملكت فاسمح فما للبلاد سواك مجير ومولى نصير
وفي معصم الملك للعز منك سوار ومنك على البين سور
لك الله في كل ما تبتغيه بحق ظهير ونعم الظهير
اما المفسدين بمصر عصوك وهذي ديارهم اليوم قور
اما الادعيا بها اذ نشطت لابعادهم زال منك الفتور

ويوم الفتح اذا ما الفوارس عن غيرهم فطن ⊙ فهو مما الى القلب يسبق العاقل الفتح
وما ذا عسى ⊙ سهل الله صعب الخطوب فهو على كل شي قدير ⊙ الا ان الله هو ...
يقول الزمان كالله يوم يظهر ⊙ ويحول فيه القرى والقران جميعا وحوى الحجر البعيد
ولئن نرى ونذرا الفتح وعندهم لا زالوا في حوزة ⊙ فصل وفتح بعلبك قال العماد
ولما وقع السلطان في حصن وحصنا بقايا العطب فسلمنا ... ان

الى طي وكان بها خادم يقال له يمن فلما شاهد كثرة عساكر السلطان اضطرب في امره ودل
من بحلب على جناح طاير فلم يرجع اليه منهم خبر فطلب الامان وسلم بعلبك الى السلطان
قال العماد وهناته بابيات منها
بفتوح عصرك يفخر الاسلام وبنور نصرك تشرق الايام
وبفتح قلعة بعلبك تهذبت هذي الممالك واستقام الشام
وبكا الحسود دما وثغر الثغر من فرح بنصرك للهدى بسام
فتح تسنى في الصيام كاننا شكرا لمانحه الاله صيام
من ذا راى في الصوم عيد سعادة حلت لنا والفطر فيه حرام

اسنى صلاح الدين وافى للشام بسيفه ...
سر طالع ... تقي ...
فتح ذلك الفضل الذي كف ... له
حتى ... الاوطان ... لم ...
في ...

قال ولزمت خدمته ارحل برحيله وانزل بنزوله وكنت ليلة عنده وهو يذكر جماعة من شعرا الزمان وعنده ديوان الامير مويد الدولة اسامه بن مرشد بن منقذ على بن منقذ وهو به مشغوف وخاطره على تامله موقوف وفي استحسانه مصروف وقد استحسن قصيدة له طائية لو عاش الطائيان لاقرا بفضلها وان خواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها على ان الشعرا المحدثين ما منهم الا من نظم على رويها ووزنها واستمد خصب خاطره من مزنها فمنهم المعري وابن ابي حصينة والارجاني والصالح بن رزيك وقد اوردت جميعها في كتاب الخريدة ومطلع قصيدة المعري لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا
فنظمت في السلطان ونحن على بعلبك بتاريخ انسلاخ شعبان قصيدة طائية منها
عفا الله عنكم ما لكم ايها الرهط قسطتم ومن قلب المحب لكم قسط
شرطتم لنا حفظ الوداد وخنتم خيانتكم ما هكذا الود والشرط
جعلتم فواد المستهام بكم لكم محطا فعنه تثقل همتكم حطوا
ملكتم فانكرتم قديم مودتي كان لم يكن في البين معرفة قط
فدت مهجتي من لا يديه لمهجتي اذا حاكمته وهو في الحكم مشتط
وما كنت ادري قبل سطوة طرفه بان ضعيفا فاترا مثله يسطو
واهيف للاشفاق من ضعف خصره يحل نطاقا للقلوب به ربط
يلازم قلبي في الهوى القبض مثلما يلازم كف الناصر الملك البسط
مليك حوى الملك العقيم بضبطه كريم وما للمال في يده ضبط
اذا لثمت ايدي الملوك فعنده مدى الدهر اجلالا له تلثم البسط
عنا لك طوعا ملك مصر ودجلة العراق ودان العرب والعجم والقبط
وللنيل شط ينتهي سيبه به ونيلك للراجين نيل ولا شط
عدوك مثل الشمع في نار حقده له عنق اصلاح فاسده القط
وهو عنده في اجل المنازل بما صاق صدره وتشعث سره فلما عرف هذا المعنى لحاتب الى
الفضل الفاضل لانه به يعني فقام بامري وتوق بقدري واراح سري وشد ازري ⊙

فلما تم فيه ... قصيدة طائية ...
... السلطان ... وتعنت ... الصحبة ...
... صلاح الدين ... مع ... عني ... بالاعمال
... الايام ... الكرام ...
الى ... الا ... عهد ... الحسد ...

فصل فيما جرى للمواصله والحلبيين مع السلطان في هذه السنه قال ابن شداد
ولما احس سيف الدين صاحب الموصل بما جرى علم ان الرجل قد استفحل امره وعظم شانه
وعلت كلمته وخاف انه ان غفل عنه استحوذ على البلاد واستقر قدمه في الملك وتعدى
الامر اليه فجهز عسكرا وافرا وجيشا عظيما وقدم عليهم اخاه عز الدين مسعودا وساروا
يريدون لقا السلطان وضرب المصاف معه ورده عن البلاد فوصل الى حلب والسلطان
بحمص وانضم اليه من كان بحلب من العسكر وخرجوا في جمع عظيم ولما علم السلطان بمسيرهم
سار حتى وافاهم بقرون حماه وراسلهم وراسلوه واجتهد ان يصالحهم فما صالحوه وراوا ان
المصاف ربما نالوا به الغرض الاكبر والمقصود الاوفر والقضا يجر الى امور وهم بها لا
يشعرون وقام المصاف بين العسكرين فقضى الله تعالى ان انكسروا بين يديه واسر جماعه
منهم ومن عليهم واطلقهم وذلك عند قرون حماه في تاسع عشر شهر رمضان ثم سار عقيب
انكسارهم ونزل على حلب وهي الدفعه الثانيه وصالحوه على ان اخذ المعره وكفر طاب وبارين
قال العماد لما تسلم السلطان قلعه بعلبك عاد الى حمص وقد وصل عز الدين مسعودا
اخو صاحب الموصل الى حلب بجحفله ولما عرفوا ان السلطان مشغول بالحصون جاوا الى حماه
يحصروها وراسلوا في الصلح فقدم السلطان في خف من اصحابه وجا كمشتكين وابن
العجمي وغيرهما واجابهم السلطان الى ما طلبوا وان يرد عليهم الحصون وان يقنع بدمشق
نايبا عن الملك الصالح وله خاطبا وعلى الانتما اليه مواظبا وان يرد كل ما اخذ من خزانه
وان يسلك فيه سبيل الامانه فلما راوه مجيبا الكل ما يلتمس منه وهو في عسكر خفيف
قالوا اما خبر صحيح فشرعوا في الاشتطاط فطلبوا الرحبه واعمالها فقال هي لابن عمي
ناصر الدين محمد بن شيركوه وكيف الحوبه في رضاكم المكروه فنفروا واجفلوا واصحوا
على الرحيل الى جانب العاصي قريبا من شيزر وجمعوا العسكر واظهروا انهم على المصاف
وعزم الانتصاف فعبر السلطان الى سفح قرون حماه خيامه وركز على مقابلتهم اعلامه
ووصل العسكر المصري في عشر من المقدمين منهم فرخشاه واخوه تقي الدين والتقوا
فهزمهم السلطان ونزل في منزلتهم قال العماد ومما نظمت في هذه الوقعه في مدح

ناصر الدين محمد بن شيركوه قصيده فقد كان له فيها عنا وبلا حسن منها
ولقد الفت نفارها وهويتها اذ ليس ينكر للظبا نفار
يا جارة للقلب جايرة دعي ظلمي والا قلت جار الجار
قلبي كطرفك ما يفيق افاقة سكران ما دارت عليه عقار
صب بصب الدمع محترق الحشا خطرت ببالي بلابله الاخطار
لم يخش من خطر الهوى حتى حمى ذاك القوام سميه الخطار
يبدي الدموع كانهن عوارف لابن الملك شيركوه غزار
من آل شاذي المشيدين بنا العلى اركانهم لهم دعم وشفار
حسنت بهم للدوله الايام والاعمال والاحوال والاثار
قد حاز ملك الشام يوسف الذي في مصر يغبط عصره الامصار
نصر الهدى فتوطد الاسلام في ايامه وتضعضع الكفار
لما لقيت جموعهم منظومه صيرت ذاك النظم وهو نثار
في حالتي جود وباس لم يزل للتبر والاعدا منك تبار
تهب الالوف ولا تهاب الوفهم هان العدو عليك والدينار
لما جرى العاصي هنالك طايعا بدمايهم نجرت به الانهار
وتحطمت عند القرون قرونهم بل كلت الانياب والاظفار
عبروا المعره ما لكن معره والعار يملك ثارة وبعار
اوما كفاهم يوم حمص وكفهم في بعلبك بمثلها الانذار
قال وهنات الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه
ابن ايوب بقصيده منها
لا تنفس من فرق الفراق الادمعا فهي الشهود على الغرام المدعا
واستبق صبرك ما استطعت فانه عون لقلبك ان اهاب ثنا معا
قلبي لصابته العيون ولم يزل من شهابها الهاجسات مروعا

ومن الحين اتى القصر به طغيه حتى وبان عنه الاخلعا
اوما انتضى جرعهم بسره وفيه تقي الدين ذاك الاروعا
حصن [illegible] ودان يعتصم بالاكرم زين عليه ان تضعضعا
ذو جيش اذا ما حفلنا منهم باعضا الوف [illegible]
للعصا لاعلا بالعصا حتى طغا عليهم بجيش لا يسعونه [illegible]

لما اقصد عليه عمدهم ووالى عنهم عدودها وودعا
اصحب اذا سعهم اللاوي صبري حتى عن الفراد [illegible]
من زينا هضبتنا من هوى [illegible] على الالا مصحبا
من عتوع عروز حشا تقي الحلي يبيض صعا
اخوال بان لك العلى من الخلوة [illegible]

وقال ابن ابي طي لما تسلم السلطان بعلبك وازاح عللها عاد الى حمص ونزل بها فاتصل
به وصول عز الدين مسعود اخي سيف الدين صاحب الموصل نجدة للملك الصالح وكان
سبب وروده ان جماعة من امرا حلب لما كان السلطان نازلا على حلب اجمعوا اراهم
وكاتبوا سيف الدين والزموه نجدة ابن عمه واخبروه ان السلطان متى ملك حلب لم
يكن له قصد الا الموصل وارسلوا بذلك امين الدين هاشما خطيب حلب وقطب الدين
ينال بن حسان وغرس الدين قليج وكان سيف الدين منازلا لسنجار وفيها اخوه عماد الدين
زنكي وكان عماد الدين قد اظهر الانتما الى السلطان فانجده السلطان بقطعة من جيشه
فكسرهم ونهبهم عماد الدين بهم وبعسكره فلما وصلت رسالة الحلبيين الى سيف
الدين صالح اخاه عماد الدين وحشد عسكره وانفذهم مع اخيه عز الدين مسعود فورد
حلب بعد رحيل السلطان عنها الى بعلبك فاغتنم الحلبيون بعد السلطان عنهم فاحتشدوا
وخرجوا جميعا حتى خيموا على حماه واخذوا في حصارها واتصل بالسلطان ذلك فرحل
من بعلبك الى حمص وبلغ عز الدين فعاد عن حماه ونزل قريبا من جباب التركمان الى جهة
العاصي الى قريب من شيزر وراسل النايب بحماه علي بن ابي الفوارس يقول له انما وصلت في
اصلاح الحال ووضع اوزار القتال وساله مكاتبة السلطان فيما يجمع الكلمة ويلم شعث الفرقة
فكتب ابن ابي الفوارس بذلك الى السلطان وحسن له الصلح وتلطف في ذلك غاية التلطف
وقدم ابو صالح بن العجمي وسعد الدين كمشتكين لطلب الصلح فاجابهما السلطان الى ما
ارادوا وتقرر الامر على انه يرد اليهم جميع الحصون والبلاد ويقنع بدمشق وحدها ويكون
نايبا للملك الصالح فلما عاين سعد الدين اجابة السلطان الى الصلح والنزول عن جميع الحصون
التي اخذها حمص وحماه وبعلبك طمع في جانب السلطان وتجاوز الحد في الاقتراح وطلب الرحبة
واعمالها فقال هي لابن عمي ولا سبيل الى اخذها فقام سعد الدين من بين يديه نافرا وكان ذلك
براي ابي صالح بن العجمي لانه كان معه فاجتهد السلطان به ان يرجع فلم يفعل وخرج الى
عز الدين مسعود وكان بعد نازلا على حماه وحدثه ما دار بينه وبين السلطان وهون عليه
ابو صالح امر السلطان واخبره بقلة من معه وكان السلطان لما كوتب في امر الصلح سار

في خف

في خف من اصحابه فلما علموا بذلك طمعوا في جانبه وعولوا على لقايه وانتهاز الفرصة في
امره فكاتب باقي اصحابه واستعد لحربهم وسار الى ان نزل على قرون حماه واخذ في
مدافعة الايام حتى يقدم عليه باقي عسكره وراسلهم في التلطف للاحوال فلم ينجع فيهم
حال وكانوا في كل يوم يعزمون على لقايه وقتاله فيبطل عزيمتهم بمراسلة يفعلها
تسويفا للاوقات وتقطيعا للزمان حتى يقدم عليه عسكره وكانت هيبته قد ملات
صدور القوم ولولا ذلك لكانوا قد ناهزوا الفرصة ونالوا منه الغرض قال وفي
يوم الاحد تاسع عشر رمضان التقوا ولم يكن بعد وصل للسلطان من عسكره احد فتجمع
اصحاب السلطان كردوسا واحدا واخذوا يحملون يمنة ويسرة ويدافعون الاوقات رجا
ان يتصل بهم بعض العسكر وضرى عسكر حلب والعسكر الموصلي على اصحاب السلطان
حين شاهدوا قلتهم واجتماعهم وكاد اصحاب السلطان يولون الادبار فوصل تقي الدين
عمر عند الحاجة اليه لتمام السعادة للسلطان فانه لو تاخر ساعة انكسر عسكره فوصل
تقي الدين في عسكر مصر وجماعة من الامرا وهم غير عالمين بالحرب وقيامها فلما راوا الناس
في الكر والضرب الهبر حملوا جميعا بعد ان افترقوا في الميمنة والميسرة فصدموا عسكر
الموصل صدمة ضعضعتهم وكان السلطان في هذه المدة قد كاتب جماعة من عسكرهم
واستفسدهم اليه وحمل اليهم الاموال وهذا هو الذي بطا بهم الى ان وصلت عساكره والا لو
كان عسكر حلب نصح لم يقدر السلطان على الثبوت ساعة فلما اشتد القتال لم تنصح الجماعة
التي كاتبها السلطان بل كانوا مثبطين مخوفين لمن قرب منهم ثم انهم بعد ذلك انهزموا وتبعهم
عسكر السلطان واستباحوا اموالهم وخيامهم وامر السلطان اصحابه ان لا يوغلوا في طلبهم
ولا يقتلوا من راوه منهزما ولا بد فوقفوا على جريح ورحل حتى نزل في منزلتهم ثم سار من وقته مجدا
حتى نزل مرج قراحصار ولم يزل هناك حتى عيد عيد الفطر فجاته رسل الملك الصالح يسالونه
المهادنة وان يقر الملك الصالح على ما في يده وما هو جار تحت حكمه من الشام الاسفل الى بلد
حماه فلم يرض بذلك فجعلوا له مع حماه المعرة وكفر طاب فرضي بذلك وحلف على نسخة رانها
وعليها خطه قال وكان في جملة اليمين انه متى قصد الملك الصالح عدو حضر بنفسه وجيوشه

ودافع عنه وان لا يعبر الى عاله من جميع منابر البلاد التي تحت يد السلطان وولايته
وولاية اصحابه وان تكون السكه باسمه ولما حلف السلطان والملك الصالح وامراوه
عاد السلطان قاصدا دمشق فلما وصل الى حماه وصلت اليه رسل الخليفه المستضي ومعهم
التشريفات الجليله والاعلام السود وتوقيع الديوان بالسلطنه ببلاد مصر والشام وفي
هذه الخلع يقول ابن سعدان الحلبي

يا ايها الملك العزيز بفضله لقد غدوت بالعلى مليا
لك امير المومنين شرفا انك اصبحت له وليا
طارحك الود على شحط النوى فكنت ذاك الصادق الوفيا
اولاك من لباسه زخرفه لم يولها قبلك ادميا
ناسبت الروض سنا وبهجة حتى حكته رونقا وريا

ثم رحل السلطان عن حماه الى بعرين وكان فخر الدين مسعود بن الزعفراني من اكابر الامرا النوريه قد وفد على السلطان لما وصل الى الشام

عليه وخدمه وظن ان السلطان يقدمه على عساكره فلم يلتفت اليه فترك السلطان وعاد الى
حصن بعرين فاغضب السلطان ذلك وسار اليه وحاصره حتى تسلم حصنه قال العماد
نزل السلطان على حصار بنيه الحصار فجات رسلهم بالانقياد واجابوا الى المراد وقالوا
اقنعوا بما اخذتموه الى حماه ولا تشمتوا بنا العداه فاستزدنا عليهم كفرطاب والمعره واستوفينا
عليهم الايمان المستقره وسالم في المعتقلين اخو مجد الدين فاجابوا وافرجوا عنهم وتم الصلح
وعم النجح ورحلنا ظاهرين ظافرين ونزلنا حماه يوم الاثنين ثاني عشر شوال وبها وصلت اليه
رسل الديوان العزيز بالتشريفات والتقليد بما اراده من الولايات وافاضوا على السلطان
واقاربه الخلع وخص ناصر الدين محمد بن شيركوه بمزيد تفضيل على اقارب السلطان وكانت
رعاية لحق والده اسد الدين رحمه الله ثم تسلم السلطان حصن بعرين وكان بيد الامير فخر الدين
مسعود بن الزعفراني وهو من اكابر امرا نور الدين وذلك في اواخر شوال واقطع مدينة حماه
لابن خاله شهاب الدين محمود واتم بحمص علي بن عمه ناصر الدين قال العماد
واذكر انا عبرنا نهر العاصي عايدين وقد انكسفت الشمس وادلهم النهار وغلب على القلوب
الاستشعار وطاحت الانوار وخفيت الرسوم وظهرت النجوم وجينا حمص ثم بعلبك ثم

البقاع

البقاع ووصلنا دمشق في ذي القعده **فصل** قال العماد قد سبق ذكرنا قرب حسادي
في خاطر السلطان وقالوا اشغله الكتابه وهي منصب الاجل الفاضل وهو يستنيب
فيه من راه من الافاضل وهذا تصرفه برفد جزيل ووجه جميل والسلطان مع شدة رغبته
متوقف والى ظهور وجه النجاح في امري متشوف وكنت قد انست مدة مقامي بالعسكر
ببني الجد والفخر ومورد الكرم والمصدر الامير نجم الدين بن مصال وهو ذو فضل وافضال
وقبول واقبال وله من السلطان ومن الفاضل الجلاله قدر اجلال وقد مال الى فضله ونباهته
ونبله وكان ابوه قد وزر للحافظ في اخر عمره منفردا بسودده ومجده وكان من اهل السنه
والجماعه والتقى والورع والعفاف والطاعه وله يد عند السلطان في النوب التي قصدوا
فيها مصر واجزل عنده الاحسان والبر لاسيما عند كونه بالاسكندريه محصورا وكان
احسانه مشكورا واعتناه بحفظه مشهورا فلما ملك اجته واختار قربه فلزمت اليه التودد
وجعلته الوسيط بيني وبين الاجل الفاضل واتخذته من النجح والوسايل ووقفت خاطري على
تقاضيه نظما ونثرا ورسالة وشعرا فمن ذلك ما كتبته اليه

لعل نجم الدين ذو الفضل يذكر الفاضل في شغلي
ان اجل الناس قدرا فتى بفضله يتعب من اجلي
ومثله من يعتني بالعلى ويستديم الحمد من مثلي

[illegible]

قال واول ما اهديته للفاضل مدحة حين لقيته بحمص في شعبان منها

عاينت طود سكينه ورايت شمس فضيله ووردت بحر فواضل
ورايت سحبان البلاغه ساحبا ببيانه ذيل الفخار لوايل
ابصرت قسا في الفصاحة معجزا فعرفت اني في فهاهه باقل
حلف الحصافه والفصاحه والسماحه والحماسه والتقى والنايل
بحر من الفضل العزيز خضمه طامي العباب وما له من ساحل
جميع ما في الارض يشبعه الجود وبحوره تنشى بعشر انامل
في كفه قلم يعجل جريه ما كان من اجل ورزق اجل

[illegible]

يا واحد العصر الذي بذّ الورى فضلاً بغير مشابه ومشاكل
مالي وجاه الجاهلين فانني عنهم كفيتهم وجد بالجاه لي
ارجوك معتنياً لدى السلطان في كرم فمثلك يعتني باماثلي
قرر لي الشغل الجميل مخلياً بالي من الهم المقيم الشاغل

قال من فصل للعماد الى الفاضل [illegible] السلطان وعنى بها [illegible] لا غيب [illegible] الى [illegible]

شغف وغدا مكاتبك ملوك الاعاجم ولا تستغني في الملك عن عقد الملطفات وحل التراجم
والعماد يعني بذلك ولاة الاختيار وقد عرف في الدولة النورية مقداره واختل خط السلطان
بما قرر لي من شغلي وقد عرف ان الاجل الفاضل قد اجل فضلي قال وخدمت امير المومنين
المستضيء بالله في ذي القعدة مع الرسل بهذه القصيدة

اصح عقود الغانيات مريضها وامتن الحاظ الحسان غضيضها
ومن عجب ضلت لقبلة باسهم دروس اعادٍ من ظباهم محيضها

قال العماد وظهر
في مشغرا وهي من قرى دمشق رجل ادعى النبوة وكان من اهل المغرب واظهر من التخاييل
والتمويهات ما فتن به الناس واتبعه عالم عظيم من الفلاحين واهل السواد وعصى على اهل دمشق
ثم هرب من مشغرا في الليل وصار الى بلد حلب وعاد الى افساد عقول الفلاحين بما يريهم من
الشعبذة والتخاييل وهوى امرأة وعلمها ذلك وادعت ايضا النبوة قال وفيها توفي شهاب
الدين الياس الارتقي صاحب البيرة واوصى الى الملك الناصر صلاح الدين بولده شهاب الدين محمد

ثم دخلت سنة احدى وسبعين قال العماد والسلطان نازل بمرج الصفر
من دمشق فجاء رسول الفرنج يطلب الهدنة فاجابهم السلطان بعد ان اشترط عليهم امورا فالتزموها
وكان الشام في ذلك العام جدبا فاذن السلطان للعساكر المصرية في الرحيل الى بلادهم واذا
استغلوها خرجوا اليه وسار معهم الفاضل واعتمد على العماد فيما كان بصدده وواظب السلطان
على الجلوس في دار العدل وعلى الصيد ومدحه العماد بقصيدة منها

سواك لسهم العلى لن يريشا فسل رب العلى ان تعيشا
من الناس بالبر صدت الكرام وبالباس في البر صدت الوحوشا
وكم شيء من مصر نحو العريش فهدمت للمشركين العروشا

قال ابن ابي طي [illegible] العماد [illegible] العادل [illegible]

قال ومدحت مستهل ربيع الاول نجم الدين بقصيدة موسومة وكان قد فوض اليه ولاية دمشق
ومنها بيتان ابتكرت المعنى فيهما ولم اسبق اليهما وهما

يفيد العاقل اليقظ التغابي لبدر الى الغنى حظ الغبي
ولم تصب السهام على العدا الا بها لولا اعوجاج في القسي
فقل للدهر يقصر عن عنادي لما هو يتقي باس التقي

قلت [illegible] العماد [illegible]

قال وفي اول هذه السنة وصل الى دمشق الجماعة الذين خرجوا من بغداد موافقة قطب
الدين قايماز فاخذوا لانفسهم بالالتجا الى السلطان والاحتراز وكان قايماز هذا محكما
في الدولة الامامية من اول الايام المستنجدية وقوي في الايام المستضيئية على وزير الخليفة
عضد الدين بن رييس الروسا وسامه انواع البلاء واخافه واراد اتلافه حتى استعاذ منه
برباط صدر الدين شيخ الشيوخ فسلم به ثم ان قايماز خالف الخليفة وشق العصا وعزم له
حصار الدار فامر الخليفة بالقبض عليه فلم ينج لما احيط بداره الا بفتح باب في جداره وانهزم
فوصل الى الحلة في اوايل ذي القعدة سنة سبعين وهو في موسم الحج فجمع رجاله وتوجه الى
الموصل وخانه اخوانه وخذله اصحابه فتوفي في بعض قرى الموصل وتفرق اصحابه في البلاد
فمنهم من رجع الى بغداد ومنهم من الى الشام منهم حسام الدين تميرك وعز الدين اقبوري ابن
ازعش وكان ظهير السلطان قديما وعنده كريما فاقطعه في الديار المصرية وكتب في حقه الى
الديوان شفاعة في تخليص ماله واستقامة حاله وكان ذا خزاين مملوة وخيل موسومة فلم
يكن ذنبه عندهم في متابعة قايماز ما يقبل الصفح وكان اقبوري زوج اخت السلطان والسلطان
خال بنته وهي زوجة عز الدين فرخشاه بن اخي السلطان قلت وفي بعض الكتب عن السلطان
الى وزير بغداد بالمثال الفاضلي وما يحسب انا نعم الموالاة المشتهرة والنصرة المستظهرة
والمساعي التي كانت لثارات هذه الدولة بالغة ولاعدايهم دامغة ولمنازعيهم الامر قاصمة
ولجاذبيهم الحق واتمة وبحقوق الله تعالى الواجبة لهم قايمة وكونا ما اعتمنا نجده من رجال
ولامادة من مال ولا باعانة بحال من الاحوال يرد سوا الناس الدولة اعلاها الله في ذي قربي ولا
نستطيع دفعه ولا يتصل اسباب النفع اذا اردنا نفعه فلا اخبار عندنا واسعة والاعواض لدينا

غير متعذر والولايات التي نفوضها اليه عن كفايته غير مستغنيه ولكنه ما باع
بمكانه من الخدمه مكانا الا اثر غير سلطانه سلطانا وله اعذار لا باس ان نعبر فيها
لسانا وبيانا ثم ذكرها ثم قال وهذا الامير جزمنا فكيف يعد جزمنا عاصيا وبالسنتنا
وسيوفنا يدعى الخلق الى الطاعه وكيف يخلو دار الخلافه من واحد من اهلنا ينوب عنا
وعن بقيه الجماعه فنحن في انفسنا نشفع وعن جاهنا ندفع وفي مكاننا نسال ويحظنا الذي
لا نسمح به للاسلام نبخل وانت ايها الامير السائر ثالث رسول نبعث في امر هذا الامير والله
ولي التدبير وقال العماد في الخريده كنت جالسا بين يدي الملك الناصر صلاح الدين
بدمشق في دار العدل انفذ ما يامر به من الشغل فحضر سعاده الاعمى من اهل حمص وكان
مملوكا لبعض الدمشقيين مولدا ويكتب على قصايده سعيد بن عبد الله فوقف ينشد هذه
القصيده في عاشر شعبان سنه احدى وسبعين ○
جنيك اعطاف القدود بنانها لما انثنت تيها على كثبانها
ثم ذكر القصيده وغزلها في وصف دمشق ثم قال
سلطانها الملك بن ايوب الذي كفاه لا ينكف عن هطلانها
بمواهب لو لم اكن نوحا لما نجيت يوم نداه من طو فانها
سمح يروح الى الندى بزاحة قد اعشب المعروف بين بنانها
وفتى اذا زخرت بحار نواله غرقت بحار الارض في خلجانها
تلك السيوف المرهفات بكفه امضى على الايام من حدثانها
ملك اذا جليت عرايس ملكه رصعت فريد العدل في تيجانها
فاسلم صلاح الدين وابق لدوله ذلت لدولتها رقاب زمانها
وانهض الى فتح السواحل نهضة قادت لك الاعدا بعد حرانها
قال وكان سعاده سافر الى مصر في اول مملكه الملك الناصر فمدحه بقصيده طائيه
فاعطاه الف دينار فمنها يصف غارته على غزه وعوده من ذلك الغزو بالعز ○
فتى مذ غزى بالخيل والرجل غزه نائ عن نواحيها الرضى ودنا السخط

رماها باسد ما لهن مرابض ولا اجم الا الذي تنبت الخط
وعاث ضواحيها ضحى بكتايب من الترك لا نوب طغام ولا قبط ○ وله في السلطان
قصايد اخر قال وقام البها السنجاري وانشد الملك الناصر قصيده في دار العدل
بدمشق سنه احدى وسبعين في شعبان منها

فصل

يا ظبيه الهرمين من مصر على الربع السلام ان تقوض او عفا
اصبوا الى عصر تقادم عهده فازيد من وله عليه تلهفا
احبابنا بالقصر لو قصرتم في الهجر ما شمت الحسود ولا اشتفا
اشكوا الى الوادي فيحنوا بانه من رقه الشكوى علي تعطفا
وجرى في الامل الطموح فامنى سلطان ارض الله طرا يوسفا
الناهب الارواح في طلب العلى والواهب الاجال في حسن الوفا
غير طريق الحزم فحملوهم على النقض والنكث وانفذوا من اخذ عليهم المواثيق وتوجه ذلك
الرسول منهم الى دمشق لياخذ للمواصله من السلطان عهده ويكشف ايضا ما عنده فلما خلا به
طالبه السلطان بنسخه الراي فغلط واخرج من كمه نسخه يمين الحلبيين لهم وناولها اياه
فتاملها واخفى سره وما ابداه واطلع على ما اتفقوا عليه ورد ها اليه وقال العلها قد تبدلت
فعرف الرسول انه قد غلط ولم يمكنه تلافي ما فرط وقال السلطان كيف حلف الحلبيون
للمواصله ومن شرط ايمانهم انهم لا يعتمدون امرا الا بمراجعتهم لنا واستبدانهم وعرف
من ذلك اليوم ان العهد منقوض والوفا مرفوض وشاع الخبر عن المواصله بالخروج في الربيع
فكتب السلطان الى اخيه العادل وهو نايبه بمصر يعلمه بذلك ويامره ان يامر العساكر
بالاستعداد للخروج في شعبان قلت وفي كتاب طويل فاضلي جليل الى بغداد عن السلطان
يطالع بان الحلبيين والموصليين لما وضعوا السلاح وخفضوا الجناح اقتصرنا بعد ان كانت
البلاد في ايدينا على استخدام عسكر الحلبيين في البيكارات الى الكفر وعرضنا عليهم
الامانه فحملوها والايمان فبذلوها وسار رسولنا وحلف صاحب الموصل بحضره من فقهايه وامرايه
مشهده يمينا جعل الله فيها حكما وضيق في نكثها المجال على من كان حنيفا مسلما وعاد رسوله ليسمع

منا اليمين فلما حضر واحضر نسختها اومى بيده ليخرجها فاخرج نسخة يمين كانت بين المواصليين
والحلبيين مضمونها الاتفاق على حربنا والتداعي الى حربنا والتساعد على ازالة خطبنا والا
ستنفار لمن هو على بعدنا وقربنا وقد حلف بها كمشتكين الخادم بحلب وجماعة معه بيننا
نقضت الاولى فرددنا اليمين الى يمين الرسول وقلنا هذه يمين عن الايمان خارجة واردت عمدا
واراد الله خارجة وانصرف الرسول عن بابنا وقد برهنا الله ان يكون اسمه معرضا للحنث العظيم
والنكث الذميم وعلمنا ان الناقد بصير والاخذ قدير والمواقف الشريفة النبوية اعلاها
الله مستخرجة الاوامر الى الموصل اما بكتاب موكد بان لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه واما
ان تكون الفسحة واقعة لنا في تضييق خناقه ثم ذكر امر الفرنج ثم قال والملوك بين عدو واسلام
يشاركونه في هذا الاسم لفظا ولا يتنون لما استحفظوا حفظا وعدو كفر فما يجاوزهم الا بلادة
ولا ينفك عنهم الا اجناده ثم طلب خروج الامر بخطاب جميع ملوك الاطراف ان يكونوا للملوك
على المشركين اعوانا وان يمتثل امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ان يكونوا بنيانا فيعضده اذا
شعي ويلبوه اذا دعي ولا يقعدوا عن المعاضدة في فتح البيت المقدس الذي طابت النفوس عن ثاره
وطاطات الروس تحت عاره وصادت القلوب صخرة لا ترق على صخرته والعزايم قاصية عن تطهير
اقصاه من رجس الشرك ومعرته فان قعدت بهم العزايم واخذتهم في الله لومة لايم فلا اقل من
ان لا يكونوا اعوانا عليه بلقنوته عن قصد حربين على اتصال المكروه اليه قال
ابن شداد لما وقعت الوقعة الاولى مع الحلبيين والمواصلة كان سيف الدين صاحب الموصل على
سنجار يحاصر اخاه عماد الدين يقصد اخذها منه ودخوله في طاعته وكان اخوه قد اظهر الانتما
الى السلطان صلاح الدين واعتصم بذلك واشتد سيف الدين في حصار المكان وضربه بالمنجنيق
حتى استهدم من سوره ثلم كثيرة واشرف على الاخذ فبلغه وقوع هذه الواقعة فخاف ان يبلغ
ذلك اخاه فيشتد امره ويقوى جاشه فراسله في الصلح فصالحه ثم سار من وقته الى نصيبين
واهتم بجمع العساكر والانفاق فيها وسار حتى اتى الفرات وعبر بالبيرة وخيم على جانب الفرات
الشامي وراسل كمشتكين والملك الصالح حتى تستقر قاعدة يصل عليها اليهم فوصل كمشتكين
اليه وجرت مراجعات كثيرة عزم فيها على العود مرارا حتى استقر اجتماعه بالملك الصالح وسحوا

به وسار ووصل حلب وخرج الصالح الى لقايه بنفسه فالتقاه قريب القلعة واعتنقه
وضمه اليه وبكا ثم امره بالعود الى القلعة فعاد اليها وسار حتى نزل بعين المباركة واقام بها
مدة وعسكر حلب يخرج الى خدمته في كل يوم وصعد القلعة جريدة واكل فيها خبزا ونزل
وسار راحلا الى تل السلطان ومعه جمع كبير واهل ديار بكر والسلطان رحمه الله قد انفذ
في طلب العساكر من مصر وهو يرقب وصولها وهولاء يتاخرون في امورهم وتدابيرهم وهم لا
يشعرون ان التاخير تدبيرا حتى وصل عسكر مصر فسار رحمه الله حتى اتى قرون حماه
فبلغهم انه قد قارب عسكرهم فاخرجوا اليزك ووجهوا من كشف الاخبار فوجده وقد وصل
جريدة الى جباب التركمان وتفرق عسكره يستقي فلو اراد الله نصرتهم لقصدوه في تلك الساعة
لكن صبروا عليه حتى سقى خيله هو وعسكره واجتمعوا وتعبوا تعبية القتال واصبح
القوم على مصاف وذلك بكرة الخميس العاشر من شوال فالتقى العسكران وتصادما وجرى
قتال عظيم وانكسرت ميسرة السلطان بابن زين الدين مظفر الدين فانه كان في ميمنة سيف الدين
وحمل السلطان بنفسه فانكسر القوم واسر منهم جمعا عظيما من كبار الامرا منهم الامير فخر الدين
عبد المسيح فمن عليهم واطلقهم وعاد سيف الدين الى حلب فاخذ منها خزانته وسار حتى عبر الفرات
وعاد الى بلاده وامسك هو رحمه الله عن تتبع العسكر ونزل في بقية ذلك اليوم في خيم القوم
فانهم كانوا قد ابقوا الثقل على ما كان عليه والمطابخ قد عملت ففرق الاصطبلات ووهب
الخزاين واعطى خيمة سيف الدين عز الدين فرخشاه وقال العماد رحلنا في شهر رمضان
من دمشق سنة اثنين فعبرنا العاصي لله طايعين والى المسار مسارعين فما عرجنا على بلد ولا
انتظرنا ما وراءنا من مدد ونزلنا الغسولة وجزنا حماه وخيمنا في مرج بو قبيس وجا الخبر انهم
في عشرين الف فارس سوى سوادهم وما وراهم من امدادهم وانهم موعودون الفرنج لهم بالنجدة
وانهم يزيدون في كل يوم قوة وشدة وما كان اجتمع من عسكرنا سوى الف فارس فرتب السلطان
عسكره وقوى بقوته قلبه قلبه وامده الله بحزب ملايكته حزبه ولما وصل المواصلة الى حلب اطلقوا
من كان في الاسر من ملوك الفرنج منهم ارناط ابرنس الكرك وجوسلين خال الملك وقرروا معهم ان
يدخلوا من مساعدتهم في الدرك فلما عدنا وصل الى السلطان الخبر بوصولهم الى تل السلطان فعبرنا

العاصي عند شيزر ودربنا العسكر واعدنا الاثقال الى حماه ثم وصف الوقعه الى ان قال
وركب السلطان اكتافهم فقتل منهم والاسر حتى اخرجهم من خيامهم واستاقهم بما بهم ووكل
بسرادق سيف الدين غازي ومضاربه ابن اخيه فرخشاه وركن وراه حتى علم انه تعداه ووقع
في الاسر جماعه من الامرا المقدمين فمن عليهم بالخلع بعد ان نقلهم الى حماه واطلقهم ثم نزل في
السرادق السيفي فتسلمه بخزاينه ومحاسنه واصطبلاته ومطابخه ورواسي عزه ورواسخه
فبسط في جميع ذلك الايدي الجود وفرقها على الحضور والشهود وابقى منها نصيبا للرسل والوفود
وراى في بيت الشراب بل في السرادق الخاص طيورا من القماري والبلابل والهزار والببغا في الاقفاص
فاستدعى احد الندما مظفر الاوزج فانسه وقال خذ هذه الاقفاص واطلب بها الخلاص واذهب
بها الى سيف الدين فاوصلها اليه وسلم منا عليه وقل له عد الى اللعب بهذه الطيور فهي سليمه
لا توقعك في مثل هذا المحذور ثم قال ولما كثر القوم ولو امد بمن في حلب فلم يقف بعضهم على
بعض وظنوا ان العساكر وراهم ركضا وراكضين فتبعجت جنوبهم وتموجت سيولهم وما صدقوا كيف
يصلون الى حلب ويغلقون ابوابها ويمسكون اضطرابها واما سيف الدين فانه ركن في يومه
من تل السلطان الى براعه وجاوز في سوقه الاستطاعه وفرق وفارق الجماعه وفي كتاب ابن
طي ان ميسره سيف الدين انكسرت فحرك اليها الجاليش ليكون [illegible] فظن باقي العسكر انه
قد انهزم فانهزموا واخفقوا ما كان وهما فساروا على وجهه لا يلوي على شي وتبعهم السلطان فهلك منهم جماعه
قتلا وغرقا واسر جماعه كثيره من وجوههم وامرايهم ثم رجع وامر اصحابه برفع السيف عن الناس وترك
التعرض لمن وجد منهم بقتل او نهب وفرق ما وجد في خزاين سيف الدين وسير جواريه وحظاياه
الى حلب وارسل اليه بالاقفاص وقال له عد الى اللعب بهذه الطيور فانها الذ من مقاساة الحرب ووجد
السلطان عسكر الموصل كالحانه من كثره الخمور والبرابط والعيدان والجنوك والمغنيين والمغنيات
قال والمشهور انه كان مع سيف الدين اكثر من مايه مغنيه وان السلطان ارى ذلك للعساكر واستعاذ
من هذه البليه وكان اكثر الامرا الذين اسرهم الى حماه ثم ردهم وخلع عليهم وارسلهم الى حلب وهنا
العماد السلطان بقصيده منها
فالحمد لله الذي [illegible] الجنا [illegible] السنا واضحه [illegible]

وجنا عليه جهله بوقوعه في قبضه البازي فهيض جناحه
حمل السلاح الى القتال وما دري ان الذي يجني عليه سلاحه
اضحى يريد مواصلبه صدوده وغدا الجيد دشاه مراحه
ان افسد الدين العلاه بحنتهم فالناصر الملك الصلاح صلاحه
قد كان عزمك للاله مصمما فيهم فلاح كما رايت فلاحه
وكانني بالساحل الاقصى وقد ساحت بحر دم الفرنجه ساحه
فاعبر الى القوم الغرات ليشربوا الموت الاجاج فقد طمى طفاحه
لتفك من ايديهم رهن الرها عجلا وبيدك ليلها اصباحه
وابغوا الحران الخلاص فكم بها حران قلب نحوكم ملتاحه
نحوا البلاد من البلاد بعد لكم فالظلم بادي في الجميع صراحه
واستفتحوا ما كان من مستغلق فيها فربكم لكم فتاحه
انتم رجال الدهر بل فرسانه ولدى الحلوم الطايشات رجاحه
فتاكه نساكه ضراره نفاعة مناعة مناحه
وابو المظفر يوسف مطعامه مطعانه مقدامه مجاحه
واذا ابتدى في محفل تحييه واذا في جحفل فوقا حه
قال وكان لعز الدين فرخشاه في هذه الوقعه يد بيضا
وهو محب للفضل واهله باعث للخواطر على مدحه ببذله
فنظمت فيه قصيده منها
نصر انار الملك برهانه وعلا لذلك شانكم شانه
ما اسعد الايام وهو مظفر وابو المظفر يوسف سلطانه
الملك مرفوع لكم مقداره والعدل موضوع بكم ميزانه
والدهر لا ياتي بغير مرادكم فهل القضا لاجلكم جريانه
وكانما الله في احكامه ملك على ايثاركم دورانه
يكفي حسودكم اعتقا لاهمه فكانما اشجانه اشجانه
قد كان جيشهم كبحر زاخر واللابسون جواشنا حيتانه
فضل الملوك الاكرمين بفضله فعلا زمانهم البهيج زمانه
هو في السماح وفي اللقا عليه وهو في العفاف وفي التقى سلمانه
فخرا بني ايوب ان فخاركم بذ الملوك السابقين رهانه
الدين عز الدين عز بنصركم والكفر ذل بعونكم اعوانه
فطا الملكهم عليهم بحركم باسا وغرق فلكهم طوفانه
في فضله في عدله في حلمه صديقه فاروقه عثمانه

بيت من العليا سامٍ سامقٍ بني على كيوانها ايوانه
يا سالب التيجان من اربابها ومن الثنا مصوغة تيجانه
والحمد مال انتم بذاله والمال حمد انتم خزانه

[illegible] (في الحاشية)

الابواب وسقط في ايديهم حين افرطوا في تعديهم وتهيؤا للحصار وخافوا من البوادر وتبلدوا وتلددوا وتجادلوا ثم تجلدوا وقال ابن سعدان الحلبي من جملة قصيدة يهني بها السلطان بهذه الكسرة ○

وما ساك قوم حين قمت عليهم غداة التقى الجمعان انك غالب
ولو لم تفد تلك المقانب لاغتدى لنفسك في نفس العدو مقانب

قال ابن ابي طي واما سيف الدين فانه امتدت به الهزيمة الى بزاعا فاقام بها حتى تلاحق به من سلم من اصحابه ثم خرج منها حتى قطع الفرات وصار الى الموصل وصار باقي عسكر حلب الى حلب في سابع شوال في اقبح حال واسوء عراة حفاة فقراء يتلاومون على نقض الايمان والعهود وخاف اهل حلب من قصد السلطان لهم فاخذوا في الاستعداد للحصار وجا السلطان وخيم عليها اياما ثم قال الراي ان نقصد ما حولها من الحصون والمعاقل والقلاع فنفتتحها فانا اذا فعلنا ذلك ضعفت حلب وهان امرها فصوبوا رايه فنزلوا على بزاعا فتسلمها بالامان وولاها عز الدين خشترين الكردي ○ **فصل** في فتح جملة من البلاد حوالي حلب

قال العماد ثم نزل السلطان على حصن بزاعه وتسلمه في الثاني والعشرين من شوال ثم فتح منبج في التاسع والعشرين منه وكان فيها الامير قطب الدين ينال بن حسان والسلطان لا يناله احسان بل كان في جر عسكر الموصل اليه اقوى سبب ولا يمانعه ولا يحفظ معه شرط ادب ويواجهه بما يكره فتسلم القلعة بما فيها وقوم ما كان تسلمه بثلثمايه الف دينار منها عين ونقود ومصوغ ومطبوع ومصنوع ومنسوج وغلات وسامه على ان يخدم فابى وانف وكبرت نفسه فتعب سره وذهب ما جمعه ومضى الى صاحب الموصل فاقطعه الرقة فبقي فيها الى ان اخذها السلطان منه مرة ثانية في سنة ثمان وسبعين قال العماد ○

نزولك على منبج على الظفر المبهج ... وبحثك في المرتجا وفتحك للمرتج
دليل على كل ما تحاول او ترتجي ... امورك فيما تروم واضحة المنهج

وشانيك دامي الشؤون مبتك شقي شجي ... ومن كان في حصنه ومن قبل لم يخرج
يقال له ليس ذا بعشك قم فادرج ... فرايك يستنزل النجوم من الابرج
فعجل عبورا الفرات واسر وسر وادلج ... وعج نحو تلك البلاد وعن غيرها عرج
فحران والرقتان ثم البيا منبج ... وحل عن المسلمين ليلهم المدجي

قال ابن ابي طي لما ملك السلطان منبج وتسلم الحصن صعد اليه وجلس يستعرض اموال ابن حسان وذخايره فكان في جملة امواله ثلثمايه الف دينار ومن الفضة والانية الذهبية والاسلحة والذخاير ما يناهز الفي الف دينار فحان من السلطان التفاتة فراى على الاكياس والانية مكتوبا يوسف فسال عن هذا الاسم فقيل له ولد يحبه ويوثره اسمه يوسف كان يدخر هذه الاموال له فقال السلطان انا يوسف وقد اخذت ما خبي لي فتعجب الناس من ذلك قال ولما فرغ من منبج نزل على عزاز ونصب عليها عدة مجانيق وجد في القتال وبذل الاموال

قال العماد ثم نزل السلطان على حصن عزاز وقطع بين الحلبيين وبين الفرنج الجواز وهو حصن منيع رفيع فحاصره ثمانيه وثلثين يوما وكان السلطان قد اشفق على هذا الحصن من موافقة الحلبيين للفرنج فان الغيظ حملهم على مهادنة الفرنج واطلاق ملوكهم الذين نعب نور الدين رحمه الله في اسرهم فراى السلطان فراى السلطان ان يحتاط على المعاقل ويصونها صون العقايل فتسلمها حادي عشر ذي الحجة بعد مدة حصارها المذكوره وقال العماد قصيدة منها

اعطاه رب العالمين دولة عنه اهل الدين في اعزازها
حاز العلى بباسه وجوده وهو احق الخلق باحتيازها
بجله افنى كنوزا افنى الملوك في الجد على اكتنازها
مهلك اهل الشرك طرا ومها ارمنها افرنجها انجازها
تفاخر الاسلام من سلطانه تفاخر الفرس باسراودها
نهض من فتح عزاز نصره اوقعت العداه في اعتزازها
واليوم ذلت حلب فانها كانت تنال العز من عزازها
وحلب تشفي كمشتكينها كما انتفت بغداد من قيمازها

[illegible] (أبيات في الحاشية)

فركب اصحابنا في طلبهم فما ادركوا الا فارسا واحدا فامر السلطان بقطع يده بحكم جرده
فقلت للمامور وذلك بمسمع من السلطان تمهل ساعه لعله يقبل مني شفاعه ثم قلت هذا لا
يحل وقدرك بل دينك عن هذا يجل ومازلت اكرر عليه الحديث حتى تبسم وعادت عاطفته
ورحم وامر بحبسه وسرني سلامة نفسه ودخل ناصر الدين بن اسد الدين وقال ما هذا الفشل
والونا وان سكتم انتم فما اسكت انا ودمدم وزمجر وغضب وزاد وقال لم لا نقتل هذا
الرجل ولماذا اعتقل فوعظه السلطان واستعطفه وسكن غيظه وتعطفه وتلا عليه
ولا تزر وازرة وزر اخرى واطلق سراحه وتم في نجاته نجاحه **فصل** في وثوب
الحشيشيه على السلطان مرة ثانيه على عزاز وكانت الاولى على حلب قال العماد
وفي حادي عشر ذي القعده قفز الحشيشيه على السلطان ليلة الاحد وهو نازل على عزاز
وكان للامير جاولي الاسدي خيمه قريبه من المنجنيقات وكان السلطان يحضر فيها كل
يوم لمشاهدة الالات وترتيب المهمات وحض الرجال والحث على القتال وهو بارز
يشاديه قادرا على الدهر بكف عواديه والحشيشيه في زي الاجناد وقوف والرجال
عنده صفوف اذ قفز واحد منهم فضرب راسه بسكينه فعاقته صفايح الحديد المدفونه
في كمته عن تمكينه ولفحت المديه خده فخدشته فقوى السلطان قلبه وحاش راس الحشيشي
اليه وجذبه ووقع عليه وركبه وادركه سيف الدين يازكوج فاخذ حشاشة الحشيشي
وبضعه وقطعه وجا اخر فاعترضه الامير داود بن منكلان فمنعه وجرحه الحشيشي في
جنبه فمات بعد ايام وجا اخر فعانقه الامير علي بن ابي الفوارس وضمه من تحت ابطيه
وبقيت يد الحشيشي من ورايه لا يتمكن من الضرب ولا يتاتى له كشف ما عراه من الكرب
فنادى اقتلوني معه فقد قتلني واذهب قوتي واذهلني فطعنه ناصر الدين بن شيركوه بسيفه
وخرج اخر من الخيمه منهزما وعلى الفتك بمن يعارضه مقدما فثار عليه اهل السوق فقطعوه
واما السلطان فانه ركب وجا الى سرادقه وقد جرعه الحادث وفزعه الكارث وصوته جهوري
وزئيره قسوري ودم خده سايل وعطف ردعه مايل وطوق كزاغنده بتلك الضربه مفكوك
ونجم سلامته مسلوك وكان سلامته واقام القوم قيامته ومن بعد ذلك رعب ورهب

واحترز

واحترز واحتجب وضرب حول سرادقه على مثال خشب الخركاه تازيرا ووقفه تحجيرا وجلس
في بيت الخشب وبرز للناس كالمحتجب وما صرف الا من عرفه ومن لم يعرفه صرفه واذا ركب
وابصر من لا يعرفه في موكبه ابعده ثم سال عنه فان كان مستشفعا او مستسعدا اشفعه
واسعده ومن رابه ... فاصل الى العادل السلامه شامله والراحه بحمد الله للجسم الشريف
الناصري حاصله ولم ينله من الحشيشي الملعون الا خدش قطرت منه قطرات دم خفيفه انقطعت
لوقتها واندملت لساعتها والركوب على رسمه والحصار لاعزاز على حكمه وليس في الامر بحمد
الله ما يضيق صدرا ولا يشغل منه سرا وقال ابن ابي طي لما فتح السلطان حصن بزاعا ومنبج
ايقن من بحلب بخروج ما في ايديهم من المعاقل والقلاع فعادوا الى عادتهم في نصب الحبايل للسلطان
فكاتبوا سنانا صاحب الحشيشيه مرة ثانيه ورغبوه بالاموال والمواعيد وحملوه على انفاذ
من يفتك بالسلطان فارسل لعنه الله جماعه من اصحابه فجاوا بزي الاجناد ودخلوا بين المقاتله
وباشروا الحرب وابلوا فيها احسن البلا وامتزجوا باصحاب السلطان لعلهم يجدون فرصة
ينتهزونها فبينما السلطان يوما جالسا في خيمة جاولي والحرب قايمه والسلطان مشغول
بالنظر الى القتال اذ وثب عليه احد الحشيشيه وضربه بسكينه على راسه وكان
رحمه الله محترزا خايفا من الحشيشيه لا ينزع الزرديه عن بدنه ولا صفايح الحديد عن
راسه فلم تصنع ضربة الحشيشي شيا لمكان صفايح الحديد واحس الحشيشي بصفايح
الحديد على راس السلطان فسبح يده بالسكينه الى خد السلطان فجرحه وجرى الدم على
وجهه فتتعتع السلطان لذلك ولما راى السلطان ذلك هجم على الحشيشي وجذب راسه
ووضعه على الارض وركبه بنحره وكان من حول السلطان قد ادركتهم دهشه واخذت بعقولهم
وحضر في ذلك الوقت سيف الدين يازكوج قيل انه كان حاضرا فاخترط سيفه وضرب
الحشيشي فقتله وجا اخر من الحشيشيه ايضا يقصد السلطان فاعترضه الامير منكلان
الكردي وضربه بالسيف وسبق الحشيشي الى منكلان فجرحه في جبهته وقتله منكلان
ومات منكلان من ضربة الحشيشي بعد ايام وجا اخر من الباطنيه فحصل في سهم الامير
علي بن ابي الفوارس فهجم على الباطني ودخل الباطني فيه ليضربه فاخذه علي تحت ابطه وبقيت يد

الباطني من ورايه لا يتمكن من ضربه فصاح علي اقتلوه واقتلوني معه فجا ناصر الدين محمد
ابن شيركوه فطعن بطن الباطني بسيفه ومازال يخضخضه فيه حتى سقط ميتا ونجا ابن ابي حتى
الفوارس وخرج اخر من الحشيشيه منهزما فلقيه الامير شهاب الدين محمود خال السلطان
فتنكب الباطني عن طريق شهاب الدين فقصده اصحابه وقطعوه بالسيوف واما
السلطان فانه ركب من وقته الى سرادقه ودمه على خده سايل واخذ من ذلك الوقت في
الاحتراس والاحتراز وضرب حول سرادقه برجا من الخشب كان يجلس فيه وينام ولا يدخل
عليه الا من يعرفه وبطلت الحرب في ذلك اليوم وخاف الناس على السلطان واضطرب
العسكر وخاف الناس بعضهم من بعض فالجا الحال الى ركوب السلطان ليشاهده الناس
فركب حتى سكن العسكر وعاد الى خيمته واخذ في قتال عزاز فقاتلها مده ثمانيه وثلثين
يوما حتى عجز من كان فيها وسالوا الامان فتسلمها حادي عشر ذي الحجه وصعد اليها واصلح ما
تهدم منها ثم اقطعها لابن اخيه تقي الدين عمر وكانت عزاز اولا للجفينه غلام نور الدين فلما
ملك السلطان منبج اخذها منه الملك الصالح وقواها لعله يحفظها من الملك الناصر فلم يبلغ
ذلك ولما فرغ السلطان من امر عزاز حقد على من بحلب لما فعلوه من امر الحشيشيه فسار
حتى نزل على حلب خامس عشر ذي الحجه وضرب خيمته على راس الياروقيه فوق جبل جوشن
وجبى اموالها واقطع ضياعها وضيق على اهلها ولم يفسح لعسكره في مقاتلتها بل كان يمنع
ان يدخل اليها شي او يخرج منها احد وكان سعد الدين كمشتكين في حارم وكانت اقطاعه
في يد نوابه وكان انتزاعها من يد اولاد الدايه بعد ان عصى نايبها وكان سبب خروجه اليها ان
السلطان لما نزل على عزاز خاف كمشتكين ان ينتقل منها الى حارم فخرج اليها فلما نزل
السلطان على حلب ندم كمشتكين على كونه خارجا في حارم وخاف ان يجري بين السلطان
وبين الامرا الحلبيين صلح فلا يكون له فيه ذكر ولا اسم فراسل السلطان يتلطف معه الحال
ويقول لو فسح لي في الدخول الى حلب لسارعت في الخدمه واصلحت الامر على ما يرومه السلطان خارجا وقد بلغني
وراسل ايضا الملك الصالح والامرا بحلب يقول قد حصلت امور ولا بد من طلبي من الملك الناصر
لياذن لي في الصيروره اليكم فان الذي قد حصل عندي لا يمكنني الكلام فيه فراسل الملك الصالح

السلطان

السلطان في الاذن له في الدخول الى حلب فاذن له وطلبوا الرهاين منه فنفذ السلطان
اليهم رهينه شمس الدين بن ابي المضا الخطيب والعماد كاتب الانشا وانفذ وامن حلب رهينه
نصرة الدين بن زنكي وحكى العماد الكاتب لما حصلنا داخل حلب اخذنا براي العدل بن العجمي
وجعلنا في بيت ومنع منا غلماننا ولم يحضر لنا طعام ولا مصباح وبتنا في انكد عيش وفي تلك
الليله دخل كمشتكين الى حلب فلما اصبحوا احضرت انا وابن ابي المضا الى مجلس الملك
الصالح وكان عنده ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود وجماعه من ارباب الدوله وكان
صاحب الكلام العدل بن العجمي فاخذ يتحدث بلثغته ويترجم بلكنته ويضرب صفحا عني
ويوهم الجماعه انني ثاني ⊙ وما دري الغمر باني امرؤ اميز التبر من الترب
قد عارك الاهوال حتى غدا بين الورى كالصارم العضب
قد راضه الدهر فلو امه نخطبه ما ربع للخطب
قال وعرضت نسخه اليمين علينا ولم يلتفت الينا فلما صرنا الى السلطان واخبرناه بما جرى
في حقنا من الهوان علم ان ذلك كان حيله عليه حتى دخل كمشتكين الى حلب فاطلق نصرة
الدين وقاتل اهل حلب ولم يزل منازلا لحلب الى انسلاخ سنه احدى وسبعين وخمسمايه
ثم كان ما سياتي ذكره **فصل** في بواقي حوادث هذه السنه ودخول قراقوش الى
المغرب قال العماد وفي سابع شوال وصل اخو السلطان شمس الدوله من اليمن الى دمشق
وذكر ابن شداد انه قدم في ذي الحجه قلت ولما سمع السلطان بقدومه ارسل اليه بالمثال
الفاضلي كتابا اوله انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا وقال في اخر ولقد احسن عنوان
البشر اذ طلع علينا طلوع الفجر قبل شمسه وغرس في القلوب ما سرنا وسر جنا غرسه
قال ابن ابي طي كان سبب خروجه من اليمن كراهيه البلاد والشوق الى اخيه الملك الناصر
وان يرى ملوك الشام وغيرها وامرا العساكر ما انعم الله به عليه من النعم والاموال قال
وحكى انه لما تحدث الناس بخروج شمس الدوله من اليمن كان باليمن رجل يقال له عباس وكان
صهر ياسر بن بلال الحبشي صاحب عدن وكان بين عباس وياسر عداوه فافتعل عباس كتابا
على لسان ياسر وزور عليه علامته الى زيد بن عمرو بن حاتم صاحب صنعا يقول فيه ان شمس الدوله

سايرا الى اخيه الملك الناصر الى الشام وسبب خروجه ضعفه عن اليمن فامسكوا ما كنتم
تحملون اليه من الاتاوه والرشوه يبقى لكم والحال حتى وصل الكتاب الى شمس الدوله وكان نازلا على
حصن يعرف بالخضرا يحاصره فلما وقف شمس الدوله على الكتاب استدعى ياسرا وقال له هذا
خطك وعلامتك قال كانه هو قال فباى شى استحققت منك هذا وقد قربت منزلتك وابقيت
عليك بلادك ورفعت بضبعك على اهل اقليمك واراه الكتاب فلما وقف عليه ياسر
حلف انه ما كتبه ولا يعرفه ولا املاه لاحد ولم يعلم خبره فلم يصدقه شمس الدوله وامر به
فقتل بين يديه صبرا فهاب شمس الدوله ملوك اليمن وحملوا اليه الاموال وحلفوا له على
الطاعه ثم ان شمس الدوله خرج الى تهامه وتوجه الى الشام واستخلف على تهامه سيف الدوله
مبارك بن كامل بن منقذ وعثمان بن علي الزنجيلي على عدن وتوجه الى حضرموت ففتحها واستناب
عنه بها رجلا كرديا يسمى هرون وكان مقامه بشبام واستمر الكردي بها مده ثم ان صاحب
حضرموت تحرك وجمع فقتل وعاث هرون في تلك البلاد واستقام امره وولى شمس الدوله
ثغر تعز مملوكه ياقوت وجعل اليه امر الجند وولى قلعه تعكر مملوكه قايماز قال وكان
وصول شمس الدوله الى السلطان قبل وقعه المواصله وكسرتهم وكان شمس الدوله هو سبب
الظفر واعطاه السلطان سرادق سيف الدين صاحب الموصل بما كان فيه من الفرش
والاثاث والالات وولاه دمشق واعمالها والشام وامره ان يكون في وجه الفرنج لان
السلطان خاف من الحلبيين ان يكاتبوا الفرنج كعادتهم قال ــــــ وفيها قتل صديق
ابن جوله صاحب بصرى وصرخد قتله بن اخيه وملك بعده بصرى وصرخد شهورا فكاتبه
شمس الدوله اخو السلطان وحلف له على ما يريده من اقطاع واقترح شمس الدوله ان يكتب هو
ما يريد ليحلف عليه فانفذ من بصرى نسخه يمين كتبها قاضي بصرى وكان قليل المعرفه
بالفقه والتصرف في القول فلم يستقص فيها وجوه التاويل فلما استوثق بها من شمس
الدوله خرج اليه تاول عليه شمس الدوله في اليمين وقبضه ثم اقطعه عشرين ضيعه ثم اخذها
منه بعد ايام قال ــــ وفيها عصى الامير عز الدين قليج بتل خالد بسبب كلام جرى بينه
وبين كمشتكين فانفذ اليه من حلب عسكرا فحاصروه اياما وتسلم الحصن وصلحت حاله
قال

قال ولما ملك شمس الدوله اليمن سمت نفس ابن اخيه تقي الدين الى الملك وجعل يرتاد
مكانا يحتوي عليه فاخبر ان قلعه ازبري هي في درب المغرب وكانت خرابا فاشير عليه
بعمارتها وقيل له متى عمرت وسكنها اجناد امنوا ياسبحعان ملكت برقه واذا ملكت برقه
ملك ما وراها فانفذ مملوكه بها الدين قراقوش وقدمه على جماعه من اجناده ومماليكه
فساروا الى القلعه المذكوره وشرعوا في عمارتها واجتمع بقراقوش رجل من الغرب فحدثه
عن بلاد الجريد وقران وذكر له كثره خيرها وغزاره اموالها وضعف اهلها ورغبه في الدخول
اليها فاخذ جماعه من اصحابه وسار في حادي عشر محرم من هذه السنه فكان يكمن النهار
ويسير الليل مده خمسه ايام اوجله فلقيه صاحبها واكرمه واحترمه وساله المقام عنده
ليعتضد به ويزوجه بنته ويحفظ البلاد من العرب وله ثلث ارتفاعها ففعل قراقوش ذلك
فحصل له من ثلث الارتفاع ثلثون الف دينار فاخذ عشره الاف لنفسه وفرق على رجاله
عشرين الفا وكان الى جانب اوجله مدينه يقال لها الازراقيه فبلغ اهلها صنيع قراقوش في
اوجله وانه حرس غلالهم فساروا اليه ووصفوا له بلادهم وكثره خيرها وطيب هوايها ورغبوه في
المصير اليهم على انه يملكونه عليهم فاجاب على ذلك واستخلف على اوجله رجلا من اصحابه يقال
له صباح ومعه تسعه فوارس من الصحابه فحصل لقراقوش اموالا كثيره واتفق ان صاحب اوجله
مات فقتل اهل اوجله اصحاب قراقوش فجا قراقوش وحاصرها حتى افتتحها عنوه وقتل من اهلها
سبع ميه رجل وغنم اصحابه منها غنيمه عظيمه واستولى على البلد ثم ان اصحابه رغبوا في الرجوع
الى مصر وخشي قراقوش ان يقيم وحده فرجع معهم فلما حصل بمصر طاب له المقام وثقل عليه العود
وزوجه تقي الدين باحدى جواريه وكان استناب باوجله وقال لاهلها انا امضي الى مصر لتجديد
رجال واعود اليكم قال ــــ ابن الاثير وفيها في ربيع الاخر استوزر سيف الدين صاحب
الموصل جلال الدين ابا الحسن علي بن جمال الدين الوزير رحمهما الله تعالى ومكنه في ولايته فظهرت
منه كفايه لم يظنها الناس وبدا منه معرفه بقواعد الدول واوضاع الدواوين وتقرير الامور
والاطلاع على دقايق الحسبانات والعلم بصناعه الكتابه الحسبانيه والانشا حيرت العقول
ووضع في كتابه الانشا وضعا لم يعرفوه وكان عمره حين ولي الوزاره خمسا وعشرين سنه ثم قبض عليه

فى شعبان سنه ثلاث وسبعين وشفع فيه كمال الدين بن نيسان وزير صاحب امد وكان
قد زوجه بنته فاطلق وشاد اليه وبقى بامد يسير امرضنا ثم فارقها وتوفى بدنيسر سنه
اربع وسبعين وحمل الى الموصل فدفن بها ثم حمل منها فى موسم الحج الى المدينه ودفن عند الله
وكان من احسن الناس صوره ومعنى رحمه الله تعالى قال ثم ان سيف الدين استناب
دزدارا بقلعه الموصل الامير مجاهد الدين قايماز فى ذى الحجه سنه احدى وسبعين ورد
اليه ازمه الامور فى الحل والعقد والرفع والخفض وكان بيده قبل هذه الولايه مدينه اربل
واعمالها ومعه فيها ولد صغير لزين الدين على لقبه ايضا زين الدين فكان الملك للولد زين الدين
اسما لا معنى تحته وهو لمجاهد الدين صوره ومعنى قلت وفيها فى حادى عشر رجب توفى
حافظ الشام ابو القسم على بن الحسن بن عساكر صاحب التاريخ الدمشقى رحمه الله تعالى
وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن فى مقابر باب الصغير وفيها قدم دمشق ابو
الفتوح عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد الدمشقى الاصل البغدادى المولد التنوخى الجماهرى
الصوفى بن الصوفى ذكره العماد فى الخريده وقال كان صديقى وجلس للوعظ وحضر عنده صلاح
الدين واحسن اليه وعاد الى بغداد وذكر العماد من اشعاره مقطعات منها فى الحقايق وانشدها
فى مجلسه

يا مالكا مهجتى يا منتهى املى ... يا حاضرا شاهدا فى القلب والفكر
خلقتنى من تراب انت خالقه ... حتى اذا صرت تمثالا من الصور
اجريت فى قالبى روحا منورة ... تمر فيه كجرى الماء فى الشجر
جمعت بين صفا روح منورة ... وهيكل صغته من معدن كدر
ان غبت فيك فيا فخرى ويا شرفى ... وان حضرت فيا سمعى ويا بصرى
او احتجبت فسرى منك فى وله ... وان خطرت فقلبى منك فى خطر
تبدو فتمحو رسومى ثم تثبتها ... وان تغيبت عنى عشت بالاثر

ثم دخلت سنة

سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة
قال العماد والسلطان نازل على حلب ... [illegible]

بالتوسل وخاطبوا فى التفصل وطلبوا فى الصلح فاجابهم وعفا وعف وكفا وكف وابقى للملك
الصالح حلب واعمالها واستقر اهل عين تلم وافالها وارادله الاعزاز فرد عليه عزاز وقال
ابن شداد اخرجوا اليه ابنة لنور الدين صغيره سالته منه عزاز فوهبها اياها قال ابن ابى طى

لما تم الصلح وانعقدت الايمان عول الملك الصالح على مراسله السلطان وطلب عزاز منه
فاشار الامرا عليه بانفاذ اخته وكانت صغيره فاخرجت اليه فاكرمها السلطان اكراما
عظيما وقدم لها اشيا كثيره واطلق لها قلعه عزاز وجميع ما فيها من مال وسلاح وميره وغير
ذلك وقال غيره بعث الملك الصالح اخته الخاتون بنت نور الدين الى صلاح الدين فى الليل
فدخلت عليه فقام قايما وقبل الارض وبكى على نور الدين فسالت ان يرد عليهم اعزاز فقال سمعا
وطاعه فاعطاها اياها وقدم لها من الجواهر والتحف والمال شيا كثيرا واتفق مع الملك
الصالح ان له من حماه وما فتحه الى مصر وان يطلق الملك الصالح اولاد الدايه قال العماد
وحلفوا له على كل ما شرطه واعتذروا عن كل ما اسخطه وكان الصلح عاما لهم وللمواصله واهل
ديار بكر وثبت فى نسخه اليمين انه اذا غدر منهم واحد وخالف ولم يف بما عليه حالف
كان الباقون عليه يدا واحده وعزيمه متعاقده حتى يفى الى الوفا والوفاق ويرجع الى مرافقه
الرفاق فلما انتظم الصلح ذكر السلطان ثاره عن الاسماعيليه وكيف قصدوه بتلك البليه
فرحل يوم الجمعه لعشر بقين من المحرم فحصر حصنهم مصياث ونصب عليه المجانيق
الكبار واوسعهم قتلا واسرا وساق ابقارهم وخرب ديارهم وهدم اعمارهم وهتك استارهم دهم
حتى شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تكش صاحب حماه وكانوا قد اسلوه فى ذلك
لانهم جيرانه فرحل عنهم وقد انتقم منهم قال وكان الفرنج قد اغاروا على البقاع فخرج اليهم
شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم وهو متولى بعلبك ومقطع اعمالها ومدبر
احوالها والمتحكم فى اموالها فقتل منهم واسر اكثر من مايتى اسير واحضرهم عند السلطان
وهو على حصار مصياث فجددمنه الى غزو الفرنج والانبعاث قال ابن ابى طى وهذا
اكبر الدواعى فى مصالحه السلطان لسنان وخروجه من بلاد الاسماعيليه لان السلطان خاف
ان يهيج الفرنج فى الشام الاعلى وهو بعيد عنه فربما ظفروا من البلاد بطايل فصالح سنانا وعاد
الى دمشق قال العماد وكان قد خرج شمس الدوله اخو السلطان من دمشق حين سمع ان
الفرنج على الخروج وباشطهم عند عين الجر فى تلك المروج ووقع من اصحابه عده فى الاسار منهم سيف
الدين ابو بكر بن السلار ووصل السلطان الى حماه وقد استكمل الظفر واجتمع فيها باخيه شمس

الدوله ثانى صفر وهو اول لقايه بعد ما ازمع عنه الى اليمن السفر وتعانق الاخوان فى المخيم بالميدان وتحدثا فى الحدثان وروعات الفراق ولوعات الاشواق وكان قد وصل الى السلطان من اخيه هذا عند مفارقته بلاد اليمن كتاب ضمنه ابياتا اظنهما من شعر ابن المنجم المصرى اولها ان

الشوق اولع بالقلوب واوجع ... فعلام ادفع منه ما لا يدفع

وحملت من وجد الاحبه مفردا ... ما ليس تحمله الاحبه اجمع

لا يستقر بى النوى فى موضع ... الا تقاضانى الترحل موضع

قال صلاح الدين اشكو انتى من بعده مضنى الجوانح موجع

جزعا لبعد الدار منه ولم اكن ... لولا هواه لبعد دار اجزع

فلاركبن اليه متن عزايمى ... ويحب بى ركب الغرام ويوضع

حتى اشاهد منه اسعد طلعه ... من افقها صبح السعاده يطلع

ولانت فخر الدين فخرى فى العلى ... وملاذ امالى وركنى الارفع

الا تحل منك المحله موقعى ... والله ما للملك عندى موقع

وبغير قربك كلما ارجوه من ... درك المنى متعذر متمنع

النصر ان اقبلت نحوى مقبل ... واليمن ان اسرعت نحوى مسرع

[illegible]

تحتدلهم ما اقتضى ذكره فى هذه السنه قال العماد فى السادس من المحرم توفى بدمشق القاضى كمال الدين ابن الشهرزورى وعمره ثمانون سنه لان مولده فى سنه اثنتين وتسعين واربعمايه وكان فى الايام النوريه بدمشق هو الحاكم المحكم وصلاح الدين اذ ذاك بتولى الشحنكيه بدمشق وكمال الدين يعلى مقاصده بنوخيه الاحكام الشرعيه وربما كسر اغراضه وابدى عن قبوله اعراضه ويقصد فى كل ما يعرض له اعتراضه وكم صبر على جماحه بحلمه وراضه الى ان نقله الله سبحانه من نيابه الشحنكيه الى الملك وصار كمال الدين من قضاياه مما لكه المنتظمه فى السلك وكان فى قلبه منه ما فيه وما فرط منه فات وقت تلافيه فلما ملك دمشق اجراه على حكمه ولم يواخذه بجرمه واحترم نوابه واكرم اصحابه وفتح للشرع بابه وخاطبه واستحسن جوابه ولم يزل يستفتيه ويستهديه ويعرض على رايه ما يعيده ويبديه وكان ابن اخيه ضيا الدين بن تاج

الدين

الدين الشهرزورى قد هاجر الى صلاح الدين بمصر فى ريعان ملكه واذنت هجرته فى درك ارادته بادارة فلكه وانعم عليه هناك بخزينة الذهب من دار الملك بمصر بدار الذهب ووفر حظه من الذهب وملكه دارا بالقاهره نفيسه جميله جليه جليله ورتب له وظايف وخصه بلطايف ووصل مع صلاح الدين الى الشام وامن جار على النظام ولما اشتد بكمال الدين المرض وكاد يفارق جوهره العرض اراد ان يبقى القضا فى ذويه فوصى مع حضور ولده بالقضا لضيا الدين ابن اخيه علما منه بان السلطان يمضى حكمه لاجل سوالفه ويجعله عنده من عوايد عوارفه ومات ولم يخلف مثله ومن شاهده شاهد العقل والفضل كله بارا بالابرار مختارا للاخيار مكرما للكرام ماضيا فى الاحكام وقد قواه نور الدين رحمه الله وولاه فى ايامه وسدد مراى مرامه وهو الذى بنى دار العدل لتنفذ احكامه بحضره السلطان فلا يبقى عليه مغمز ولا ملمز لذوى الشنان وهو الذى تولى له بنا اسوار دمشق ومدارسها والبيمارستان فاستمرت عادته واستقرت قاعدته فى دوله السلطان وتوفى ونحن بحلب محاصرون وذكر العماد فى الخريده لابنه محيى الدين قصيده فى مرثيته منها ⊙

الموابشفى فانشيون فسلموا ... على جدث بادى السنا وترحموا

وبالرغم منى ان اناجيه بالمنى ... واسال من بعد المدى من يسلم

لقد عدمت منك البريه والدا ... احن من الام الروف وارحم

ولا سيما اخوان صدق بحلق ... هم فى سما المجد والجود انجم

نشرت لوا العدل فوق روسهم ... فما كان فيهم من يظام ويظلم

لقيت من الرحمن عفوا ورحمه ... كما كنت تعفو ما جنيت وترحم

[illegible]

بدمشق فى ظل الاحسان وهو شيخ مذهب الشافعى رضى الله عنه والاقوم بالفتيا واعرفهم بما تقتضيه الشريعه من امر الدين والدنيا والسلطان يوثر ان يفوض اليه منصب القضا ولا يريد عزل الضيا فافضى بسر مراده الى الاجل الفاضل وكان الفقيه ضيا الدين عيسى يتعصب لشيخه فاستشعر الضيا من العزل واشير عليه بالاستعفا ففعل فاعفى وبقيت عليه الوكاله الشرعيه

عنه في بيع الاملاك قال العماد واول ما اشتريت منه بوكالة السلطان الارض التي
ببستان بقر الوحش التي بنيت فيها المواضع من الحمام والدور والاصطبل والخان وكنت قد
احتكرتها في الايام النورية فملكتها في الايام الصلاحية قلت قد خربت هذه الاماكن
في سنة ثلاث واربعين وستمائة بسبب الحصار واستمر خرابها وعفت اثارها وصارت طريقا
على حافة بردا وانت خارج من جسر الصفي خارج باب الفرج مارا الى ناحية الميدان قال فلما
استعفى ضيا الدين بن الشهرزوري من القضا لم يبق في منصب القضا الا فقيه يعرف بالاوحد
داود بن ابرهيم بن عمرو بن بلال الشافعي وكان ينوب عن كمال الدين فامره السلطان ان يجري على
رسمه ويتصرف في حكمه وكان السلطان لاحيا القضا في البيت الزكوي موثرا ولذكر مناقبه
مكثرا وقد سبق منه الوعد للشيخ شرف الدين بن ابي عصرون وهو راج ويطلب نجاز عدته
مناج ففوض اليه القضا والحكم والانفاذ والامضا على ان يتولى محيي ابو المعالي محمد بن زكي الدين
والاوحد قاضيين في دمشق يحكمان وهما عن نيابته يوردان ويصدران وتوليتهما بتوقيع من
السلطان ولم يزل الشيخ شرف الدين بن ابي عصرون متوليا للقضا منفردا بالحكم والامضا
سنة اثنتين وثلاث وسبعين في ولاية اخي السلطان الملك المعظم فخر الدين فلما عدنا الى
الشام تكلم الناس في ذهاب نور بصره وانه لا يقوم في القضا بورده وصدره ففوض
السلطان القضا بالاشارة الفاضلية الى ابنه محيي الدين ابن ابي حامد محمد كانه نايب ابيه ولا
يظهر للناس صرفه عما هو متوليه واستمر القضا له الى انقضا اشهر من سنة سبع وثمانين ثم
صرف واستقل به ابن زكي الدين فاقام في مدة ولايته للشرع القواعد والقوانين وفوض ديوان
الوقوف بجامع دمشق وغيره من المساجد والمشاهد الى اخيه مجد الدين ابن الزكي فتولاه الى
ان انتقل من اعمال الوقوف الى موقف اعتبار الاعمال وتولاها بعده اخوه محيي الدين على الاستقلال
الى اخر عهد السلطان وبعده قلت وفيها في صفر وقف السلطان قرية حزم باللوى من حوران
على الجماعة الذين يشتغلون بعلم الشريعة او بعلم يحتاج اليه الفقيه واخص لسماع الدروس
بالزاوية الغربية من جامع دمشق المعروفة بالفقيه الزاهد نصر المقدسي رحمه الله وعلى من هو
مدرسهم بهذا الموضع من اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري

رحمه الله ورايت كتاب الوقف بذلك على هذه الصورة وعليه علامة السلطان رحمه الله
الحمد لله وبه توفيقي قال العماد وفيها في ليلة الجمعة الثاني عشر من صفر ونحن في طريق
الوصول الى دمشق توفي شمس الدين بن الوزير ابي المضا بدمشق وهو اول خطيب بالديار
المصرية للدولة العباسية وكان يتولى الرسالة الى الديوان العزيز ويقصده الشعرا ويحضره
الكرما فيكثر خلعهم وجوايزهم ويبعث على مدحه عزايمهم فحمل السلطان همه وقرر ولده وجبر
بتربيته يتمه ثم تعين ضيا الدين بن الشهرزوري بعده للرسالة الى الديوان وصارت منصبا
له ينافس عليه واستتبت له هذه السفارة الى اخر العهد السلطاني وذلك بعد المضي الى
مصر والعود الى الشام فانه بعد ذلك خاطب في هذا المرام فاما في هذه السنة فانه كان
في مسيرنا الى مصر في الصحبة وهو متودد الي بصفا المحبة وفيها في اخر صفر تزوج السلطان
بالخاتون المنعوتة عصمة الدين بنت الامير معين الدين انر وكانت في عصمة نور الدين رحمه
الله فلما توفي اقامت في منزلها بقلعة دمشق رفيعة القدر مستقلة بامرها كثيرة الصدقات
والاعمال الصالحات فاراد السلطان حفظ حرمتها وصيانتها وعصمتها فاحضر شرف الدين
ابن ابي عصرون وعدوله وزوجه اياها بحضرتهم اخوها لابيها الامير سعد الدين مسعود
ابن انر باذنها ودخل بها وبات عندها وقرن بسعده سعدها وخرج بعد يومين الى مصر
وذكر العماد بعد وفاة ابن الشهرزوري وابن ابي المضا الامير مويد الدولة ابا الحرث اسامة بن
مرشد بن سديد الملك ابي الحسن علي بن منقذ وعوده الى الشام عند علمه بوصول السلطان
فقال هذا مويد الدولة من الامرا الفضلا والكرما الكبرا والسادة القادة العظما قد متعه
الله بالعمر وطول البقا وهو من المعدودين من شجعان الشام وفرسان الاسلام ولم تزل بنو منقذ
ملاك شيزر وقد جمعوا السيادة والمجد ولما تفرد بالمعقل منهم من تولاه لم يرد ان يكون معه
فيه سواه فخرجوا منه في سنة اربع وعشرين وخمسمية وسكنوا دمشق وغيرها من البلاد وكلهم
من الاجواد الامجاد وما فيهم الا ذو فضل وبذل واحسان وعدل وما منهم الا من له نظم مطبوع وشعر
مصنوع ومن له قصيد وله مقطوع وهذا مويد الدولة اعرقهم في الحسب واعرفهم بالادب
وكانت جرت له نبوة في ايام الدمشقيين وسافر الى مصر واقام هناك سنين في ايام المصريين

فمت نوبه قتل المنعوت بالظافر وقتل عباس وزيرهم اخوته واقامه المنعوت بالفايز
وما ردف ذلك من الظواهر فعاد موىد الدوله الى الشام وسار الى حصن كيفا وتوطن ولما
سمع بالملك الصلاحي جا الى دمشق وذلك في سنه سبعين وقال

حمدت على طول عمري المشيبا وان كنت اكثرت فيه الذنوبا
لانى حييت الى ان لقيت بعد العدو صد بقا حبيبا

قال وكنت اسمع بفضله وانا باصفهان في ايام الشبيبه وانشدني له مجد العرب
العامري باصفهان في سنه خمس واربعين هذين البيتين وهما مبتكران معانيه في سن
قلعها

وصاحب لا امل الدهر صحبته يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد
لم القه مذ تصاحبنا فحين بدا الناظري افترقنا فرقه الابد

قال فلما لقيته بدمشق في سنه سبعين انشدنيهما لنفسه مع كثير من شعره المبتكر
من جنسه قلت ومن عجيب ما اتفق اني وجدت هذين البيتين مع بيتين اخرين المجموع اربعه
ابيات في ديوان ابي الحسين احمد بن منير الاطرابلسي ومات ابن منير سنه ثمان واربعين وخمس
مايه قرات في ديوانه وقال في الضرس ۝

وصاحب لا امل الدهر صحبته يسعى لنفعي واجنى ضره بيدي
ادنى الى القلب من سمعي ومن بصري ومن تلادي ومن مالي ومن ولدي
اخلو ابثي من خال نوحته مداده زايدا لتقصير للمدي

ثم قال لم ارة مذ تصاحبنا البيت فالاشبه ان ابن منير اخذهما وزاد عليهما ولهذا غير
فيهما كلمات وقد وجدت هذا البيت الاول على صوره اخرى حسنه ۝
وصاحب ناصح لي في معاملتي ويجوز ان يكون اسامه انشدهما فنسبا اليه لما كان من ظنه
ذلك ويجوز ان يكون اتفاقا والله اعلم قال العماد وشاهدت ولده عضد الدين ابا
الفوارس مرهفا وهو جليس صلاح الدين وانيسه وقد كتب ديوان شعر ابيه لصلاح الدين وهو
لشغفه به يفضله على جميع الدواوين ولم يزل هذا الامير العضد مرهف مصاحبا له بمصر
والشام والى اخر عصره وتوطن بمصر فلما جا موىد الدوله ابوه انزله ارحب منزل واورده اعذب

منهل وملكه من اعمال المعره ضيعه زعم انها كانت قديمه تجري في املاكه واعطاه بدمشق
دارا واد رارا واذا كان بدمشق جالسه وانسه وذاكره في الادب ودارسه وكان ذا راي وتجربه
وحنكه مهذبه فهو يستشيره في نوايبه ويستنير برايه في غياهبه واذا غاب عنه
في غزواته كاتبه واعلمه بواقعاته ووقعاته واستخرج رايه في كشف مهماته وحل مشكلا ته
وبلغ عمره ستا وتسعين فان مولده سنه ثمان وثمانين واربع مايه وتوفي سنه اربع وثمانين
وخمس مايه قلت وقد تقدم من اخباره في قتل الاسد في شبيبته ايام كونه بشيزر
وذكرت ايضا ترجمه حسنه في تاريخ دمشق ۝ **فصل** في رجوع السلطان الى
مصر خرج من دمشق يوم الجمعه رابع شهر ربيع الاول قال العماد لما استتمت للسلطان
بالشام امور ممالكه وامن على مناهج امره ومسالكه ازمع الى مصر الاياب وقد ابحلت من بعده
من جود جود السحاب وتقدمه الامرا والملوك وخرج بكره الجمعه ونزل بمرج الصفر ثم
رحل عنه قبل العصر الى قريب الصنمين وخرجت معه وقلبي يروع الى اهلي فما نزلنا منزلا الا
نظمت ابياتا فقلت يوم المسير وقد عبرت بالجنان ۝

اقول لركب بالجنان ترحلوا اثيروا اجمالي في المقام جبار
هم رحلوا عنك الغداه وما دروا بانهم قد خلفوك وساروا
حليف اشتياق لا يرى من يحبه وفي القلب من نار الغرام اوار
اجيروا من البلوى فوادي فعندكم ذمام له يا سادتي وجوار

وقلت وقد نزلنا بالبقيع ۝

رايتني بالبقيع منفردا اضيع من فقع قاعها الضايع
بعت بمصر دمشق عن غرر مني فيا غبن صفقه البايع
صبري والقلب عاصيان وما غير هوى وادمعي طايع

وقلت بالفوار

تحدر بالفوار دمعي على الفور فقلت لجيراني اجيروا من الجور
واصعب ما لاقيت اني فانع من الطيف مذ بنتم بزور من الزور

تختطف الفرنج القاصدين الى مصر ۝
طريق مصر ضيق المسلك سالكه لا شك في مهلك
وجت مصر صارجا لمن اوقعه في شبك الشوبك
لكنما من دونها كعبه محجوجه مبروره المنسك
بها صلاح الدين يشكي الذي اليه من ايامه نشتكي
المظفر تقي الدين وكان لا يستدعي من شادبه الانشادها في ناديه ويطرب لسماعها ويعجب بما بدايعها
وكان قد فارق اهله بدمشق كما فارقت بها اهلي وجمع الله بهم بعد ذلك شملي ۝ وهي هذه
هجرتكم لا عن ملال ولا عذر ولكن لمقدور اتيح من الامر
واعلم اني مخطي في فراقكم وعذري في ذنبي وذنبي في عذري
اري نوبا للدهر تحصي ولا اري اشد من الهجران في نوب الدهر
بعيني الى لقيا سواكم عشاوه وسمعي عن نجوى سواكم لذو وقر
وقلبي وصبري فارقاني لبعدكم فلا صبر في قلبي ولا قلب في صدري
واني على العهد الذي تعهدونه وسري لكم سري وجهري لكم جهري
تجرعت صرف الهم من كاس شوقكم وها انا في صحوي تريف من السكر
وان زمانا ليس يعمر موطني بسكناكم فيه فليس من العمر
واقسم لو تقسم البين بتناجوى الهم ما امسيت مقتسم الفكر
اسيرا الى مصر وقلبي اسيركم ومن عجب اسري وقلبي في الاسر
اخلاي قد شط المزار فارسلوا الخيال وزوروا في الكري واد اجري
تذكرت احبابي بجلق بعد ما ترحلت والمشتاق يانس بالذكر
وناديت صبري مستغيثا فلم يجب فاسبلت دمعي للبكا على صبري
ولما قصدنا من دمشق غباغبا وبتنا من الشوق المبرح على الجمر
نزلنا براس الما عند وداعنا موارد من ما الدموع التي تجري
نزلنا بصحرا الفقيع وغودرت نواقع من فيض المدامع في الغدر

وضن علينا بالندى ثمد الحصا ومن يرتجي ريا من الثمد النزر
فقلت استرحي بالخمس صدرا مطيتي بصدد والا جادك النيل للعشر
راينا بها عين المواساه اننا الى عين موسى نبذل الزاد للسفر
وما حسرت عيني على فيض عبرة اكفكفها حتى عبرنا على الجسر
وملنا الى ارض السدير وجنه هنالك من طلح نضيد ومن سدر
وجبنا الفلا حتى اصبنا مباركا على بركه الجب المبشر بالقصر
ولما بدا الفسطاط بشرت رفقتي بمن يتلقى الوفد بالوفر والبشر
بكت ام عمرو من وشيك ترحلي فيا خجلتي من ام عمرو ومن عمرو
تقول الى مصر تسير تعجبا وماذا الذي تبغي ومن لك في مصر
فقلت ملاذي الناصر الملك التي حصلت بجدواه على الملك والنصر
قال ولما كان الدخول الى القاهره يوم السبت سادس عشر ربيع الاول بالزي الاجمل والعز الاكمل وتلقى السلطان اخوه ونايبه الملك العادل سيف الدين الى صدر وعبر الينا عند بحر القلزم الجسر وتلقانا خير مصر ووصلت البشاير الها وجليت علينا زهرها فظهر بنا نشاطها وزاد اغتباطها ودخل السلطان داره ووفق الله في جميع الامور ايراده واصداره وكانت قد صعبت على مفارقه دمشق واهلها لقله الوثوق باني احصل بمثلها فنظمت يوم خروجي منها ابياتا الى ناصر الدين محمد بن شيركوه منها ۝

مهجتي خنث العطف مستلذ الدلال | يقول لي بانكسار وزفه واعتلال
معابا لحديث اصفي من السلسال | ما مصر مثل دمشق بعت الهدي بالضلال
فقلت عندي امور عجيبه الاشكال | اسير في طلب العز مثل سير الهلال
لم يبلغ البدر لولا المسير اوج الكمال | وكيف اترك شغلي واني راس مالي
صلاح حال صلاح الدين الغزير النوال | ما لي افارق ملكا ملكته امالي

يا ناصر الدين قلبي عليه في بلبال
ثم ذكر العماد المحسنين الى القاهره وسيدهم المولى الاجل الفاضل وقد مدحه بقصيده منها

كيف لا يعتدي بي الدهر عبدا وانا عبد عبد الرحيم
بدوام الاجل سيدنا الفاضل بادوله الافاضل ذوي
انراه بنوب لدى الملك مناب الارواح عند الجسوم
مالك الحل في الممالك والعقد وحكم التحليل والتحريم
معمل للنفاذ في كل قطر قلما حاكما على اقليم
يتلقى الملوك في كل ارض كتبه القادمات بالتعظيم
ناحل الجسم ذو خطاب به يصغر للدهر كل خطب جسيم

ثم ذكر الاخوين تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه وهما ابنا اخي السلطان وهو شاهنشاه ابن ايوب [illegible]

كلما رمت وصله رام هجري واذا ازددت ذلة زاد عزه
للصبا من عذاره نسج حسن رقم المسك في الشقا بوطرزه
وعزيز علي ان اصطباري فيه قد عز والغرام وبزه
ما راى ما رايت مجنون ليلى في هواه ولا كثير عزه
ما ذكرنا الفسطاط الا اشتينا ما رأينا النيرين والارزه
فهما الجيزة الجوازي لها المنن حسنا على ظباء المزه
ونصيري عليه نابل عز الدين ذي الفضل خلد الله عزه
نزع الكنز من ذخائر مال ما ليأمن نفائس المجد كنزه
همه سنيها مه بالمعالي للدنايا ابيه مشمئزه

قال العماد وتوفرنا على الاجتماع في المغاني لا لسماع الاغاني والتنزه في الجزيرة والجيزة والاماكن العزيزة ومنازل العز والروضة ودار الملك والنيل والمقياس ومراي السفن ومجاري الفلك والقصور بالقرافة ودبوع الضيافة ورواية الاحاديث النبوية والمباحثة في المسائل الفقهية والمعاني الادبية قال وانشدنا القاضي ضياء الدين

الشهرزوري لن يفرجاني الاهرام فقد كنا شغفنا باخبارها في الشام فخرج بنا اليها ودرنا تلك البرابي والبراري والرمال والصحاري واحمدنا المقار والمغاري وهالنا ابو الهول وضاق في وصفه مجال القول ورأينا العجائب ودوينا الغرائب واستصغرنا في جنب الهرمين كل ما استعظمناه وتداولنا الحديث في الهرم ومن بناه فكل يأتي في وصفها بما نقله لا بما عقله واجتهد واني الصعود اليه فلم يوجد من توقله وحارت العقول في عقوده وطارت الافكار عن توهم حدده فيا لله من مولود للدهر قبل الطوفان انقرضت القرون الخاليه على ابائه وجدوده وسار الاخبار بذكر حديث احلال عاده وثموده وبيان الحكمه وعلوه على همه بانيه في بانيه وجوده وان في الارض

الهرمين كأن في الشام الفرقدين وهما كالطودين الراسخين وكالجليلين الشامخين قد فنيت الدهور وهما باقيان وتقاصرت القصور وهما راقيان وكأنهما لام الارض ثديان وعلى ترائب التراب نهدان ولسلطان العالم علمان والى مراقي الافلاك سلمان وهما لليل والنهار رقيبان ولوصوي ولثام نسيبان ومن زحل والمريخ قريبان ولعوادي الخطوب خطيبان ولثور الفلك روقان ولتخص الكرة الترابية ساقان قلت ثم ذكر العماد جماعة ممن كان يقيم الضيافه له ولمثله من الفضلاء والاعيان فذكر منهم الناصح مؤدب اولاد السلطان وله دار مشرفه على النيل وذكر منهم اللسان الصوفي البلخي وكان له صحبة قديمة بنجم الدين ايوب والد السلطان وله دار ايضا على شاطئ النيل يرتسم ضيافه من ترك قال ثم وقف السلطان داره على الصوفية من بعده وانتقل بعد سنين الى النعيم وخلد

فصل

في بيع الكتب وعمارة القلعه والمدرسه والبيمارستان قال العماد وكان بيع الكتب في القصر كل اسبوع يومان وهي تباع بارخص الاثمان وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة الرفوف مفهرسة بالمعروف فقيل للامير بها الدين قراقوش متولي القصر والحال والعاقد للامر هذه الكتب قد عاث فيها العث وتساوى سمينها والغث ولا غنى عن تهويتها ونفضها واخراج من بيوت الخزانة الى ارضها وهو تركي لا خبرة له بالكتب ولا دربة له باسفار الادب وكان مقصود دلالي الكتب ان يوكسوها ويجزموها ويعكسوها فاخرجت وهي اكثر من مائة الف من اماكنها وغربت عن مساكنها وخربت اوكارها واذهبت انوارها وشتت شملها وبت جملها واختلط ادبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها وطبها بهندسيها وتواريخها بتفاسيرها ومجاهيلها بمشاهيرها وكان فيها من الكتب الكبار وتواريخ الامصار ومصنفات الاخبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين او ستين جزءا مجلدا اذا فقد منها جزء لا يخلف ابدا فاختلطت واختبطت فكان الدلال يخرج عشرة عشرة من كل فن كتبا مبترة فتسام بالدون وتباع بالهون والدلال يعرف كل شده وما فيها من عده ويعلم ان عنده من اجناسها وانواعها وقد شارك غيره في ابتياعها حتى اذا الفوكا باقد يقوم عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة قال فلما رأيت الامر حضرت القصر واشتريت كما اشتروا ومريت الاطباء كما مروا واستكثرت

من المتاع المباع وحويت نفايس الانواع ولما عرف السلطان ما ابتعته وكان بسبب انعم
علي بها وابرا ذمتي من ثمنها ووهب لي ايضا من خزانة القصر ما عينت عليه من كتبها ودخلت
عليه يوما وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من القصر وهو ينظر في بعضها ويبسط
يدي لقبضها فقال وكنت طلبت كتبا عينتها فهل في هذه شي منها فقلت كلها وما استغني
عنها فاخرجتها من عنده بحمال وكان هذا منه بالاضافة الى سماحته اقل نوال قال
وكان السلطان لما تملك مصر راى ان مصر والقاهرة لكل واحدة منهما سور لا يمنعها فقال ان
افردت كل واحدة بسور احتاجت الى جند مفرد يحميها واني ارى ان ادير عليها واحدا من الشاطي
الى الشاطي وامر ببنا قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم فابتدا من ظاهر
القاهرة ببرج في المقسم وانتهى به الى اعلا مصر ببروج وصلها بالبرج الاعظم ووجدت في
عهد السلطان ثبتا رفعه النواب وتكمل فيه الحساب ومبلغه وهو داير البلدين مصر والقاهرة
بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون الفا وثلثماية وذراعان من ذلك ما
بين قلعة المقسم على شاطي النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة الاف وخمسمية ذراع
ومن القلعة بالمقسم الى حايط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية الف وثلثماية واثنان
وتسعون ذراعا ومن جانب حايط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاحمر
سبعة الاف ومايتا ذراع ودابر القلعة بجبل مسجد سعد الدولة ثلث الاف ومايتان وعشر
اذرع وذلك طول قوسه في ابدانه وابراجه من النيل الى النيل على التحقيق والتعديل
وذلك بالذراع القاسمي بتولي الامير شهاب الدين قراقوش الاسدي وبنى القلعة على الجبل
واعطاها حقها من احكام العمل وقطع الخندق وتعميقه وحفر واديه وتضييق طريقه وهناك
مساجد يعرف احدها بمسجد سعد الدولة فاشتملت القلعة عليها ودخلت في الجملة وحفر في
راس الجبل بيرا ينزل فيها بالدرج المنحوتة من الجبل الى الما المعين ولم يتات له هذا كله في سنين
متقاربة لولا اعانة ربه المعين وتوفي السلطان وقد بقي من السور مواضع والعمارة فيه مستمرة
ووظايف نفقاتها مستدرة قال وامر ببنا المدرسة بالتربة المقدسة الشافعية
ورتب قواعدها بفرط الالمعية وتولاها الفقيه الزاهد نجم الدين الخبوشاني وهو الشيخ الصالح

الفقيه الورع التقي النقي قال وامر باتخاذ دار في القصر بيمارستانا للمرضى واستغفر الله
بذلك واسترضى ووقف على البيمارستان والمدرسة وقوفا وقد ابطل منكرا واشاع معروفا
واضرب عن ضرايب فمحاها ووهب الى مواهب فاسداها واهتم بفرايض ونوافل فاداها

فصل في خروج السلطان الى الاسكندرية وغير ذلك من بواقي حوادث هذه
السنة قال العماد ثم خرج من القاهرة يوم الاربعا الثاني والعشرين من شعبان واستصحب
ولديه الافضل عليا والعزيز عثمن وجعل طريقه على دمياط وراى في الحضور بالثغر المذكور
ومشاهدته الاحتياط وكان له بها سبي كثير جلبه الاسطول فاقمنا بظاهر البلد يومين ووهب
لي منه جارية ثم وصلنا الى ثغر الاسكندرية وترددنا مع السلطان الى الشيخ الحافظ ابي
طاهر احمد بن محمد السلفي وداومنا الحضور عنده واجتلينا من وجهه نور الايمان وسعده وسمعنا
عليه ثلثة ايام الخميس والجمعة والسبت رابع شهر رمضان واغتنمنا الزمان فتلك الايام
الثلثة هي التي حسبناها من العمر فهي اخر ما اجتمعنا به في ذلك الثغر وشاهدنا ما استجده
السلطان من السور الداير وما ابقاه من حسن الاثار والماثر وما انصرف حتى امر باتمام الثغور
وتعمير الاسطول قال ابن ابي طي ولما نوى السلطان المقام بالاسكندرية ليصوم
فيها راى انه لا يخلي نفسه من ثواب تقوم له مقام القصد الى بلاد الكفار والجهاد في المشركين
فراى الاسطول وقد اختلفت سفنه وتغيرت الاته فامر بتعمير الاسطول وجمع له من الاخشاب
والصناع اشيا كثيرة ولما تم عمل المراكب امر بحمل الالات فنقل من السلاح والعدد ما يحتاج
الاسطول اليه وشحنه بالرجال وولى فيه احد اصحابه وافرد له اقطاعا مخصوصا وديوانا
مفردا وكتب الى ساير البلاد بقبول صاحب الاسطول وان لا يمنع من اخذ رجاله وما يحتاج
اليه وامر صاحب الاسطول ان لا يبارح البحر ويغزو الى جزاير البحر قال العماد
وقلت في معنى تنقلي في البلاد ○

يوما بحي ويوما في دمشق وبالفسطاط يوما ويوما بالعراقين
كان جسمي وقلبي الصب ما خلقا الا ليفتتنا بالشوق والبين

وقلت يوم الخروج من القاهرة

يا با خلا عند الوداع بوقفة لو سامني روحي بها لم ابخل

ماكان ضرك لو وقفت لسائل ترك الفؤاد بدا به في المنزل
هلا وقفت لقلب من احرقته مقدار اطفا الحريق المشعل
ان اسر من نحلا فتى اسر الهوى قلبي لديك مقيدا لم يرحل
عذب العذاب لدى فؤادي المبتلى اذ كنت انت معذبي والمبتلي
نزلت بارض المنيتين ومنيتي لقا وكرم الشافي ووصلكم المجدي
شبابي ولا ابلي شريرة وذكم ويونسني ان مت في وحشة اللحد
قال وعدنا من الاسكندرية في شهر رمضان فصمنا بقيه الشهر بالقاهرة والسلطان متوفر
في ليله ونهاره على نشر العدل وانشاره وافاضه الجود واغزاره وسماع احاديث الرسول صلى
الله عليه وسلم واخباره واشاعه العلم والاعلان باسراره وابدا اشعار الشرع واظهاره وابقا
المعروف على قراره واعلام الباطل وانكاره وقال ومن مدايحي في السلطان ما انشدته اياه
سادس شوال
فديتك من ظالم منصف وناهيك من باخل مسرف
ابلغ دهري قصدي وقد قصدت بمصر ذرا يوسف
ويوسف مصر بغير التقى وبذل الصنايع لم يوصف
فسر وافتح القدس واسفك به دما متى تجرها تنظف
واهد الى الاسبتار البتار وهد السقوف على الاسقف
وخلص من الكفر تلك البلاد يخلصك الله في الموقف
ووقع رسول صاحب كيفا في الاسر قال بن ابي طي وصل رسول الموصل القاضي عماد الدين ابن
كمال الدين بن الشهرزوري بهديه وفود فخرج الموكب الى لقايه واكرمه السلطان واحترمه وقدم
بعده رسول نور الدين قرا ارسلان ورسول صاحب ماردين بهدايا واجتمعوا في دمشق وخرجوا
الى السلطان بمصر فاعترضهم الفرنج فاسر رسول صاحب الحصن ولم يزل في الاسر حتى فتح السلطان
بيت الاحزان فاطلقه واحسن اليه قال وفيها رجع قراقوش الى اوجله وتلك البلاد فجمع
اموالا ورجع الى مصر ثم اراد الرجوع فمنعه العادل ثم خلصه فرخشاه فرجع وفتح بلاد فزان باسرها
قال العماد ثم خرج السلطان الى مرج فاقوس من اعمال مصر الشرقيه لارهاب العدو وهو يركب للصيد
والقنص

والقنص والتطلع الى اخبار الفرنج لانتهاز الفرص واقترح علي ان امدح عز الدين فرخشاه
بقصيدة موسومه الزم فيها الشين قبل الها فعملت ذلك في اواخر ذي الحجة فقلت
مولاي عز الدين فرخشه الدهر من يرجك لا تخشه
تلقاه سمح الكف دفاقها طلق المحيا كرما بشه
ان شئت فوتا بالردى فالقه او شئت فوزا بالعلى فاغشه
يديم بالايدي وبالايد في حزي لهاه والعدى بطشه
كم ملك عاداكم لم يبت الا جعلتم عرشه نعشه
خوفتم الشرك فلا قمصه امنتم يوما ولا فنشه
اورثك السودد بابن العلى والدك السيد شاهنشه
ومعرضا بما وهبه الملك الناصر من الاما والعبيد قصيده منها
لقد خبر التجارب منه حزم وقلب دهره ظهرا لبطن
فساق الى الفرنج الخيل برا وادركهم على بحر بسفن
فقد جلب الجواري بالجواري يمدن بكل قد مرجحن
يزيدهم اجتماع الشمل بوسا فمر بان سوح على سرن
زهت اسكندرية يوم سيقوا ودمياط فيها مينا بغبن
يروز خاله كالطيف يسري فلو هجعوا الانام بعد وهن
اباد هم تخوفه فامسى مناهم لو تبينتهم بامن
تملك حولهم شرقا وغربا فصار والافتناص تحت رهن
اقام بال ايوب رباطا رات منه الفرنجه ضيق سجن
رجا اقصى الملوك السلم منهم ولم يرجهد في الباس يغني
خمس وتسعين بقلعه الموصل وهو متوليها والحاكم في الدوله الاتابكيه النوريه وكان ابتدا ولايته
القلعه في ذي الحجه سنه احدى وسبعين ثم قبض عليه سنه تسع وثمانين واعيد الى ولايتها بعد
الافراج عنه وبقي الى الان وكان اصله من اعمال شيحنان واخذ منها وهو طفل وكان عاقلا خيرا

دينًا فاضلًا يعلم الفقه على مذهب الامام ابى حنيفه رضى الله عنه ويحفظ من الاشعار
والحكايات والنوادر والتواريخ شيئًا كثيرًا الى غير ذلك من المعارف الحسنه وكان
يكثر الصوم وله ورد يصليه كل ليله ويكثر الصدقه وبنى عدة جوامع منها الذى بظاهر الموصل
وبنى عده خانقاهات منها التى بالموصل ومدارس وقناطر على الانهار الى غير ذلك من المصالح
ومناقبه كثيره قال العماد فى الخريده نزلنا ببركه الجب لقصد فرض الجهاد وعرض
الاجناد فكتب الاسعد بن مماتى الى قصيده فى الملك الناصر ويعرض بالشطرنج فانه كان
يشتغل به وذلك فى ذى القعده سنه اثنتين وسبعين ۝

ياكريم الخيم فى الخيم اهيف كالريم ذو شمم	عجبى للشمس اذ طلعت منه فى داج من الظلم
كيف لا تصمى لواحظه ورماة الطرف فى العجم	لا تصد قلب المحب لكم لا يحل الصيد فى الحرم
ياصلاح الدين ياملكًا من براه الله للامم	اضحت الكفار فى نقم وعلى الاسلام فى نعم
ان يك الشطرنج مشغلة لعلى القدر والهمم	فهى فى ناديك تذكرة لامور الحرب والكرم
فلكم ضاعفت عدتها بالعطا الجم لا القلم	ونصبت الحرب نصبتها فانثنت هناك بالقمم

فابق للافدار ترفعها وامر الافدار كالخدم

وفيها توفى بالاسكندريه القاضى الشريف ابو محمد عبد الله العثمانى الديباجى من ولد
الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم ويعرف بابن ابى اليابس
من بيت القضا والعلم وكان واسع الباع فى علم الاحاديث كثير الروايه قيمًا بالادب
متصرفًا فى النظم والنثر الا انه مقل من النظم اوحد عصره فى علم الشروط وقوله المقبول
على كل العدول ذكره العماد رحمه الله فى الخريده **ثم دخلت**
سنه ثلاث وسبعين وخمسمايه والسلطان مخيم ببرج فاقوس فنظم العماد فى الاجل الفاضل
قصيده ميميه فى منتصف المحرم وخدمه بها هناك فى المخيم اولها ۝

ديم هضيم يروم هضمى من سقم عينيه عين سقمى	[illegible]
ازمت ياعاذلى صلاحى فخلنى فى الهوى وزعمى	[illegible]
لومك يذكى الغرام قلبى انت نصيحى ام انت خصمى	[illegible]

بالفاضل الافضل الاجل المفضل الاشرف الاشم
غيث غياث وجود جود وبحر علم وطود حلم
براعة فى اليمين منه يستخرج السد من خضم
قال وكان عندنا بالمخيم بالعباسه فى المحرم علم الدين الشاتانى وهو من ادبا الموصل وشعرايها وفصحايها وظرفايها
وفد سنه اثنتين وسبعين الى مصر واهدى النظم والنثر واصطنعه عز الدين فرخشاه
وانزله فى جواره وجمع له من نفسه ومن الامرا الف دينار فمدح السلطان بالمخيم بكلمه مطلعها
غدا النصر معقودًا براياتك الصفر فسر وافتح الدنيا فانت بها احرا
قلت لم يذكر العماد من هذه القصيده غير هذا البيت وانه لقايم مقام قصايد كثيره
والشاتانى هو ابو على الحسن بن سعيد له ترجمه فى تاريخ دمشق وذكره العماد فى الخريده
وذكر فيها من هذه القصيده ۝

يمينك فيها اليمن واليسر فى اليسرى فبشر لمن يرجو الندى منهما بشرى

قال العماد وكانت الاعلام السلطانيه صفرًا لا يفارق نشرها نصرًا قلت وفيها يقول
بعض الفضلا

اذا اسود خطب دونه الموت احمرت بالايادى اعلامه الصفر
فمذ ظهرت منصوبه جزمت بها ظهور العدى من رفعها الخفض والكسر
ولم لا يحوز الارض شرقًا ومغربًا ولله فى اعلا رتبته سر

البيض؟

قال العماد وعاد السلطان الى القاهره واقام بها ثم اهتمت بالغزاه همته الى غزو عسقلان
فخرج يوم الجمعه ثالث جمدى الاولى بعد الصلاه وخيم بظاهر بلبيس فى خامسه بخميسه ثم
تقدمنا منه الى السدير وخيمنا بالمنبر ثم نودى خذوا زاد عشره ايام اخرى زياده للاستظهار
ولاعواز ذلك عند توسط ديار الكفار قال العماد فركبت الى سوق العسكر للابتياع
وقد اخذ السعر فى الارتفاع فقلت لغلامى قد بدا لى وقد خطر الرجوع ببالى فاعرض للبيع
احمالى واثقالى ولا انتهز فرصه هذا السعر الغالى وانا صاحب قلم لا صاحب علم وقد استشعرت
نفسى فى هذه الغزوه من عاقبه ندم والمدا بعيد والخطب شديد وهذه نوبه السيوف لا نوبه
الاقلام وفى سلامتنا سلامه الاسلام والواجب على كل منا ان يلزم شغله ولا يتعدى ولا يتجاوز

محله لاسيما ونواب الديوان قد استاذنوا في العوده واظهروا قلة العده واظهرت سرى
للمولى الاجل الفاضل فسره استشفاقا على واحسانا الى وكان السلطان ايضا يوثر ايثاري ويختار
اختياري فقال لى انت معنا او عزمت ان تدعنا ولا تتبعنا فقلت الامر للمولى وما يختاره
لى فهو اولى فقال نعود وندعو الناو تسال الله ان يبلغنا في النصر سولنا وكنت قد كتبت ابياتا
الى المخدوم الفاضل ونحن بالمبرز في العشرين من الشهر ○

قيل في مصر ان بل عدا الرمل وقد كنبلها الموفود
فاغترربها وسرنا اليها ووقعنا كاترى في الغرور
وحطينا بالرمل والسبر فيه ومنعنا من نيلها المنشود
وبرزنا الى المبرز نشكوا سدا من نزولنا بالسد بر
قيل لى سر الى الجهاد وماذا بالغ في الجهاد جهد مسيري
ليس يقوى في الجيش جاشى ولا قوسى يرى موتورا الى موتور
انا للكتبة للكتابة اقدامى وللصحف لا للصفاح حضوري
كاد فضلى يضيع لولا اهتمام الفاضل الفايض الندى بامورى
فانه منه في ملابس جاه رافلا منه في حبير حبوري
نمورقى من الحضيض حظوظى وسمانى الى سرير السرور

في التاخر عن السلطان فكتب في الجواب ارافقه ولا افارقه فكرهت رايه فكتبت اليه

اذا رضيتم بمكروهى فذاك رضا لا ابتغى غير ما تبغون لى غرضا
وان رايتم شفا القلب في مرضى فانني مستطيب ذلك المرضا
انتم اشرتم بتعذيبى فصرت له مستعذبا استلذ الهم والمضضا
اصبحت مغتبطا بي في محبتكم فحاش لله ان ابغى بكم عوضا
لله عيش تقضى عندكم ومضى وكان مثل سحاب برقه ومضا
العيش دان جناه الغض عندكم والقلب يحترق متى يحمر غضا
ما كنت اعهد منكم ذا الجفا ولا حسبت ان ودادى عندكم رفضا

ولست اول صب من احبته لما جفوا ما قضى اوطاره وقضا
مروا بما شيتم من محنة واذى فقد رايت امتثال الامر مفترضا
طوبى لكم مصر والدار التى قضيت فيها المارب والعيش الذى خفضا
يعيشكم ان خلوتم بانبساطكم تذكروا ضجرا بالعيش منقبضا
رضيتم سفرى عنكم واعهدكم بسفرى عنكم لا تظهرون رضا
هلا تكلفتم قولا اسر به هيهات جوهركم قد عاد لى عرضا
تفضلوا واشرحوا صدرى بقربكم اوفاشرحوا لى ذا المعنى الذى غمضا

فكتب الى في جوابها ابياتا منها ○

لا تنسبونى الى ايثار بعدكم فلست ارضى اذا فارقتكم عوضا
ولى وداد تولى الصدق عقدته فما تراه على الايام منتقضا
يلقاك قلبى على سبيل العتاب له بصحة ليس يخشى بعدها مرضا
وصرت كالدهر يجنى اهله اسفا ويلتقى من عتاب المذنب المضضا

اغنامهم وتفرق عسكره في الاعمال مغيرين ومبددين فلما راوا ان الفرنج خامدون استرسلوا
وانبسطوا وتوسط السلطان البلاد واستقل يوم الجمعه مستهل جمدى الاخره بالرمله راحلا
لقصد بعض المعاقل فاعترضه نهر عليه تل الصافيه فازدحمت على العبور اثقال العساكر
المتوافيه فما شعروا الا بالفرنج طالبة باطلابها حازبه باحزابها ذابة بذبابها عاويه بكلابها
وقد نفر نفيرهم وزفر زفيرهم وسرايا المسلمين في الضياع مغيره ولرحا الحرب عليهم في
دورهم مديره فوقف الملك المظفر تقى الدين وتلقاهم وباشرهم بيبضه وسمره فاستشهد
من اصحابه عده من الكرام انتقلوا الى نعيم دار المقام وهلك من الفرنج اضعافها وكان
لتقى الدين ولد يقال له احمد اول ما طر شاربه فاستشهد بعدما ادرك فارسا ل وكان لتقى الدين
ايضا ولد اخر اسمه شاهنشاه وقع في اسر الفرنج وذلك ان بعض مستامنى الفرنج بدمشق
خدعه وقال له تجى الى الملك وهو يعطيك الملك وزور له كتابا فسكن الى صدقه وخرج معه
فلما انفرد به شده وثاقه وغله وقيده وحمله الى الداويه واخذ به مالا وجد عندهم حالا وجمالا

[illegible]

وبقي في الاسر اكثر من سبع سنين حتى فكه السلطان بمال كثير واطلق للداوية كل
من كان لهم عنده من اسير فغلظ القلب التقوى على ذلك الولد جر هلاك اخيه ولما عاد من
الغزو وزرناه للتعزية فيه قال ولو ان لتقي الدين رداء لاردى القوم لكن الناس تفرقوا وراء
اثقالهم ثم نجوا برحالهم وصوب العدو بحملتهم حملتهم على السلطان فثبت ووقف على تقدمه
من تخلف وسمعته يوما يصف تلك النوبة ويشكر من جماعته الصحبة ويقول رايت فارسا
يحث نحوي حصانه وقد صوب الي نحري سنانه فكاد يبلغني طعانه ومعه اخران قد جعلا شانهما
شانه فرايت ثلاثة من اصحابي خرج كل واحد الى واحد منهم فبادروه وطعنوه وقد تمكن
من قربي فما مكنوه وهم ابرهيم بن قنابر وفضل الفيضي وسويد بن غشم المصري وكانوا فرسان
العسكر وشجعان المعشر وانفق لسعادة السلطان ان هولا الثلثة رافقوه وما فارقوه ودافعوا
العدو دونه وضايقوه فما زال السلطان يسير ويقف حتى لم يبق من ظن انه يتخلف ودخل
الليل وسلك الرمل ولا ما ولا دليل ولا كثير من الزاد والعلف ولا قليل وتعسفوا السلوك في
تلك الرمال والاوعاث والاوعار وبقوا اياما وليالي بغير ما ولا زاد حتى وصلوا الى الديار واذن
ذلك بتلف الدواب وترجل الركاب ولغوب الاصحاب وفقد كثير من لم يعرف له خبر
ولم يظهر له اثر وفقد الفقيه ضيا الدين عيسى واخوه الظهير ومن كان في صحبتهم فضل الطريق
عنهم وكانوا سايرين الليل ورا فاصبحوا بقرب الاعدا فاكمنوا في مغارة وانتظروا امن يدلهم من بلد
الاسلام على عمارة فدل عليهم الفرنج من زعم انه يدلهم وسعى في اسرهم وعطبهم فاسروا وما
خلص الفقيه عيسى واخوه الا بعد سنين بستين الف دينار وفكاك جماعة من الكفار
قال وما اشتدت هذه النوبة بكسرة ولا عدم نصرة فان النكاية في العدو وبلاده بلغت
منتهاها وادركت كل نفس مومنة مشتهاها لكن الخروج من تلك البلاد تشتت الشمل واوعر
السهل وسلك مع عدم الما والدليل الرمل ومما قدره الله تعالى من اسباب السلامة والهداية
الى الاستقامة ان الاجل الفاضل استظهر في دخول بلاد الاعدا باستصحاب الكنانية والادلا
وانهم ما كانوا يفارقونه في الغدا والعشا فلما وقعت الواقعة خرج بدوابه وغلمانه واصحابه
والادلاء به وانتقاله وبث اصحابه في تلك الرمال والوهاد والتلال حتى اخذ خبر السلطان وقصده

واوضح بادلايه جدده وفرق ما كان معه من الازواد على المنقطعين وجمعهم في خدمة السلطان
اجمعين فسهل ذلك الوعر وانس بعد الوحشة الفقر وجبر الكسر وكان الناس في مبدا
توجه السلطان الى الجهاد ودخول الاجل الفاضل معه الى البلاد ربما تحدثوا وقالوا لو قعد
وتخلف كان اولى به فان الحرب ليست من دابه ثم عرف ان السلامة والبركة والنجاة كانت في
استصحابه وجا الخبر الى القاهرة مع نجابين تخلع عليهم واركبوا واشيع بان السلطان نصره الله
وان الفرنج كسروا وغلبوا فركبت لاسمع حديث النجابين وكيف نصر الله المسلمين واذا هم
يقولون ابشروا فان السلطان واهله سالمون وانهم واصلون غانمون فقلت لرفيقي ما بشر
بسلامة السلطان الا وقد تمت كسرة وما ثم سوى سلامته نصرة ولما قرب خرجنا لتلقيه
وشكرنا الله على ما يسره من ترقيه وتوقيه ودخل القاهرة يوم الخميس منتصف الشهر وثابت
سلامته مناب الدهر وسيرنا بها البشاير وانهضنا بطاقاتها الطاير لاخراس السنة
الاراجيف وابدال التامين من التخويف فقد كانت نوبتها هايلة ووقعتها غايلة قال القاضي
ابن شداد خرج السلطان يطلب الساحل حتى وافى الفرنج على الرملة وذلك في اوايل جمدى الاولى
وكان مقدم الفرنج البرنز ارناط وكان قد بيع بحلب فانه كان اسيرا بها من زمن نور الدين رحمه
الله وجرى خلل في ذلك اليوم على المسلمين ولقد حكى السلطان قدس الله روحه الكسرة في
ذلك اليوم وذلك ان المسلمين كانوا قد تعبوا تعبية الحرب فلما قارب العدو راى بعض الجماعة
ان تغير الميمنة الى جهة الميسرة والميسرة الى جهة القلب ليكونوا حال اللقاء وراظهورهم تل
معروف بارض الرملة فبينما اشتغلوا بهذه التعبية هجم الفرنج وقدر الله كسرهم فانكسروا كسرة
عظيمة ولم يكن لهم حصن قريب ياوون اليه فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا
واسر منهم جماعة منهم الفقيه عيسى وكان وهنا عظيما جبره الله تعالى بوقعة حطين المشهورة ولله
الحمد قلت وذلك بعد عشر سنين فكسرة الرملة هذه كانت في سنة ثلاث وسبعين
وكسرة حطين كانت في سنة ثلاث وثمانين قال العماد الكاتب وحيث كانت للملك المظفر
تقي الدين في هذه الغزوة اليد البيضا انشدته قصيدة منها
سقى الله العراق وساكنيه وحياه حيا الغيث الهتون

وجبرانًا امتت الجود منهم وما فيهم سوى وافٍ امين
صفوا والدهر ذو ولدد وقدمًا وفوا بالعهد في الزمن الخؤون
بنو ايوب زانوا الملك منهم بحليه سؤددٍ وتقى ودين
ملوك اصبحوا اخبر البرايا الخبير رعيه في خير دين
اسانيد السياده عن علاهم معنعنه مصححه المتون
بنو ايوب مثل قريش مجدًا وانت لها كانزعها البطين
اخفت الشرك حتى الذعر منهم يرى قبل الولادة في الجنين
ويوم الرمله المرهوب باسًا تركت الشرك منزعج القطين
وكنت لعسكر الاسلام كهفًا اوى منه الى حصن حصين
وقد عرف الفرنج سطاك لما راوا اثارها عين اليقين
وانت ثبت دون الدين تحمي حماه اوان ولى كل دين

قال واهتم السلطان بعد ذلك بافاضة الجود وتفريق
الموجود وافتقاد الناس بالنقود والسنايا الصادقه والوعود
وجبر الكسير وفك الاسير وتوفير العدد وتكثير المدد
وتعويض ما وقف من الدواب فسلوا امانيهم ولم ياسوا على ما
اصابهم قال ابن ابي طي وقال ابن سعدان الحلبي يمدح السلطان ويذكر
ما فعله على عسقلان ويهون عليه امر هذه الكسره قصيده

قصيد

قريت من عسقلان كل نابيه بانت نفل بوكاف من الاسل
فاض النجيع عليها وهي محلة فاصبحت مرتعًا للخيل والابل
قل للفرنجيه الخذلى رويدكم او يخرج الشعرى من الحمل
ترقبوها من الغوار طالعة خوارق الارض نحوا دونق الاصل
كانني بنواصيهن يقدمها كاس من الجود عريان من البخل
حسب العدا يا صلاح الدين حسبهم ان يقرعوك بجرح غير مندمل
وهل يخاف لسان النحل ملتمس مرت على اصبعيه لذه العسل

[illegible] ابن العجمي [illegible] الملك الصالح [illegible] قال العماد [illegible] السلطان [illegible]

مقدم العسكر وامير المعشر وهو صاحب حصن حارم وقد حسده امثاله من الامرا والخدام
فسلموا الابن العجمي الاستبداد بتدبير الدوله ففقر عليه الاسماعيليه يوم الجمعه بعد الصلاه في
جامع حلب فقتلوه واستقل كمشتكين بالامر فتكلم فيه حساده وقالوا للملك الصالح ما قتل
وزيرك ومشيرك ابن العجمي الا كمشتكين فهو الذي حسن ذلك للاسماعيليه وقالوا له انت السلطان
وكيف يكون لغيرك حكم او امر فما زالوا به حتى قبض عليه وطالبوه بتسليم قلعه حارم

واوقعوا بها لاجله العظايم فكتب الى نوابه بها فنبوا وابوا فحملوه ووقفوا به تحت القلعه
وخوفوه بالصرعه فلما طال الامر قصر عمره واستبد الصغار بعده بالامور الجار واشتغلت
عليه قلعه حارم وجرد اليها العزايم ونزل عليه الفرنج ثم رحلوا بقطيعه بذلها لهم الملك
الصالح واستنزل عنها اصحاب كمشتكين وولى بها مملوكًا لابيه يقال له سرخاب وقال
ابن الاثير سار الملك الصالح من حلب الى حارم ومعه كمشتكين فعاقبه ليامر من بها بالتسليم
فلم يجب الى ما طلب منه فعلق منكوسًا ودخن تحت انفه فمات وعاد الملك الصالح عن حارم
ولم يملكها ثم انه اخذها بعد ذلك قال ابن شداد اما الملك الصالح فانه تخبط امره
وقبض كمشتكين صاحب دولته وطلب منه تسليم حارم اليه فلم يفعل فقتله ولما سمع الفرنج
بقتله نزلوا على حارم طمعًا فيها وذلك في جمدى الاخر وقاتل عسكر الملك الصالح العساكر الفرنجيه. الصالح
ولما راى اهل القلعه خطرها من جانب الفرنج سلموها الى الملك الصالح في العشر الاواخر من
شهر رمضان ولما عرف الفرنج بذلك رحلوا عن حارم طالبين بلادهم ثم عاد الصالح الى حلب ولم
يزل اصحابه على اختلاف يميل بعضهم الى جانب السلطان قدس الله روحه قال العماد
ووصل في هذه السنه الى الساحل من البحر كند كبير يقال له افلند من اكبر طواغيت الكفر
واعتقد خلو الشام من ناصري الاسلام ومن جمله هذيانه الفرنج انهم اذا وصل لهم ملك او كبير
مالهم في دفعه تدبير انهم يعاونونه ولا يباينونه ويحالفونه ولا يخالفونه فاذا عاد عادت الهدنه
كما كانت وهانت الشده ولانت وتحكم هذا الشرط حشدوا الحشود وجندوا الجنود ونزلوا
على حماه في العشرين من جمدى الاولى وصاحبها شهاب الدين محمود الحارمي مريض ونايب السلطان
بدمشق يوميذ اخوه الاكبر تورانشاه وهو والامرا مشغولين بذاتهم وكان سيف الدين علي
ابن احمد المشطوب بالقرب فدخلها وخرج للحرب واجتمع اليها رجال الطعن والضرب وجرت
ضروب من الحروب وكاد الفرنج تهجم البلد فاخرجوهم من الدروب ونصر الله اهل الاسلام
بعد حصارهم لهم اربعه ايام فانهزم الملاعين ونزلوا على حصن حارم كما تقدم ذكره فرحلهم
عنه الملك الصالح بعد حصاره اربعة اشهر ومن كتاب فاضلي الى بغداد خرج الكافر الى
البلاد الشاميه فاستخير لعقد كان محكمًا غادر بن عهدًا اصر بها مقدارين ان يجهر واعلى الشام

لما ان نزل الجنب جريحا ونزلوا على ظاهر حماه يوم الاثنين الحادي والعشرين من جمادى
الاولى وزحفوا اليها في ثانيه فخرج اليهم اصحابنا وتضمن كتاب سيف الدين يعني المشطوب
ان القتلى من الفرنج تزيد على الف رجل ما بين فارس وراجل شفى الله منهم الصدور ورزق
عليهم النصر والظهور ثم انصرفوا مجموعا لهم بين تنكيس الصلب وتحطيم الاصلاب مفرقة
احزابهم عن المدينة المحروسة كما افترقت عن المدينة الشريفة الاحزاب قال العماد
وتسامع الحلبيون بيوم رحيلنا من مصر لقصد الشام لنصرة الاسلام وقالوا اوان يصل
صلاح الدين نسلم حارم فراسلوا الفرنج وقاربوهم وارعبوهم وارهبوهم وقالوا لهم صلاح
الدين واصل وما لكم بعد حصوله عندكم حاصل فرحل الفرنج بقطيعة من المال اخذوها وعدة
من الاسارى خلصوها ثم توفي خال السلطان شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي في جمادى
الاخرة وتوفي ولده تكش بن خال السلطان قبله بثلثة ايام وذلك اوان وقعة الرملة ولما
سمع السلطان بنزول الفرنج على حارم رحل من البركة يوم عيد الفطر بعساكره ووصل ايلة
في عاشر الشهر واستناب بمصر اخاه العادل واقام بها القاضي الفاضل بنية الحج في السنة
القابلة ووصل السلطان الى دمشق في الرابع والعشرين من شوال ومما نظمه العماد في
الشوق الى مصر قوله ○

ساكني مصر هنا كم طيبها ان عيشي بعدكم لم يطب
لا عدمتم راحة من قربها فانا من بعدها في تعب
بعد العهد باخباركم فابعثوا اخباركم في الكتب
ليت مصرا عرفت اني وان غبت عنها فالهوى لم يغب ومن ذلك قوله
تذكرت في جلق داركم بمصر ويا بعد ما بيننا وما اتمنى سوى قربكم وذلك والله كل المنى
لكم بالجنان وطيب المقام وحسن النعيم بمصر الهنا ومن ذلك ايضا
يا ساكني مصر قد فقتم بفضلكم ذوي الفضائل من سكان امصار
لله دركم من عصبة كرمت ودر مصركم الغناء من دار
يا حبذا مصر وبركتها وصدر والعريس فهناك املاك الذين سمت بعزهم العروش

قال ووصل كتاب من الفاضل يذكر فيه ان العدو خذله الله نهض ووصل الى صدر
وقاتل القلعة ولم يتم له امر فصرف الله شره وكفى امره ووصل من الفرنج مستامن
وذكر انهم يريدون الغارة على فاقوس فاستقلوا انفسهم وعجزوا وذكر انهم مضوا بنية
تجديد الحشد ومعاودة القصد قال واما نوبة العدو في الرملة فقد كانت عثرة علينا
ظاهرها وعلى الكفار باطنها ولزمنا ما نسي من اسمها ولزمهم ما بقي من غرمها ولا دليل
ادل على القوم من المسير بعد شهرين من تاريخ وقعتها الى الشام لخوض بلاد الفرنج بالقوافل
الثقيلة والحشود الكثيرة والحريم المستور والمال العظيم الموفور قال العماد
ولما دخلنا دمشق وجدنا رسل دار الخلافة قد وصلوا باسباب العاطفة والرافة وكان
حينئذ صاحب المخزن ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر العطار وهو من ذوي الاخطار وله
التحكم في الايراد والاصدار وقد توفر على محبة السلطان وتربية رجايه وتلبية دعايه ووصل
كتابه ورسوله بكل ما سر السراير ونور البصاير

فصل في ذكر اولاد السلطان

قال العماد وفي هذه السنة ولد بمصر للسلطان ابنه ابو سليمان داود وكتب الفاضل
الى السلطان يهنيه به ويقول انه ولد لسبع بقين من ذي القعدة وهذا الولد المبارك هو
الموفي لاثني عشر ولدا بل لاثني عشر نجما متوقدا فقد زاد الله في انجمه على انجم يوسف عليه السلم
نجما وراهم المولى يقظة وراى تلك الانجم حلما وراهم ساجدين له وراينا الخلق له سجودا وهو
قادر سبحانه ان يزيد جدود المولى الى ان يراهم اباء وجدودا قال العماد وكنت في بعض
الليالي عند السلطان في اخر عمره وجرى ذكر اولاده واعتضاده بهم واعتداده فقلت له
لو عرفت ايام مواليدهم في اعوامها لانشات رسالة على نظامها فذكر لي ما اثبته على
ترتيب اسنانهم **ما صورته**

الملك الافضل نور الدين علي ولد بمصر ليلة عيد الفطر عند العصر سنة خمس وستين وخمسمية
العزيز ابو الفتح عثمن عماد الدين ولد بمصر ثامن جمادى الاولى سنة سبع وستين
الظافر ابو العباس خضر مظفر الدين ولد بمصر في خامس شعبان سنة ثمان وستين
وهو اخو الافضل لابويه ○

الظاهر ابو منصور غازي غياث الدين ولد بمصر منتصف رمضان سنه ثمان وستين
المعز ابو يعقوب اسحق فتح الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنه سبعين
المؤيد ابو الفتح مسعود نجم الدين ولد بدمشق في ربيع الاول سنه احدى وسبعين
وهو اخو العزيز لابويه
الاعز ابو يوسف يعقوب شرف الدين ولد بمصر في ربيع الاخر سنه اثنين وسبعين
وهو اخو العزيز لامه
الزاهر ابو سليمان داود مجير الدين ولد بمصر في ذي القعده سنه ثلاث وسبعين
وهو اخو الظاهر لامه
المفضل ابو موسى قطب الدين ثم نعت بالمظفر ولد بمصر سنه ثلاث وسبعين
وهو اخو الافضل لامه
الاشرف ابو عبد الله محمد عزيز الدين ولد بالشام سنه خمس وسبعين وخمس ميه
المحسن ابو العباس احمد ظهير الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنه سبع وسبعين
وهو لام الاشرف
المعظم ابو منصور توارنشاه فخر الدين ولد بمصر في ربيع الاول سنه سبع وسبعين
قلت ومات سنه ثمان وخمسين وهي السنه التي اخرب العدو من التتار خذلهم الله تعالى
مدينه حلب وغيرها والله اعلم ٥
الجواد ابو سعيد ايوب ركن الدين ولد في ربيع الاول سنه ثمان وسبعين وهو لام العزيز
الغالب ابو الفتح ملكشاه نصير الدين مولده بالشام في رجب سنه ثمان وسبعين
وهو لام المعظم
المنصور ابو بكر وهو ايضا اخو المعظم لابويه ولد بحران بعد وفاه السلطان قلت
نحو خمسة عشر ولدا ذكرهم العماد في هذا الموضع وقال في اخر كتاب الفتح القدسي
على ما سنذكره في اخر هذا الكتاب ان السلطان لما توفي خلف سبعه عشر ولدا وابنة
صغيره فقد فاته هنا ذكر اثنين وهما عماد الدين شادي لام ولد ونصره الدين مروان

لام ولد واما البنت فهي مونسه خاتون تزوجها الملك الكامل محمد على ما سنذكره
وهو ابن عمها الملك العادل ابي بكر بن ايوب وللسلطان غير هولاء الاولاد ممن درج
في حياته كالملك المنصور حسن وسياتي ذكر وفاته والامير احمد وهو الذي رثاه [illegible]

اي هلال كسفا واي غصن قصفا | كان سراجا فطفى على الورى ثم انطفا
لم يرب الخيل ولم يقلده مرهفا | قل للنجاه وبحكم احمد لم قد صرفا
صبرا صلاح الدين يا رب السماح والوفا

قال العماد وورد من الفاضل كتاب تاريخه منتصف ذي الحجة سنه ثلث وسبعين
يذكر فيه فصولا متعدده منها
للموالي الاولاد وقد صاروا رجالا ويجب ان يستجد للقلاع رجالا كما فعل السابقون
اعمارا واعمالا وقيل القلاع انوف من حلها شمخ بها ما في الرجال على النسا امين
ومنها ابيات في ذكر السلام

مملوك مولانا ومملوك ابنه واخيه وابن اخيه والجيران
طي الكتاب اليه منه اجابه لسلام مولانا ابنه عثمان
والله قد ذكر السلام وانه يجزى باحسن منه في القران
وغريبه قد جيت فيها اولا ومن انصفها كان بعدي الثاني
فرسولي السلطان في ارسالها والناس يسلم الى السلطان

وناهيك السعاده لحظته وامتدت ولاحظته العيون بالوقار وطرفت دون
جلالته وارتدت وفي بعض كتب الفاضل عن السلطان الى ولده الافضل اعزانه
لاهل الفضل دليل على فضله وان الاولى ان يلون كتب الادب عند اهله وما
البهنا اذ جال في فضا الفضايل وخطب من ابكار المعاني كرايم العقايل
واخا بين السيف والقلم وصار في موكبه العلم والعلم ومن ذاب اخر
في المعنى فلقد زادت هذه المنقبه في مناقبه ونظمت عقود سودد في ترايبه
فما اثر جسم الانسان عن فضله بافضل من تقريبه لاولي الفضل

قلت وصف الفاضل الملك [illegible]

قال العماد وخرج السلطان للصيد في ذي الحجة نحو قارافشكوت ضرشي
وعدمت انسي فرجعت مع عز الدين فرخشاه لحمى عرته فشكا منها لا تزور الا نهارا
جهارا ولا تفارق بعرق بالضد من الحمى التي وصفها ابو الطيب المتنبي فنظمت فيه كلمة
طويلة اولها ... يمينك دابها بذل اليسار وكفك شوبها بدر النضار

وانك من ملوك الارض طرا بمنزلة اليمين من اليسار
وانت البحر في بث العطايا وانت الطود في بادي الوقار

ومنها في وصف الحمى

وزائرة وليس بها حياء فليس تزور الا في النهار
ولو رهبت لدى الاقدام جودي لما دغنت جمادا في جواري
انت والقلب في وهج اشتياق لتظهر ما اواري من اواري
ولو عرفت لظى سطوات عزمي لكانت من سطاي على حذار
نقيم فحين تبصر من اناتي ثبات الطود تسرع في الفرار
تفارقني على غير اغتسال فلم احلل لزورتها ازاري
ابا شمس الملوك بقيت شمسا تنير على الممالك والديار
احماك استعارت لفح نار لعزمك لم تزل ذات استعار

فصل

قال العماد وفي العشر الأول
من ذي القعدة قتل عضد الدين بن رئيس
الرؤساء وزير الخليفة ببغداد
على يد الملاحدة

وكان قد توجه الى الحج فوقف له في مضيق فطفا عربي دجلة كهل في يده قصة يزعم انه
يريد رفعها الى الوزير من يده الى يده فاوما ليوصل قصته فانتهز فيه فرصته فقتله وبدر
كمال الدين ابو الفضل ابن الوزير فقتل قاتل ابيه بسيفه وكان مع ذلك الجاهل الملحد
رفيقان له فجرح احدهما حاجب الباب ابن المعوج فمات وجرح اخر ولد قاضي القضاه
وقطع الملاحدة واحرقوا واستقل ظهير الدين ابو بكر منصور بن نصر المعروف بابن
العطار صاحب المخزن بالدولة وكان للسلطان خدنا مصافيا قلت وابن العطار
هذا هو المرجوم المسحوب بعد موته ببغداد كما سياتي ذكره في اخر حوادث سنة
خمس وسبعين قال ابن الاثير وكنت حينئذ ببغداد عازما على الحج فعبر عضد الدين
دجلة في شبارة فلما ركب دابته والناس معه ما بين راكب وراجل تقدم اليه بعض العامة

ليدعو له فمنعه اصحابه فزجرهم وامرهم ان لا يمنعوا احدا عنه فتقدم اليه الباطنية
فقتلوه بالجانب الغربي فتوفي بها قال العماد ووردت مطالعة الفاضل الى
السلطان تتضمن التوجع لقتل الوزير عضد الدين وفيها وما ربك بظلام للعبيد فقد كان
عفى الله عنه قتل ولدي الوزير ابن هبيرة وازهق انفسهما وجماعة لا تحصى ۝

من يسر يربه والدهر لا يغتر به

وهذا البيت بيت ابن المسلمة عريق في القتل وجده وهو المقتول بيد البساسيري في
وقت اخراج الخليفة القايم في ايام الملقب بالمستنصر بمصر فهو من ذريه لم تزل قاتله
مقتوله وما زالت السيوف عليها ومنها مسلوله نعم في هذه الحادثة المسمعة المصمه
كما قال دريد الى الموت الا ال صمه والابيات المولى يحفظها وهي في
الحماسه وقد ختمت له السعاده بما ختمت به له الشهاده لا سيما وهو خارج من بيته الى
بيت الله قال الله سبحانه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله ۝

ان المساة قد تسر وربما كان السرور بما كرهت جديرا
ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

وهذان البيتان قيلا في ابي سلمة الخلال اول وزير لبني العباس قلت وبلغني ان الفاضل
كان ينشد ۝ واحسن من نيل الوزارة للفتى حياة تريه مصرع الوزراء
قال العماد وكان ضياء الدين بن الشهرزوري قد سار في الرساله الى بغداد وتوقف
في الموصل لحادثة الوزير ووافق وصوله الى الموصل وفاة ابن عمه القاضي عماد الدين احمد
ابن القاضي كمال الدين بن الشهرزوري وكان شابا وجاء كتاب الفاضل يذكر ذلك وفيه

يلي ابن عشرين في لحده وتسعون صاحبها رائع

اغتبط الولد مع نضارة الشباب المقتبل وعمر الولد مع ذبول المشيب المشتمل
ليعلم ان المشيب ليس بمسلم وان الشباب الغض ليس بمانع وليكون العبد حذرا
من بغتات الاجال في كل الاحوال والله يطيل للمولى العمر كما اطال له في القدر ويمتع منه

ولا يسمع فيه ويبقيه سندًا للدين الحنيفي فان بقاه يكفيه ○ اخر الجزء
الاول من كتاب الروضتين في اخبار الدولتين يتلوه ان شا الله تعالى في الجزء
الثاني ثم دخلت سنه اربع وسبعين وخمس مايه قال العماد وكان
شمس ابن المقدم من اكابر الامراء ووافق الفراغ من نسخه يوم السبت سابع عشر
شهر رمضان المعظم سنه خمس واربعين وسبع مايه احسن الله تقضيها بمنه وكرمه
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وازواجه الطيبين الطاهرين
وسلم تسليمًا كثيرًا الى يوم الدين
وحسبنا الله ونعم الوكيل